

دار الكتب والخطبة

كتاب

صنعة الأسيك

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الرابع عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع

بالطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٨

١٩١٩

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

## الباب الرابع

### من المقالة التاسعة

( في الهدنة الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك الكفر ، وفيه فصلان )

## الفصل الأول

في أصولٍ تُتبعُ على الكاتبِ معرِفَتَها ، وفيه ثلاثة أطراف :

### الطرف الأول

( في بيان رُتبتها ومعناها ، وذكُر ما يُرادُفها من الألفاظ )

أما رُتبتها فإنها متأخرةٌ - عند قُوَّة السُلطان - عن عَقْدِ الحِزْبِيَّةِ : لأنَّ في الحِزْبِيَّةِ ما يدلُّ على ضَعْفِ المعقود له ، وفي الهدنة ما يدلُّ على قُوَّتِهِ .

وأما معناها فالهدنة في اللغة المصالحة ، يقال : هادته يهادنه مهادنة إذا صالحه والاسم الهدنة . وهي إما من هدن بفتح الدال يهدن بضمها هدونا إذا سكن ، ومنه قولهم : « هدنة على دحخ » . أى سُكُونٌ على غلٍّ ، أو تكون قد سميت بذلك لما يوجد من تأخير الحرب بسببها .

(١) أى من باب قتل كما في المصباح به ضبط بفتح في نسخة خطية من الصحاح ولكن ضبطه في الأمازيغ واللسان وكذا المحكم بالفتح فيد أنه من باب ضرب ، فعمل فيه لغتين .

(٢) هذا هو أحد شق التفصيل . أى الهدنة إما من الهدون بمعنى السكون أو من الهدون بمعنى التبريت والتأخير .

وإرادتها الفاظ أخرى :

أحدها — المودعة، ومعناها المصاحفة أيضاً. أخذنا من قوههم : عليك بالمودوع يريدون بالسكينة والوقار، فتكون راجعة إلى معنى الشكون . وإنما أخذنا من توديع التوب وتحوه : وهو جعله في صوان يصونه ، لأنه بها تحصل الصيانة عن القتل . وإنما أخذنا من الندعة : وهي الخفض والثناء . لأن بسببها تحصل الراحة من تعب الحرب وتكلفه .

ثالثاً — المسألة ومعناها ظاهر : لأن وقوعها تسلم كل من أهل الجانبين من الآخر .

الرابع — المفاضاة، ومعناها المفاضلة مفاعلة من القضاء بمعنى الفصل والحكم .

الخامس — المواصفة ، سميت بذلك لأن الكتاب يصف ما وقع عليه الصلح من الجانبين . على أن الكتاب يخصون فقط المواصفة بما إذا كانت المهادنة من الجانبين . ولا شك أن ذلك جارٍ في لفظ المودعة والمسألة والمفاضاة أيضاً : لأن المفاضلة لا تكون إلا بين اثنين إلا في الفاظ قليلة محفوظة . على ما هو مقرر في علم العربية .

أما لفظ الهدية فإنه يصدق أن يكون من جانب واحد . بأن يعقد الأهل الهدية من هودونه . على أنها عند التحقيق ترجع إلى معنى المفاضلة . إذ لا لتصور إلا من اثنين .

وأما في الشرع فعبارة عن صلح يقع بين زعيمين في زمن معلوم بشروط مخصوصة ، على ما سيأتي بيانه فيما بعد . إن شاء الله تعالى .

والأصل فيها أن تكون بين ملكين مسلمين وكافرين . أو بين اثنين من أحدهما وتائب الآخر . وعلى ذلك رتب الفقهاء رحمهم الله باب الهدية في كتبهم . قال صاحب

”مواد البيان“ . وقد يتعاقد عطاء أهل الإسلام على التواضع والتسليم واعتقاد المودة والتصافي ، والتوازر والتعاون ، والتعاضد والتناصر ، وبشروط الأضعف منهم للأقوى تسليم بعض ما في يده والتفادي عنه بمعاطفته والالتيام إلى أتباعه ، والطاعة والاحترام في المخاطبة ، والمعاملة في المعاملة ، أو الإمداد بجيش ، أو امتثال الأوامر والنواهي وغيرها مما لا يُحصى .

قلت : وقد يكون المبدأين متساويين في الرتبة أو متقاربين ، فيقع التعاقد بينهما على المسألة والمصافاة ، والموازرة والمعاونة ، وكف الأذى والإضرار وما في معنى ذلك ، دون أن يلتزم أحدهما للآخر شيئاً يقوم به أو إناوة يحملها إليه ، ولكل مقام مقال ، والكتيب الماهر يوفى كل مقام حقه ، ويُعطى كل فصل من الفصول مستحقه .

## الطرف الثاني

( في أصل وضعها )

أما مهادته أهل الكفر فالأصل فيها قوله تعالى : ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ .

وما ثبت في صحيح البخاري من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه :

« أَنْ قُرَيْشًا وَجَّهَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْحُدَيْبِيَّةِ حِينَ »

« صَدَّهُ قُرَيْشٌ عَنِ الْبَيْتِ - سَهِيلَ بْنِ عَمْرٍو ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَاتِ [ أَكْتُبْ ] بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كِتَابًا ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

« السَّكَاتِبَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ »

«الرحيم». فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؛ ولكن آكتب «  
 «بأسمك اللهم كما كنت تكتب». فقال المسلمون: والله لا نكتب إلا «  
 «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آكتب: «  
 «بأسمك اللهم». ثم قال: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله - فقال سهيل: «  
 «والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا ذاتناك؛ «  
 «ولكن آكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله «  
 «إني لرسول الله وإن كذبتموني. آكتب محمد بن عبد الله. ثم قال النبي «  
 «صلى الله عليه وسلم: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فتطوف به - فقال «  
 «سهيل: والله لا نتحدث العرب أنا قد أخذنا ضغطة. ولكن ذلك من «  
 «العام المشي. فكتب - قال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل «  
 «وإن كان على دينك إلا رددته إلينا - قال المسلمون: سبحان الله! «  
 «كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً! فبينما هم كذلك. إذ جاء «  
 «أبو جندل يرسف في قيوده. وقد نرح من مكة حتى رحن بنفسه بين «  
 «أظهر المسلمين - فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقضيك عليه أن «  
 «ترده إلى - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن لم نقض الكتاب بعد - «  
 «قال: فوالله [إذاً] لأصالحك على شيء أبدا - قال النبي صلى الله «  
 «عليه وسلم: فأجزه لي - قال: ما أنا بغيره لك - قال بلن فافعل - «

« قال : ما أنا بفَاعِلٍ . قال مِكَرَزُ بْنُ حَفْصٍ : بلى قد أجزأه لك . قال »  
 « أبو جندبٍ : أى معشر المسلمين : أُرِدُّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً ؟ »  
 « ألا ترون ما قد أقيمتُ ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله تعالى . »  
 « قال عمرُ بن الخطابِ : فأثبتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : «  
 « ألسنتَ نبيِّ الله حقاً ؟ قال بلى ! قلتُ : ألسنتنا على الحقِّ وعدونا على  
 « الباطلِ ؟ قال بلى ! قلتُ : فلم تُعطي الدنْيَةَ فى ديننا إذا ؟ قال : إني  
 « رسولُ الله ولستُ أعصيه وهو ناصرى . »

قلت : هذا ما أورده البخارىُّ فى حديثٍ طویلٍ <sup>(١)</sup> . والذي أورده أصحابُ  
 السيرِ أن الكاتبَ كان على بن أبى طالبٍ ، وأن نُسخةَ الكتابِ :

« هذا ما قاضى عليه محمدُ بن عبد الله سَهَيْلُ بن عمرو على وَضْعِ الحَرْبِ »  
 « عن الناسِ عشرَ سنين ، وأنه من أحبِّ أن يدخلَ فى عَقْدِ مَجْدٍ »  
 « وعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ ، ومن أحبِّ أن يدخلَ فى عَقْدِ قَرَيْشٍ وعَهْدِهِمْ »  
 « دخلَ فِيهِ » .

وأشهد فى الكتابِ على الصَّاحِبِ رجالاتنا من المسلمين والمشركين .

(١) ذكر هذا الحديث بقائه فى كتاب الصلح وهو فى ج ٤ من " إرشاد السارى " لقسطلانى ومنه كان

## الطرف الثالث

( فيما ينبىء على الكاتب مراعاته في كتابة الهدنة )

قال في "مواد البيان" : وهذا الفن من المكتوبات له من الدلالة محل خطير ، ومن المنفعة موضع كبير ، ويتعين على الكاتب أن يحل له فكره ، ويعمل فيه نظره ، ويتوقر عليه قرواً يحكم مآلها ، ويهدب معانيها .  
والذى يلزم الكاتب في ذلك نوعان :

## النوع الأول

( ما يخص كتابة الهدنة بين أهل الإسلام وأهل الكفر )

وهي الشروط الشرعية المعبرة في صحة العقد ، بحيث لا يصح عقد الهدنة مع إهمال شيء منها . وهي أربعة شروط :

الأول — في العقد . ويختلف الخلل فيه باختلاف العقود عليه : فإن كان العقود عليه إقنياً : كالفيدم والنزوم ونحوهما . أو مهادنة الكفار مطلقاً ، فلا يصح العقد فيه إلا من الإمام الأعظم أو من نائبه العام المذموم إليه التحدث في جميع أمور المملكة . وإن كان على بعض القرى والأطراف ، إلا حاد الأولاة العاودين لهم عقد الصلح معهم .  
الثاني — أن يكون في ذلك مصلحة للمسلمين : أن يكون في المسلمين ضعف أو في المال قلة ، أو توقع إسلامهم بسبب اختلاطهم بالمسلمين ، أو طمع في قبولهم الجزية من غير قتال وإغراق ملي . فإن لم يكن مصلحة فلا يهادنون بل يقتلون حتى يسلموا أو يذوقوا الجزية إن كانوا من أهلها .

الثالث — أن لا يكون في العقد شرط بإباه الإسلام : كما لو شرط أن يترك بأيديهم مال مسلم . أو أن يرده عليهم أسير مسلم أقتلت منهم ، أو شرط لهم على المسلمين

مأل من غير خوفٍ على المسلمين، أو تُشَرِّطَ رَدُّ مُسَلِّمِيهِمْ، فلا يصحُّ العَقْدُ مع شَيْءٍ من ذلك، بخلاف ما لو شَرِّطَ رَدُّ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ أو الْمَرْأَةِ الْكَاْفِرَةِ فإنه لا يَمْنَعُ الصَّحَّةَ . قال الغزالي : وقد بَحَثَ الْعَادَةُ أَنْ يَقُولَ : <sup>(١)</sup> عَلَى أَنْ مَن جَاءَكُم مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَدَّدْتُمُوهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مُسْلِمًا رَدَّدْنَاهُ . فَإِنْ كَانَ فِي الْمُسْلِمِينَ ضَعْفٌ وَخِيفٌ عَلَيْهِمْ، جَازَ التَّرَامُ الْمَسَالِ لَهُمْ دَقَقًا لِلشَّرِّ، كَمَا يَجُوزُ فَكُّ الْأَسِيرِ الْمُسْلِمِ إِذَا عَجَزْنَا عَنْ اقْتِرَاعِهِ .

الرابع — أن لا تزيد مدة الهدنة عن أربعة أشهر عند قوة المسلمين وأمنهم، ولا يجوز أن تبلغ سنة بحال، وفيها دون سنة وفوق أربعة أشهر قولان للشافعي رضي الله عنه، أحقهما أنه لا يجوز. أما إذا كان في المسلمين ضعف وهناك خوف، فإنه تجوز المهادنة إلى عشر سنين؛ فقد هادَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ مَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ . وَلَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا عَلَى الصَّحِيحِ، وَفِي وَجْهِ تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ لِالصَّلَاحَةِ . فَلَوْ أُطْلِقَ الْمُدَّةُ فَالصَّحِيحُ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهَا فَاسِدَةٌ، وَقِيلَ : إِنْ كَانَتْ فِي حَالِ ضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ حُلَّتْ عَلَى عَشْرِ سِنِينَ، وَإِنْ كَانَتْ فِي حَالِ الْقُدْرَةِ : فَقَدْ قِيلَ تَحْمَلُ عَلَى الْأَقْلِ : وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ عَلَى الْأَكْثَرِ : وَهُوَ مَا يَقَارِبُ السَّنَةَ . وَلَوْ صَرَّحَ بِالزِّيَادَةِ عَلَى مَا يَجُوزُ عَقْدُ الْهُدْنَةِ عَلَيْهِ : فَإِنْ زَادَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فِي حَالِ الْقُوَّةِ أَوْ عَلَى عَشْرِ سِنِينَ فِي حَالِ الضَّعْفِ صحَّ فِي الْمُدَّةِ الْمُعْتَبَرَةِ وَبَطُلَ فِي الزَّائِدِ . فَإِنْ أَحْتَجَّ إِلَى الزِّيَادَةِ عَلَى الْعَشْرِ، عَقِدَ عَلَى عَشْرِ ثُمَّ عَشْرٍ ثُمَّ عَشْرٍ قَبْلَ تَقْضَى الْأُولَى، قَالَهُ الْقُورَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا الشَّافِعِيَّةِ . وَذَهَبَ أَصْحَابُ مَالِكٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَنَّ مُدَّتَهَا غَيْرُ مُخَدَّوْدَةٍ، بَلْ يَكُونُ مَوْكُولًا إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ وَرَأْيِهِ .

(١) يياض في الأصل بقدر كلمة ولعله « نهادكم على الخ » .



## النوع الثاني

(ما تشترك فيه الهدن الواقعة بين أهل الكفر والإسلام، وعقود الصلح

الجارية بين زعماء المسلمين، وهي ضربان)

## النضرب الأول

(الشروط العادية التي بحري العادة أن يقع الاتفاق عليها بين

الملوك في كتابة الهدن خلا ما تقدم)

وليس لها حدٌ يحصرها، ولا ضابطٌ يضبطها، بل بحسب ما تدعو الضرورة إليه

في تلك الهدنة بحسب أحوال الواقع .

فمن ذلك — أن يشترط عليه أن يكون لوليّه موالياً، ولعدوه معادياً، ولسائمه  
مُسائماً، ولجاريه جارياً، ولا يواطئ عليه عدواً، ولا يوقع عليه صلحاً، ولا يوافق  
على ما يقدح في أمره، ولا يقبل سؤال سائيل، ولا يدلّ باذل، ولا يرسل مراسل  
مما يخالف الاتفاق الجارى، والأخذ على يد من سعى في نقض الصلح ونكث  
العهد إن كان من أهل طاعته، والمقاتلة إن كان من المخالفين له، وأنه إذا جنى  
من أهل مملكتهم جاني كان عليه إحضاره أو الأخذ منه بالحياة .

ومن ذلك — أن يشترط عليه أن يكف عن بلاده وأعماله، ومطارف ثغوره،  
وشامخ نواحيه — أيدي الداخلين في جماعته، والمنضمين إلى حوزته، ولا يجهز لها  
جيشاً، ولا يحاول لها غزواً، ولا يبدأ أهلها بمنازعة، ولا يشرع لهم في مقارعة .  
ولا يتناوبهم بكبدة ضاهرة ولا باضنة، ولا يعاملهم بأذية جلية ولا خفية،  
ولا يطلق لأحد ممن ينوب عنه في إمارة جيشه، ومن ينسب إلى جمته، ويتصرف

على إرادته - عتاً إلى شيء من ذلك بوجه من الوجوه، ولا سبب من الأسباب، وأن لا يجاوز حدود مملكته إلى المملكة الأخرى بنفسه ولا بعسكر من عساكره .

ومن ذلك - أن يشترط عليه أن يفرج عمن هو في حوزته ممن أحاطت به ربة الأتربة، ويمكثهم من المسير إلى بلادهم؛ بأنفسهم وخدمهم وعبادهم وأتباعهم، وأصناف أموالهم، في أتم حراسة، وأكمل حفازة، دون كلفة ولا مشونة تلحقهم على إطلاعهم، ونحو ذلك .

ومن ذلك - أن يشترط عليه ما لا يملكه إليه في كل سنة، أو أن يسلم إليه ما يخافه : من حصون وقلاع وأطراف وسواحل مما وقع الاستيلاء عليه من بلاد المسلمين، أو أحب أترابه أو استضافته من بلاد من يهذبه من ملوك الكفرة؛ وأن يبقى من بها من أهلها، ويقررهم فيها بجرمهم وأولادهم ومواسيهم وأزوادهم وسلاحهم وآلاتهم، دون أن يتمس عن ذلك أو عن شيء منه مالا، أو يطلب عنه بدلاً، وما يخترط في هذا السلك .

ومن ذلك - أن يشترط عليه عدم التعرض لتجار مملكته، والمسافرين من رعيته، براً وبحراً بنوع من أنواع الأذية والإضرار. في أنفسهم ولا في أموالهم، وللبايرين للبحر عدم ركوب المراكب الحربية التي لا يعتاد التجار ركوب مثلها .

ومن ذلك - أن يشترط عليه إمضاء ما وقعت عليه المعاهدة، وأن لا يرجع عن ذلك ولا عن شيء منه، ولا يؤخر شيئاً عن الوقت الذي ... .. (١)

ومن ذلك - أن يشترط عليه أنه إذا بقي من مدة الهدنة مدة قريبة مما يحتاج إلى التعمير فيه، أن يعمله بما يريد من مهادته أو غيرها .

(١) يباشر بالأصول ولعله «الذي اتفق عليه» .

ومن ذلك - أن يشترط عليه أنه إذا أفضى أمدُّ الهدنة على أحد من الطائفتين وهو في بلاد الآخرين، أن يكون له الأمان حتى يلحق مأمته .

ومن ذلك - أن يشترط ما لا يجعله إليه في الحال أو في كل سنة، أو حصوناً، أو بلاداً يسلمها من بلاده - أو مما يغلب عليه من بلاد مهادينه، إلى غير ذلك من الأمور التي يجري عليها الاتفاق مما لا تحصى كثرة .

### الضرب الثاني

( مما يلزم الكتابة في كتابة الهدنة - تحرير أوضاعها : وترتيب

فوائدها ، وإحكام معاقبتها )

وذلك باعتبار أمور :

منها - أن يكتب الهدنة فيما يناسب الملك الذي تجرى الهدنة بينه وبين مملكته . ولم أر من تعرض في الهدن لمقدار قطع الورق وإن كثرت كتابتها في الزمن المتقدم بين ملوك الديار المصرية وبين ملوك الفرنج ، كما سيأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، والذي ينبغي أن يراعى في ذلك مقدار قطع الورق الذي يكتب فيه الملك الذي تنع الهدنة معه : من قصع العادة أو الثلث أو النصف .

ومنها - أن يأتي في ابتدائها براءة الاستهلال : إما بذكر تحمين موقع الصلح والندب إليه ويمن عاقبته ، أو بذكر السلطان الذي تصدر عنه الهدنة ، أو السلاطين المهادين . أو الأمر الذي ترتب عنه الصلح - وما يجري هذا الجرى مما يقتضيه الحال ويستوجه المقام .

ومنها - أن يأتي بعد التصدير بمقدمة يذكر فيها السبب الذي أوجب الهدنة ودعا إلى قبول المودعة .

فإن كانت الهدنة مع أهل الكُفْر، أَحْتَجَّ للإجابة إليها بالأتمسارِ بأمر القرآن والأقيادِ إليه، حيثُ أمرَ اللهُ رسوله صلى اللهُ عليه وسلم بالمطَاوَعَةِ عَلَى الصُّلْحِ وَالْإِجَابَةِ إِلَى السَّلْمِ بقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ . وما وردت به السنة من مصالحتِه صلى اللهُ عليه وسلم قَرْنًا عامِ الحُدَيْبِيَّةِ، وذَكَرَ ما سَمَحَ له من آياتِ الصُّلْحِ وَأَحَادِيثِهِ، وما جرى عليه الخلفاء الراشدون من بعده، وكَتَبَهُم عن القتالِ وَقُوفًا عند ما حد لهم . وأنه لولا ذلك لشرَعُوا الأَسِنَّةَ إلى مُحَالِفِهِم في الدينِ ، وَرَكَّضُوا الجِيَادَ إلى جِهَادِ من يَلِيهِم من المُلْحِدِينَ .

وإن كان الصُّلْحُ بينَ مُسْلِمِينَ أَحْتَجَّ بِمَجْرُوعِهِ تعالَى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ . وبأحاديثِ التَّحْذِيرِ من تَقَاتُلِ المُسْلِمِينَ كقوله صلى اللهُ عليه وسلم : « إِذَا اتَّقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفِهِمَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » وما يجرى هذا المَجْرَى .

ومنها - أن يراعى المقام في تجويل المتهاذنين أو أحدهما بحسب ما يقتضيه الحال، ووصف كل واحد منهما بما يليق به : من التعظيم ، أو التوسيط ، أو انحطاط الرتبة بحسب المقام ، ويجرى على حَسَبِ ذلك في الشدة واللين .

فإن كانت الهدنة بين مُتَكَافِئِينَ سَوِيٍّ بَيْنَهُمَا في التعظيم ، وجرى بهما في الشدة واللين على حد واحد، إلا أن يكون أحدهما أَسَنَّ من الآخر، فيراعى للأسنِّ ما يجب له على الحدِّث من التَّادِبِ معه ، ويراعى للحدِّث ما يجب له على الكبير من الحنوِّ والشفقة .

وإن كانت الهدنة من قَوِيٍّ لضعيف ، أخذ في الأستداد ، أتيا بما يدلُّ على علوِّ الكلمة ، وأنبساطِ القُدْرَةِ ، وحصولِ النُّصْرَةِ ، وأستكمالِ العدد ، وظهور الأيدِّ ،

وَوُقُورِ الْخُنْدِ ، وَقُصُورِ الْمُلُوكِ عَنِ الْمَطَاوِئِ ، وَتَحْزِينِهِمْ عَنِ الْحَاوِئِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَخْرُطُ فِي هَذَا السَّلْكِ ، لَا سِيَّامًا إِذَا كَانَ التَّمَوِيُّ مُسْلِمًا وَالضَّعِيفُ كَافِرًا ، فَإِنَّهُ يَجِبُ الْإِزْدِيَادُ مِنْ ذَلِكَ ، وَذِكْرُ مَا بَلَغَ مِنْ الْعِزَّةِ ، وَمَا تَوَالَى لَهُ مِنَ النَّصْرَةِ ، وَذِكْرُ الْوَقَائِعِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا نُصْرَةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَّارِ فِي الْمَوَاطِنِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْأَمَاكِنِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ .

وَإِنْ كَانَتْ الْهُدْنَةُ مِنْ ضَعِيفٍ لِقَوِيٍّ ، أَخَذَ فِي الْمَلَائِمَةِ بِحَسَبِ مَا يَنْتَضِيهِ الْحَالُ ، مَعَ إِظْهَارِ الْجَلَادَةِ ، وَمَسَائِدِ الْقُوَّةِ ، خِصُوصًا إِذَا كَانَ الْقَوِيُّ الْمَعْمُودُ مَعَ الْهُدْنَةِ كَافِرًا ، وَإِنْ شَرَطَ لَهُ مَا لَا عِنْدَ ضَعِيفِ الْمُسْلِمِينَ لِلنَّصْرَةِ أَوْ فِي كَلَامِهِ بِمَا يَنْتَضِي أَنَّ ذَلِكَ رَغْبَةٌ فِي اتِّصَالِ الْمَأْمُورِ بِهِ ، لَا عَنِ حَوْرٍ طَبَائِعٍ وَضَعِيفِ قُوَّةٍ ، إِذْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ . ﴾

ومنها - أن يحتفظ من سقط يدخل على الثمرة بقية نقيصة، إن كانت المهادنة مع أهل الكفر، أو يغير إلى سلطانه وهبصة، إن كانت بين مسلمين، ويحذر كل الحذر من خلل يتطرق إليه من إهمال شيء من الشروط، أو ذكر شرط فيه خلل على الإسلام أو ضرر على السلطان، أو ذكر لفظ مشترك أو معنى ملتبس يوقع شبهة توجب السبيل إلى التناول، وإن أخذ المأخذ الواضح الذي لا تتوجه عليه معارضة، ولا يتطرق إليه مناقضة، ولا يدخله تناول.

ومنها - أن يبين أن الهدنة وقعت بعد استخارة الله تعالى وتروية النظر في ذلك وظهور الخير فيه، ومشاورة ذوي الرأي وأهل الحجة، وموافقهم على ذلك.

ومنها - أن يبين مدة الهدنة، فقد تقدم أن التصحيح من مذهب الشافعي أنه إذا لم يبين المدة في مهادنة أهل الكفر فسدت الهدنة.

قال في "التعريف": "وقد جرت العادة أن يحسبوا مدة سنين شمسية فيحرر حسابها بالقمريه، ويذكر سنين وأشهر وأياماً وساعات حتى يستوفي السنين الشمسية المهادن عليها. أما في عقد الصلح بين مسلمين فإنه لا يشترط ذلك، بل ربما قالوا: إن ذلك صار لازماً للأبد، حتى في الولد وولد الولد."

ومنها - أن يبين أن الهدنة وقعت بين الملكين أنفسهما، أو بين نائبيهما، أو بين أحدهما ونائب الآخر، ويستوفي ما يجب لكل قسم منها.

فإن كانت بين الملكين أنفسهما بغير واسطة بين ذلك، ذكر ما أخذ عليهما من اليهود والمواثق، والأيمان الصادرة من كل منهما، وذكر ما وقع من الإتهاد بذلك عليهما، وما جرى من ثبوت حكمه إن جرى فيه ثبوت ونحو ذلك.

وإن كانت بين المكتوب عنه ونائب الآخر، بين ذلك، وتعرض إلى المستند في ذلك: من حضور كتاب من الملك الغائب بتفويض الأمر في ذلك إلى نائبيه، وأنه وصل على يده أو يد غيره، والإشارة إلى أنه معنون بعنوانه، مخوم بختمه المتعارف عنه أو وكالة عنه. وتعرض إلى قيام البيعة بها وثبوتها يجلس الحكم ونحو ذلك من المستندات.

وإن كانت بين نائبين، بين ذلك وذكر مستند كل نائب منهما على ما تقدم ذكره. وتعرض إلى أن النائب في ذلك قام فيه باختياريه وطواعيته، لا عن إكراه ولا إجبار، ولا قسور ولا غلبة، بل لما رأى لنفسه ومستديبه في ذلك من المصلحة والخطأ. وأن كتاب الهدنة قري عليه وبين له فصلاً فصلاً، وترجم له بموثوق به، إن كان لا يعرف العربية ونحو ذلك.

ومنها - أن يتعرض إلى ما يجري من التحليف في آخرها: على الوفاء، وعدم النكث والإخلال بشيء من الشروط، أو الخروج عن شيء من الالتزامات،

أو مَحْوَلَةَ التَّوْبِيلِ فِي مَعْنَى مَنْ ذَكَرْنَا ، أَوْ السَّمْعِي فِي تَقْضِيهِ أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ،  
وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

فَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ مَلَائِكَةٍ ، تَعْرِضُ إِلَى تَحْلِيفِ كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى التَّوْفِيقِ بِذَلِكَ .

وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ أَحَدِهِمَا وَنَائِبِ الْآخَرِ ، حُتِفَ الْمَلِكُ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَسَعَاتِي صُورَةٌ  
لِلْحَلِيفِ الَّذِي يَقَعُ فِي الْهَدْيِ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْإِيمَانِ فِيمَا بَعْدُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - أَنْ يُحَرَّرَ أَمْرَ التَّارِيخِ بِالْعَرَبِيِّ وَمَا يُؤَرِّخُ بِهِ فِي مَمْلَكَةِ الْمَلِكِ الْمُهَادِنِ : مِنْ  
الْأَسْرِيَانِي وَالرُّومِيِّ وَغَيْرِهِمَا . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَلَمْ عَادَةً أَنْ يَحْسَبُوهَا مَدَّةَ  
سِتِينَ سَنِيَّةٍ فَيُحَرَّرُ حَسَابَهَا بِالْقَمَرِيَّةِ ، وَيَذَكَّرُ سِتِينَ وَأَشْهُرًا وَأَيَّامًا وَسَاعَاتٍ حَتَّى  
يَتَشَكَّلَ السِتِينَ الشَّمْسِيَّةِ الْمُهَادِنِ عَلَيْهَا . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى التَّارِيخِ مِنْ  
الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ كَيْفِيَّةَ مَعْرِفَةِ التَّوَارِيخِ وَاسْتِخْرَاجِهَا .

ومنها - أَنْ يَقَعَ الْإِشْهَادُ عَلَى كُلِّ مِنَ الْمُتَعَاقِدِينَ بِذَلِكَ ، وَلَا يَأْسُ بِإثباتِ ذَلِكَ .  
وَقَدْ بَحَرْتُ الْعَادَةَ أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ دَوْلَتِهِ لِيُقْضَى عَلَى مَلَائِكِهِمْ  
بِقَوْلِهِمْ وَإِنْ كَانَ مُحَالِفًا فِي الدِّينِ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ «أَشْهَدُ عَلَى مُصَالِحَتِهِ مَعَ قُرَيْشٍ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرِجَالًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» .  
وَرَبَّمَا طَلَبَ التَّائِبُ عَنِ الْمَلِكِ الْغَائِبِ إِحْضَارَ نُسْخَةِ مُهَادِنَةٍ مِنْ جِهَةِ مُسْتَعِدِّهِ  
عَلَى مَا وَقَعَ بِهِ الْعَقْدُ ، مَشْهُورَةٌ بِحَطِّ الْكُتَابِ ، مَشْهُودًا عَلَيْهِ فِيهَا بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ،  
أَوْ يُجَهِّزُ إِلَيْهِ نُسْخَةً يَكْتُبُ عَلَيْهَا حَطَّهُ ، وَيَشْهَدُ عَلَيْهِ فِيهَا أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ . وَالغَائِبُ  
الْأَكْتَفَاءُ بِالرُّسُلِ فِي ذَلِكَ .

(١) أَيْ الْإِيمَانِ الْوَاقِعَةِ فِي عَقُودِ الصَّلِيحِ ، وَلَا فَالْإِيمَانِ بِنَوَاعِمِهَا تَقَدَّمَتْ فِي ج ١٣ .

## الفصل الثاني

في صورة ما يُكْتَبُ في المهادنات والسجلات، ومذاهب  
الكتاب في ذلك ، وفيه طرفان

### الطرف الأول

( فيما يُسْتَبَدُّ ملوك الإسلام فيه بالكتابة عنهم - وتُحَدِّدُ منه نُسخٌ بالأبواب  
السلطانية ، وتُدْفَعُ منه نسخٌ إلى ملوك الكُفْر )

ثم ما يُكْتَبُ في ذلك على تَمَطُّين :

### المَطَّطُ الأول

( ما يُكْتَبُ في طَرَّةِ الهُدْنِيَّةِ من أعلى الدرَج )

وقد جرت العادة أن يفتح بلفظ « هذا » أو تلفظ « هذه » وما في معنى ذلك ،  
مثل أن يكتب : « هذا عَقْدُ صَلَاحٍ » أو « هذا كِتَابُ هُدْنِيَّةٍ » أو « هذه مُوَادَعَةٌ »  
أو « هذه مُوَصَفَةٌ » وما أشبه ذلك . وربما حُذِفَ المبتدأ وهو « هذا » وأُكْتَفِيَ  
بالخبر عنه ، مثل أن يقال : « كِتَابُ هُدْنِيَّةٍ » أو « كِتَابُ مُوَادَعَةٍ » أو « عَقْدُ مُصَالِحَةٍ »  
وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة بعقدِ صَلَاحٍ أنشأها لِيُنَسَّخَ على منوالها ، وهي :

هذا عَقْدُ صَلَاحٍ انتظمت به عُقُودُ المَصَالِحِ ، وَأَنْتَسَقَتْ بواسطته سُبُلُ المَنَاجِحِ ،  
وَتَحَدَّثَتْ بِحُسْنِ مُقَدِّمَتِهِ العَادِي وَتَرْتِمٌ يَمُنُّ نَتِيجَتِهِ الرَّايحُ . عاقَدَ عليه السلطانُ فلانُ  
فلاناً القائمَ في عَقْدِ هذا الصَّلَاحِ عن مُرْسِيهِ فلانُ ، حَسَبَ ما فَوَّضَ إليه الأمرُ في ذلك  
في كِتَابِهِ الوَاصِلِ على يَدِهِ ، المؤرَّخِ بكذا وكذا ، المُعَنُونِ بعنوانه ، المُخْتومِ بطابعه



المُتَعَارِفَ عَنْهُ - عَلَى أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَذًّا وَكَذًّا . وَيُشْرَحُ مُلَخَّصٌ مَا يَقَعُ مِنَ الشَّرْطِ  
الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الْأَتْفَاقُ بَيْنَهُمَا فِي الصُّلْحِ إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ يُقَالُ : عَلَى مَا شَرِحَ فِيهِ .

### المَقْطُ الثَّانِي

( مَا يُكْتَبُ فِي مَتْنِ الْهُدْنَةِ ، وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ )

#### النَّوْعُ الْأَوَّلُ

( مَا نَكُونُ الْهُدْنَةُ فِيهِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ )

بأن يكون الملكان متكافئين ، [فيتماقدان إما على حصين<sup>(١)</sup>] وإما على ما يعطيه  
الملك المعقود له الهدنة لعاقبتها ، كما كان يكتب عن صاحب الديار المصرية .  
وللكتاب فيه مذهبان :

#### المذهب الأول

( أَنْ تُفْتَحَ هُدْنَةٌ بِلَفْظِ : « هَذَا مَا هَادَنَ عَلَيْهِ » )

أَوْ « هَذَا هُدْنَةٌ أَوْ مُوَادَعَةٌ أَوْ مُوَاصَفَةٌ أَوْ سَلْمٌ أَوْ صُلْحٌ » أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ

عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الطَّرِيقَةِ )

وعلى ذلك كتب كتاب القضية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش عام  
الحديبية ، على ما تقدم ذكره في الكلام على أصل مشروعيتهما .

وهذه نسخة هدنة كتب بها عن سلطان قوى ، الملك المضعوف ، باشتراط ما  
يقوم به المضعوف للقوى في كل سنة أو حصون يسأها له أو نحو ذلك ، وهي :

هَذَا مَا هَادَنَ عَلَيْهِ ، وَأَجَلَ إِلَيْهِ ، مَوْلَانَا السُّلْطَانُ فَلَانٌ - حَلَدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ  
وَشَرَّفَ بِهِ زَمَانَهُ - الْمَلِكُ فَلَانًا الْفُلَانِي ، هَادِنَهُ حِينَ تَرَدَّدَتْ إِلَيْهِ رُسُلُهُ ، وَتَوَلَّتْ عَلَيْهِ

(١) الزيادة من المقام لاستقامة الكلام .

كُتِبَ ، وَأَمَلَهُ ، يُعْمَلُهُ ، وَسَأَلَهُ ، لِيَكْتَفَ عَنْ أَسَلِهِ ، حِينَ أَبَتْ صَفَاحُهُ أَنْ تَصْفَحَ ،  
 وَسَمَاءٌ تَحْتَاجُهُ بِالذَّمَاءِ إِلَّا أَنْ تَسْفَحَ ، فَرَأَى - سَدَّدَ اللَّهُ آرَاءَهُ - أَنْ الصُّلْحَ أَصْلَحَ ،  
 وَأَنْ مُعَامَلَةَ اللَّهِ أَرْجَحَ ، وَهَادَنَ هَذَا الْمَلِكُ ( وَيُسَمِّيهِ ) عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ ، وَوَلَدَهُ  
 وَنَسَلِهِ ، وَجَمِيعَ بِلَادِهِ ، وَكُلَّ طَائِرِيهِ وَتِلَادِهِ ، وَوَالَهُ مِنْ مَلِكٍ وَمَالٍ ، وَجِهَاتٍ  
 وَأَشْمَالٍ ، وَعَسَاكِرٍ وَجُنُودٍ ، وَجُمُوعٍ وَحُشُودٍ ، وَرَعَايَا فِي مَمْلَكَتِهِ مِنَ الْمُقِيمِ وَالطَّائِرِي ،  
 وَالسَّائِرِيَا وَالسَّارِي - هُدْنَةً مَدْنَهَا أَوَّلُ تَارِيخِ هَذِهِ السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ وَمَا يَتَلَوُّهَا ، مَدَّةً  
 كَذَا وَكَذَا مِنْ سِنِينَ وَأَشْهُرٍ وَسَاعَاتٍ ، يَحْمِلُ فِيهَا هَذَا الْمَلِكُ فَلَانٌ إِلَى بَيْتِ مَالِ  
 الْمُسْلِمِينَ ، وَإِلَى تَحْتِ يَدِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ قَسِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ  
 كَذَا وَكَذَا - يَقُومُ بِهِ هَذَا الْمَلِكُ مِنْ مَالِهِ ، وَمِمَّا يَتَكْفَلُ بِجَاهَتِهِ مِنْ حِزْبَةِ أَهْلِ بِلَادِهِ  
 وَخَرَاجِ أَعْمَالِهِ ، عَلَى أَقْسَاطِ كَذَا وَكَذَا - فَيَأْمُرُ لَا يُجْرَحُ مَعَهُ إِلَى تَكْتِفِ مُطَالَبَتِهِ ،  
 وَلَا إِلَى تَنَاوُلِهِ بِنَيْدِ مُغَالَبَتِهِ .

عَلَى أَنْ يَكْتَفَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ عَنْهُ بِأَسْنَانِهِ ، وَخَبَلِهِ الْمُنْطَلَّةَ عَلَيْهِ فِي صَبَاحِهِ  
 وَمَسَائِهِ ، وَيَضُمُّ عَنْ بِلَادِهِ أَطْرَافَ جُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَأَنْبَاعِهِمْ ، وَيُؤَمِّنُهُ مِنْ بَطَانَتِهِمْ  
 وَسِرَاعِيهِمْ ، وَيَمْتَنِعُ عَنْ بِلَادِ هَذَا الْمَلِكِ الْمُنَاحِمَةِ ابِلَادِهِ ، وَالْمُزَاجِحَةِ لِدَوَاقِفِ أَمْدَادِهِ ،  
 وَيُرَدُّ عَنْهَا وَعَمَّنْ جَاوَرَهَا مِنْ بَقِيَّةِ مَا فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَهِيَ كَذَا وَكَذَا أَيْدِي النَّهْبِ ،  
 وَيَكْتَفِ الْفَارَاتِ وَيَمْتَنِعُ الْأَذْيِ ، وَيُرَدُّ مِنْ تَرْحٍ مِنْ رَعَايَا هَذَا الْمَلِكِ إِلَيْهِ ،  
 مَا لَمْ يَدْخُلْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَيَشْهَدُ الشَّهَادَتَيْنِ ، وَيُقَرَّرُ بِالْكَلِمَتَيْنِ الْمُتَعَادَتَيْنِ ؛  
 وَيُؤَمِّنُ جَلَابَةَ هَذَا الْمَلِكِ وَتُجَارَهُ الْمُتَرَدِّدِينَ مِنْ بِلَادِهِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ فِي عَوَارِضِ  
 الْأَشْفَالِ ، وَلَا يَحْصَلُ عَلَيْهِمْ ضَرَرٌ فِي نَفْسٍ وَلَا مَالٍ ؛ وَإِنْ أَخَذَتِ الْمُتَجَرِّمَةُ مِنْهُمْ  
 مَالًا أَوْ قَتَلَتْ أَحَدًا ، أَمَرَ بِأَنْصَافِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْمُتَجَرِّمِ ، وَأَنْ يُؤَخَذَ بِحَقِّهِمْ مِنْ ذَلِكَ  
 الْمُجْرِمِ . وَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ فَيَمْنُ يَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ لَا يَفْسَحَ لِنَفْسِهِ

ولا لأحد من جميع أهل بلاده في إيوانه مسلمٌ مُنْتَصِرٌ، ولا يرخص للذي عَمِيَ منهم ولا مُتَبَصِّرٌ .

وأنه كلباً وردت إليه كتب مولانا السلطان فلان أو كتب قزاقه ، أو أحد [من المتعاقبين] بأسيابيه ، يسارع إلى أمثاله والعمل به في وقته الحاضر ولا يؤخره ولا يمهلُه ، ولا يطردُه ، ولا يُهْمَلُه .

وعليه أن لا يكون عيناً للكفار ، على بلاد الإسلام ، وإن دنت به أو بعدت الدار ، ولا يواطئ على مولانا السلطان فلان أعداءه [وأولهم التتار] ، وأن يلتزم ما يلزمه من المسكنة بالسكنة ، ويفعل ما تسكت عنه به الأسيئة وما أشبهها من الأسيئة .  
وعليه أن ينهى ما يتجدد عنده من أخبار الأعداء ولو كانوا أهل بلده ، وينبه على سوء مصاديقهم ، ويعرف ما يهيم بحماة من أحوال ما هم عليه .

هذه هدنة تم عليها الصالح إلى منتهى الأجل المعين فيه ، ما استحسك بشروطها ، وقم بحقوقها . ووقف عند [حدّها المنتزم به] ، وصرف إليها عما اجتهدته وبقي عليها قواعد وقايمه ، وصان من التكديف فيها سرائر صفائه ، سأل مر في هذه الهدنة المقررة ، وأجاب به مولانا السلطان بأنها على شروطها المحذرة ، وشهد به الخضوع بالملكيتين وتضمنته هذه الهدنة المسطرة ، وبالله التوفيق .

قالت : للظاهر أنه كان يُكتب بهذه النسخة عن صاحب الديار المصرية والمانك الشامية ، فتملك سبب ، فإن في خلال كلام المقر أنتماني بعد قوله : ولا يواطئ على مولانا السلطان فلان أعداءه : « وأولهم التتار » ، وقد تقدم في الكلام على المانك

(١) الزيادة من تعريف (ص ١٦٨) .

(٢) « » (ص ١٦٩) وما يأتي تحريفاً .

(٣) يضل له في الأصل والتصحيح من تعريف (ص ١٦٩) .

أن مملك سييس كان يماثل التار ويميل إليهم، ويساعدهم في حرب المسلمين ويكثر في سوادهم .



وعلى مثل ذلك يكتب لكل ملك مضمون في مهادنة الملك القوي له .

وهذه نسخة هندية من هذا النمط، كتب بها أبو إسحق الصابي، عن خصام الدولة، بن عضيد الدولة، بن ركن الدولة، بن بويه الديلمي، بأمر أمير المؤمنين الطائع لله، الخليفة العباسي ببغداد يومئذ، لوردس المعروف بسفلاروس ملك الروم، حين حيل بينه وبين بلاده، وأتمس أن يفرج له طريقه إلى بلاده، على شروط أقرها، وحضور سلمها، على ما سيأتي ذكره، وهي :

هذا كتاب من خصام الدولة، وشمس الملة، أبي كالجار، بن عضيد الدولة وتاج الملة أبي شجاع، بن ركن الدولة أبي علي، مولى أمير المؤمنين، كتبه لوردس ابن بينر المعروف بسفلاروس ملك الروم .

إنك سألت بسفارة أختينا وعذتنا، وصاحب جيشنا (أبي حرب ربار بن شهر الكويه) تأمل حالك في تطاول حبسك، واعتناقك عن مراجعة بلدك، وبذلت - متى أفرج عنك، وخلى طريقك، وأذن لك في الخروج إلى وطنك، والعود إلى مقر سلطانك - أن تكون أولينا وليا، ولعدونا عدوا، ولسلمنا سلما، ولحربنا حربا : من جميع الناس كلهم، على اختلاف أحوالهم وأديانهم، وأجناسهم وأجياهم، ومقارهم وأوطانهم؛ فلا نصالح لنا ضدنا مبينا، ولا تواطئ علينا عدوا مخالفا، وأن تكف عن تطرق النفور والأعمال التي في أيدنا وأيدي الداخلين في طاعتنا : فلا تجهز إليها جيشا، ولا تحاول لها غزوا، ولا تبدأ أهلها بمنازعه، ولا تسرع لهم في مقارعه، ولا تداوهم بمكيدة ظاهرة ولا باطنة، ولا تقابلهم بأذية جلية ولا خفية، ولا تقاطع لأحد من

ينوبُ عنك في قيادة جيوشك ، ومن ينسب إلى جملتك ، ويتصرف على إرادتك -  
 الاجترأ على شيء من ذلك على الوجوه والأسباب كلها ؛ وأن تُفْرِجَ عن جميع  
 المسلمين وأهل ذمّتهم الخاصين في محابس الروم ، ممن أحاطت بعقده رِقَّةُ الأسر ،  
 وأشملت عليه قِيضَةُ الحَصْرِ ، وأنقَسَر ، في قديم الأيام وحديثها ، وبعيد الأوقات  
 وقريبها ؛ المقيمين على أديانهم ، والمختارين للعود إلى أوطانهم ؛ وتُهَضِّمَ بما  
 ينهض به أمثالهم ؛ وتُكْتَمَ من البروز والمسير بنفوسهم وحرمهم وأولادهم وعيالهم  
 وأتباعهم ، وأصناف أموالهم ؛ مؤفوريين مضمونين ، متبدقين محروسين ، غير  
 ممنوعين ، ولا معوقين ، ولا مطأئين بثوثة ولا كلفة صغيرة ولا كبيرة .

وإن تُسَلِّمَ تَبِعَةً سَبْعَةَ مِنَ الحِصُونِ ، وهي : حِصْنُ أَرْحَاكَا المعروف بحِصْنِ  
 الهندرس ، وحِصْنُ السَّاسَةِ ، وحِصْنُ حَوِيْبَاءَ ، وحِصْنُ أَكَلِ ، وحِصْنُ اَنْدِيْبِ ،  
 وحِصْنُ حَائِي ، وحِصْنُ تَلِ حَرَمِ . برساتيقها ومزارعها إلى من نُكِّتِكَ بتسليمها إليه ،  
 مع من بها من حبيبات أهلها أجمعين ، المختارين أسكنها والاستقرار فيها ، بحرمهم  
 وأولادهم وأسبانيهم ومواشيهم وأصناف أموالهم وعيالهم وأزوادهم وسلاحهم وآلاتهم ،  
 ليكون جميعها حاصلاً في أيدينا وأيدي المسلمين ؛ على غابر الأيام والسنين ؛ من غير  
 أن تلتمس عنها أو عن شيء منها مَالًا ، ولا بَدَلًا ، ولا عَوَضًا من الأعواض كلها .

وعلى أنك تُبْضِي ما عقدهت على نفسك من ذلك كله باباً باباً ، وتبني به أولاً أولاً ،  
 منذ وقت وصوبتك إلى أوائل أعمالك ، وإلى غاية تسديلاك عليها ، وتقاد أمرك  
 فيها ، ولا ترجع عن ذلك ولا عن بعضه ، ولا تؤخر شيئاً منه عن الوقت الذي تقدر  
 فيه عليه ، ولا تُرَخِّصَ نفسك في تجاوز زلته ولا عدول عنه ، ومتى سمعت طائفة من  
 الطوائف التي تنسب إلى الروم والأرمن وغيرهم في أمرٍ يخالف شرائط هذا الكتاب ،

(١) البقرة الخدرة مزبنة .

كان عليك منهم من ذلك إن كانوا من أهل الطاعة والقبول منك ، أو مجاهدتهم  
وممانعتهم إن كانوا من أهل العنود عنك ، والخلاف عليهم حتى تصرفهم عما يرومونه ،  
وتحول بينهم وبين ما يحاولونه ، بمشيئة الله وإذنه ، وتوقيفه وعونه .

وأشترطت علينا بعد الذي شرطته لنا من ذلك التخيلية عن طريقك وطريق من  
تضمنته بجلتك ، وأشمكت عليه رفقتك : من طبقات الأصحاب والأتباع ، في جميع  
أعمالنا حتى تنفسد عنها إلى ما وراءها ، غير معوي ، ولا معتقل ، ولا مؤدى ،  
ولا معارض ، ولا مطالب بمشوية ولا كلفة ، ولا ممنوع من آتياع زائد ولا آله ،  
ولا تؤثر عليك أحدا نواؤك في أعمالك ، ونازعك سلطان بلادك ، ودافعك عنه  
وناصبك العداوة فيه : ممن ينسب إلى الروم والأرمن والخرزية وسائر الأمم المضادة  
لك ، ولا نوقع معه صلحا عليك ، ولا موافقة على ما يعود بشمك أو قدح في أمرك ،  
ولا تقبل سؤال سائل ، ولا بذل باذل ، ولا رسالة مراسل فيما خالف شرائط هذا  
الكتاب أو تاد بإغلاله ، أو إعلال وثيقة من وثائقه .

ومتى وقد إلينا رسول من جهة أحد من أضدادك ، راغبا إلينا في شيء يخالف  
ما أنعقد بيننا وبينك - أمتنعنا من إجابته إلى ملتصبه ، وردناه خائبا خائبا من  
طابته . وإذا سلمت الحصون المقدم ذكرها إلى من نكاتبك بالتسليم إليه ، كان لك  
علينا أن نقر من فيما وفي رسائليها على نعمهم ومنازليهم وضياعهم وأملاتهم ،  
وأن لا نزيلاهم عنها ولا عن شيء منها ، ولا نحول بينهم وبين ما نحويبه أيديهم من جميع  
أموالهم ، وأن نجريهم في المعاملات والجابيات على رؤسومهم الجارية الماضية التي  
عوملوا عليها ، على أمر السنين ، وإلى الوقت الذي يقع فيه التسليم ، من غير فسح  
ولا تذيير ولا تقص ولا تبديل .

فَأْتَيْنَا إِلَى مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِ بِاللهِ مَا سَأَلْتِ وَأَتَقَسَّتِ ، وَصَحَّيْتِ وَشَرَطْتِ  
وَأَشْرَطْتِ مِنْ ذَلِكَ كَمَا ، وَأَسْتَأْذِنَاهُ فِي قَبُولِهِ مِنْكَ ، وَإِيقَاعِ الْمُعَاهَدَةِ عَلَيْهِ مَعَكَ ،  
فَأَذِنَ - أَدَامَ اللهُ تَمَكِّيَتَهُ - لَنَا فِيهِ ، وَأَمَرَنَا بِأَنْ نَحْكُمَهُ وَنُخَصِّبَهُ ، لِمَا فِيهِ مِنْ أَنْتِظَامِ  
الْأُمُورِ ، وَحَيَاظَةِ الثُّغُورِ ، وَصَلَاحِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّفْيِيسِ عَنِ الْمَأْسُورِينَ .

فَأَمَضِينَاهُ عَلَى شَرَايِطِهِ ، وَتَرَاضَيْنَا جَمِيعًا بِهِ ، وَعَاقَدْنَاكَ عَلَيْهِ ، وَحَلَفْتِ لَنَا بِأَنْتِجِينَ الْمُؤَكَّدَةَ  
الَّتِي يَحْلِفُ أَهْلُ شِيرِعَتِكَ بِهَا ، وَتُخْرِجُونَ مِنْ الْحَضِيثِ فِيهَا عَلَى الْوَقْفِ بِهِ ، وَأَشْهَدُنَا عَلَى  
نُفُوسِنَا ، وَأَشْهَدْتَ عَلَى نَفْسِكَ اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ ، وَمَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ ،  
وَأَخَانَا وَعُدَّتَنَا أَيَا حَرْبٍ رَارَ بِنِ شَهْرٍ كَوَيْهِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ  
الَّذِي جَرَى فِيهِ ذَلِكَ ، بِاسْتِقْرَارِ جَمِيعِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، وَرُؤُومِهِ لَنَا وَلَكَ .

ثم حضر بعد تمام هذه الموافقة واستقرارها ، وشيئتها واستقرارها ، فسقططين  
أبن بنير أخو وردس بن بنير ، وأرماتوس بن وردس بن بنير ، فوقعوا على هذا  
الكتاب ، وأحاطوا به علماء ، وأسْتَوْعَبَاهُ مَعْرِفَةً ، وَشَهِدَا عَلَى وَرْدَسِ بْنِ بِنِيرِ مَلِكِ الرُّومِ  
بِإِقْرَارِهِ بِهِ ، وَاتِّزَامِهِ إِيَّاهُ . ثُمَّ تَبَرَّعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِأَنْ أُوجِبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ تَمْسُكَ  
بِهِ وَالْمَقَامَ عَلَيْهِ مَتَى قَامَ وَرْدَسُ بْنُ بِنِيرٍ فَيَا هُوَ مُوسُومٌ بِهِ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ ، وَجَعَلَ  
جَمِيعَ الشَّرَاطِطِ اثْنَابَةً فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمُعْقُودِ بَعْضُهَا بَعْضُ أَمَانَةٍ فِي ذِمَّتِهِ ، وَطَوَقًا  
فِي عُنُقِهِ ، وَعَهْدًا يُسَلُّ عَنْهُ ، وَحَقًّا يُطَابُّ فِي الْمَدِينِ وَالْأَخِرَةِ بِهِ ، وَصَارَ هَذَا الْعَقْدُ  
جَامِعًا لَهُمْ وَلَنَا ، وَالْأَوْلَادِ وَالْأَوْلَادِهِمْ ، وَعَقِيْبَتِنَا وَعَقِيْبَتِهِمْ ، مَا عَشْنَا وَعَاشُوا ، يَلْزِمُنَا  
وَإِيَّاهُمْ الْوَقْفُ بِمَا فِيهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ ، وَلَنَا وَهُمْ ، عَلَى مُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَأَخْتِلَافِ  
الْأَدْوَارِ وَالْأَعْوَامِ .

أَمْضَى وَأَنْفَذَ صَحْصَامُ الدَّوْلَةِ وَشَمْسُ الْمِلَّةِ أَبُو كَالِيجَارِ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى شَرَايِطِهِ  
وَحُدُودِهِ ، وَاتَّزَمَهُ وَرْدَسُ بْنُ بِنِيرٍ الْمَعْرُوفُ بِسَفْلَارِوسِ مَلِكِ الرُّومِ ، وَأَخُوهُ

قُسَطْنِطِينُ ، وابنه أرماتوس بن وردس بن بينير ، وَضَمِنُوا الْوَقَاءَ بِهِ ، وَأَشْهَدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِمْ بِالرَّضَا بِهِ ، طَائِعِينَ غَيْرِ مُكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، لِأَعْلَانَةِ بِهِمْ مِنْ مَرِيضٍ وَلَا غَيْرِهِ ، بَعْدَ أَنْ قَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَسَرَهُ لِحَمِّ وَخَاطِبِهِمْ بِاللُّغَةِ الرُّومِيَّةِ مِنْ وَثِيقٍ بِهِ ، وَفَهَمُوا عَنْهُ ، وَفَقَهُوا مَعْنَى لَفْظِهِ ، وَأَحَاطُوا بِعِلْمِهَا وَمَعْرِفَتِهِ بِهِ ، بَعْدَ أَنْ مَلَكَوْا نَفْسَهُمْ ، وَتَصَرَّفُوا عَلَى آخِيارِهِمْ ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ إِيْثارِهِمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ فِي ذَلِكَ حِطًّا لِحَمِّهِمْ ، وَصَلَاحًا لِشَأْنِهِمْ ، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَثَمَانِيَةَ .

وَقَدْ كُتِبَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ثَلَاثِ نُسَخٍ مُتَسَاوِيَاتٍ ، خُلِدَتْ اثْنَتَانِ مِنْهَا بِدَوَارِينَ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَسَلِمَتِ الثَّلَاثَةُ إِلَى وَرْدَسِ بْنِ بَيْنِيرِ مَلِكِ الرُّومِ وَأَخِيهِ وَأَبْنَيْهِ الْمَذْكُورِينَ مَعَهُ فِيهِ .



وهذه نُسخةٌ هُدِيَتْ مِنْ مَلِكِ مِصْرٍ لِمَلِكِ قَوِيٍّ ، كَتَبَ بِهَا الْفَقِيهَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ <sup>(١)</sup> أَحَدِ كُتَّابِ الْأَنْدَلُسِ ، عَنْ بَعْضِ مَلُوكِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ أَتْبَاعِ « الْمُهْدِيِّ بْنِ تُوْمَرْتِ » الْقَائِمِ بِدَعْوَةِ الْمُوحِدِينَ ، مَعَ « دُونِ فِرَانْدِ » صَاحِبِ قَشْنَالَةَ مِنْ مَلُوكِ الْفَرَنْجِ بِعَقْدِ الصَّلَاحِ عَلَى مُرْسِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَهِيَ : هَذَا عَقْدُنَا بَعْدَ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْتِشَادِهِ ، وَأَسْتِعَانَتِهِ وَأَسْتِجَادِهِ ؛ نِيَابَةً عَنِ الْإِمَارَةِ الْعَلِيَّةِ بِحُكْمِ اسْتِنَادِنَا إِلَى أَوْامِرِهَا الْعَالِيَةِ ، وَأَرَائِمِهَا الْهَادِيَةِ . عَقْدُنَاهُ - وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ - لِقَشْنَالَةَ مَعَ فُلَّانِ النَّائِبِ فِي عَقْدِهِ مَعَنَا عَنْ مُرْسَلِهِ إِلَيْنَا ، الْمَلِكِ الْأَجَلِّ الْأَسْنَى الْمُبْجَلِ « دُونِ فِرَانْدِ » مَلِكِ قَشْنَالَةَ ، وَطَلِيطَةَ ، وَقَرْطَبَةَ ، وَلِيُونَ ، وَبَلَنْسِيَةَ - أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَمِيزَتَهُ بِتَقْوَاهُ - حِينَ وَصَلْنَا مِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مَحْتَمٌ بِطَائِعِهِ الْمَعْلُومِ لَهُ الْمُتَعَارِفِ عَنْهُ ، تَفْوِيضًا مِنْهُ إِلَيْهِ ، فِي كُلِّ مَا يُعَقَّدُ لَهُ وَعَلَيْهِ . وَعَاقِدُنَا عَلَى أَنْ يَكُونَ

(١) بياض بالأصول .



السلم بيننا وبين مُرسِلِهِ المذكور لعائين اثنين ، أوفى شهر المحرم الذى هو أول سنة تاريخ هذا الكتاب ، الموافق من الأشهر العجمية شهر كذا ، على جميع ما تحتم نظرياً الآن من البلاد الرجعة إلى الدعوة المهدية - أسماها الله تعالى - حواضرها وتغوزها ، مواصلتها وأطرافها ، من جزيرة شقرا إلى بيرة والمنصورة وما إليها - حرس الله جميعها - سلماً محافظاً عليها من الجهتين ، محفوظاً عندها عند أهل الملتين ، لا غدر فيها ، ولا إخلال في معن من معانيها ، ولا تشن في مذهبها غارده ، ولا تدعى سبباً ، ومهما وقع الشوار ، أو حدثت أقدار ، على جهة التجاهره ، إذا اتصلت والمساتره ، فإن كان من جهة النصارى ، فعلى ملك قشتالة تترىخ الأماوى ، ورد الغنائم والتمب ، والإنصاف من الغنيمه إن عُدمت العين ، وأعوز الطلب . وعائنا مثل ذلك سواء ، ليقابل بالوفاء ، هذا بعد أن يتبع الأمر ويعلم من أين كان .

ومن هذه المهادنة أن لا يتسبب إلى الحصون بالتدري ولا بالشر ، ولا يتجاوز النصارى حدود بلادهم وأرضهم بنى من البناء ، ولا يصل من بلد قشتالة مدد لخائفيها ، ولا معونة لمخائفيها . وكل ما يرجع إلى هذه الدعوة ، ويدخل في الطاعة من البلاد بعد هذا العقد فداخل في السلم ، بزيادة بسببه من المال الذى هو شرط في صحة هذا الحكم . وإذا بقي من مدة هذه المسألة شهران اثنين ، فعلى ملك قشتالة أن يعلمنا بقرضه في المهادنة أو سوادها ، إعلاماً من مذاهب أوفاء أوانها .

وقد أقرم رسول المذكور لنا هذه الشروط ، وأحكم معنا - نيابة عنه فيما - العقود والربوط ، على كل ما ذكرناه . وأقرمنا في هذا السلم بملك قشتالة المذكورة - مكافأة عن وفاء عهده ، وصحة عقده - مائة ألف دينار واحدة ، وأربعين ألف دينار في كل عام من عاقبى هذا الصلح المتسامع الوصف ، مقدماً ذلك على ثلاثة أعوام

في العام، ليقاضها نِفَاتُهُ، وَيَوْقَى عَيْنَهَا عَلَى التَّمَامِ وَالْكَامِلِ، قَبَضَ مِنْهَا كَذَا لِيَوْصِلَهَا إِلَى مُرْسَلِهِ، وَأَلْتَرِيمَ لَهُ تَخْلِيصَ بَاقِي كَذَا عِنْدَ انْقِضَاءِ كَذَا عَلَى أَوْقَى وَجْهِهِ وَأَتَمَّجَلِهِ؛ فَإِنْ وَقَى لَهُ بِذَلِكَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ يَوْمًا الْمُؤَقَّتَةَ، فَالسَّلْمُ بِأَقْبِيَّةٍ وَحُكْمُهَا نَابِتٌ، وَإِلَّا فَالسَّلْمُ مَفْسُوحَةٌ وَلَا حُكْمَ لَهَا إِنْ عَجِزَ عَنِ الْوَفَاءِ لَهُ، بِحَصُولِ مَا بَقِيَ مِنَ الشَّرْطِ فِي اسْتِصْحَابِ الْحُكْمِ وَأَتِّصَالِ الْعَمَلِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وعلى ما تَضَمَّنَتْهُ هَذَا الْكِتَابُ أَمْضَى فُلَانٌ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - بِحُكْمِ النِّيَابَةِ، عَنِ الْأَمْرِ الْعَالِي - أَسْمَاءَ اللَّهِ - هَذَا الْعَقْدَ الصَّالِحِيَّ، وَأَشْهَدُ بِمَا فِيهِ عَلَى نَفْسِهِ وَحَضْرَهُ الْمَفْسَلِ طُورِ (٩) الْمَذْكُورِ، فَتَرْجِمَ لَهُ الْكِتَابُ وَبَيَّنَّتْ لَهُ مَعَانِيَهُ، وَقَرَّرَ عَلَى مَضَامِينِهِ، فَالْتَزَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَنِ مُرْسَلِهِ مَلِكٍ قَشْتَالَةَ حَسَبَ مَا فَوَّضَ إِلَيْهِ فِيهِ؛ وَأَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ، فِي صِحَّتِهِ وَجَوَازِ أَمْرِهِ فِي كَذَا، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِمَا يَرْضَاهُ، وَمُقَدِّمُ الْخَيْرِ وَالْخَيْرَةِ فِيهَا قَضَاءً، بِتَنَّهُ وَالسَّلَامَ.

## المذهب الثاني

(أَنْ تُفْتَحَ الْمُهَادَنَةُ قَبْلَ لَفْظِ «هَذَا» بِعَيْدِيَّةٍ)

وهذه نُسخَةٌ هُدْيَةٌ بَيْنَ مَلَائِكِينَ مُتَكَافِئِينَ دُونَ تَقْرِيرِ شَيْءٍ مِنَ الْجَانِبِينَ، كَتَبَ بِهَا الْفَقِيهُ الْمَحْدُثُ أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ سَالِمٍ مِنْ كُتَّابِ الْأَنْدَلُسِ، فِي عَقْدٍ صَاحِحٍ عَلَى بَلَنَسِيَّةٍ وَغَيْرِهَا مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، وَهِيَ:

وبعد، فهذا كتابٌ مُوَادَعَةٍ أَمْضَى عَقْدَهَا وَأَلْتَرَمَهُ، وَأَبْرَمَ عَهْدَهَا وَتَمَعَهُ؛ فُلَانٌ لِلدِّارِ أَرْغُونُ، وَقَوْمَطُ بَرْجَلُونَةَ، وَيَرْسَبُ مَقْتُ بَشَلِي، حَافِظَةُ (٩) بِنُطْرَةَ، بِنُ أَدْفُونَشَ، ابْنُ رِيْمُونْدَ، أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ بِتَقْوَاهُ لَهُ خَاتَمًا وَعِنَاوَانًا، الْمَعْهُودُ صُدُورُهُ فِي أَمْتَالِهَا مِنَ الْمَرَاوِضَاتِ الصُّلِحِيَّةِ تَضَرُّعًا وَإِعْلَانًا؛ مُتَضَمِّنًا مِنَ الْإِحَالَةِ فِي عَقْدِ الْمُسَالَمَةِ

عليه ، والتَّقْوِيضُ فِي إِتْرَامِ أَسْبَابِهَا وَالتَّزَامُ فُصُولُهَا وَأَبْوَابُهَا إِلَيْهِ ، مَا أَوْجَبَ صَحِيحَ  
النَّظَرِ ، وَصَرِيحَ الرَّأْيِ الْمُعْتَبَرِ بِمُقَارَبَةٍ فِيهِ ، وَوَأَقْنَعَةً مِنْهُ عَلَى مَا يَحْفَظُ حَقَّ الْمَسَامِينِ  
وَيُوقِيهِ ، جُنُوحًا مِنْهُ إِلَى مَا جَنَحَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مُتَقَاضِيهِ . وَتَحَرُّبًا لِلْعَمَلِ عَلَى شَاكِلَةِ  
النَّصَوَابِ وَالْإِيثَارِ لِمَا يَقْتَضِيهِ ، بَعْدَ مُحَاوَلَاتٍ بَدَأَ مِنْهَا النَّظَرُ غَايَتَهُ مِنَ الاجْتِهَادِ ،  
وإِزَارَاتٍ قَرَنَ بِهَا مِنْ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِدْجَانِهِ ، مَا رَضِيَ فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ  
مَعَهُودِ التَّسْيِيدِ وَالْإِتْجَادِ ، فَاجْتَلَى ذَلِكَ عَنْ إِمْرَأَةٍ تَهْدِي السَّلْمَ لِمَلِكِ أَرْغُونَ عَلَى بَنِيْسِيَّةِ  
وَكَافَّةِ جِهَاتِهَا أَطْرَافًا وَمَوَاسِطًا ، وَتُغَوَّرًا وَبَسَائِطًا ، وَكَذَلِكَ شَاطِبَةٌ وَدَانِيَةٌ ، وَمَا يَنْتَظِمُ  
مَعَهَا مِنْ أَحْوَالِهَا وَيَرْجِعُ إِلَى حُكْمِ بَنِيْسِيَّةِ وَحَالِهَا مِنَ الْجِهَةِ النَّبِيَّةِ وَالنَّدَانِيَّةِ ،  
لِمُدَّةِ عَامَيْنِ آتَيْنِ ، شَمْسِيَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ ، وَأَيَّامٍ مُتَّصِلَةٍ بِهَا كَذَلِكَ . وَهَذَا يَحْصُرُ أَمْرَهُ ،  
وَيُحَقِّقُ عَدَدَهُ ، أَنْ تَقْتَبِحَهُ بِيَوْمِ الْأَحَدِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ أَشْهُرَ نَوَّابِرِ ، الْمُوَافِقِ لِعَاشِرِ  
ذِي الْقَعْدَةِ الْمُؤَرَّخِ بِهِ هَذَا الْكِتَابُ ، الَّذِي هُوَ مِنْ تَامِ أَحَدٍ وَعِشْرِينَ وَسِمَانِيَّةِ بِتَارِيخِ  
الْهَجْرَةِ - مُسَآلِمَةٌ أَضْمَعَ بِهَا الْحَرْبُ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ أَوْزَارَهَا ، وَتَهَدَّى لِهَدْيَتِهِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ  
آثَارَهَا ، وَتَرَفَعُ اللَّبَنَةُ (٢) عَمَّنْ ذَكَرَ مِنَ الْمَلْتَيْنِ أَدْبِيَّتَهَا وَأَضْرَارَهَا ، الْبَرُّ وَالْبَحْرُ فِي ذَلِكَ  
سِيَانِ . وَالْمَسَآرَةُ فِيهَا بِالْأَدْيِ وَالْمَجَاهِرَةُ مَمُودَانِ ، وَحَقِيقَةُ التَّلَازِمِ مِنْ ذَلِكَ غَنِيٌّ بَيَّانُهُ  
وَوُضُوحُهُ عَنِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبْيَانِ ، لَا التَّبْيَاسَ وَلَا الْإِسْكَالَ ، وَلَا عَائِلَةَ وَلَا أَحْتِيَالَ ،  
لَيْسَ إِلَّا الْأَمْنُ الْكَافِلُ لِكَافَّةِ مَنْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ كَافَّةُ الْمَوَاضِعِ الْمَذْكُورَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،  
وَمِنْ تَحْوِيهِ إِلَّادَ مَلِكِ أَرْغُونَ مِنَ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَ . وَكُلُّ أُمَّةٍ إِلَى خِدْمَةِ هَذِهِ  
الْمَمْلُوكَةِ الْأَرْغُونِيَّةِ بِمَا كَانَ مِنْ وَجُوهِ الْأُمَّةِ ، أَوْ نَظَرٍ فِي بَعْزٍ مِنْهَا كَأَنَّهَا مَا كَانَ مِنَ  
الْأَجْزَاءِ ، فَهُوَ فِي هَذَا الْحُكْمِ دَاخِلٌ ، وَتَحْتَ هَذَا الرِّبْطِ الصُّلْحِيِّ وَاصِلٌ ، وَلَا حُجَّةَ  
لِمَنْ كَانَ لَهُ مِنْهُمْ حِصْنٌ يَنْفَرِدُ بِهِ عَنِ هَذِهِ الْمَمْلُوكَةِ ، عَلَى مَا نَهَجَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَوَالِدِ  
الْمُعَارَفَةِ . فَإِنْ تَقَضَّ بَعْزُهُ مِنْهُ وَذَهَبَ إِلَى أَنْ يَكُونَ فِي حِصْنِهِ مُنْفَرِدًا فَهُوَ

وما آختر، إذا تنكَّب الإضرار، فإن رام التطرُّق بشيء إلى أحد الجانبين كان على المسلمين وعلى أهل أرغون النظافُر على استنزاله، والنظافُر على قتاله، حتى يكفوا ضرره، ويعفوا أثره.

والحدودُ الفاصلةُ بين الجزأين هي أوساطُ المسافات، على ما عُرِف من مُتقدم المسلمات، ويدكُلُ فَرِيْقٍ مِنْهُم مُطْلَقَةً فِيهَا وَرَاءَ حَدِّهِ بِمَا شَاءَ، من أنشاء برسم الإصلاح والانشاء، وكل من قصد المسلمين من رجال المملكة الأرغونية بريئاً من تبعَةِ التَّسَادِ فقبُولُ قَصْدِهِ مُبَاحٌ، وإس في استخدايمه والإحسان إليه جُنَاحٌ، والطريق للتجار المعهود وُصُولُهُمْ مِنْ بِلَادِ أَرْغُونَ إِلَى بَلْتَسِيَّةِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مُبَاحَةٌ الْأَيْتَابِ، مَحْمُوفَةٌ بِالْأَمْنَةِ النَّامَةِ فِي الْحَيَاةِ وَالذَّهَابِ، وَعَلَى تِجَّارِ الْبَحْرِ مِنْهُمْ أَنْ يَجْتَبِئُوا رُكُوبَ الْأَجْفَانِ الْحَرِيْسَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ بِهَا الْإِضْرَارَ، وَيَسْتَفِي عَنْ التِّجَّارِ وَالْأَسْتِرْهَابِ مَرْفُوعٌ عَنْ هَؤُلَاءِ الْوَاصِلِينَ بِرِسْمِ التِّجَارَةِ عَلَى اخْتِلَافِهِمْ، وَتَبَاطُئِ أَصْنَافِهِمْ، فِيمَا لَمْ يَجْنِهِ أَيْدِيهِمْ، وَلَا كَانَ مَنْسُوبًا إِلَى تَعْدِيهِمْ، وَكُلُّ مُعْتَقِلٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ بِأَذْنِ شَيْءٍ يُطْرَقُ إِلَى حُكْمِ هَذِهِ السَّلْمِ خِلَافًا، أَوْ يُلْحِقُ بِعَهْدِهَا إِخْلَافًا، فَعَلَى أَهْلِ مَوْضِعِهِ الْإِنْصَافَ مِنْ جَنَاحِهِ، وَصَرْفُ مَا سَلَبْتَهُ يَدَاهُ، وَإِحْضَارُهُ مَعَ ذَلِكَ لِيُعَاقَبَ بِمَا آتَاهُ. وَإِسْ لَأَحَدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ أَنْ يَنْسَبَ بِأَسْتِرْسَالٍ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ جَنَاحِهِ حَالًا، بَلِ يَقُومُ بِدَفْعِ ذَلِكَ حَيْثُ يُحِبُّ، وَيَطْلُبُهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنْبَغِي فِيهِ الطَّلَبُ، حَتَّى يَخَاطَبَ النَّاطِرَ عَلَى الْمَلَكَةِ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهَا هَذِهِ الْإِذْيَاءُ، وَصَدْرَتْ عَنْ أَهْلِهَا [تلك] الْحِنَايَةَ، يَطْلُبُ الْإِنْصَافَ مِنْ عُدُوئِهَا، وَتَعَادُ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءُ فِي شَأْنِهَا وَعَلَيْهِ - وَلَا بُدَّ - التَّحْلِيصُ مِنْهَا عَمَلًا بِالْوَفَاءِ الَّذِي يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ، وَفِي مَآمِنِ الْعَهْدِ الَّذِي أُكِّدَ الْأَعْتِلَاقُ بِسَبَبِهِ، وَمَتَى غَادِرٌ مَغَادِرٌ مِنْ أَحَدِ الْمَلْتَيْنِ حِصْنًا مِنْ حِصُونِ

(١) بياض بالأصول ولعله « عن ركوها » .

الأخرى فله الأمان على الكمال ، والرغبي الحافظ للنفس والمال ، حتى يَأْتِيَ بِمَأْمَنِهِ ،  
وَيَعُودَ سَالِبًا إِلَى وَطَنِهِ .

فعلی هذه الشروط المحققة ، والرُّبُوطِ الموثقة ، انعقد هذا السلم ، وعلى من ذكر  
من المسلمين وأهل أروغون الحكم ؛ وهذا الكتاب ينطق في ذلك بالحق اللازم  
للثائفتين ؛ ويُعَرَّبُ عن حقيقة ما انعقد بين من سُمِّيَ من أهل الملتين ؛ وألزم كنه  
عن ملك أروغون الثائب عنه بتقويضه إليه ، واستنابته إياه عليه ؛ الزعيم بطره  
أبن فدايف (كدريش) على أنهم وجوه الالتزام ، وألزم ذلك ملك أروغون بأوثق علائق  
الإبرام . وكل ذلك بعد أن بينت له الفصول المتقدمة غاية التبيين وأفهمها حق  
الإفهام ؛ وألزم نفسه مع ذلك وصور كتاب هذا الملك الذي تولى النيابة عنه  
في هذا العقد ، مصرحاً بالترامه وإمضائه فيه عمله ؛ وفق ما تضمنه كتابه الذي  
أرسله ، وشهد مع ذلك زعماء دولته وكبراء القاعين عليه ، تحقيقاً لما به ، وتوثيقاً  
لميثاه ، إن شاء الله تعالى .

### النوع الثاني

( من الهدن الواقعة بين ملك مسلم وملك كافر - أن تكون الهدنة

من الجنين جميعاً )

وفيها للكتاب ثلاثة مذاهب :

### المذهب الأول

( أن تفتتح الهدنة بلفظ : « هذه هدنة » ونحو ذلك )

قال في " التعريف " : وسبيل الكتابة فيها أن يكتب بمد البسملة : هذه هدنة  
استقرت بين السلطان فلان والسلطان فلان ، هادن كل واحد منهما الآخر على الوفاء  
عليه ، وأجل له أجلاً ينتهي إليه ؛ لما اقتضته المصلحة الجامعة ، وحسبت به مواد

الآمال الطامحة ؛ تأكدت بينهما أسبابها ، وفُتحت بهما أبوابها ، وعانيتها عهدُ الله على الوفاء بشرطها ، والاتِّباء إلى أمدها ، ومدَّ حبلُ المُوادَّةِ إلى آخر مُدَّدها ؛ ضربا لها أجلا أوَّلُه ساعةُ تاريخه وإلى نهاية المُنَّة ، وهي مُدَّةُ كذا وكذا ؛ على أن كلَّ واحدٍ منهما يُعْمَدُ بينه وبين صاحبه سيفَ الحرب ، ويكفُّ ما بينهما من السَّهام الراشقة ، وتُعقَلُ الرَّماحُ الخِطَّارة ، وتُقرَّ على مرابطة الخيل المُعيرة ، وبلادُ السلطان فلان كذا وكذا ، وبلادُ السلطانِ فلان كذا وكذا ، وما في بلاد كلِّ منهما من الثُّغور والأطرافِ والموانئِ والرَّسائيقِ والجهاتِ والأعمالِ : برًّا وبحرًا ، ومَهَلًا وجَبَلًا ، ونائبًا ودانِيًا ، ومن فيها : من مَلكِها المسمَّى وبنيهِ ، وأهلِهِ وأموالِهِ ، وجُنْدِهِ وعَساكِرِهِ ، وخاصَّ من يتعلَّقُ به وسائرِهِ ؛ ورواياه على اختلافِ أنواعِهِمْ ، وعلى أنْفِرَادِهِمْ وأجْتِمَاعِهِمْ ؛ الباديةِ والحاضرةِ ، والمقيمِ والسَّائرِ ، والتَّجَّارِ والسَّفارةِ ، وجميعِ المتردِّدين من [سائر] الناسِ أجمعين . على أن يكونَ على فلان كذا و [على فلان] كذا [ويعين ما يعين] : من مالٍ ، أو بلادٍ ، أو مساعدةٍ في حربٍ ، أو غير ذلك ، يقومُ بذلك لصاحبه ، وينصُّ من حقِّه المقرَّرِ بواجبه ؛ وعليهما الوفاءُ المُؤكَّدُ المُواسِيقُ ، والمحافظةُ على العَهْدِ والتَّمسُّكُ بسبِّهِ الوثِيقُ - حدنَّةٌ صحيحةٌ صريحةٌ ، نطقًا بها ، وتصادقًا عليهما ، وعلى ما تضمَّنته المِواصِفَةُ [المستوعبةُ بينهما فيها ، وأشهدا الله عليهما بتضمونها ، وتوثاقًا على دُونِها ، وشهد من حضر مقام كلِّ منهما على هذه الهدنة وما تضمَّنته من المِواصِفَةِ] ، وجرَّت بينهما على حُكْمِ المُنَاصِفَةِ ، رأيا فيها سُكُونَ الجِراحِ ، ونَصَّ طَرَفِ الطَّاحِ .

وعلى أن كلَّ منهما رعاية ما جاوره من البلادِ والرَّعيَّةِ ، وحملهم في قضايهم على الوجوه الشرعيَّةِ ؛ ومن نَزَحَ من إحدى المَلَكيِّين إلى الأخرى أُعيد ، وما أُخذَ منها باليدِ الفاصِبةِ استُعيد ؛ وبهذا تمَّ الإِشهادُ ، وقُرئَ على المِسامعِ على رؤوسِ الأَشهادِ .

### المذهب الثاني

( أن تُفتَحِ هُدُنَةُ : بلفظ : « اسْتَقَرَّتِ الْهُدُنَةُ بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ » )

وَيُقَدِّمُ فِيهِ ذِكْرَ الْمَلِكِ الْمُسْلِمِ )

وعلى ذلك كانت الْهُدُنُ تُكْتَبُ بَيْنَ مَلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَبَيْنَ مَلُوكِ الْقَرْجِجِ ، الْمُتَعَلِّقِينَ عَلَى بَعْضِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ .

وهذه نُسخة هُدُنَةٍ عَلَى هَذَا النَّمَطِ : دُونَ تَقْرِيرٍ مِنَ الْخَاتَمِينَ ، كُتِبَتْ بَيْنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ « بَيْرَسِ الْبِنْدُقَادَرِيِّ » صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَبَيْنَ الْإِسْتَبَارِ بِحِصْنِ الْأَكْرَادِ ، فِي رَابِعِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ تَحْمِيسٍ وَسِتِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَهِيَ :

اسْتَقَرَّتِ الْهُدُنَةُ الْمُبَارَكَةُ الْمَيْمُونَةُ بَيْنَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ « بَيْرَسِ » انصالحى التَّجْمِيَّةِ ، وَبَيْنَ الْمُقَدِّمِ الْكَبِيرِ الْهَامِ فُلَانٍ مُقَدِّمِ بَيْتِ الْإِسْتَبَارِ الْغُلَانِيِّ بَعْكَاءَ ، وَبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَبَيْنَ فُلَانٍ مُقَدِّمِ حِصْنِ الْأَكْرَادِ ، وَبَيْنَ فُلَانٍ مُقَدِّمِ حِصْنِ الْمَرْقَبِ ، وَجَمِيعِ الْإِخْوَةِ الْإِسْتَبَارِ ، لِمُدَّةِ عَشْرِ سِنِينَ مُتَوَالِيَةٍ وَعَشْرَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ وَعَشْرِ سَاعَاتٍ : أَوْفَى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ رَابِعِ رَمَضَانَ سَنَةِ تَحْمِيسٍ وَسِتِينَ وَسِتِّمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَنْضَلَ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ، مُوَافِقَ لِلْيَوْمِ الثَّلَاثِينَ مِنْ أَيَّامِ سَنَةِ أَلْفٍ وَتَحْمِيسِائَةٍ وَتِسْعَةِ وَسْبَعِينَ سَنَةٍ

لِلْمَلِكِ الْفَتْحِ بْنِ فَيْلَسِ الْيُونَانِيِّ - عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْمَمْلَكَةِ الْحَمِصِيَّةِ وَالشَّيْزُرِيَّةِ وَالْحَمَوِيَّةِ وَبِلَادِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ ، وَاقِعَ عَلَيْهَا الْإِتِّفَاقُ الْمُبَارَكُ ، وَفُسِّقَتْ هَذِهِ الْهُدُنَةُ الْمَيْمُونَةُ بِجَمِيعِ حُدُودِ هَذِهِ الْأَمْثَالِكِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَبِلَادِهَا الْمَوْصُوفَةِ ، وَقُرَاهَا وَضِيَاعِهَا ، وَسَمَلِهَا وَجَبَلِهَا ، وَعَاصِرِهَا وَعَاْمِرِهَا ، وَمَرْزُوعِهَا وَمَعْطَلِهَا ، وَطُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَقِلَاعِهَا

(١) الاستبارة بتقديم الفوحدة على الله مؤرؤوس نطقاً اللدنية المعروفة فى الكتب العربية بالاستبارة .

(٢) يياض بالأصول .

وحُصُونِهَا - عَلَى مَا بَفَصَّلُ فِي كُلِّ مَمْلَكَةٍ، وَيُتْرَحُ فِي هَذِهِ الْمُدُنَةِ الْمُبَارَكَةِ لِلدَّعَةِ الْمَعِينَةِ إِلَى آخِرِهَا .

وعلى أن المستقر بمملكة حصص المحروسة أن جميع المواضع والقُرى والأراضي التي من نهر العاصي، وتغرب إلى الحد المعروف من الغرب لبلد المناصقات : تامرًا ودائرًا، وبما فيها من الثغلات صيفيا وشتويًا، والعداد وغيرها من الفوائد جميعها - تقرر أن يكون النصف من ذلك للسلطان الملك الظاهر ركن الدين والدين أبي الفتح «بيبرس»، والنصف لبيت الأسيبار .

وعلى أن كلاً من الجهتين يتعهد ويحرض في عمارة بلد المناصقات المذكورة بمجتهده وطاقتيه، ومن دخل إليها من الفلاحين بدواب، أو من التركمان، أو من العرب، أو من الأكراد، أو من غيرهم، أو القنائة - كان عليهم العداد بكارى العادة . ويكون النصف للسلطان، والنصف لبيت الأسيبار .

وعلى أن الملك الظاهر يحمي بلد المناصقات المقدم ذكرها من جميع عسكره وأتباعه، ومن هو في حُكْمِهِ وطاعته، ومن جميع المسلمين الداخلين في طاعته كافة . وكذلك مقدم بيت الأسيبار وأصحابه يتحون بلاد مولانا السلطان الداخلة في هذه المدنة .

وعلى أن جميع من يتعدى نهر العاصي مغرباً لرعي دوابه : سواء أقام أو لم يقم، كان عليه العداد سوى قنائة البلد ودوابه، ومن يخرج من مدينة حصص ويعود إليها، ومن غرب منهم ومات كان عليه العداد .

وعلى أن يكون أمر فلاحى بلد المناصقات في الحبس والإطلاق والحماية راجعاً إلى نائب مولانا السلطان، بأتمامي من نائب بيت الأسيبار، على أن يحكم فيه بشريعة الإسلام إن كان مسلماً، وإن كان نصرانياً يحكم فيه بمقتضى دولة حصص الأكراد .



وأن يكون الفلاحون الساكنون في بلاد المناصفات جميعها مُطلقين من السَّحَرِ من الجنين .

وعلى أن الملك الظاهر لا يأخذ في بَيْدِ المناصفات المذكورة: من تُرْكَمَانٍ ولا عَرَبٍ ولا أَكْرَادٍ ولا غَيْرِهِمْ عِدَادًا ولا حَقًّا من حقوق بَيْدِ المناصفات، إلا ويكون النصف منه للملك الظاهر، والنصف الآخر لبيت الأسيبار .

وعلى أن الملك الظاهر لا يتساعف بمنع أحد من الفلاحين المعروفين بسكْنَى بلاد المناصفات من الرجوع إليها، والسكْنَى فيها إذا اختاروا العود. وكذلك بيت الأسيبار لا يمنعون أحدًا من الفلاحين المعروفين بسكْنَى بلاد المناصفات من الرجوع إليها والسكْنَى فيها إذا اختاروا العود .

وعلى أن الملك الظاهر لا يمنع أحدًا من العربان والتركمان وغيرهم : ممن يؤدّي العِدَادَ، من الدخول إلى بَيْدِ المناصفات، إلا أن يكون مُحَارِبًا لبعض الفريج الداخلين في هذه الهدنة، فله المنع من ذلك . وأن تكون خُشَارَاتُ الملك الظاهر وخُشَارَاتُ عساكره وغلمانهم وأهل بَيْدِهِ تَرَعَى في بلاد المناصفات أمانةً من الفريج والبصارى كافة . وكذلك خُشَارَاتُ بيت الأسيبار وخُشَارَاتُ عساكرهم وغلمانهم وأهل بَيْدِهِم تَرَعَى أمانةً من المسلمين كافةً في بَيْدِ المناصفات . وعند خروج الخُشَارَاتِ من المرامي وتسلیمها لأصحابها: لا يؤخذ فيها حق ولا عِدَادٌ ولا تُعارض من الجهتين .

وعلى أن تكون مِصْبَدَةُ السَّمِينِ الرُّومِيَّةِ موحا تحصل منها . يكون النصف منه للملك الظاهر والنصف لبيت الأسيبار . وكذلك المصايد التي في الشط العربی من العاصي يكون النصف منه للملك الظاهر والنصف لبيت الأسيبار . ويكون لبيت الأسيبار في كل سنة خمسون ديناراً صوريةً عن الفس . ويكون القش جميعه للملك الظاهر يتصرف تَوَابُهُ فيه على حسب اختيارهم . ويكون الليتوفر مناصفةً: النصف

منه لأملاك الظاهر والنصف لبنت الاسبتار . وتقرر أن الطاحون المستجد المعروف بإنشاء بيت الاسبتار، الذي كان حصل الحرب فيه، والبستان الذي هناك المعروف بإنشاء بيت الاسبتار أيضا يكون مناصفة . وأن يكون متولى أمرهما نائب من جهة نواب السلطان ونائب من جهة بيت الاسبتار ، يتولى أمرهما والتصرف فيهما وقبض متحصليهما . وتقرر أن مهما يجدده بيت الاسبتار على الماء الذي تدور به الطاحون ويسقى البستان من الطواحين والأبنية وغير ذلك ، يكون مناصفة بين الملك الظاهر وبين بيت الاسبتار .

وأما المستقر بمملكة شيزر المحروسة ، فهي شيزر ، وأبو قينس وأعمالها ، وعينتاب وأعمالها ، ونصف زاوية بقراس المروفة بحماية بيت الاسبتار وأعمالها ، وجميع أعمال المملكة الكسروية والبلاد المذكورة بحدودها المعروفة بها ، وقراها المستقرة بها ، وسبلها وجبلها وعامرها وغايرها .

وما استقر بمملكة الملك المنصور ، ناصر الدين « محمد » بن الملك المظفر أبي الفتح « محمود » بن الملك المنصور « محمد » بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب فهي : حماة المحروسة وقلاعها ومدنها ، والمعرّة وقراها وسبلها وجبلها وأنهارها ، ومناقصها وثمارها وعامرها وغايرها ، وبلاد رقية وبلاد بارين بحدودها ونحوها وعامرها ودائرها وجميع من فيها وما فيها - على أن الملك المنصور لا يرخص للتركان ولا للعرب أن ينزلوا بلاد رقية وبارين سوى ثلاثين بيتا يحملون القلعة لقلعة بارين ، وإن أرادوا الزيادة يكون بمراجعة الإخوة الاسبتارية والاتفاق معهم على ذلك .

وعلى أنه إن تعدى أحد من أصحابه بأذية ، أو تعدى أحد من القرىجة في بلاده بأذية ، كانت المهلة في ذلك خمسة عشر يوما ، فإن أنكشفت الأخذة ،

أعيدت . وإلا تحلف الجهة المدعى عنها أنها ما علمت وما أحست ، وكذا لهم ،  
كذلك عليهم .

والمستثمر لملكه الصالحين : نجم الدين وجمال الدين ، والأمير صابر المدين نايبي  
الدعوة المباركة ، وولد الصاحب رضى الدين ، وهى : مصياف والرصافة وجميع  
فلاج الدعوة وحصون وسهلها ووعرها ونامرها ودائرها ، ومدنها وبلادها ،  
وضياعها وطوقاتها . وميادها ومنايها ، وجميع بلاد الإسماعيلية تجل بها واللكام ،  
وكل ما تشتمل عليه حدود بلاد الدعوة وتحوها - أن يكون الجميع آمينين من على  
الرصيف الذى يسير إلى نهاية الأراضى التى بحصون الدعوة وبلادها . وحماية  
القرية المعروفة بعرطار (؟) يكون له أسوة الإسماعيلية . وإن على الأصحاب أن أحدا  
من الإسماعيلية قد عبر إلى بيت الاستنار لأذية ، أعلموا بيت الاستنار قبل أن تجرى  
أذية ، وما لم يعلموا به عليهم انهم ما علموا به ، وإن لم يحلفوا يردوا الأذية  
التي تجرى .

وتقرر أن يكون فلاحو بيت الاستنار راعين وغادين ومتصرفين فى بيعهم  
وشرايمهم ، مطمئنين لا يتعدى أحد عليهم . وكذلك جميع فلاحي بلاد الإسماعيلية  
لا يتعدى أحد عليهم ، وأن يكونوا آمينين مطمئنين فى جميع بلاد الاستنارية ، وإن  
تعدى أحد من الجهتين فى سوق أو طريق ، فى ليل أو نهار ، تكون المهلة خمسة عشر  
يوما ، فإن ردت الشكوى كلها فما يكون إلا الخير بينهم ، ومن توجهت عليه اليمين  
حلف ، ومن لم يفعل يحلف وإلا يرد الأذية . وتكون الضيعة التى رهنها عبد المسيح  
رئيس المرقب الاستنار . وهى المشرفة تكون آمنة إن كان الحال أسنقر عليها إلى  
آخر وقت عند كتابة هذه الهدنة المباركة بين الأصحاب وأصحابهم . ويجل الأمر  
فى الحفرق .

ويبطل ما هو على بلاد الدعوة المباركة من جميع ما لبثت الاستتار على حماية مضايقات والرصافة، وهو في كل سنة ألف ومائتا دينار قومية، ونحسون مئذًا حنطة، ونحسون مئذًا شعيرا، ولا تبقى قطعة على بلاد الدعوة جميعها، ولا يتعرض بيت الاستتار ولا توأبهم ولا غلمانهم إلى طلب قديم من ذلك ولا جديد، ولا منكر ولا، أض، ولا حاضر ولا مستقبل على اختلافه .

وتقرر أن تكون جميع المباحات من الجهتين مطلقا مما يخص بالملكية المحصية، يسترزق بها الصعاليك . وأن توأب الملك الظاهر بمحوتهم من اذية المسلمين من بلاده المذكورة ، وأن توأب بيت الاستتار بصونوتهم ويحرسونهم ويحوتهم من النصارى والقرنج من جميع هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة . ولا يتعرض أحد من المسلمين كافة من هذه البلاد الداخلة في [هذه] الهدنة [إلى بلاد الاستتارية] بأذية ولا إغارة، ولا يتعرض أحد من جميع القرنجة من هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة بمحودها الحاربية في يد توأب الاستتار وفي أيديهم، إلى بلاد الملك الظاهر بأذية ولا إغارة .

وعلى أنه متى دخل في بلاد المناصقات أحد ممن يجب عليه العداد وأمتع من ذلك، وكان عداد إحدى الجهتين حاضرا : إما عداد ديوان الملك الظاهر، وإما عداد بيت الاستتار، فلنائب العداد الحاضر من إحدى الجهتين أن يأخذ من ذلك الشخص المنتجع عن العداد أو الخارج من بلد المناصقات رهنا بمقدار ما يجب عليه من العداد، بحضور رئيس من رؤساء بلد المناصقات، ويترك الرهن عند الرئيس ودية إلى أن يحضر النائب الآخر من الجهة الأخرى، ويوصل إلى كل من الجهتين حقه من العداد .

وإن خرج أحد ممن يجب عليه العداد، وتجز النائب الحاضر عن أخذ رهنه : فإن دخل بلدا من بلاد الملك الظاهر، كان على التوأب إيصال بيت الاستتار إلى حقه

مما يجب على الخارج من العداد . وكذلك إن دخل الخارج المذكور إلى بيت الاستار، كان عليهم أن يوصلوا إلى أبواب الملك الظاهر حتمهم مما يجب على الخارج من العداد . وكذلك يتمد ذلك في المملكة الحموية وبلاد الدعوة المحروسة .

وعلى أن التجار والسفنار والمترددين من جميع هذه الجهات المذكورة يكونون آيين من الجهتين : الجهة الإسلامية ، والجهة الفرنجية والنصرانية ، في البلاد التي وقعت هذه الهدنة عليها - على النفوس والأموال والدواب وما يتعلق بهم ، بحكمهم السلطان ونوابه ، ويتعاملون البلاد الداخلة في هذه الهدنة المباركة الواقع عليها الصلح وفي بلد المناصقات - من جميع المسلمين . وبحكمهم بيت الاستار في بلادهم الواقع عليها الصلح وفي بلد المناصقات - من الفرنج والنصارى كافة .

وعلى أن يتردد التجار والمسافرون من جميع المترددين على أي طريق اختاروه من الطرق الداخلة في عقد هذه البلاد الداخلة في هذه الهدنة المباركة المختصة بالملك الظاهر ، وبلاد معاهده ، وبلاد المناصقات ، وخاص بيت الاستار والمناصقات ، يكون الساكنون والمترددون في الجهتين آيين مطمئنين على النفوس والأموال ، بحمي كل جهة الجهة الأخرى .

وعلى أن ما يختص بكل جهة من هذه الجهات : الإسلامية ، والفرنجية الاستبارية . لا يكون عداً على ما لها في المناصقات : من الدواب والغنم والبحر والحمال وغيرها ، على العادة المقررة في ذلك .

وعلى أن إطلاق الرؤساء يكون باتفاق من الجهتين : الإسلامية . والفرنجية الاستبارية . ومتى وقعت دعوى على الجهة الأخرى ، وقف أمرها في الكشف عنها أربعين يوماً ، فإن ظهرت أجدت على صاحبها ، وإن لم تظهر حلف ثلاثة

تقرئ من يختارهم صاحبُ الدعوى على ما يعلمونه في تلك الدعوى، وإن ظهرت بعد  
اليمين أعيدت إلى صاحبها، وإن كان قد تعوض عنها أعيد العوض .

وعلى أن يكشفوا عن الأخذة بجهدهم وطاقتهم . ومتى تحققت أعيدت إلى  
صاحبها ؛ فإن حلفوا ببراءة من الدعوى ، وإن ظهرت بعد اليمين أعيدت على  
صاحبها ، وإن امتنع المدعى عليه من اليمين حلف المدعى ، ولا يستحق عوض  
ما عدم من كل شيء مثله . وكذلك يجري الأمر في القتل : عَوْضُ الْفَارِسِ  
فَارِسٌ ، وَعَوْضُ الرَّاجِلِ رَاجِلٌ ، وَعَوْضُ الْبَرَكِيِّ بَرَكِيُّ ، وَعَوْضُ النَّبَاحِيِّ نَابِحٌ ،  
وَعَوْضُ الْفَلَّاحِ فَلَاحٌ . وإذا انقضت الأربعون يوماً المذكورة لكشف الدعوى  
ولم يحلف المدعى عليه للمدعى وجب عليه العوض حتى يرد ، وإن رد اليمين على المدعى  
ومضى على ذلك عشرة أيام ، ولم يحلف صاحب الدعوى بطلت دعواه وحكمتها ،  
وإن حلف أخذ العوض .

ومتى هرب من إحدى الجهتين إلى الأخرى أحد ، ومنه مالٌ لغيره أعيد جميع  
مامعه ، وكان الحارب محيراً بين المقام والعود . وإن حارب عبداً وخرج عن دينه ،  
أعيد ثمنه ، وإن كان باقياً على دينه أعيد .

وعلى أن لا يدخل أحدٌ من الفاطميين في بلاد المناصقات : من الفلاحين والعرب  
والتركمان وغيرهم ، إلى بلاد الفرنج والنصارى كافة لإغارة ولا أذية يعلم للملك  
الظاهر وبلاد معاينيه ، [ ولا يدخل أحدٌ ] بلاد المسلمين لإغارة ولا أذية يعلم  
بيت الاستبار ولا رضاهم ولا إذنتهم .

وعلى أن الدعوى المنتدمة على هذا الصلح يجعل أمرها على شرط المواصفة التي  
بين الملك الظاهر وبين معاينيه وبين بيت الاستبار .

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب « ويستحق » كما هو ظاهر .

وعلى أن هذه الهدنة تكون ثابتة مستقرة؛ لا تُقْصَب بموت أحد من الجهتين، ولا وفاة ملك ولا مُقَدِّم، إلى آخر المذكرة المذكورة. وهي : عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم تاريخه .

وعلى أن ثواب الملك الظاهر ومعاهديه لا يترك أحدًا من التركان، ولا من العربان، ولا من الأكراد، يدخل بلاد المناصقات بغير اتفاق من بيت الاستبصار أو رضاه، إلا أن يكفلوه على نفوسهم في هذه الطوائف المذكورة، ويعلموا حاله، لئلا يتبدؤ منهم أذية أو ضرر أو فساد ببلد المناصقات وبلد النصارى . ولتواب مولانا السلطان أن تركهم على شرط أنهم يعلم بهم بيت الاستبصار في غد نزوم المكان، إن كان المكان قريبا . وإن ظهر منهم فساد كان الثواب يجابون بيت الاستبصار . وعلى أن المهادنة بخدودها يكون الحكم فيها كما في المناصقات، والحدود في هذه البلاد جميعها تكون على ما تمهد به نسخ الهدن، وما استقر الحال عليه إلى آخر وقت .

وعلى أن تحلى أمور المملكة الحمصية على ما كان مستقرًا في الأيام الأشرفية، على ما قرره الأمير علم الدين «سنجر» .

هذا ما وقع الاتفاق والتراضي عليه من الجهتين . وبذلك جرى القلم الشريف السلطاني الملكي الظاهري : حجة بمتضاه، وتأكيده لما شرح أعلاه . كُتِبَ في تاريخ كذا وكذا .



وهذه نسخة هدية من هذا النمط، عُدت بين السلطان الملك الظاهر «بيبرس» أيضًا، وبين ملكة بيروت من البلاد الشامية، في شهر سنة سبع وسين وستائة حين كانت بيدها . وهي :

استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين «بيرس» وبين  
 الملكة الجليلة المصونة الفاهرة، فلانة آية فلان، مالكة بيروت وجميع جبالها  
 وبلادها التحية مدة عشرين متوالية، أولها يوم الخميس سادس رمضان سنة  
 سبع وستين وستائة الموافق لتاسع إيار سنة ألف وخمسمائة وثمانين يونانية -  
 على بيروت وأعمالها المضافة إليها، الجارى عاقبتهم في التصرف فيها في أيام الملك  
 العادل، أبو بكر بن أرب، وأيام ولده الملك المعظم عيسى، وأيام الملك الناصر  
 صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز. والقاعدة المستقرة في زمنهم إلى آخر الأيام  
 الظاهرية، يقتضى الهدنة الظاهرية. وذلك مدينة بيروت وأما كتبها المضافة إليها:  
 من حد جليل إلى حد صيدا، وهي المواضع الآتى ذكرها: جونية بحدودها، والعذب  
 بحدودها، والعصفورية بحدودها، والراوق بحدودها، وسن القيل بحدودها، والرح  
 والشويف بحدودها، وانطلياس بحدودها، والحديدة بحدودها، وحسوس بحدودها،  
 والبشرية بحدودها، والدكوانة و برج قراجار بحدودها، وقرينة بحدودها، والنصرانية  
 بحدودها، وجلدا بحدودها، والناعمة بحدودها، ورأس الفيقه، والوطاء المعروف  
 بمدينة بيروت، وجميع ما في هذه الأماكن من الرعايا والتجار، ومن سائر أصناف  
 الناس أجمعين، والصادر من منها والوارد إليها من جميع أجناس الناس، والمترددين  
 إلى بلاد السلطان فلان، وهي: الخيرة وأعمالها وقلاعها وبلادها وكل ما هو مختص بها،  
 والمملكة الأنطاكية وقلاعها وبلادها، وجبله والألاذقية وقلاعها وبلادها، وحص  
 المحروسة وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها، ومملكة حصن عكا وما هو منسوب  
 إليه، والمملكة الحموية وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها، والمملكة الرحية وما هو  
 مختص بها: من قلاعها وبلادها، والمملكة البعلبكية وما هو مختص بها: من قلاعها  
 وبلادها، والمملكة الدمشقية وما هو مختص بها: من قلاعها وبلادها ورعاياها



وَمَالِكِيهَا، وَالْمَلِكَةُ الشَّقِيقِيَّةُ وَمَا يَخْتَصُّ بِهَا مِنْ قِلَاعِهَا وَإِلَادِهَا وَرَعَايَاهَا، وَالْمَلِكَةُ  
 الْقُدْسِيَّةُ وَمَا يَخْتَصُّ بِهَا، وَالْمَلِكَةُ الْحَلِيَّةُ وَمَا يَخْتَصُّ بِهَا، وَالْمَلِكَةُ الْكُرْكِيَّةُ وَالشُّوْبِكِيَّةُ  
 وَمَا يَخْتَصُّ بِهَا مِنَ الْقِلَاعِ وَالْبِلَادِ وَالرَّعَايَا، وَالْمَلِكَةُ الْأَنْبَلِيَّةُ، وَالْمَلِكَةُ الصَّرْحَدِيَّةُ،  
 وَالْمَلِكَةُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةُ جَمِيعُهَا : بَغُورِهَا، وَحُصُونِهَا، وَمَالِكِيهَا، وَبِلَادِهَا  
 وَسَوَاحِلِهَا، وَبَرِّهَا، وَبَحْرِيَّهَا، وَرَعَايَاهَا، وَمَا يَخْتَصُّ بِهَا، وَالسَّاكِنِينَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ  
 الْمَمَالِكِ : الْمَذْكُورَةِ وَمَا لَمْ يَذْكَرْ مِنْ مَمَالِكِ السُّلْطَانِ وَبِلَادِهِ. وَمَا سَيَفْنِيهِ اللَّهُ تَعَالَى  
 عَلَى يَدِهِ وَيُدْأُؤِيهِ وَغَلْمَانِهِ يَكُونُ دَاخِلًا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَمُتَّطَّحًا فِي جَمَلَةٍ  
 شَرْوَطِيَّهَا، وَيَكُونُ جَمِيعُ الْمُرْتَدِّينَ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَالْبِلَاةِ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ عَلَى نَفْسِهِمْ  
 وَأَمْوَالِهِمْ وَبِضَائِعِهِمْ، مِنَ الْمَلِكَةِ فَلَانَةَ وَغَلْمَانِيهَا، وَجَمِيعِ مَنْ هُوَ فِي حُكْمِهَا وَطَاعَتِهَا :  
 بَرًّا وَبَحْرًا، نَيْلًا وَنَهَارًا، وَمَنْ مَرَاكِبِيهَا وَشَوَانِيهَا . وَكَذَلِكَ رَعِيَّةُ الْمَلِكَةِ فَلَانَةَ وَغَلْمَانِيهَا  
 يَكُونُونَ آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَبِضَائِعِهِمْ مِنَ السُّلْطَانِ وَمَنْ جَمِيعُ أَوْلِيَاءِهِ وَغَلْمَانِيهِ  
 وَمَنْ هُوَ تَحْتَ حُكْمِهِ وَطَاعَتِهِ : بَرًّا وَبَحْرًا، نَيْلًا وَنَهَارًا : فِي جَمَلَةٍ، وَاللَّادِقِيَّةُ،  
 وَجَمِيعِ بِلَادِ السُّلْطَانِ، وَمَنْ مَرَاكِبِيهِ وَشَوَانِيهِ .

وَعَلَى أَنْ لَا يُعْذَرُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ التُّجَّارِ الْمُرْتَدِّينَ رِسْمٌ لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةٌ، بَلْ يَجْرُونَ  
 عَلَى الْعَوَائِدِ الْمُسْتَمْرَةِ، وَالْقَوَاعِدِ الْمُسْتَقَرَّةِ مِنَ الْإِجْهَتَيْنِ . وَإِنْ عُدِمَ لِأَحَدٍ مِنَ الْإِجْهَتَيْنِ  
 مَالٌ، أَوْ أَخَذَتْ أَخِيصَّةٌ، وَصَحَّتْ فِي الْإِجْهَةِ الْأُخْرَى رُدَّتْ إِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً،  
 أَوْ قِيمَتُهَا إِنْ كَانَتْ مَفْقُودَةً . وَإِنْ خَفِيَ أَمْرُهَا كَانَتْ الْمُدَّةُ لِلْكَاشِفِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا،  
 فَإِنْ وَجِدَتْ رُدَّتْ : وَإِنْ لَمْ تَوْجَدْ حَافٍ وَأَبَى تِلْكَ الْوَالِيَةَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، وَحَلَّفَ  
 ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِمَّنْ يَخْتَارُهُمُ الْمُدَّعَى، وَبَرَّئَتْ جِهَتَهُ مِنْ تِلْكَ الْمُدَّعَى . فَإِنْ أَبَى الْمُدَّعَى  
 عَلَيْهِ عَنِ الْإِجْمَاعِ حَلْفَ الْوَالِيِ الْمُدَّعَى، وَأَخَذَ مَا يَدَّعِيهِ . وَإِنْ قُبِلَ أَحَدٌ مِنَ الْإِجْهَتَيْنِ  
 خَطًّا كَانَ أَوْ عَمْدًا، كَانَ عَلَى الْقَائِلِ فِي جِهَتِهِ الْعَوَضُ عَنْهُ تَطْبَعُهُ : فَارِسٌ بِفَارِسٍ .

وَبَرَكِيْلُ بَيْرِيكِيْل ، وَرَاجِلُ بَرَايِل ، وَفَلَّاحُ بَفَلَّاح . وَإِنْ هَرَبَ أَحَدٌ مِنَ الْجَانِبِينَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ بِمَالٍ لغيره ، رَدَّ مِنَ الْجِهَتَيْنِ هُوَ وَالْمَسْأَلُ ، وَلَا يُعْتَدُّ بِعُدْرِ .

وعلى أنه إن تاجر فونجى صدر من بيروت إلى بلاد السلطان يكون داخلًا في هذه الهدنة ، وإن عاد إلى غيرها لا يكون داخلًا في هذه الهدنة .

وعلى أن المملكة فلانة لا تمكن أحدًا من الفرنج على اختلافهم من قصد بلاد السلطان من جهة بيروت وبلادها ، وتمنع من ذلك وتدفع كل متطرق بسوء ، وتكون البلاد من الجهتين محفوظة من المتجربين المفسدين .

وبذلك انعقدت الهدنة للسلطان ، وتقرر العمل بهذه الهدنة والالتزام بعهودها والوفاء بها إلى آخر مدتها من الجهتين : لا ينقضها مرور زمان ، ولا يغير شروطها حين ولا أوان ، ولا تنقض بموت أحد من الجانبين . وعند انقضاء الهدنة تكون التجار آمنين من الجهتين مدة أربعين يومًا ، ولا يمنع أحد منهم من العود إلى مستقره ، وبذلك شمل هذه الهدنة المباركة الخط الشريف حجة فيها ، والله الموفق ، في تاريخ كذا وكذا .



وهذه نسخة هدنة عُقدت بين السلطان الملك الظاهر «بيبرس» وولده الملك السعيد ، وبين الفرنج الاسبتارية ، على قلعة لُد بالشام ، في سنة تسع وستين وسبعمائة ، وهي : استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر رُكن الدين «بيبرس الصالح» قسيم أمير المؤمنين وولده الملك السعيد ناصر الدين «محمد برتكة خاقان» خليل أمير المؤمنين ، وبين المباشير المقدم الخليل افريز اولدكالم مقدم جميع بيت استنار سرجوان بالبلاد الساحلية ، وبين جميع الإخوة الاسبتارية ، لمدة عشر سنين

كواويل متواليات متتابعات، وعشرة أشهر، أو ثلثاً مستهل رمضان سنة تسع وستين  
 ومائة للهجرة النبوية المحمدية، الموافق للثامن عشر من نيسان سنة ألف وحمسة مائة  
 وأثنين وثمانين للإسكندر بن فيليس اليوناني - على أن تكون قلعة لُد بكاملها  
 ورَبَضُها وأعمالها، وما هو منسوب إليها ومحسوب منها، بحدودها المعروفة بها من  
 تادم الزمان، وما استقر لها الآن، وما يتعلق بذلك : من المواضع، والمصايد،  
 والملاحات، والبساتين، والمعاصر، والطواحين، والبحار، وسواها وجباها،  
 وعاصرها، ودائرها، وما يجري بها من أنهار، وينبع بها من عيون، وما هو مبنى بها  
 من عمائر، وما استجد بها من الفراج وغير ذلك، وكل ما عمر في أراضي المناصفت  
 على دورها وأنهارها، وما بحدود ذلك من نهر بدره إلى جهة الشمال، وما استقر  
 لبلدة من هذه الجهات إلى آخر الأيام الناصرية من الحدود المعروفة بها والمستقرة  
 لها، وحصن برغن وما ينسب إلى ذلك من البلاد والضياع والقرى التي كانت  
 مناصفة - تكون جميع بلدة وهذه الجهات خاصا إلى آخر الزائد لتلك الظاهر،  
 ولا يكون لبنت الاستار ولا للرقب فيها حق ولا طلب بوجه ولا سبب إلى حين  
 انقضاء مدة الهدنة وما بعدها إلى آخر الزائد، ولا لأحد من جميع الفرنجة فيها تعلق  
 ولا طلب بوجه ولا سبب .

وكذلك مهما كان مناصفة، كتلعة العليقة في بلادها لبنت الاستار، يكون  
 ذلك جميعه للديوان المعمور والخاص الشريف، ولا يكون للرقب فيها شيء  
 ولا لبنت الاستار .

وكذلك كل ما حوفي بلاد الدعوة المباركة جميعها وقلاعها من القرى - لا تكون  
 فيها مناصفة لبنت الاستار ولا للرقب، ولا حق، ولا رسم، ولا شرط، ولا طلب

في جميع بلاد الدعوة : مصياف المحروسة ، والكهف ، والمنقبة ، والقُدُموس ،  
والخوابي ، والرصافة ، والعلقة ، وكل ما هو في هذه القلاع وفي بلادها من مناصفة ،  
يكون ذلك خاصاً للملك الظاهر ، وليس لبيت الاسبتار ولا للفرجة فيه حديثٌ  
ولا طلبٌ .

وعلى أن تكون بلاد المرقب وحدودها من نهر لند ومقبلاً ومغرباً إلى حدود بلاد  
مراقبة المعروفة بها ، الداخِل جميعها في الفتوح الشريف ، وأسقفارها بحكم ذلك  
في الخاص المبارك الشريف ، وحتة البيوت المحاذية لسور الرض ، تستقر جميعها  
مناصفة بين السلطان وبين بيت الاسبتار نصفين بالسوية ، وما في جميع هذه البلاد :  
من بساتين ، وطواحين ، وعمائر ، ومصايد ، وملاحات ، وجوه العين ، والمستغلات  
الصيفية والشتوية ، والقطاني ، والحقوق المستخرجة ، وما هو مزروع من الفدن  
لأهل الرض وبيادرها : يكون ذلك مناصفة بين السلطان وبين بيت الاسبتار  
سرجوان بالسوية نصفين .

وما هو داخل الرض وداخل المرقب ، فإنه مطلق من الملك الظاهر للقادم  
الكبير افرز أولد كال مقدم بيت الاسبتار سرجوان وحقائنه ، ورجالته وحقائنه  
ورجالته وريعته ، برسم إقامتهم وسكنهم من داخل الأسوار ، وعن سور الرض  
المحاذية للسور تكون مناصفة جميعها ، بما فيه من حقوق طُرقات وأحكار ،  
ومراعي المواشي على اختلاف أصوافها وأوبارها ، وجميع السخريات ، وكل أرض  
مزروعة أو غير مزروعة مهما أخذ منه من حق أو عداد يكون مناصفة .

وكل ما هو من الموازي والمراسي البحرية المعروفة جميعها بخص المرقب : من  
ميناء بلدة إلى مينا القنطرة الجاورية لحدود مراقبة - تكون هي وما يحصل منها من

الحقوق المستخرجة من الصادرين والواردين والتجار، وما يتعقد عليه ارتفاعها،  
وتشهد به الحسابات - جميعه مناصفة . وما يدخل في ذلك من أجناس البضائع  
على اختلافها يؤخذ الحق [منه] مناصفة على العادة الحارية من غير تعبير لقاعدة من  
حين أخذ بيت الأستبار المقرب إلى تاريخ هذه الهدية المباركة مناصفة على العادة  
الحارية، بل تجرى التجار في الحقوق على عادتهم في البضائع التي يحرصونها والمتجر  
كائنا من كان .

يعتمد ذلك في كل ما يصل لاتردين والمقيمين بالقلعة والربض : من عامة وغير  
عامة، وخبالة وغير خبالة، على اختلاف أجناسهم، خلا ما يصل للإخوة ولعلمائهم  
المعروفين بالإخوة الأستبارية من الحبوب والمثونة والكسوة والخيل التي هي برسم  
رؤسهم خاصة، لا يكون عليها حتى، بشرط أنه لا يكون فيها للتجار شيء من ذلك،  
وما خلا ذلك جميعه يؤخذ الحق منه مناصفة على ما شرحناه .

وعلى أنه لا يجزى أحد من الإخوة الخبالة، والوزراء، والكتاب، والتواب،  
والمستخدمين شيئاً على اسم بيت الأستبار، ليستطلق الحق ويمتع من أسديدائه، ولو  
أنه أقرب أبج إلى المقدم أو ولد المقدم - إذا ظهر منه خلاف ما وقع عليه الشرط،  
أخذ جميع ماله مستهلكاً للجهتين : للديوان السلطاني المعمور، وليت الأستبار،  
إن كان خارجاً من البحر أو نزل إلى البحر، صادراً ووارداً، وكذلك في البر صادراً  
ووارداً بعد المحاقفة على ذلك وصحته .

وعلى أن تواب المباير المقدم الكبير لبيت الأستبار، وولاته وكتابه ومستخدميه  
وعلمائه، يكونون أميين مطمئنين على نفوسهم وأموالهم وجميع ما يتعلق بهم .  
وكذلك علمائنا وولاتنا وتوابنا ومستخدمونا وكتابنا ورعايا بلادنا يكونون أميين

مُعْتَمِدِينَ عَلَى نَفْسِهِمْ وَأُمُومًا ، مُتَّفِقِينَ عَلَى مَصَالِحِ الْبِلَادِ وَأَخْذِ الْحُقُوقِ ، وَسَائِرِ  
الْمُقَاتَلَاتِ وَالطَّرْفَاتِ وَالْبَسَاتِينَ وَالطَّوَاجِحِينَ ، وَالْحُقُوقِ الْمَقْرَّرَةَ عَلَى الْفَدَنِ عَلَى اخْتِلَافِ  
أَجْنَاسِهَا . وَكَذَلِكَ الرَّأْسَةَ وَأَسْتَخْرَاجَ وَجْهِ الْعَيْنِ ، وَالْحُبُوبِ ، وَالتَّصَارُيفِ الْخَارِي  
بِهَا الْعَادَةَ الْمَقْرَّرَةَ عَلَى الْفَدَنِ ، مِنْ جَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا .

وَعَلَى أَنْ جَمِيعَ الضَّمَانَاتِ يَكُونُ ثَوَابُ السُّلْطَانِ وَثَوَابُ بَيْتِ الْأَسْبَتَارِ مُتَّفِقِينَ بِجَمَلَةٍ  
عَلَى ذَلِكَ ، لَا يَنْفَرِدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ ، إِلَّا بِاتِّفَاقٍ وَتَتَرُيبٍ فِي دِفَاتِرِ الدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ  
وَدِيْوَانِ بَيْتِ الْأَسْبَتَارِ ، وَلَا يُطْلَقُ وَلَا يُجْبَسُ إِلَّا بِاتِّفَاقٍ مِنَ الْجِهَتَيْنِ ، وَلَا يَنْفَرِدُ  
وَاحِدٌ دُونَ آخَرَ .

وَعَلَى أَنْ أَى مُسْلِمٍ تَصَدَّرُ مِنْهُ أَذِيَةٌ يَحْكُمُ فِيهَا بِمَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعُ الشَّرِيفُ  
فِي تَأْيِيدِهِ ، يَعْتَمِدُ ذَلِكَ فِيهِ تَأْيِيدًا : مِنْ شَيْءٍ يَجِبُ عَلَيْهِ ، أَوْ قَطْعًا . أَوْ أَدَبًا بِحُكْمِ  
الشَّرْعِ الشَّرِيفِ : مِنْ شَيْءٍ ، وَقَطْعًا ، وَكُلِّي أَتَيْنِ ، بِمِثْلِ لَا يُعْمَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِحَضُورِ  
نَائِبٍ مِنْ جِهَةِ بَيْتِ الْأَسْبَتَارِ ، حَاضِرٍ يُعَايِنُ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ ، وَيَكُونُ قَدْ عَرَفَ الذَّنْبَ  
وَتَحَقَّقَهُ . وَإِنْ كَانَتْ ذَنْبُهُ يَسْتَوْجِبُ جَنَايَةً أَوْ غَرَامَةً دَرَاهِمٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ مَوَاشٍ  
أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِ ، يَكُونُ مَا يُسْتَأْذَى مُنَاصَفَةً لِلدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ  
وَلِبَيْتِ الْأَسْبَتَارِ وَصَاحِبِ الْمَرْقَبِ . فَإِنْ كَانَ فِيهَا قِسَاسٌ وَبَضَائِعٌ عَلَى اخْتِلَافِ  
أَجْنَاسِهِ ، وَصَاحِبُهُ مُسْلِمٌ ، يَأْخُذُ بِضَاعَتَهُ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ مِنَ الْجِهَتَيْنِ بَعْدَ إِدَاءِ الْحَقِّ  
لِلدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ وَلِبَيْتِ الْأَسْبَتَارِ . وَإِنْ لَمْ يُعْرِفْ صَاحِبُ الْبِضَاعَةِ وَكَانَتْ لِمُسْلِمٍ ،  
أَعِيدَتْ لِلرَّيَازَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَلَا يَكُونُ لِبَيْتِ الْأَسْبَتَارِ فِيهَا تَعَلُّقٌ . وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ  
الْبِضَاعَةِ نَصْرَانِيًّا عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِ النَّصَارَى ، تَأْخُذُ بِضَاعَتَهُ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ  
مِنْ جِهَتِنَا ، بَعْدَ إِدَاءِ الْحَقِّ . وَإِنْ لَمْ يُعْرِفْ صَاحِبُ الْبِضَاعَةِ ، وَكَانَتْ لِنَصْرَانِيٍّ ،

(١) لعله سقط هنا شيء ، يعود عليه الضمير .

تَبَيَّنَتْ تَحْتَ يَدِ بَيْتِ الْأَسْبَتَارِ ، خِلا مِنْ كَانَ مِنْ بِلَادِ مَمْلَكَةِ السُّلْطَانِ عَلَى اخْتِلَافِ دِينِهِ : إِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ ذِمِّيًّا ، عَلَى اخْتِلَافِ جُنْسِ دِينِهِ ، لَيْسَ لَبَيْتِ الْأَسْبَتَارِ عَلَيْهِمْ آعْتَرَاضٌ ، وَيَحْمِلُ ذَلِكَ جَمِيعُهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِ الْبِضَاعِ لِلدِّيَوَانِ الْمُعْمُورِ .

وعلى أنه متى أنكسر مركبٌ ، وظهر إلى برّ القواني بصاعهً ، وقصد صاحبه شيلةً إلى جهةٍ يختارها في البرّ والبحر ، ولا يُتبعُ ، فيؤخذ الحقُّ منه : إن باع يؤخذ الحقُّ ، وإن تحمل يؤخذ الحقُّ ، ويكون الحقُّ للجهتين : وهو الحقُّ المعروف الجارى به العادة .

وعلى أن التجار السفارة والمترددين بالبيضائع من بلاد المسلمين والنصارى متى ما خرجوا من القواني المحدودة أعلاه يتوجهون بخفارة الجهتين من غير حق : لا يتناول من الخفارة شيءٌ منسوبٌ إلى نفوسهم إلى أن يخرجهم ويحضرهم إلى برّ حدود المرقب آمينين مطمئنين تحت حفظ الجهتين . ومتى وصل التجار من مملكة السلطان إلى بلاد المرقب وموانئها ، فالترتيب على الخفارة من الجهتين ، مع تدرك الرؤساء الحفظ للطرفات صادراً ووارداً ، بحيث يُسهم يحضرون إلى بلاد المرقب ، وإلى القواني بالمرقب المحدودة أعلاه ، طيبين آمينين على أرواحهم وأموالهم بالخفارة من الجهتين ، على ما شرحناه .

وعلى أن غلمان المباشر المقدم لبنت الأسيبار والإخوة والخيالة والرعية المقيمين بقلعة المرقب والرأى ، يكونون آمينين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم ومن يلوذ بهم ويتعلق ، في حال صدورهم وورودهم إلى بلادنا الجارية في ممالكنا في البرّ ، من نواننا بالمملكة والبلاد الجارية في حكمتنا ، ومن ولدنا الملك السعيد ، ومن أمرائنا وعساكرنا المنصورة . وإن قُتل قتلٌ أو أخذت أحيدهً في حدود المناصف بلاد

المَرْقَب ، فيَقَعُ الكَشْفُ عن ذلك عِشْرِينَ يَوْمًا : فَإِنِ وُجِدَ فاعِلُ ذلك ، يُؤخَذُ الفاعِلُ بِذَنبِهِ . وَإِن لَمْ يَظْهَرْ فاعِلُ ذلك مَدَّةَ عِشْرِينَ يَوْمًا فَيُمْسِكُ رُؤَسَاءُ مَكَانِ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَأَخْذَ الأَخِيذَةِ ، وَقَتْلَ القَتِيلِ ، إِنْ كانَ أَخْذُ وَقَتْلُ - مَكَانَ مَنْ قَتَلَ القَتِيلَ أَوْ أَخَذَ الأَخِيذَةَ - أَقْرَبَ القُرْباءِ إلى الذي قَطَعَ عليه الطَّرِيقَ أَوْ قَتَلَ قَتِيلًا . فَإِنِ خَفِيَ الفاعِلُ لذلك ، وَخُجِرَ عن إِحْضارِهِ بعد عِشْرِينَ يَوْمًا ، يُلْزِمُ أَهْلُ نُوَابِ الجُهَيْنِ مِنَ القُرْباءِ الأَقْرَبِ لذلك المَكَانِ بِأَلْفِ دِينَارٍ صُورِيَّةٍ : لِلدَّيوانِ السُّلْطانيِّ النَّصْفُ ، وَلِغَيْبِ الأَسْبَاطِ النَّصْفُ ، وَلَا تُتْكَاسَلُ الوِلايَةُ فِي طَلَبِ ذلك ، وَيَكُونُ طَلَبُهُ يَدًا واحِدَةً ، وَلَا يَخْتَصُّ الوَاحِدُ دونَ الأَخرِ . وَلَا يَحْجَبُ أَحَدٌ مِنْهُمُ لِأَخْذِ القَلَّاحِ فِي هَذَا أَوْ غَيْرِهِ فِي مَصْلُحَةِ عِمَارَةِ البِلاَدِ ، وَأَسْتِخْراجِ الحُقُوقِ ، وَمُقاسِمَةِ الغِلالِ ، وَطَلَبِ المُفْسِدِينَ لِيلاً وَنَهَارًا .

وعلى أن لا تغيّر الهدنة المباركة بأمر من الأمور، لأن جهننا ولا من جهة ولدنا الملك السعيد، إلى انتضاء مدتها المعينة أغلاه وفروغها . ولا تتغير بتغير المقدم المباشر ليئت الأستار الحاكم على المرقب وغيره . وإذا جرت قضية في أمر من الأمور يعرفهم نوابنا ، ويحقق الكشف إلى مدة أربعين يوماً ، فإن يكون للبداية يخرج منها على من سب (؟) ويكون قد عرف ذنبه الذي بدأ من جهة كل واحد . وإذا تغير النواب بالمرقب وحضر نائب مستجد يعتمد ما تضمنته هذه الهدنة ، ولا يخرج عن هذه المواصفة . وإذا تسحب من المسلمين أحد على اختلاف أجناسه ، إن كان مملوكاً أو غير مملوك ، أو معوقاً أو غير معوق ، أو كائناً من كان من المسلمين على اختلاف منازلهم ، وإن كان غلاماً أو غير غلام - يردُّ جميع ما يوجد معه ، إن كان قليلاً أو كثيراً يرد . ولو أن المتسحب دخل الكنيسة وجلس فيها يمسك بيده ويخرج ويسلم لنوابنا جميع ما معه ، وإن كان خبيلاً أو قماشاً أو ذراهم أو ذهباً



وما يتعامل الناس به ، يستعمل بما معه إلى توابنا على ما شرعناه . وكذلك إذا تسحب أحد من جهتهم من الفرج أو التصريح إلى توابنا الشريفة ، أو وصل إلى جهة توابنا نمتك ويستعمل بما يحضر معه : من الخيل والأقمشة والعدنة وجميع ما يصل إن كان قليلاً أو كثيراً ، نمتك توابنا ويسلمون ذلك بما معه لتائب المقدم الماسر المقيم بالقرب . وأخذوا الخطوط بذلك بتسليمه بما حضر معه .

وعلى أنهم لا يكون لهم حديث مع قلعة العليقة . ولا الرعية الذين فيها ، ولا مع توابن ابن زديق المنعجين فيها : لا بكتاب ، ولا بمشافهة ، ولا برسالة ، ولا بقول ، ولا يطلع أحد من جهتهم إليهم ، ولا يمكن أحد من الحضور إليهم ، | والوصول | إلى جهتهم من القلعة المذكورة ، ولا تسيير إليهم مئونة ولا تجارة ولا جلب على اختلاف أجناسه . ولا تكون بينهم معاملة . وإن حضر أحد من جهة قلعة العليقة إليهم يمكن ويسلمون لتوابنا ويأخذوا بذلك خطوطهم .

وعلى أنهم لا يحدون عمارة قلعة . ولا في القلعة عمارة ، ولا في البنية ولا في أبراجها ؛ ولا [يعتمدون] إصلاح شيء منها إلا إذا عاينه توابنا أو أبصروا أنه يحتاج إلى الضرورة في ترميم مئونه بعد أن يعاينه توابنا من هذا الخارج ، ولا يحدون عمارة في ربضها ، ولا في سورها ، ولا في أبراجها . ولا يحدون حفر خندق ، وعمارة خندق ، أو تجديد بناية خندق أو قطع جبل ، أو تحصن عمارة ، أو تحصن بقطع جبل ، منسوبة لتحصين يمنع أو يذفع . ولم نأذن لهم بسوى البناية [على] أثر الدور التي أحرقت عند دخول العساكر صعبة الملك السعيد . وقد أذننا لهم في عمارة باطن الربض على أثر الأساس القديم .

وعلى أن صهيون وأعمالها ، ورومه ( ) وأعمالها ، والقلعة وأعمالها ، وعيدوب وأعمالها ، الحاربية تحت نظر الأمير سيف الدين محمد بن عثمان صاحب صهيون .

يجرى حُكْم هذه البلاد المختصة به حُكْم بلادنا في المُهادَنَةِ ، بِحُكْم أَنَّ بلادَه المذكورَة جَارِيَةٌ في مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ .

وعلى أنه لا يُمكنُ بِنْتِ الأَسْبِتَارِ من دُخُولِ رِجُلٍ غَربِيَّةٍ في البَرِّ ولا في البَحْرِ إلى بلادنا ، بأذِيَّةٍ ولا ضَرَرٍ يعودُ على الدَّوْلَةِ ، وعلى بلادِنَا وحُصُونِنَا ورِعِيَّتِنَا ، إلا أن يكونوا يَدَا غَالِبَةٍ ، مُحِبَّةٍ مَلِكٍ مُتَوَجِّجٍ .

وعلى أن البُرْجَ الداخِلَ في المُنَاصِفَةِ ، وهو بُرْجُ مُعَاوِيَةَ الذي عند المَحَاصِرِ الداخِلَةِ في مَنَاصِفِ المَرْقَبِ الآنَ ، يُحَرَّبُ ما يُحْصَنُ منه ، وهو النِّصْفُ من البُرْجِ المذكورِ أعلاه . وأن الجِسْرَ المعروفَ بِجِسْرِ بَلْدَةَ لم يكنْ لِبِنْتِ الأَسْبِتَارِ فيه شَيْءٌ من البَرِّينَ ، وأنه خَالِصٌ للديوانِ المعمورِ دُونَ بِنْتِ الأَسْبِتَارِ . وأن الدَّارَ المُسْتَجِدَّةَ عمارَتُهَا بِقَلْعَةِ المَرْقَبِ بِرِيسِ المَاسْتَرِ المُقَدَّمِ الكَبِيرِ ، الذي هو عازِزُ تَكْيِيلِ عِمَارَةِ سَقْفِ القَبْوِ بِالخِجَارَةِ والكَلْبِيسِ ، لا تَكْمُلُ عِمَارَتُهَا ، وَيُوقَى على حاله ، وهو في وَسَطِ القَلْعَةِ الظَّاهِرِ منه قَلِيلٌ إلى البَرِّ الشَّرْقِيِّ وهو المذكورُ أعلاه .

وعلى أن نُؤَابَ الأَسْبِتَارِ بِالمَرْقَبِ لا يُخَفُّونَ شَيْئاً من مُقَاسِمَاتِ البِلَادِ ولا شَيْئاً من حُقُوقِهَا الجَارِيِ بِهَا العَادَةُ أن بِنْتَ الأَسْبِتَارِ يَسْتَخْرِجُونَهُ ولا يُخَفُّونَ منه شَيْئاً ، وَكُلُّ ما كانَ يَسْتَأْدِي من البلادِ في أَيدي الأَسْبِتَارِ قَبْلَ هذه المُهْدَنَةِ يُطَاعُونَ نُؤَابَتاً عَلَيْهِ ولا يُخَفُّونَ منه شَيْئاً قَلِيلاً ولا كَثِيراً من ذلك .

وعلى أن السُّلْطَانَ بِأَمْرِ نُؤَابِهِ بِحِفْظِ مُنَاصِفَاتِ بِلَادِ المَرْقَبِ الداخِلَةِ في هذه المُهْدَنَةِ ، من المُفْسِدِينَ والمُتَلَصِّصِينَ والحَرَامِيَّةِ من هو في حُكْمِهِ وطَاعَتِهِ . وكذلك المَاسْتَرُ المُقَدَّمُ افرِيزُ أولد كَالِ يَلْزَمُ ذلكَ من الجِهَةِ الأُخْرَى . ومتى وَقَعَ - والعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَسَخٌ بِسَبَبِ من الأَسْبَابِ ، كانَ الشُّجَارُ والسُّفَّارُ آمِنِينَ من الجَلْهَتَيْنِ إلى

أن يعودوا بأموالهم ، ولا يُمنعون من السفر إلى أَمَا كِنِهِم من الجهتين ، وتكونُ  
 النهاية لهم أربعين يوماً . وتكون هذه الهدنة منعقدة بشروطها المذكورة ، مُستقرّة  
 بقواعدها المسطورة لآلة المعبّنة ، وهي : عشر سنين وعشرة أشهر كوامل ، أوّلها  
 مُستهلّ رمضان سنة تسع وستين وستمائة إلى آخرها ، متتابعة متواليّة ، لا تقسحُ  
 بموت أحد من الجهتين ، ولا بعزل وإلٍ وقيام غيره موضعه ، ولا زوال رجلٍ غربيّة ،  
 ولا حضور يدٍ غاليّة ، بل يفرم كلاً من الجهتين حفظها إلى آخرها ، ومن تولى بعد  
 الآخر حفظها إلى آخرها ، بالشروط المشروطة فيها أوّلاً وآخرها . والخطُ أعلاه ، حجة  
 بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى . في تاريخ كذا وكذا .



وهذه نسخة هُدنة عُقدت بين الساطن المليك المنصور « قلاوون » الصالحى  
 صاحب الديار المعصرية والبلاد الشامية وولده المليك الصالح « على » ولى عهدته ،  
 وبين حكام القرعج بعكا وما معها من بلاد سواحل الشام : في شهر سنة اثنتين  
 وثمانين وستمائة ، وهي يومئذ بأيديهم ، وصورتها :

استقرت الهدنة بين مولانا السلطان المليك المنصور سيف الدين أبى الفتح  
 « قلاوون » الملكى الصالحى وولده السلطان المليك الصالح علاء الدين « على » -  
 خلد الله تعالى سلطنتهما - وبين الحكام بمملكة عكا ، وصيدا ، وعنيت ، وبلادها  
 التى انعقدت عليها هذه الهدنة ، وهم : الشيخان أودهيل الملكة بعكا ، وحضرة  
 المقدم الجليل افرز كاسام دسا حول (؟) مقدم بيت الديوية ، وحضرة المقدم الجليل  
 افرز سكفل للورن (؟) مقدم بيت الاسبتارية ، والمرشان الأجل لورز كورات نائب  
 مقدم بيت الاسبار الآمن - لمدة عشر سنين كوامل ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ،

وعشر ساعات : أولها يومُ الخميس خامسُ ربيعِ الأولِ سنةِ اثنتينِ وثمانينِ وستمائةٍ  
للهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، صلواتُ اللهِ على صاحبها وسلامُهُ ، الموافقُ للثالثِ من حَزْرِيَّانَ  
سنةِ ألفٍ وخمسمائةٍ وأربعٍ وتسعينِ لَعَلْبَةِ الإسْكَندَرِيَّينِ فِلبسِ الْيُونَانِيَّ - على جميعِ  
بلادِ السُّلْطَانِ وولَدِهِ ، وهى التى فى مَمْلَكَتِهما ونَحْتِ حُكْمِهما وطَاعَتِهما وما تحويه  
أيديهما يومئذٍ : من جميعِ الأقاليمِ والممالكِ ، والقلاعِ ، والحُصُونِ الإسلاميَّةِ ، وتغريرِ  
دِيماطَ ، وتغريرِ الإسْكَندَرِيَّةِ المحروسينِ ، وتغريرِ ، وسِتْرِيَّةِ وما ينسبُ إليها من  
الموانئِ والسواحلِ . وتغريرِ فُؤادَ ، وتغريرِ رَشِيدَ ، والبلادِ الحجازيةِ ، وتغريرِ غَزَّةِ المحروسِ ،  
وما معها من الموانئِ والبلادِ ، والمملكةِ الكَرَكِيَّةِ ، والشَّوْبِيكِيَّةِ وأعمالِها ، والصلبِ  
وأعمالِها ، وبُصْرَى وأعمالِها ، ومملكةِ بلادِ الخليلِ صلواتُ اللهِ عليه وسلامُهُ ،  
ومملكةِ الفُدَيْسِ الشَّرِيفِ وأعمالِها ، وبَيْتِ لَحْمِ وأعمالِها وبلادِها ، وجميعِ ما هو  
داخلٌ فيها ومَحْسُوبٌ منها ، وبَيْتِ جَبْرِيَّانَ ، ومملكةِ نَابَلَسِ وأعمالِها ، ومملكةِ  
الأطْرُونِ وأعمالِها ، وعَسْقَلانَ وأعمالِها وموانئِها وسواحلِها ، ومملكةِ ياقا والرَّمْلَةِ  
ومينائها ، وقَبْصاريَّةَ ومينائها وسواحلِها وأعمالِها . وأرْسُوفَ وأعمالِها ، وقاعةِ قاقُوقَ  
وأعمالِها وبلادِها ، وأعمالِ العُوجاءِ وما معها من الملاحةِ ، والفُتُوحِ السَّعِيدِ وأعمالِها  
ومزارعِها ، وبَيْسَانَ وأعمالِها وبلادِها ، والطَّوْرِ وأعمالِها ، والبُجُورِ وأعمالِها ، وجَبِينِ  
وأعمالِها ، وعَبْرَ جالوتَ وأعمالِها ، والقَيْمُونِ وأعمالِها وما يُنسبُ إليه ، وطَبْرِيَّةَ  
ومَجْبِيَّتِها وأعمالِها وما معها ، والمملكةِ الصَّقَدِيَّةِ وما يُنسبُ إليها ، وبَيْنينِ وهَوَيْنِ  
وما معهما من البلادِ والأعمالِ ، والشَّقِيفِ المحروسِ المعروفِ بِشَقِيفِ آرْتُونِ  
وما معه من البلادِ والأعمالِ وما هو منسوبٌ إليه ، وبلادِ الفَرَنْ وما معه خارجًا  
عما عُنِيَ فى هذهِ المَبارَكَةِ ، ونِصْفِ مَدِينَةِ إسْكَندَرُونَةَ ، ونِصْفِ ضَيْعَةِ مَارِبَ  
بِقُدُنِيَّها وكُرُومِها وبَسائِنِيَّها وحُقُوقِها ، وما عدا ذلكِ من حُقُوقِ إسْكَندَرُونَةَ

المذكورة ، يكون جميعه بحدوده وبلاديه للسلطان الملك المنصور ولولده النصف .  
والنصف الآخر للملكة عكا . والبقاع العزيزى وأعماله ، وشعرا وأعمالها ، وشقيب  
تبرون وأعماله ، والعامر جميعها ولا بما غيرها (١) ، وابتباس وأعمالها ، وقلعة الصبيبة  
وأعمالها وما معها من البحيرات والأعمال ، وكوكب وأعمالها وما معها ، وقلعة عجلون  
وأعمالها ، ودمشق والمملكة الدمشقية - حرما الله تعالى - وما هنا من القلاع والبلاد  
والمالك والأعمال ، وقلعة بعبك المحروسة وما معها وأعمالها ، ومملكة حمص وما لها  
من الأعمال والحدود ، ومملكة حماة المحروسة ومدينتها وقلعتها وبلادها وحدودها ،  
وبلاطس وأعمالها ، وصهيون وأعمالها ، وبرزية وأعمالها ، وقوتحات حصن  
الأكراد المحروس وأعماله ، وصافيتا وأعمالها ، و أعمالها ، والعمرية  
وأعمالها ، وقدقيا وأعمالها ، وحلب وأعمالها ، والذليعة وأعمالها ، وحصن عكار  
وأعماله وبلادها ، وقلعة شيزر وأعمالها ، وقامية وأعمالها ، وجبلة وأعمالها ،  
وأبو قبيس وأعماله . والمملكة الحلبية وما هو مضاف إليها من القلاع والمدن والبلاد  
والحصون ، وأنطاكية وأعمالها وما دخل في الفتوح المباركة ، وبقراس وأعمالها ،  
والدر بسالك وأعمالها ، والرؤندان وأعمالها ، وعينتاب وأعمالها ، وحارم وأعمالها ،  
ويبرين وأعمالها ، وسبع الحديد وأعماله ، وقلعة نجم وأعمالها ، وشقيب دركوش  
وأعماله ، والشعر وأعماله . وبكاس وأعماله ، والسويداء وأعمالها ، والباب ورواها  
وأعمالها ، وآبيرة وأعمالها ، والرغبة وأعمالها ، وسامية وأعمالها ، وشيمس  
وأعمالها . وتدمر وأعمالها وما هو منسوب إليها ، وجميع ما هو منسوب لمولانا  
السلطان ولولده من البلاد التي عينت في هذه الهدنة المباركة ، والتي لم تعين .

(١) أو ردها بقوت في مجرى اليمام هكذا : برزوية . وذكر أن العامة تقول : برزوية كما هنا .

(٢) بياض بالأصل .

وعلى جميع العساكر ، وعلى جميع الرعايا من سائر الناس أجمعين : على اختلافهم ،  
وتغير أنفادهم وأجناسهم وأديانهم ، للقاطنين فيها ، والمترددِينَ في البر والبحر ،  
والسهيل والجليل ، في الليل والنهار ، يكونون آمنين مطمئنين في حالي صدورهم  
وورودهم - على أنفسهم ، وأموالهم ، وأولادهم ، وحرَمِيهم ، وبضائهم ، وغلمانهم ،  
وأبناءهم ، ومواسيهم ، ودوابهم ؛ وعلى جميع ما يتعلق بهم ، وكل ما تحوي أيديهم  
من سائر الأشياء على اختلافها ، من الحكام بمملكة عكا : وهم كغيب الملكة بها ،  
والمقدم افرزكليم دسا حول (؟) مقدم بيت الديوية ؛ والمقدم افرز بيكوك  
للورن (؟) ، وافرز اهداب نائب مقدم بيت الاسبتار الآمن ، ومن جميع القرنج  
والإخوة ، والفرسان الداخلين في طاعتهم وتحويله مملكتهم الساحلية ، ومن جميع  
القرنج على اختلافهم ، الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة  
من كل وأصل إليها في بر أو بحر على اختلاف أجناسهم وأنفادهم ، لا ينال بلاد  
السلطان وولده ، ولا حصونهما ، ولا قلاعهما ، ولا بلادهما ، ولا ضياعهما ،  
ولا عساكرهما ، ولا جيوشهما ، ولا عمرتهما ، ولا تركتهما ، ولا أكرادهما ،  
ولا رعايها ، على اختلاف الأجناس والأنفاد ؛ ولا ما تحويه أيديهم من المواشي  
والأموال والغلال وسائر الأشياء منهم غدر ولا سوء ، ولا يخشون من جميعهم أمرا  
مكروها ولا إغارة ، ولا تعرضا ولا أذية .

وكذلك ما استفتحته ويضيفه السلطان وولده على أيديهما ، وعلى يد نوابهما  
وعساكرهما : من بلاد ، وحصون ، وقلاع ، ومليك ، وأنعمال ، وولايات ، برأ  
وبحرا ، سهلا ووعرا .

وكذلك جميع بلاد القرنج التي استقرت الآن عليها هذه الهدنة : وهي مدينة  
عكا وبساتينها ، وأراضيها وطواحينها ، وما يختص بها من كرومها ، وما لها من

حُقُوقِ حَوْلَهَا ، وما تَقَرَّرَ لَهَا من بلادٍ في هذه المَهْدنة وهي : البصَّة ومَزْرَعَتُهَا ،  
 مجدل ، حصين ، رأس عبده ، المَنَوَات ومَزْرَعَتُهَا ، الكابرة ومَزْرَعَتُهَا ، نصف وده  
 جمعون ، كَفَرُ بَرْدَى ومَزْرَعَتُهَا ، كَوَكَبُ عَمَقَا ومَزْرَعَتُهَا ، المونيه ، كَفَرُ اسيف  
 ومَزْرَعَتُهَا ، تُوسيان ، مكر حرسين ومَزْرَعَتُهَا ، الحديدية ، الغياضة ، العطوانية ، مرتوقا  
 الحارثية ، ثَمَرَا انظره ، الرب ، النابو حده ومَزْرَعَتُهَا ، المريج ومَزْرَعَتُهَا ، المزرعة  
 السَّعِيرية البِيضاء ، دعوق ونطاحون ، كَرْدَانِه وِلطاحون ، حدرول ، تل النحل ،  
 الغار ، الرخ والمجدل ، تَلُ كيسان ، البروه ، الزامون ، ساسا السياسية ، الشيكه ،  
 المشيرقه ، العطوانية ، المنير ، اكليل ، هربا سيف العربية ، هوشسه ، الزراعة  
 الجديدة الشالية ، الرحاحيه ، قسطه ، كَفَرُ نبتل ، المدويرات ، ماصوب ، مَقَّاس  
 العباسية ، سيعانه ، عين الملك ، المنصورة ، الرصيفة ، حاننا ، سرطا ، كَفَرْنَا ،  
 أرض الزراعة ، رولس ، صفد عدى ، سفر عم . هذه البلاد المذكورة [ تكون ]  
 خاصا للفرنج ، حيفا والكروم والبساتين التي لها جميعها ، والقصر وهو الحوش  
 وكَفَرُ تُونَا ، وهي : الكنيسه ، والطيرة ، والسعبة ، والسعادة ، والمعرا ، والناجور ،  
 وسومرا . تكون حيفا وهذه البلاد المذكورة بمحدودها وأراضيها خاصة للفرنج .  
 وكذلك قرية مارسا نازه بها ، المعروفة بها وكرومها وغرومها يكون خاصا للفرنج .  
 وديرُ السياح ، وديرُ مارلياس بأراضيها المعروفة بهما وكرومهما وبساتينهما يكون  
 خاصا للفرنج .

وعلى أن يكونَ للسُّلْطَانِ الْمَمْلُوكِ الْمَنْصُورِ وَلِوَلَدِهِ الصَّالِحِ : من بلاد الكَرْمِل ، وهي :  
 الدالية ، ودونه ، وضريبة الريح ، والكرك ، ومعليا ، والزامون ، ولوسه ، وديور ،

(١) لم تقف على أكثر هذه البلاد بعد البحث عنها في معجم ياقوت وتقوم البلدان ، لذلك تبعنا الأصول  
 في الاموال والنفط .

وخربة بونس، وخربة نخيس، ورشيا، ودواه، يكون خاصاً للفرنج في بلاد أخرى ذكرها . وما عدا ذلك من البلاد الحلبية جميعها للسلطان ولولده بكالها .

وتكونُ جميعُ هذه البلادِ المَكَاوِيَّةِ وما عيَّن في هذه المُدُنَةِ المباركةِ من البلادِ السَّاحِلِيَّةِ آمنةً من السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ وولده الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وآمنةٌ من عساکرهما وجُنُودهما ومن خَدَمِهما ، وتكونُ هذه البلادُ المشروحةُ أعلاه ، الداخلةُ في هذه المُدُنَةِ المباركةِ : الخاضِصُ بها ، وما هو مُنَاصَفَةٌ - مُطْمَئِنَّةٌ هي ورعاياها ، وسائرُ أجناسِ الناسِ فيها ، والقاطنينِ بها ، والمتزددینَ إليها على اختلافِ أجناسِهِم وأديانِهِم ، والمتزددینَ إليها من جميعِ بلادِ الفَرَنْجِةِ والسُّقَارِ ، والمتزددینَ منها وإليها في بَرٍّ وبحرٍ ، في لَيْلٍ أو نهارٍ ، سهلٍ وجبَلٍ ، آمينَ على الثُّغُورِ والأموالِ والأولادِ ، والمراكِبِ والدُّوابِّ ، وجميعِ ما يتعلقُ بهم ، وكلُّ ما تحويه أيديهم من الأشياءِ على اختلافِها ، من السُّلْطَانِ وولده ، وجميعِ من هو تحتَ طاعتِهما : لا ينالُهم ولا ينالُ هذه البلادَ المذكورةُ التي أتعقدتُ عليها المُدُنَةُ سُوءٌ ولا ضَرَرٌ ولا إغارةٌ ، ولا ينالُ إحدى الجهتينِ المذكورتينِ : الإسلاميَّةِ والفَرَنْجِيَّةِ من الأخرى ضَرَرٌ ولا أذيةٌ ، ويكونُ ما تقرَّرَ أنه يكونُ خاصاً للفرنجِ حسب ما بينَ أعلاه لهم ، وما تقرَّرَ أن يكونَ للسلطانِ ولولده خاصاً لها ، والمُنَاصَفَاتُ تكونُ كما شُرِّحَ . ولا يكونُ للفرنجِ من البلادِ والمُنَاصَفَاتِ إلا ما شُرِّحَ في هذه المُدُنَةِ وعيَّن فيها من البلادِ .

وعلى أن الفَرنجِ لا يُحَدِّدُونَ في غيرِ عَمَّا وَعَثَلِيَّتٍ وَصَيْدَا : مما هو خارجٌ عن أسوارِ هذه الجهاتِ الثلاثِ المذكوراتِ ، لا قلعةً ، ولا بُرجاً ، ولا حصناً ، ولا مُسْتَجِدًّا .

وعلى أنه متى حَرَبَ أحدٌ - كائناً من كان - من بلادِ السُّلْطَانِ وولده إلى عَمَّا والبلادِ السَّاحِلِيَّةِ المَعِينَةِ في هذه المُدُنَةِ ، وقصدَ الدُّخُولَ في دينِ النُصْرَانِيَّةِ وتَنَصَّرَ



بإزادته، يُرَدُّ جميع ما يروح معه ويبقى عرباناً . وإن كان ما يقصد الدخول في دين النصرانية ولا ينتصر، رُدَّ إلى أبايهما العالية بجميع ما يروح معه، بشفاعة نفة بعد أن يعطى الأمان . وكذلك إذا حضر أحد من عككا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه المدينة، وقصد الدخول في دين الإسلام وأسلم بإزادته، يُرَدُّ جميع ما معه ويبقى عرباناً . وإن كان ما يقصد الدخول في دين الإسلام ولا يُسلم، يُرَدُّ إلى الحكام بعككا، والمقدمين بجميع ما يروح معه بشفاعة بعد أن يعطى له الأمان .

وعلى أن المنوعات المعروفة منعتها قديماً تستقر على قاعدة المنع من الجهتين . ومتى أُوجد مع أحد من تجار بلاد السلطان ولديه من المسلمين وغيرهم على اختلاف أديانهم وأجناسهم شيء من المنوعات بعككا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه المدينة، مثل عدّة السلاح وغيره . يُعاد على صاحبه الذي اشتراه منه، ويعاد إليه ثمنه، ويُردُّ ولا يُؤخذ مائة استهلاكاً، ولا يُؤذى . وللسلطان ولولده أن يفتصلا في من يخرج من بلادهما من رعيتهما، على اختلاف أديانهم وأجناسهم، بشيء من المنوعات . وكذلك كيفيل الملكة بعككا والمقدمون لهم أن يفتصلوا في رعيتهما اللذين يخرجون بالمنوعات من بلادهم الداخلة في هذه المدينة .

ومتى أخذت أخيذة من الجلائين، أو قتل قبيل من الجلائين، على أي وجه كان - والعيادة بالله - رُدَّت الأخيذة بعينها إن كانت موجودة، أو قيمتها إن كانت مفقودة . والقبيل يكون العوض عنه بتظيره من جنسه : فارس بنفارس، وبركيل بيريكل، وتاجر بتاجر، وراجل براجل، وفلاح بفلاح . فإن خفي أمر القبيل والأخيذة، كانت المهلة في الكشف أربعين يوماً . فإن ظهرت الأخيذة أو تعين أمر المفصول، رُدَّت الأخيذة بعينها ويكون العوض عن القبيل بتظيره، وإن لم تظهر

كانت اليمين على والي المكان المدعى عليه ، وثلاثة تقرّ بفتح اختيار المدعى عليهم ، من تلك الولاية . وإن امتنع الوالي عن اليمين حلف من الجهة المدعية ثلاثة نفر تختارهم الجهة الأخرى وأخذ قيمتها . وإن لم يُنصف الوالي ولا ردّ المال ، انتهى المدعى أمره إلى الحكام من الجهتين ، وتكون المهلة بعد الإنهاء أربعين يوماً ، ويلزم الولاة من الجهتين بالوفاء بهذا الشرط .

ومنى أخفوا قتيلاً أو أخبذة ، أو قدروا على أخذ حق ولم يأخذ كل واحد في ولايته ، يتعين على الذي يولى من ملوك الجهتين إقامة السياسة فيه : من أخذ الروح والمال والشق ، والإنكار التام على من يتعين عليه الإنكار إذا فعل ذلك في ولايته وأرضه .

وإن هرب أحد بمالٍ وأعترف ببعضه وأنكر بعض ما يدعى به عليه ، لزمه أن يحلف أنه لم يأخذ سوى ماردّه . فإن لم يقنع المدعى بيمين الحارِب ، حلف والي تلك الولاية أنه لم يطلع على أنه وصل معه غير ماردّه . وإن أنكر أنه لم يصل معه شيء أصلاً ، استحلف الحارِب أنه لم يصل معه للديعي شيء .

وعلى أنه إذا أنكر مرتكب من مراكب تجار السلطان وولده التي أنعدت عليها الهدنة ، ورعيتهما من المسلمين وغيرهم : على اختلاف أجناسهم وأديانهم ، في مينا عمكا وسواحيلها ، والبلاد الساحلية التي أنعدت عليها الهدنة ، كان كل من فيها آمناً على الأتقيس والأموال والأثبايح والتأجر . فإن وجد أصحاب هذه المراكب التي تنكسر تسلم مراكبهم وأموالهم [إليهم] . وإن عدموا بموت أو غرق أو غيبة ، فيحفظ بموجودهم ويسلم لتواب السلطان وولده . وكذلك المراكب المتوجهة من هذه البلاد الساحلية المنعقد عليها الهدنة للقرج ، يتجرى لها مثل ذلك في بلاد

السُّلْطَانِ وَوَلَدِهِ، وَيَحْتَفِظُ بِمَوْجُودِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهَا حَاضِرًا إِلَى أَنْ يُسَلَّمَ لِكَفِيلِ الْمَلِكَةِ بِعَكَّا أَوْ الْمَقْدَمِ .

ومتى توفى أحد من الشُّجَرَاءِ الصَّادِرِينَ وَالوَارِدِينَ: عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَابِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ، مِنْ بِلَادِ السُّلْطَانِ وَوَلَدِهِ، فِي عَكَّا وَصَيْدَا وَعَثَلِيثَ، وَالْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الدَّاخِلَةِ فِي هَذِهِ الْمُدُنَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَابِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ [فِيحْتَفِظُ عَلَى مَالِهِ حَتَّى يُسَلَّمَ لِنُوبِ السُّلْطَانِ وَوَلَدِهِ] ، وَإِذَا تُوُفِّيَ أَحَدٌ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الدَّاخِلَةِ فِي هَذِهِ الْمُدُنَةِ، يَحْتَفِظُ عَلَى مَالِهِ إِلَى حِينِ يُسَلَّمُ إِلَى كَفِيلِ الْمَلِكَةِ بِعَكَّا وَالْمَقْدَمِينَ .

وَعَلَى أَنَّ سُوَاكِي السُّلْطَانِ وَوَلَدِهِ إِذَا عَمَرَتْ وَخَرَجَتْ لَا تَعْتَرِضُ بِأَذْيَةِ إِلَى الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي أُنْعَقِدَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْمُدُنَةُ . ومتى قصدت السُّوَاكِي الْمَذْكُورَةُ جِهَةً غَيْرَ هَذِهِ الْجِهَاتِ ، وَكَانَ صَاحِبُ تِلْكَ الْجِهَةِ مُعَاهِدًا لِلْحُكْمِ بِمَمْلَكَةِ عَكَّا ، فَلَا تَدْخُلُ إِلَى الْبِلَادِ الَّتِي أُنْعَقِدَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْمُدُنَةُ وَلَا تَتَرَوَدُ مِنْهَا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ تِلْكَ الْجِهَةِ الَّتِي تَقْصِدُهَا السُّوَاكِي الْمَنْصُورَةُ مُعَاهِدًا لِلْحُكْمِ بِمَمْلَكَةِ عَكَّا وَالْبِلَادِ الَّتِي أُنْعَقِدَتْ عَلَيْهَا الْمُدُنَةُ ، فَلَهَا أَنْ تَدْخُلَ إِلَى بِلَادِهَا وَتَتَرَوَدَ مِنْهَا . وَإِنْ أَنْكَرَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ السُّوَاكِي - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - فِي مِيْنَا مِنْ مَوَاكِي الْبِلَادِ الَّتِي أُنْعَقِدَتْ عَلَيْهَا الْمُدُنَةُ وَسَوَاحِلِهَا : فَإِنْ كَانَتْ قَاصِدَةً مِنْ لَهْ مَعَ مَمْلَكَةِ عَكَّا وَمُقَدِّمِي بِيُوتِهَا عَهْدًا ، فَيَلْزِمُ كَفِيلُ الْمَمْلَكَةِ بِعَكَّا وَمُقَدِّمِي الْبِيُوتِ بِحِفْظِهَا ، وَتَمَكِينِ رِجَالِهَا مِنَ الزَّوَادِ وَأَصْلَاحِ مَا أَنْكَرَ مِنْهَا ، وَالْعَوُودِ إِلَى الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ : وَ[لَا] يَبْطُلُ حَرَكَةُ مَا تَسْكُرُ مِنْهَا - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - أَوْ يَرْمِيهِ الْبَحْرُ . هَذَا إِذَا كَانَتْ قَاصِدَةً مِنْ لَهْ مَعَ مَمْلَكَةِ عَكَّا وَمُقَدِّمِيهَا عَهْدًا . فَإِنْ [قَصِدَتْ مِنْ] لَمْ يَكُنْ هَا مَعَهُمْ عَهْدًا ، فَلَهَا أَنْ تَتَرَوَدَ وَتَعْمَرَ رِجَالَهَا مِنَ الْبِلَادِ الْمُتَعَقِدِ عَلَيْهَا هَذِهِ الْمُدُنَةُ، وَتَتَوَجَّهَ إِلَى الْبِلَادِ الْمَرْسُومِ لَهَا بِقَصْدِهَا، وَيَعْتَمِدُ هَذَا الْفَصْلُ مِنَ الْجِهَتَيْنِ .

وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجة وغيرهم من جوار البحر لقصده الحضور لمضرة السلطان وولده في بلادها المتفق عليها هذه الهدنة ، فليزِمُ نائب المملكة والمقدمين بعكا ، أن يعرفوا السلطان وولده بحركاتهم قبل وصولهم إلى البلاد الإسلامية الداخلة في هذه الهدنة بمدة شهرين . وإن وصلوا بعد انقضاء مدة شهرين ، فيكون كغيبيل المملكة بعكا ، والمقدمون بريئين من عهدة العيين في هذا الفصل .  
ومتى تحرك عدو من جهة البر من التتار وغيرهم ، فأى من سبق الخبر إليه من الجهتين يعرف الجهة الأخرى بما سبق الخبر إليه من أمرهم .

وعلى أنه إن قصد البلاد الشامية - والعباد بالله - عدو من التتار وغيرهم في البر ، وانحازت العساكر الإسلامية من قدام العدو . ووصل العدو إلى القرب من البلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة وقصدوها بمضرة . فيكتب إلى [ كغيبيل ] المملكة بعكا ، والمقدمين بها أن يدرعوا عن بيوتهم وريعيتهم وبلادهم بما تصل قدرتهم إليه . وإن حصل - والعباد بالله - جفيل من البلاد الإسلامية إلى البلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة ، فليزِمُ كغيبيل المملكة بعكا ، والمقدمين بها حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر ، ويكونون أميين مطمئنين بما معهم .

وعلى أن النائب بمملكة عكا ، والمقدمين بها يؤصون في سائر البلاد الساحلية التي وقعت الهدنة عليها ، أنهم لا يمتكون حرامية البحر من الزوادة من عندهم ولا من حمل ماء . وإن ظفروا بأحد منهم يسكونه ، وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيسكها كغيبيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحبها وتسلم إليه . وكذلك يعتمد السلطان وولده .

وعلى أن الرهائن بعكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة . كل من عليه منهم مبلغ أو غلة ، فيحلف وأنى ذلك المكان الذي منه الرهينة ، ويحلف المباشر والكتائب

في وقت أخذ هذا الشخص رهينة أنه عليه كذا وكذا : من دراهم أو غلة أو بقر أو غيره . فإذا حلف الوائى والمباشر والكاتب قدام نائب السلطان وولده على ذلك يقوم أهل الرهينة عنه بما للفرج عليه ويطلقونه . وأما الرهائن الذين أخذوا منسوبين إلى الجفل والأختيشاء أنهم لا يهربون إلى بلاد الإسلام ويمتنع المولاة والمباشرون من إتيان عليهم ، فأولئك يطلقون .

وعلى أن لا يجتد على التجار المسافرين : الصادرين والواردين من الجهتين حق لم تجر به عادة ، ويجزوا على عوائدهم المستمرة إلى آخر وقت . وتؤخذ منهم حقوق على المادة المستمرة ، ولا يجتد عليهم رسم ولا حق لم تجر به عادة ، وكل مكان عُرف باستخراج الحق فيه يستخرج بذلك المكان من غير زيادة من الجهتين ، في حالتي سفرهم وإقامتهم ، ويكون التجار والسفار والمترددون آمنين مطمئنين محفزين من الجهتين في حالتي سفرهم وإقامتهم ، وصُدورهم وورودهم بما صحقتهم من الأصناف والبضائع التي هي غير ممنوعة .

وعلى أنه ينادى في البلاد الإسلامية والبلاد الفرنجية الداخلة في هذه الهدنة : أنه من كان من فلاحى بلاد المسلمين يعود إلى بلاد المسلمين مسلماً كان أو نصرانياً . وكذلك من كان من فلاحى بلاد الفرنج مسلماً كان أو نصرانياً . معروفًا قرارياً من الجهتين ، ومن لم يعد بعد المنادة يطرد من الجهتين . ولا يمكن فلاحو بلاد المسلمين من المقام في بلاد الفرنج المنعقد عليها هذه الهدنة ، ولا فلاحو بلاد الفرنج من المقام في بلاد المسلمين التي انعقدت عليها هذه الهدنة ، ويكون عود الفلاح من الجهة إلى الجهة الأخرى بأمان .

وعلى أن تكون كنيسة الساصرة وأربع بيوت من أقرب البيوت إليها لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب : كبيرهم وصغيرهم على اختلاف أجناسهم وأقاربهم :

من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة ، ويصلى بالكنيسة الاقساء<sup>(١)</sup> والرهبان ، وتكون البيوت المذكورة لزوار كنيسة الناصرة خاصة ، ويكونون آمنين مطمئنين في توجههم وحضورهم إلى حدود البلاد الداخلة في هذه الهدنة . وإذا نُقِبَت الحجارة التي بالكنيسة المذكورة ترمى برا ، ولا يحطُّ حجرٌ منها على حجر لأجل بنيته ، ولا يعرضُ إلى الأقساء والرهبان ، وذلك على وجه الهبة لأجل زوار دين الصليب بغير حق .

ويلزم السلطان وولده حفظ هذه البلاد المشروحة التي انعقدت عليها الهدنة من قسمها وعساكرها وجنودها ، ومن جميع المتجرمة والمتلصصين والمفسدين : ممن هو داخل تحت حكمها وطاعتها . ويلزم كقيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظ هذه البلاد الإسلامية المشروحة التي انعقدت عليها الهدنة ، من قسمها وعساكرهم وجنودهم ، وجميع المتجرمة والمتلصصين والمفسدين : ممن هو داخل تحت حكمهم وطاعتهم بالمملكة الساحلية الداخلة في هذه الهدنة . ويلزم كقيل المملكة بعكا ، ومقدمي البيوت بها الحكام بعكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة - القيام بما تضمنته هذه الهدنة من الشروط جميعها ، شرطا شرطا ، وفصلا فصلا ، والعمل بأحكامها ، والوقوف مع شروطها إلى انقضاء مديتها . وبني كل منهم بما حلف به من الأيمان المؤكدة : من أنه يفي بجميع ما في هذه الهدنة على ما حلفوا به . تستمر هذه الهدنة المباركة بين السلطان وولده وأولادها وأولاد أولادهم ، وبين الحكام بمملكة عكا ، وصيدا ، وعثليث ، وهم الشبخان أودرا (٩) المقدمون المذكورون فلان وفلان إلى آخرها . لا تتغير بموت ملك أحد الجهتين ، ولا بتغير مقدم وتولية غيره ، بل تستمر على حالها إلى آخرها وانقضائها ، بشرطها المتعددة ،

(١) لعل الصواب القوس ، أوالفيسون .

وقواعدها المفترزة ، كاملة تامة . ومتى انقضت هذه الهدنة المباركة ، أو وقع  
 - والعياد بالله - فسُخ ، كانت المهلة في ذلك أربعين يوماً من الجهتين . ويُنادى  
 بـرجوع كل أحد إلى وطنه بعد الإسهاد ، ليعود الناس إلى مواطنهم آمين مطمئنين ،  
 ولا يتمتعون من السفر من الجهتين ، ولا تبطل بمزل أحد من الجهتين ، وتُسَيِّدُ  
 أحكامها متابعه متواليه ، بالسنين والشهور والأيام إلى انقضائها ، ويلزم المتولى  
 حفظها والعمل بشروطها وفصولها ، وفروعها وأصولها ، ويجرى الحال فيها على  
 أفضل الحالات إلى آخرها . وعلى جميع ذلك وقع الرضا والصفح والاتفاق ، وحلف  
 عليها من الجهتين ، والله الموفق .



وهذه نسخة هدية ، عُقدت بين الملك الأشرف ، صلاح الدين « خليل » ابن  
 الملك المنصور سيف الدين « قلاوون » صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية ،  
 وبين دون حاكم الريد أرغون ، صاحب برشغونة من بلاد الأندلس ، على يد رُسُلِهِ :  
 أخويه وصهره الآتي ذكرهم ، في صفر سنة اثنين وتسعين وثمانية ، وهي :

استقرت المودة والمصادقة بين الملك الأشرف ، وبين حضرة الملك الحليل ،  
 المكرم ، الخطير ، الباسل ، الأسد ، الضرعام ، المفخيم ، المجلي « دون » حاكم  
 الريد أرغون ، وأخويه دون ولديك ، ودون بيدرو ، وبين صهره الذين طلب  
 الرسولان الواصلان إلى الأبواب الشريفة عن مرسلهما الملك دون حاكم أن يكونا  
 داخلين في الهدنة والمصادقة ، وأن يترم الملك دون حاكم عنهما بكل ما التزم به عن  
 نفسه ، ويتدرك أمرهما . وهما الملك الحليل ، المكرم ، الخطير ، الباسل ، الأسد ،  
 الضرعام ، دون شابعه ، ملك قشتالة ، وطليطلة ، وأيون ، وبنسية ، وأشبيلية ،  
 وقوطبة ، ومرسية ، وجيان ، والقرب ، الكفيل بمملكة أرغون وبرتغال . والملك

الجليل دون أنفونش ملك برتغال، من تاريخ يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة  
 اثنتين وتسعين وثمانمائة، الموافق لثلاث بئمن من جنبر سنة ألف ومانتين واثنتين  
 وتسعين لمولانا السيد المسيح عليه السلام. وذلك بحضور رسولي الملك دون حاكم،  
 وهما: المحترم الكبير روصوديما رموند الحايك، عن الملك دون حاكم في بالنسية،  
 ورفيقه المحترم العمدة ديمون المان فراري برجلونة، الواصلين بكتاب الملك دون  
 حاكم، المخنوم بتم الملك المذكور، المقتضى معناه أنه تتاهما جميعاً أحوالهم  
 ومطالبهم، وسأل أن يقوما فيما بقولانه عنه، فكان مضمون مشافهتهما وسؤالها تقرير  
 قواعد الصلح والمودة والصداقة، والشروط التي بشرطها الملك الأشرف على الملك  
 دون حاكم، وأنه يلتزم بجميع هذه الشروط الآتي ذكرها، ويخاف الملك المذكور  
 عليها هو وأخواته وصهره المذكورون. ووضع الرسولان المذكوران خطوطهما بجميع  
 الفصول الآتي ذكرها، بأمره ومرسومه. وأن الملك دون حاكم وأخوته وصهره  
 يلتزمون بها، وهي: استقراء المودة والمصادقة من التاريخ المتقدم ذكره، على عمر  
 السنين والأعوام، وتعاقب الأيام والأيام: برأ وبجرأ، سهلاً ووعراً، قرباً وبعداً.

وعلى أن تكون بلاد السلطان الملك الأشرف، وقلاعه، وحصونه، ونفوره،  
 وممالكه، ومواني بلاده وسواحلها، وبرورها، وجميع أقاليمها ومدنها، وكل ما هو  
 داخل في مملكته، ومحسوب منها، ومنسوب إليها: من سائر الأقاليم الرومية،  
 والعراقية، والمشرقية، والشامية، والحلبية، والقراية، والبينية، والحجازية، والديار  
 المصرية، والغرب.

وحد هذه البلاد والأقاليم وموانئها وسواحلها من البر الشامي من القسطنطينية  
 والبلاد الرومية الساحلية، وهي: من طرابلس الغرب، وسواحل برقة،  
 والإسكندرية، ودمياط، والطبية، وقطيا، وغزة، وعسقلان، وياقا،



وَأَرْسُوفٌ ، وَقَيْسَارِيَّةٌ ، وَعَثَلِيَّةٌ ، وَحِجَافٌ ، وَعُكَا ، وَصُورٌ ، وَصَيْدَاءٌ ، وَيَبُوتٌ ،  
وَجَبِيلٌ ، وَالزَّبِيرُونَ ، وَأَنْفَسَةُ طَرَابُؤُسِ الشَّامِ ، وَأَنْطَرُسُوسٌ ، وَمَرْقِيَّةٌ ، وَالْمَرْقَبُ ،  
وَسَاحِلُ الْمَرْقَبِ : بَابِيَّاسٌ وَغَيْرَهَا ، وَجَبَلَةٌ ، وَالْبَلَدِيَّةُ ، وَالسُّوَيْدِيَّةُ وَجَمِيعُ الْمَوَانِي  
وَالزَّبُورِ إِلَى تَغْرِ دِمْيَاطَ وَبُحَيْرَةِ تَيْسَ .

وَحَدَّثَنَا مِنَ الْبِلَادِ الْغُرَبَى : مِنْ تَوْسٍ وَإِقْلِيمِ الْإِفْرِيقِيَّةِ وَبِلَادِهَا وَمَوَانِيهَا ، وَطَرَابُؤُسِ  
الْغُرَبِ وَتَغُورِهَا وَبِلَادِهَا وَمَوَانِيهَا : وَبَرْقَةَ وَتَغُورِهَا وَبِلَادِهَا وَمَوَانِيهَا ، إِلَى تَغْرِ  
الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَرَشِيدَ وَبُحَيْرَةِ تَيْسَ وَسَوَاحِلِهَا وَبِلَادِهَا وَمَوَانِيهَا .

وَمَا تَحْتَوِيهِ هَذِهِ الْبِلَادُ وَالْمَمَالِكُ الْمَذْكُورَةُ وَالَّتِي لَمْ تُذَكَّرْ : وَالْمَدَائِنُ وَالتَّغُورُ  
وَالسَّوَاهِلُ وَالْمَوَانِي وَالتَّهْرَقَاتُ فِي الْبَرِّ وَالتَّبَحْرُ ، وَالتَّصُدُورُ وَالتَّوْرُودُ ، وَالتَّمَقَامُ وَالتَّسْفَرُ ،  
مِنْ عَسَاكِرَ وَجُنُودَ ، وَتُرُكِيَّيْنِ ، وَأَكْرَادٍ - وَعُرَبِيَّيْنِ ، وَرَعَايَا ، وَتُجَّارَ ، وَشَوَانِي ،  
وَصَرَارِكَبَ ، وَسُقْفِيَّيْنِ ، وَأَمْوَالَ ، وَمَوَانِي . عَلَى اخْتِلَافِ الْأَذْيَانِ وَالتَّنْفَارِ وَالتَّاجِنَاسِ ،  
وَمَا تَحْتَوِيهِ الْأَيْدِي مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الْأَمْوَالِ وَالتَّسْلِحَةِ وَالتَّامِنَةِ وَالتَّمَضَاعِ وَالتَّمَتَّاجِ ،  
فَلَيْلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا ، قَرِيبًا كَانَ أَوْ بَعِيدًا ، بَرًّا كَانَ أَوْ بَحْرًا - أَمِينَةً عَلَى الْأَنْفُسِ ،  
وَالْأَرْوَاحِ ، وَالتَّمَوَالِ ، وَالتَّخْرِيمِ . وَالتَّأْوِلَادِ مِنَ الْمَلِكِ دُونَ حَاكِمِ وَمِنْ أَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ  
الْمَذْكُورِينَ ، وَمِنْ أَوْلَادِهِمْ ، وَفُرْسَانِهِمْ ، وَخِيَالَتِهِمْ ، وَمُعَاهِدَتِهِمْ ، وَعَمَّالَتِهِمْ ،  
وَرِجَالِهِمْ ، وَكُلِّ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا سَيَفْتَحُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدِ الْمَلِكِ  
الْأَشْرَفِ ، وَعَلَى يَدِ أَوْلَادِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَجُيُوشِهِ ، مِنَ الْقِيَالِجِ وَالتَّحْصُونِ ، وَالتَّبِلَادِ  
وَالْأَقَالِيمِ ، فَإِنَّهُ يَجْرِي عَلَيْهِ هَذَا الْحُكْمُ .

وَعَلَى أَنْ تَكُونَ بِلَادُ الْمَلِكِ دُونَ حَاكِمِ وَبِلَادُ أَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ وَمَمَالِكُهُ الْمَذْكُورَةُ  
فِي هَذِهِ الْهَدْيَةِ ، وَهِيَ : أَرْغُونٌ وَأَعْمَالُهَا وَبِلَادُهَا : صَقَلِيَّةٌ وَبَحْرِيَّتُهَا وَبِلَادُهَا

(١) خَيْرُ قَوْمٍ : أَنْ تَكُونَ بِلَادُ التَّمَضَاعِ تَوَارِدُ فِي نِصْفِهَا خَيْرًا .

وأعمالها، برُوبِلِيَّةَ وأعمالها وبلادها، جَزِيرَةَ مالقَّةَ، وقوَصْرَةَ وبلادها وأعمالها،  
مِيورَقَةَ وِيَابَسَةَ وبلادها، وأرسوبار (؟) وأعمالها، وما سَيَفْتَحُهُ الْمَلِكُ دُونَ حَاكِمِ  
مِن بِلَادِ أَعْدَائِهِ الْفَرَنْجِ الْمَجَاوِرِينَ لَهُ بِتِلْكَ الْأَقَالِمِ - آمِنِينَ مِنَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ  
وَأَوْلَادِهِ، وَعَسَاكِرِهِ وَجُيُوشِهِ، وَسَوَانِيهِ وَعَمَائِرِهِ، هِيَ وَمَنْ فِيهَا مِنْ قُرْسَانٍ وَخِيَالَةٍ  
وَرَعَايَا . وَأَهْلُ بِلَادِهِ آمِنِينَ مَطْمَئِنِينَ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ، وَالْحَرِيمِ وَالْأَوْلَادِ،  
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالصُّدُورِ وَالْوُرُودِ .

وَعَلَى أَنَّ الْمَلِكَ دُونَ حَاكِمِ هُوَ وَأَخْوَاهُ وَصِهْرَاهُ أَصْدِقَاءُ مِنْ يُصَادِقُ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ  
وَأَوْلَادَهُ، وَأَعْدَاءُ مِنْ يُعَادِيهِمْ مِنْ سَائِرِ الْمُلُوكِ الْفَرَنْجِيَّةِ وَغَيْرِ الْمُلُوكِ الْفَرَنْجِيَّةِ . وَإِنْ  
قَصَدَ الْبَابَ بَرُومِيَّةَ، أَوْ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْفَرَنْجِ : مُتَوَجِّحًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُتَوَجِّحًا، كَبِيرًا كَانَ  
أَوْ صَغِيرًا، أَوْ مِنَ الْجَنُوبِيَّةِ، أَوْ مِنَ الشَّرْقِيَّةِ، أَوْ مِنَ السَّائِرِ الْأَجْنَاسِ عَلَى اخْتِلَافِ  
الْفَرَنْجِ وَالرُّومِ، وَالْيُيُوتِ : بَيْتِ الْإِخْوَةِ الدَّبُوبِيَّةِ، وَالْإِسْبَتَارِيَّةِ، وَالرُّومِ، وَسَائِرِ  
أَجْنَاسِ النُّصَارَى - مَضْرَبَةَ بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، بِمُحَارَبَةٍ أَوْ أُذِيَّةٍ، يَمْتَنِعُهُمُ الْمَلِكُ دُونَ  
حَاكِمِ هُوَ وَأَخْوَاهُ وَصِهْرَاهُ وَيُرُدُّوهُمْ، وَيَعْمُرُونَ سُوَانِيَهُمْ وَمَرَاكِبَهُمْ، وَيَقْصِدُونَ  
بِلَادَهُمْ، وَيَشْتَلُونَ مِنْهُمْ بِقُوْسِهِمْ عَنِ قَصْدِ بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَمَوَانِيهِ وَسَوَاحِلِهِ  
وَتَغْوِرِهِ الْمَذْكُورَةِ، وَغَيْرِ الْمَذْكُورَةِ، وَيَقَاتِلُونَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِسَوَانِيهِمْ وَعَمَائِرِهِمْ،  
وَقُرْسَانِيهِمْ وَخِيَالَتِهِمْ وَرَجَالَتِهِمْ .

وَعَلَى أَنَّهُ مَتَى نَزَحَ أَحَدٌ مِنْ مُعَاهِدِي الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مِنَ الْفَرَنْجِ عَنْ شُرُوطِ  
الْمُتَّذِنَةِ الْمُسْتَقْرَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَوَقَعَ مَا يُوجِبُ فُسْخَ الطُّدْنَةِ، لَا يُعِينُهُمُ الْمَلِكُ دُونَ  
حَاكِمِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَخْوَانِهِ وَلَا صِهْرِيهِ، وَلَا خِيَالَتِهِمْ، وَلَا قُرْسَانِيَهُمْ، وَلَا أَهْلِ  
بِلَادِهِمْ، بِجَبَلٍ وَلَا خِيَالَةٍ، وَلَا سِلَاحٍ وَلَا رَجَالَةٍ، وَلَا مَالٍ وَلَا تَجْدَةٍ، وَلَا مِيرَةٍ،  
وَلَا مَرَاكِبٍ وَلَا سُوَانٍ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ .

وعلى أنه متى طلب الباب برومية، وملوك القرنج، والرؤم، والتسار، وغيرهم من الملك دون حاكم أو من أخويه أو من صهرية أو من بلادهم، إنجاداً، أو معاونةً؛ بجالة، أو رجالة، أو مال، أو مراكب، أو شوان، أو سلاح - لا يوافقهم على شيء من ذلك، لا في سر ولا جهر؛ ولا يعين أحداً منهم ولا يوافقسه على ذلك، ومتى أطاعوا على أن أحداً منهم يقصد بلاد الملك الأشرف فحاربه أو لمصرته بشيء، يعرف الملك الأشرف بغيرهم، وباخية التي اتفقوا على قصدها في أقرب وقت، قبل حوطلهم من بلادهم - ولا يخفيه شيئاً من ذلك .

وعلى أنه متى تكسر مركب من المراكب الإسلامية في بلاد الملك دون حاكم، أو بلاد أخويه أو بلاد صهرية، [فعلهم] أن يخفروهم، ويحفظوا مراكبهم وأموالهم، ويساعدوهم على عمارة مراكبهم، ويجهزهم وأموالهم وبضائهم إلى بلاد الملك الأشرف . وكذلك إذا تكسرت مركب من بلاد دون حاكم - وبلاد أخويه وصهرية - ومعاهديه في بلاد الملك الأشرف، يكون لهم هذا الحكم المذكور أعلاه .

وعلى أنه متى مات أحد من تجار المسلمين ومن نصارى بلاد الملك الأشرف، أو ذمة أهل بلاده، في بلاد الملك دون حاكم وبلاد أخويه وصهرية وأولاده ومعاهديه، لا يعارضوهم في أموالهم ولا في بضائعهم - ويحمل ما لهم وموجودهم إلى بلاد الملك الأشرف : ليعمل فيه ما يختار . وكذلك من يموت في بلاد الملك الأشرف من أهل مملكة الملك دون حاكم وبلاد أخويه وصهرية ومعاهديهم - فلهم هذا الحكم المذكور أعلاه .

وعلى أنه متى عبر على بلاد الملك دون حاكم أو بلاد أخويه أو صهرية أو معاهديه رسل من بلاد الملك الأشرف قاصدين جهة من الجهات البحرية أو البعيدة،

صَادِرِينَ أَوْ وَارِدِينَ ، أَوْ رَمَاهُم الرِّيحُ فِي بِلَادِهِمْ ، تَكُونُ الرُّسُلُ وَعِلْمَانُهُمْ وَأَشْبَاعُهُمْ ،  
وَمَنْ يَصِلُ مَعَهُمْ مِنْ رُسُلِ الْمُلُوكِ أَوْ غَيْرِهِمْ - آمِنِينَ مَحْفُوظِينَ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ،  
وَيُجَهِّزُهُمْ إِلَى بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ .

وَعَلَى أَنْ الْمَلِكُ دُونَ حَاكِمِ وَأَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ مَتَى جَرَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ بِلَادِهِمْ قِضِيَّةٌ  
تُوجِبُ فَسْخَ الْمُهَادَنَةِ ، كَانَ عَلَى كُلِّ مَنْ الْمَلِكِ دُونَ حَاكِمِ وَأَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ طَلَبُ  
مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَفِعْلُ الْوَاجِبِ فِيهِ .

وَعَلَى أَنْ الْمَلِكُ دُونَ حَاكِمِ وَأَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ يَفْسَحُ كُلَّ مَنْهُمْ لِأَهْلِ بِلَادِهِ وَغَيْرِهِمْ  
مِنَ الْفَرِيحِ ، أَنَّهُمْ يَجْلِبُونَ إِلَى الثُّغُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ : الْحَدِيدَ وَالْبَيَاضَ وَالخَشَبَ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

وَعَلَى أَنَّهُ مَتَى أُسِرَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَرِّ أَوْ الْبَحْرِ ، مِنْ مَبْدَأِ تَارِيخِ هَذِهِ الْمُهَادَنَةِ  
مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ : شَرْقِيَّهَا وَغَرْبِيَّهَا ، أَقْصَاهَا وَأَدْنَاهَا ، وَوَصَلُوا بِهِ إِلَى بِلَادِ الْمَلِكِ دُونَ  
حَاكِمِ وَبِلَادِ أَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ لِيَبْعُوهُ بِهَا ، فَيَلْزَمُ الْمَلِكُ دُونَ حَاكِمِ وَأَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ  
فَكَ أَسِيرِهِ وَحَمَلَهُ إِلَى بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ .

وَعَلَى أَنَّهُ مَتَى كَانَ بَيْنَ تِجَّارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَيْنَ تِجَّارِ بِلَادِ الْمَلِكِ دُونَ حَاكِمِ وَأَخَوِيهِ  
وَصِهْرِيهِ مُعَامَلَةٌ فِي بَضَائِعِهِمْ ، وَهِيَ فِي بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، كَانَ أَمْرُهُمْ مَحْمُولًا عَلَى  
مُوجِبِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

وَعَلَى أَنَّهُ مَتَى رَكِبَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَرَاكِبِ بِلَادِ الْمَلِكِ دُونَ حَاكِمِ  
وَأَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ ، وَحَمَلَ بَضَاعَتَهُ مَعَهُمْ وَعُدِمَتِ الْبِضَاعَةُ ، كَانَ عَلَى الْمَلِكِ دُونَ حَاكِمِ  
وَأَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ رُدُّهَا إِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً ، أَوْ قِيمَتَهَا إِنْ كَانَتْ مَفْقُودَةً .

وَعَلَى أَنَّهُ مَتَى هَرَبَ أَحَدٌ مِنْ بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ الْبِدَاخِلَةِ فِي هَذِهِ الْمُهَادَنَةِ إِلَى  
بِلَادِ الْمَلِكِ دُونَ حَاكِمِ وَأَخَوِيهِ وَصِهْرِيهِ ، أَوْ تَوَجَّهَ بِبِضَاعَةٍ لغيرِهِ وَأَقَامَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ،

كان على الملك دون حاكم وعلى أخويه وصهره رُدّ الخراب أو المقيم ببضاعة غيره ،  
والمسأل معه إلى بلاد الملك الأشرف ما دام مُسْهِماً . وإن تَصَّصَ ، رُدّ المسأل الذي  
معه خاصة . وللملك الملك دون حاكم وأخويه وصهره فيمن يهرب من بلادهم  
إلى بلاد الملك الأشرف هذا الحكم المذكور أعلاه .

وعلى أنه إذا وصل من بلاد الملك دون حاكم وبلاد أخويه وصهره ومُعَاهِدِيهِ  
من الفَرَنْج من يقصدُ زيارة القُدس الشريف ، وعلى يده يَكْتُبُ الملك دون حاكم  
وختمه إلى نقيب الملك الأشرف بالقدس الشريف ، يُفَسِّحُ له في الزيارة مَسْمُوحاً  
بالْحَقِّ لِيُقْضَى زيارته ويعود إلى بلاده آمناً مُطْمَئِناً في نفسه وماله ، رجلاً كان  
أو امرأة ، بحيثُ إن الملك دون حاكم لا يَكْتُبُ لأحدٍ من أعدائه ولا من أعداء  
الملك الأشرف في أمر الزيارة بشيء .

وعلى أن الملك دون حاكم يحرس جميع بلاد الملك الأشرف هو وأخواه وصهره  
من كل مَضَرَّة ، ويحتهد كل منهم في أن أحداً من أعداء الملك الأشرف لا يصل  
إلى بلاد الملك الأشرف ، ولا يُجِدُهم على مَضَرَّة بلاد الملك الأشرف ولا رعاياه ،  
وأنه يساعده الملك الأشرف في البر والبحر بكل ما يشتهي ويختاره .

وعلى أن الحقوق الواجبة على من يَصْدُرُ وَيَرِدُ وَيَرْتَدُّ من بلاد الملك دون حاكم  
وأخويه وصهره ، إلى تغرى الإسكندرية ودمياط ، والثغور الإسلامية ، والممالك  
السُلْطانية ، بسائر أصناف البضائع والمتاجر على اختلافها ، تستمر على حكم الضرائب  
المستقرّة في الديوان المعمور إلى آخر وقت ، ولا يُحَدِّثُ عليهم فيها حَدِيثٌ . وكذلك  
يجرى الحكم على من يرتدُّ من البلاد السلطانية إلى بلاد الملك دون حاكم وأخويه  
وصهره .

تَسَمَّرُ هَذِهِ الْمُوَدَّةُ وَالْمُصَادَقَةُ عَلَى حُكْمِ هَذِهِ الشَّرْطِ الْمَشْرُوعَةِ أَعْلَاهُ مِنْ  
الْجِهَاتِ عَلَى الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَتَجْرِي أَحْكَامُهَا وَقَوَاعِدُهَا عَلَى أَجْمَلِ الْإِسْتِقْرَارِ،  
فَإِنَّ الْمَالِكَ بِهَا قَدْ صَارَتْ تَمَلِكَةً وَاحِدَةً وَشَيْئًا وَاحِدًا، لَا تَنْقُضُ بَمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ  
الْجَانِبَيْنِ، وَلَا بَعْزِ الْوَالِ وَتَوَلِيَةِ غَيْرِهِ، بَلْ تُؤَيِّدُ أَحْكَامُهَا، وَتَدُومُ أَيَّامُهَا، وَشُهُورُهَا  
وَأَعْوَامُهَا. وَعَلَى ذَلِكَ أَنْتَضَمَتْ وَاسْتَقَرَّتْ فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ أَعْلَاهُ، وَهِيَ كَذَا  
وَكَذَا، وَاللَّهُ الْمَوْقُوفُ بِكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قُلْتُ: وَهَذِهِ النُّسخُ الْخَمْسُ الْمُتَقَدِّمَةُ الذِّكْرِ نَقَلْتُهَا مِنْ تَذَكُّرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكْرَمِ،  
أَحَدِ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ بِالْدَوْلَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ «فَلَاوُونَ» الْمُسَمَّاةِ: «تَذَكُّرَةُ اللَّيْبِيبِ»، وَزُهْرَةَ  
الْأَدِيبِ» مِنْ نُسخَةٍ بِحِطَّةٍ، ذَكَرَ فِيهَا أَنَّ النُّسخَةَ الْأُولَى مِنْهَا كَتَبَهَا بِحِطَّةٍ عَلَى مَدِينَةِ  
صَقَد. وَليْسَ مِنْهَا مَا هُوَ حَسَنُ التَّرْتِيبِ، رَائِقُ الْأَلْفَاظِ، بَهِجُ الْمَعَانِي، بَلِغُ الْمَقَاصِدِ،  
غَيْرِ النُّسخَةِ الْأَخِيرَةِ الْمَعْقُودَةِ بَيْنَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ دُونَ حَاكِمِهِ. أَمَا سَائِرُ  
النُّسخِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهَا مُبْتَدَلَةٌ الْأَلْفَاظِ، غَيْرُ رَائِقَةٍ التَّرْتِيبِ، لَا يَصْدُرُ مِثْلُهَا مِنْ كَاتِبٍ  
عِنْدَهُ أُذُنٌ مُسَارِسَةٌ لِصِنَاعَةِ الْكَلَامِ. وَالْعَجَبُ مِنْ صُدُورِ ذَلِكَ فِي زَمَنِ «الظَّاهِرِ  
يَبْرَسِ» وَ«الْمَنْصُورِ فَلَاوُونَ» وَهُمَا مِنْهُمَا مِنْ عِظَمَاءِ الْمُلُوكِ!! وَكِتَابَةُ الْإِنْشَاءِ يَوْمَئِذٍ  
بِإِسْدِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ الَّذِينَ هُمْ يَبْتُ الْفَصَاحَةِ وَرِعُوسُ أَرْبَابِ الْبَلَاغَةِ!!! وَكَلَّ  
ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ، لِأَنَّ الْفَرَنْجِ كَانُوا مُجَاوِرِينَ لِلسُّلَمِيِّينَ يَوْمَئِذٍ بِلَادِ الشَّامِ، فَيَقَعُ الْأَتْفَاقُ  
وَالْتِرَاضِي بَيْنَ الْجِهَتَيْنِ عَلَى فَضِيلِ فَضِيلٍ، فَيَكْتُبُهُ كَاتِبٌ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَتِي  
الْمَسَامِينِ وَالْفَرَنْجِ بِالْفَاقِطِ مُبْتَدَلَةٍ غَيْرِ رَائِقَةٍ، طَلَبًا لِلسَّرْعَةِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِمُ الْحَالُ  
فِي الْأَتْفَاقِ وَالتِّرَاضِي، إِلَى أَنْ تُفْصَلَ الْهُدُنَةُ، فَيَكْتُبَهَا كَاتِبُ الْمَلِكِ الْمُسْلِمِ عَلَى صُورَةٍ  
مَا جَرَى فِي الْمُسَوَّدَةِ، لِيُطَاقَ مَا كَتَبَ بِهِ كَاتِبُ الْفَرَنْجِ. إِذَا وَعَدَلَتْ فِيهَا كَاتِبُ

السلطان إلى الترتيب ، وتحسين الألفاظ و بلاغة التركيب ، لا تختل الحال فيها عما وافق عليه كاتبُ الفرنج أولاً ، فيكونه حينئذٍ ، ويرون أنه غير ما وقع عليه الاتفاق ، لقصورهم في اللغة العربية ، فيحتاج الكاتب إلى إبقاء الحال على ما توافق عليه الكتابان في المسودة ، وبالجملة فإنما ذكرتُ النسخ المذكورة - على تخافة لفظها ، وعدم استحسان ترتيبها - لاستشغالها على الفصول التي جرى فيها الاتفاق فيما تقدم من الزمان ، ليستمد منها الكاتب ما لعله لا يحضربئاليه من مقاصد المهادنان ، أغنانا الله تعالى عن الحاجة إليها .

وأعلم أنه قد جرت العادة ، أنه إذا كتبت الهدنة . كتب قريبها عمن يحلف بها السلطان أو نائبه القائم بعقد الهدنة ، على اتوية بقصوها وشروطها ، وعين يحلف عليها القائم عن الملك الكافر بعقد الهدنة ، ممن أذن له في عقدتها عنه ، بكتاب يصدر عنه بذلك ، أو تجهز نسختها إلى الملك الكافر ليحلف عليها . ويكتب خطه بذلك ، وتعاد إلى الأيواب السلطانية .

### المذهب الثالث

( أن تفتتح المهادنة بخطبة مبتدأة بـ « الحمد لله » )

وعلى هذا بنى صاحب "مواد البيان" أمره في كتابة الهدنة ، حيث قال : والرسم فيها أن تفتتح بحمد الله تعالى على الهداية إلى دين الإسلام الذي أذل كل دين وأعززه . وحذل كل شرع ونصره ، وأخفى كل مذهب وأظهره ، والتوغل في توحيدِه . وتقديسه وتمجيدِه ، وإثناء عليه . لأنه ، والصلاة على خير أنبيائه ، محمد صلى الله عليه وسلم .

قلتُ : ولم يأتِ بصورة هُدنية مُتظمة على هذا الترتيب ، بل أشار إلى كَيْفِيَّةِ عملها . ثم قال : والْبَلِيغُ يَكْتَفِي بِقَرِيحَتِهِ فِي تَرْتِيبِ هَذِهِ الْمَعَانِي إِذَا دُفِعَ إِلَى الْإِنشَاءِ فِيهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ولم أَقِفْ لغيره على صُورَةِ هُدْنِيَّةٍ مُفْتَحَةٍ بِالتَّحْمِيدِ ، وَلَا يَخْفَى أَنْ الْإِبْتِدَاءَ بِهِ فِي كُلِّ مُهِمٍّ مِنَ الْعُهُودِ وَجَلَائِلِ الْوَلَايَاتِ وَتَمَّوْ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْمُولُ عَلَيْهِ فِي زَمَانِنَا .

### الطرف الثاني

(فَمَا يُشَارِكُ فِيهِ مُلُوكُ الْكُفْرِ مُلُوكَ الْإِسْلَامِ فِي كِتَابَةِ نُسخٍ مِنْ دِوَانِهِمْ)

إِعلم أَنَّ الْغَالِبَ فِي الْهُدْنِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ مُلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَبَيْنَ مُلُوكِ الْكُفْرِ أَنَّ تُكْتَبَ نَسْخَةٌ تَحْتَدُّ بِدِيْوَانِ الْإِنشَاءِ بِالذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَنُسْخَةٌ تُجَهَّزُ إِلَى الْمَلِكِ الْمُهَادِنِ . وَرُبَّمَا كَتَبَتْ نَسْخَةٌ مِنْ دِيْوَانِهِ مُفْتَحَةً بِبَيْنِ .

وهذه نَسْخَةٌ هُدْنِيَّةٌ وَرَدَّتْ مِنْ جِهَةِ الْأَشْكَرَى ، صَاحِبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِمْتَانَةَ ، مَوْرُخَةٌ بِتَارِيخِ مَوَافِقِي لِأَوَاحِرِ الْمَحْرُومِ مِنْ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فَعَرَّبْتُ فَكَانَتْ نُسخَتُهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو مُكْرَمٍ فِي «تَذْكِرَتِهِ» :

إِذْ قَدْ أَرَادَ السُّلْطَانُ الْعَظِيمُ ، النَّسِيبُ ، الْعَالِي ، الْعَزِيزُ ، الْكَبِيرُ الْجَنَسُ ، الْمَلِكُ ، الْمَنْصُورُ ، سَيْفُ الدِّينِ «فَلَاوُونَ» صَاحِبُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَدِمَشْقَ وَحَلَبَ ، أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَمَلُّكِي حَبَّةً - فَمَلَّكْتِي مُؤَثِّرُ ذَلِكَ ، وَتَخْتَارُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عِزِّ سُلْطَانِهِ حَبَّةً . وَهَذَا وَجِبَ أَنْ يَتَوَسَّطَ هَذَا الْأَمْرَ بَيْنِي وَأَنْتَاقُ : لِتُدَوِّمَ الْحَبَّةَ الَّتِي بِهِذِهِ الصُّورَةَ فِيهَا بَيْنَ تَمَلُّكِي وَعِزِّ سُلْطَانِهِ نَائِبَةً بِلَا تَشْوِيشٍ . فَمَلَّكْتِي هَذَا الْيَوْمَ ، وَهُوَ يَوْمُ الْخَمِيسِ الثَّامِنُ مِنْ شَهْرِ إِيَّارٍ مِنَ التَّارِيخِ [الرَّوْحِيُّ] التَّالِيَةِ لِسَنَةِ سِتَّةِ آلَافِ



وسبعائة وتسع وثمانين لآدم - تخاف بانجيل الله المقدسة، والصليب المتكرم المحي،  
 أن ملكتي تكون حافظة للسلطان العظيم، النسيب، العالى، العزيز، الكبير الخنيس،  
 سيف الدين «قلاوون» صاحب الديار المصرية ودمشق وحلب، ولولده ولوارث  
 ملك عز سلطانه: محبة مستقيمة، وصدقة كاملة قيمة، ولا يحرك ملكي أبدا على  
 عز سلطانه حربا، ولا على بلاده ولا على فلاحها، ولا على عساكره، ولا يحرك  
 ملكي أبدا على حرب، بحيث إن هذا السلطان العظيم، النسيب، العالى، العزيز،  
 الكبير الخنيس، الملك المنصور سيف الدين «قلاوون» صاحب الديار المصرية  
 ودمشق وحلب، يحفظ مثل ذلك ذم ملكتي ولولده ملكتي الحبيب الكينوس،  
 الانجالوس، الدوقس، البالاولوغس، الملك ايرليك، ولا يحرك عز سلطانه على  
 ملكتنا حربا قط، ولا على بلاده، ولا على قلاعنا، ولا على عساكرنا، ولا يحرك  
 أحدا آخر أيضا على حرب مملكتنا. وأن تكون الرسل المترددون عن عز سلطانه أيضا  
 مطلقا [آمنين، لهم] أن يعبروا في بلاد ملكتي بلا مانع ولا عائق، ويتوجهوا إلى حيث  
 يسيرون من عز سلطانه، وكذلك يعودون إلى عز سلطانه، وأن لا يحصل للتجار  
 الواردين من بلاد عز سلطانه [ضرر] من بلاد ملكتي، لا يجذرون من أحد جورا  
 ولا ظمنا، بل يكون لهم مباحا أن يعملوا متاجرهم، ونظير هذا - التجار الواردون إلى بلاد  
 عز سلطانه من أهل بلاد ملكي، يقومون بالحق الواجب على بضائهم، وليقم كذلك  
 التجار الواردون من بلاد عز سلطانه إلى بلاد ملكي بالحق الواجب على بضائعهم.  
 وإن حضر من بلاد سوداق تجار وأرادوا السفر إلى بلاد عز سلطانه، فلا ينال  
 هؤلاء تعويق في بلاد ملكي، بل في عبورهم وعودهم يكونون بلا مانع ولا عائق بعد  
 القيام بالحق الواجب. وهؤلاء التجار الذين من بلاد عز سلطانه والذين من أهل  
 سوداق إن حضر صحبتهم ممالك وتجار، فليعودوا بهم إلى بلاد عز سلطانه بلا عائق

ولا مانع، ما خلا إن كانوا نصارى، لأنَّ شرعنا وترتيب مذهبنا لا يسمح لنا في أمر  
النصارى بهذا .

وأما إن كان في بلاد عِرِّ سلطانه ممالك نصارى : رُوم وغيرهم من أجناس  
النصارى، متمسكون بدين النصارى، ويحصل لقوم منهم العتق، فليكن للذين معهم  
عتائق مباح ومطلق من عِرِّ سلطانه، أن يفدوا في البحر إلى بلاد مملكتي . وكذلك  
إن أراد أحد من أهل بلاد عِرِّ سلطانه أن يبيع مملوكاً نصرانياً هذه صورته لأحد  
من رُسل مملكتي، أو لتجار وأناس بلاد مملكتي، أن لا يحد في هذا تعويفاً، بل  
يستروا المذكور ويفدوا به في البحر إلى بلاد مملكتي بلا عائق . وأيضاً إن أراد  
هذا السلطان العظيم التسيب، أن يرسل إلى بلاد ملكي بضائع متجراً، وأرادت  
مملكتي أن ترسل إلى بلاد عِرِّ سلطانه بضائع متجراً، فليكن هكذا : وهو إن أراد  
عِرِّ سلطانه أن تكون بضائع متاجره في بلاد ملكي مُنْجاة من القيام بكلِّ الحقوق،  
فلتكن أيضاً بضائع متاجر مملكتي في بلاد عِرِّ سلطانه مُنْجاة مثل ذلك من كلِّ  
الحقوق، وإن أراد أن تقوم متاجر ملكي في بلاده بالحقوق الواجبة [يقوم] بمثل  
ذلك . وأيضاً أن يطلق عِرِّ سلطانه لملكنا أن يرسل أناساً من بلاد مملكتي إلى بلاد  
عِرِّ سلطانه، فيشترون لى خيلاً جيداً ويحملونها إلى بلاد ملكي . وكذلك إن أراد  
عِرِّ سلطانه شيئاً من خيرات بلاد ملكي، فمملكتي أيضاً تطلق لِعِرِّ سلطانه أن يرسل  
أناسه ليشتروه ويحملوه إلى عِرِّ سلطانه .

ولما كان في البحر كرساليه من بلاد عَرَبِيَّة، وقد يتفق في بعض الأوقات أن  
يعملوا خسارة في بلاد ملكي، وكذلك يمدون هؤلاء الكرسالية قوماً من بلاد عِرِّ  
سلطانه فيعملون لهم خسارة، ثم إن هؤلاء الكرسالية يفعلون هذا في الآفاق في شعوم  
بلاد ملكي . لأجل هذا صار : إذا حضر قوم من بلاد مملكتي إلى بلاد عِرِّ

سُلْطَانِهِ بِتَجَرِّ مُسْكُونٍ مِنْ أَهْلِ بِلَادِ عِزِّ سُلْطَانِهِ وَيَقْرَمُونَ . وَلِهَذَا قَلِبَصْرُ مَرْسُومٍ  
 مِنْ عِزِّ سُلْطَانِهِ فِي كُلِّ بِلَادِهِ أَنْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بِلَادِ مَمْلَكَتِي لَا يَقْتَرِمُ بِهَذَا السَّبَبِ  
 وَلَا يَمْسُكُ ، وَإِنْ عَرَضَ أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بِلَادِ عِزِّ سُلْطَانِهِ : إِنَّهُ غَرَّمَ أَوْ ظَلِمَ  
 مِنْ أَهْلِ بِلَادِ مُلْكِي فَلْيَعْرِفْ مُلْكِي بِذَلِكَ . وَإِذَا كَانَ الَّذِي وَضَعَ الْغَرَامَةَ مِنْ أَهْلِ  
 بِلَادِ مُلْكِي ، فَمُلْكِي بِأَمْرٍ ، وَتَعَادَتْ تِلْكَ الْخِسَارَةُ إِلَى بِلَادِ عِزِّ سُلْطَانِهِ . وَكَذَلِكَ إِنْ  
 قَالَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بِلَادِ مَمْلَكَتِي : إِنَّهُ ظَلِمَ أَوْ غَرَّمَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بِلَادِ عِزِّ سُلْطَانِهِ ،  
 بِأَمْرِ عِزِّ سُلْطَانِهِ ، وَتَعَادَتْ الْغَرَامَةُ إِلَى بِلَادِ مُلْكِي . وَأَيْضًا إِذَا قَدْ أَرْمَعَتِ الْحَبَّةُ أَنْ  
 تُصِيرَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ ، وَتَكُونَ الصَّدَاقَةُ بَيْنَ مَمْلَكَتِي وَعِزِّ سُلْطَانِهِ خَالِصَةً ، حَتَّى إِذَا  
 أُرْسِلَ يَقُولُ مُلْكِي عَلَى مَعُونَةٍ وَتَجِدَةَ مُلْكِي فِي الْبَحْرِ لِمَضْرَةِ الْعَدُوِّ الْمَشْرُوكِ ، فَمَمْلَكَتِي  
 تَتَوَضَّعُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى اخْتِيَارِ عِزِّ سُلْطَانِهِ ، أَنْ يَرْتَبِ فِي نَسْخَةِ الْيَمِينِ مَعَ بَقِيَّةِ  
 الْفُصُولِ الْمَعِينَةِ فِيهِ ، وَتَأْتِي الصُّورَةُ كَيْفَ تَعَيَّنَ وَتَتَجَدُّ مَمْلَكَتِي فِي الْبَحْرِ . وَإِنْ كَانَ  
 لَا يُرِيدُ تَجِدَةَ وَمَعُونَةَ مَمْلَكَتِي ، فَمَمْلَكَتِي تَسْمَعُ بِهَذَا الْفَصْلِ أَنْ لَا يَضَعَهُ عِزُّ سُلْطَانِهِ  
 فِي نَسْخَةِ يَمِينِهِ ، وَهَذِهِ الْيَمِينُ مَا يَحْفَظُ مُلْكِي لِعِزِّ سُلْطَانِهِ ثَابِتَةً غَيْرَ مَرْتَعِرَةٍ إِنْ كَانَ  
 هَذَا السُّلْطَانُ الْعَظِيمُ يَخْلُفُ لِي يَمِينًا بِمِثْلِهَا ، وَأَنَّهُ يَحْفَظُ الْحَبَّةَ لِمَمْلَكَتِنَا ، ثَابِتَةً غَيْرَ  
 مَرْتَعِرَةٍ ، وَالسَّلَامُ .



وهذه نسخة اتفاق، كتبت من الأبواب السلطانية عن الملك المنصور «قلاوون»  
 عن نظير الهدنة المتقدمة، الواردة من قبيل صاحب القسطنطينية، مفتحة يمين  
 موافقة لها، وهي :

أقول وأنا فلان : إنه لما رغب حضرة الملك الجليل، كرميخائيل، البوقس،  
 الأتجالوس، الكينيوس، البالاولوغس، ضابط مملكة الروم والقسطنطينية العظمى،

أكبر ملوك المسيحية ، أبقاه الله - أن يكون بين مملكته وبين عِزِّ سُلْطَانِي ، محبةً وصدَاقَةً ومودةً لا تتغير بتغير الأيام ، ولا تزول بزوال السنين والأعوام ؛ وأكد ذلك بيمينٍ حَلَفَ عليها ، تاريخها يوم الخميس تامن شهر إيار سنة ستة آلاف وسبعمائة وتسع وثمانين لآدم ، صلوات الله عليه ، بحضور رسولِ عِزِّ سُلْطَانِي ، الأمير ناصر الدين ابن الجزري ، والبطرك الحليل انبا سيوس بطرك الاسكندرية ، وحضر رسوله فلان وفلان إلى عِزِّ سُلْطَانِي بِسْمَةِ اليمين ، مُتَمَسِّينَ أن يتوسَّطَ هذا الأمرَ أيضًا بيمينٍ واتفقَ من عِزِّ سُلْطَانِي ، لتدوم المحبةُ فيما بين مملكته وعِزِّ سُلْطَانِي ، وتكونَ ناسئةً مستمرةً على الدوام والاستمرار .

فِعزُّ سُلْطَانِي من هذا اليوم ، وهو يوم الاثنين مستهل رمضان العظيم ، سنة ثمانين وسبعمائة للهجرة النبوية المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ؛ يحلفُ بالله العظيم ، الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والسر والعلانية وما تخفى الصدور ، وبالقرآن العظيم ، وبمن أنزله ، وبمن أنزل عليه ، وهو النبي الكريم ، محمد صلى الله عليه وسلم - على استمرار الصداقة ، واستقرار المودة النقية ، للملك الحليل كرميخايل ، ضابط مملكة الروم والقسطنطينية العظمى ، ولولده مملكته الحبيب الكينيوس الانجالوس ، الدوقس ، البالاولوغس ، الملك إيريندروبنغوس ، ولوارثي مملكة ملكه . ولا يحرك عِزُّ سُلْطَانِي أبدًا على مملكته حربًا ، ولا على بلاده ، ولا على قلاعه ، ولا على عساكره : في بر ولا بحر . ولا يحرك عِزُّ سُلْطَانِي أحدًا آخر على حربه ، بحيث إن الملك الحليل كرميخايل يحفظ مثل ذلك لعِزِّ سُلْطَانِي ، ولملكه ، ولبلاده ، ولإقلاعه ، ولعساكره ، ولولدي السلطان الملك الصالح علاء الدين «علي» ولوارثي ملكه من أولاده ؛ ويستمر على هذه الصداقة والمودة النقية ، ولا يحرك ملكه على عِزِّ سُلْطَانِي حربًا قط ، ولا على

بلادى ، ولا على قلاعى ، ولا على عساكرى ، ولا على مملكى ، ولا يجرؤ أحدًا  
أنخر على حرب مملكة عز سلطانى فى البر ولا فى البحر ، ولا يساعده أحدًا من أصداد  
عز سلطانى ، ولا أعدائى من سائر الأديان والأجناس ، ولا يوافقه على ذلك ،  
ولا يفسح لهم فى العبور إلى مملكة عز سلطانى لمضرة شىء فيها بجهده وطاقته .

وأن الرسل المسيرين من مملكة عز سلطانى إلى بر بركة وأولاده وإلادهم  
وتلك الجهات ، وبحر سوداق وبره ، يكونون آمينين مطمئينين مطلقًا : لهم أن يعبروا  
فى بلاد مملكة الملك الجليل ، كميخائيل من أولها إلى آخرها ، بلا مانع ولا عائق ؛  
أرسلوا فى بر أو بحر ، على ما تقتضيه مصلحة ذلك الوقت لمملكة عز سلطانى ، آمينين  
مطمئينين ، غير ممنوعين ببيع من يصل معهم من رسل تلك الجهات وغيرها ، وكل  
من معهم من محاليل وجوار وغير ذلك . وأن لا يحصل للتجار الواردين من مملكة  
الملك الجليل كميخائيل إلى بلاد عز سلطانى جور ولا ظلم ، ويترددون آمينين  
مطمئينين يعملون متاجرهم ، وهم زعامة فى الصدور والورود ، والمقام والسقى ؛  
بحيث يكون لتجار مملكة عز سلطانى فى بلاد مملكة الملك الجليل كميخائيل مثل  
ذلك ، ويكونون مرعيين . لا يجردون من أحد فى بلاد مملكة الملك الجليل كميخائيل  
جورًا ولا ظلمًا . ومن عليه حق واجب فى الجهتين على ما استقر عليه الحال ، يقوم به  
من غير حيف ولا ظلم .

وأن من حضر من التجار : من سوداق وغيرها بمحاليل وجوار محكمهم  
مملكة الملك الجليل كميخائيل من الحضور بهم إلى مملكة عز سلطانى ولا تمنعهم .  
وأن الكرسالية متى تعرضوا إلى أخذ أحد من التجار المسلمين فى البحر ، ونسبت  
الكرسالية إلى رعية مملكة الملك الجليل كميخائيل ، يسير عز سلطانى إليه فى طلبهم ،

ولا يتعرض أحدٌ من نواب مملكة عِزَّ سلطاني إلى هذا الجنس بسبيهم ، إلا أن يتحقق أنهم آخذون ، أو تظهر عين المال معهم ، على ما تضمنته نسخة يمين الملك الجليل كرميخائيل ، ومملكة الملك الجليل كرميخائيل من بلاد عِزَّ سلطاني مثل ذلك .

وعلى أن الرسل المتزددين من الجهتين : من مملكة عِزَّ سلطاني ، ومن مملكة الملك الجليل كرميخائيل ، يكونون آمينين مطمئنين في سفرهم ومقامهم : براً وبحراً ، وتكون رعية بلاد عِزَّ سلطاني ، ورعية بلاد الملك الجليل كرميخائيل ، في الجهتين من المسلمين وغيرهم آمينين مطمئنين ، صادقين وارين ، محترمين مرعيين . وهذه اليمين لا تزال محفوظة ملحوظة ، مستمرة مستقرة ، على الدوام والاستمرار .

قلت : وهذه النسخة والنسخة الواردة من صاحب القسطنطينية المتقدمة عليها ، وإن عبر عنها في خلالها بلفظ اليمين ، فإنهما بعقد الصلح أشبه ، واليمين جزء من أجزاء ذلك ، ولذلك أوردتها في عقود الصلح دون الأيمان .

## الباب الخامس من المقالة التاسعة

(في عقود الصلح الواقعة بين ملكين مسلمين ، وفيه فصلان )

### الفصل الأول

في أصولٍ تُعتمدُ في ذلك

اعلم أنَّ الأصل في ذلك ما ذكره أصحاب السير وأهل التاريخ ، أنه لما وقع الحرب بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، في صيفين . في سنة سبع وثلاثين من الهجرة - توافقاً على أن يُقيمَا حَكَمَيْنِ بينهما ، ويعملا بما يتفقان عليه . فأقام أمير المؤمنين عليُّ أبا موسى الأشعري حَكَمًا عنه ، وأقام معاوية عمرو بن العاص حَكَمًا عنه . فاتفق الحَكَمَانِ على أن يُكتبَ بينهما كتابٌ بعقد الصلح . واجتمعا عند علي رضي الله عنه ، وكتب كتاب القضيَّة بينهما بحضوره ، فكتب فيه بعد البسملة :

هذا ما تقاضى أمير المؤمنين علي . فقال عمرو : هو أميركم ، أما أميرنا فلا . فقال [الأحنف : لا تمنح أسم أمير المؤمنين فإني أخاف إن محوتها أن لا ترجع إليك أبدا . لا تمنحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً ، فأبى ذلك علي ملياً من النهار . ثم إن الأشعث<sup>(١)</sup> ابن قيس قال : أحم أسم أمير المؤمنين ، فأجاب علي ومجاهد . ثم قال علي : الله أكبر ! سنة بسنة . والله إني لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخديبية ، فكتبت : محمد رسول الله ، فقالوا : لست برسول الله ، ولكن آكتب أشمتك وأمم أييسك .

(١) يياض في الأصل والصحيح من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٨ .

فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَحْوِهِ ، فَقُلْتُ : لَا أُسْتَطِيعُ أَفْعَلُ ! فَقَالَ  
إِذْنُ أَرْنِيهِ فَأَرَيْتُهُ فَمَجَاهَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : « إِنَّكَ سَتُدْعَى إِلَى مِثْلِهَا فَتُجِيبُ » .



وهذه نسخة كتاب القضية بين أمير المؤمنين علي وبين معاوية ، فيما رواه  
أبو عبد الله الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري ، في « كتاب صفين والحككين »  
بسنده إلى محمد بن علي الشعبي ، وهو :

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما ،  
فيا تراضيا من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قضية علي بن علي  
أهل العراق ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب ، وقضية معاوية على أهل  
الشام ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب ، انا رضىنا أن ننزله عند حكم  
كتاب الله بيننا حكما فيما اختلفنا فيه من فاتمته إلى خاتمته ، نحي ما أحبا ، وثمست  
ما أمات . على ذلك تقاضينا ، وبه تراضينا . وإن علينا وشيعته رضوا أن يبعثوا  
عبد الله بن قيس ناظرا ومحاكما ، ورضى معاوية وشيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص  
ناظرا ومحاكما ، على أنهم أخذوا طليهما عهد الله وميثاقه ، وأعظم ما أخذ الله على  
أحد من خلقه ، ليتخذان الكتاب إماما فيما بيننا له ، لا يعدوانه إلى غيره في الحكم  
بما وجدنا فيه مسطورا ، وما لم يجدها مسمى في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله  
الجامعة ، لا يتعمدان لها خلافا ، ولا يتيمان في ذلك لها هوى ، ولا يدخلان  
في شبهة .

وأخذ عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه  
بالرضا بما حكاه من كتاب الله وسنة نبيه ، ليس لها أن ينقض ذلك تحالفا إلى



غَيْرِهِ ، وَأَنْهَمَا آمِنَانِ فِي حُكُومَتَيْهِمَا عَلَى دِيَارَيْهِمَا وَأَمْوَالِهَا وَأَهْلِيهِمَا ، مَا لَمْ يَعُدُّوا الْحَقَّ ،  
رَضِيَ بِذَلِكَ رَاضٍ أَوْ أَنْكَرَ مُنْكَرٌ . وَأَنَّ الْأُمَّةَ أَنْصَارُهَا عَلَى مَا قَضَى بِهِ مِنَ الْعَدْلِ .

فَإِنْ تَوَقَّ أَحَدُ الْحَاكِمِينَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحُكُومَةِ ، فَمِيرُ شِعْبَتِهِ وَأَصْحَابُهُ يَخْتَارُونَ  
رَجُلًا ، لَا يَأْتُونَ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْإِفْسَاطِ ، عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ مِنَ الْعَهْدِ  
وَالْمِيثَاقِ وَالْحُكْمِ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَلَهُ مِثْلُ شَرْطِ صَاحِبِهِ .

وَإِنْ مَاتَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمِيرِينَ قَبْلَ انْقِضَاءِ ، فَلِشِعْبَتِهِ أَنْ يُوَلِّوْا مَكَانَهُ رَجُلًا  
يَرْضَوْنَ عَدْلَهُ .

وَقَدْ وَقَعَتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنَنَا وَالْأَمْنُ وَالنَّفَاوِضَ ، وَوُضِعَ السَّلَاحُ . وَعَلَى الْحَاكِمِينَ  
عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ : أَنْ يَحْكُمُوا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، لَا يَدْخُلَانِ فِي شَيْءٍ وَلَا يَأْتُونَ  
أَجْزَاءً ، وَلَا يَتَعَمَّدَانِ جَوْرًا ، وَلَا يَنْبَغَانِ هَوًى ، وَلَا يَعُدُّوْنَ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى  
وَسُنَّةِ رَسُولِهِ . فَإِنْ لَمْ يَفْعَلَا بَرَّتِ الْأُمَّةُ مِنْ حُكْمِهِمَا ، وَلَا عَهْدُهَا وَلَا ذِمَّةٌ .

وَقَدْ وَجِبَتِ الْقَضِيَّةُ عَلَى مَا سَمَّيْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ مَوْقِعِ الشَّرْطِ عَلَى الْأَمِيرِينَ  
وَالْحَاكِمِينَ وَالْفَرِيقِينَ : وَاللَّهُ أَقْرَبُ شَهِيدًا وَأَدْنَى حَفِيفًا ، وَالنَّاسُ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ  
وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِلَى انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْأَجَلِ ، وَالسَّلَاحُ مَوْضُوعٌ ، وَالسَّبِيلُ مَحْلَى ،  
وَالشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ سَوَاءٌ فِي الْأَمْرِ . وَلِلْحَاكِمِينَ أَنْ يَنْزِلَا مَنزِلًا عَدْلًا بَيْنَ  
أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ ، وَلَا يَحْضُرُهُمَا فِيهِ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ عَنْ مَلَأَ مِنْهُمَا وَتَرَاضَ ،  
وَأَجَلَ الْقَاضِيَيْنِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى رَمَضَانَ : فَإِنْ رَأَى الْحَاكِمَانِ تَعَجُّيلَ الْحُكُومَةِ فِيمَا  
وُجِّهَ لَهُ ، عَجَّلَا . وَإِنْ أَرَادَا تَأْخِيرَهُ بَعْدَ رَمَضَانَ إِلَى انْقِضَاءِ الْمَوْسِمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ  
إِلَيْهِمَا . فَإِنْ هُمَا لَمْ يَحْكُمَا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ إِلَى انْقِضَاءِ الْمَوْسِمِ ، فَلِمُسْلِمُونَ عَلَى

(١) أَي شَاوِرٍ وَاجْتِمَاعٍ .

أمرهم الأول في الحرب، ولا شرط بين واحد من الفريقين . وعلى الأمة عهد الله وميثاقه على التمام على ما في هذا الكتاب . وهم يدّ على من أراد في هذا الكتاب الحاداً أو ظمناً ، أو أراد له نقضاً .

شهد على ما في هذا الكتاب من أصحاب عليّ : الأشعث بن قيس ، وعبد الله بن عباس ، والأشتر بن الحرث ، وسعيد بن قيس الهمداني ، والحسين والطهليل أبنا الحرث بن المطلب ، وأبو أسيد بن ربيعة الأنصاري ، وخباب بن الأرت ، وسهل بن حنيف الأنصاري ، وأبو اليمير بن عمرو الأنصاري ، ورفاعة بن رافع ابن مالك الأنصاري ، وعوف بن الحرث بن المطلب القرشي ، وبريدة الأسلمي ، وعقبة بن عامر الجهني ، ورافع بن خديج الأنصاري ، وعمرو بن الحقي الخزاعي ، والحسن والحسين ابنا عليّ ، وعبد الله بن جعفر الهاشمي ، واليهمر بن عجلان الأنصاري ، ومجر بن عدي الكندي ، وورقاء بن سميّ البجلي ، وعبد الله بن الطهليل الأنصاري ، ويزيد بن حجة الكروي<sup>(١)</sup> ، ومالك بن كعب الهمداني ، وربيعة بن شرحبيل ، وأبو صفرة ، والحارث بن مالك ، ومجر بن يزيد ، وعقبة بن حجة .

ومن أصحاب معاوية : حبيب بن مسامة الفهمي ، و[أبو] الأعور السلمي ، وبسر ابن أرطاة القرشي ، ومعاوية بن حديج الكندي ، والمخارق بن الحرث الحميري ، وزميل بن عمرو السكسكي ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، وحمرة بن مالك الهمداني ، وسبع بن زيد الحميري ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلقمة بن مرثد

(١) في الكامل لابن الأثير "ابن حجة التميمي" .

(٢) في خلاصة أسماء الرجال : الفهمي .

(٣) في الكامل : "سبع بن يزيد الأنصاري" .

الكلبي، وخالد بن الحسين السككي، وعلقمة بن يزيد الحضرمي، ويزيد بن الحر  
العبيسي، ومسروق بن حملة العكي، ومخير بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر  
القرشي، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة القرشي، وعقبة بن أبي سفيان،  
ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، ويزيد بن عمرو الجذامي، وعمار  
ابن الأختوص الكلبي، ومسعدة بن عمر القيني، وعاصم بن المستير الجذامي،  
وعبد الرحمن بن ذي كلاج الحميري، والصبح بن جلهمة الحميري، وعمامة بن  
حوشب، وعلقمة بن حكيم، وحرزة بن مالك .

وإن بنا على ما في هذه الصحيفه عهد الله وميثاقه . وكتب عمير يوم الأربعاء  
لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلثين .

وأخرج أيضا بسنده إلى أبي إسحق الشيباني أن عقدة الصانع كان عند سعيد  
ابن أبي بردة في صحيفه صفراء عليها خاتمان : خاتم في أسفلها، وخاتم في أعلاها .  
في خاتم علي «محمد رسول الله» وفي خاتم معاوية «محمد رسول الله» .

قلت : وذكر روايات أخرى فيها زيادة ونقص أضربنا عن ذكرها خوفاً  
الإطالة، إذ فيما ذكرنا مفتح على أن المؤرخين لم يذكروا من ذلك إلا طرفة بئيراً .

## الفصل الثاني

من الباب الخامس من المقالة التاسعة

( فيما جرت العادة بكتابه بين الخلفاء وملوك المسلمين على تعاقب الدول ،

مَا يُكْتَبُ فِي الطَّرَةِ وَالْمَثْنِ )

أما الطَّرَةُ : فليعلم أن الذي ينبغي أن يكتب في الطَّرَةُ هنا : « هذا عقدٌ صلحٌ »

ويجلى على ما تقدم في الهدية . ولا يكتب فيه : « هذه هدية » لما يسبق إلى

الأذهان من أن المراد من الهدية ما يجري بين المسلمين والكفار .

وأما المثن فعلى نوعين :

### النوع الأول

( ما يكون العقد فيه من الجانبين )

ولم أرفه للكاتب إلا الاستفتاح بلفظ : « هذا » . وعليه كتب كتاب القضية

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وبين معاوية بن أبي سفيان

رضي الله عنه ، على ما تقدم ذكره .

وعلى ذلك استكتب هرون الرشيد ولديه : محمدا الأمين ، وعبد الله المأمون :

العهد بين اللذين عهد فيما بالخلافة بعده لابنه الأمين ، وولي نراسان ابنه المأمون ،

ثم عهد بالخلافة من بعد الأمين للمأمون ، وأشهد فيما ، وبعث بهما إلى مكة فعلقا

في بطن الكعبة ، في جملة المعلقات التي كانت تعلق فيها ، على عادة العرب السابقة :

من تعليق القصائد ونحوها . وبذلك سُميت القصائد السبع المشهورة : بالمعلقات ،

لتعلقهم إياها في جوف الكعبة .

أما عهد الأيمن، فنسخته بعد البسملة - على ما ذكره الأزرقي في أخبار مسكته -  
ما صورته :

هذا كتاب لعبد الله هرون أمير المؤمنين، كتبه [له] محمد بن أمير المؤمنين في صحة  
من يدينه وعقابه، وجواز من أمره، طائفاً غير مكره .

إن أمير المؤمنين هرون ولأبي العهد من بعده، وجعل لي البيعة في رقاب  
المسلمين جميعاً، وولي أخى عبد الله بن أمير المؤمنين هرون العهد والخلافة وجميع  
أموال المسلمين من بعدى، برضا منى وتسلم، طائفاً غير مكره . وولاه نخراسان  
بشورها، وكورها، وجنودها، وخارجها، وطرايزها، وبريدها، وبيوت أموالها،  
وصدقاتها، وعشيرها وعشورها، وجميع أعمالها، في حياته وبعد وفاته . فشرطت  
لعبد الله ابن أمير المؤمنين على الوفاء بما جمعه له أمير المؤمنين هرون : من البيعة  
والعهد، وولاية الخلافة وأمور المسلمين بعدى، وتسلم ذلك له، وما جعل له  
من ولاية نخراسان وأعمالها، وما أقطعه أمير المؤمنين هرون من قطيعة، وجعل له  
من عقده أو ضيعة من ضياعه وعقده، أو ابتاع له من الضياع والعقد . وما أعطاه  
في حياته وصحته : من مال، أو حلي، أو جوهر، أو متاع، أو كسوة، أو رقيق،  
أو منزل، أو دواب، قليلاً، أو كثيراً، فهو لعبد الله ابن أمير المؤمنين موقراً عليه،  
مسماً له . وقد عرفت ذلك كله شيئاً فشيئاً باسمه وأصنافه ومواضعه، أنا وعبد الله  
ابن هرون أمير المؤمنين . فإن اختلفنا في شيء منه فالتقول فيه قول عبد الله بن هرون  
أمير المؤمنين، لا أتبعه بشيء من ذلك، ولا أخذه منه، ولا أتقصه، صغيراً  
ولا كبيراً [من ماله] ولا من ولاية نخراسان ولا غيرها مما ولاه أمير المؤمنين من  
الأعمال، ولا أعزله عن شيء منها، ولا أخلعه، ولا أستبدل به غيره، ولا أقدم عليه

في العهد والخلافة أحدًا من الناس جميعًا، ولا أُدخِل عليه مَكْرُوهًا في نفسه ولا دَمِهِ ،  
ولا شَعْرَهُ ولا بَشْرَهُ ، ولا حَاصًّا ولا عامًّا من أموره وِوَلَاتِهِ ، ولا أمواله ، ولا قَطَائِعِهِ ،  
ولا عَقْدِهِ ، ولا أُغْتَرِعَ عليه شيئًا لسبب من الأسباب ، ولا أُخَذَهُ ولا أُحْدَا من عُمَالِهِ وَكُتَابِهِ  
وِوَلَاةِ أَمْرِهِ - ممن صحَّبه وأقام معه - بِمُحَاسَبَةٍ ، ولا اتَّبَعَ شيئًا جرى على يَدَيْهِ وأيديهم  
في ولاية نُرَّاسَانَ وأعمالها وغيرها مما ولاه أمير المؤمنين في حياته وصحَّبه : من  
الجبَّايَةِ ، والأموالِ ، والطَّرَازِ ، والبرِّيدِ ، والصدقاتِ ، والمُعْتَرِ والشُّورِ ، وغير ذلك ؛  
ولا أمرُ بذلك أحدًا من الناس ، ولا أَرخَّصُ فيه لغيري ، ولا أُحْدِثُ نفسي فيه بشيءٍ  
أَمْضِيهِ عليه ، ولا التَّمِسُّ قِطِيعَةً له ، ولا أُنْقِصُ شيئًا مما جعله له هَرُونَ أمير المؤمنين  
وأعطاه في حياته وخِلاَفَتِهِ وَسُلْطَانِهِ من جميع ما سَمَّيْتُ في كِتَابِي هذا . وأخَذَ له عَلِيٌّ  
وعلى جميع الناس البيعةَ ، ولا أَرخَّصُ لأحدٍ - من جميع الناس كُلِّهم في جميع ما ولاه -  
في خَلْعِهِ ولا مُخَالَفَتِهِ ، ولا أَسْتَعِجُ من أحدٍ من البرية في ذلك قولًا ، ولا أَرْضَى بذلك  
في سرٍّ ولا علانيةً ، ولا أُنْغِصُ عليه ، ولا أُنْفِئُ عنه ، ولا أقبُلُ من برٍّ من العبادِ  
ولا فاجرٍ ، ولا صادقٍ ولا كاذبٍ ، ولا ناصحٍ ولا غاشٍ ، ولا قريبٍ ولا بعيدٍ ، ولا أحدٍ  
من ولدِ آدَمَ عليه السلام : من ذَكَرِي ولا أُتِيَّ - مَشُورَةً ، ولا حِيلَةً ، ولا مَكِيدَةً  
في شيءٍ من الأمور : سرًّا وعلانيتها ، وَحَقِّهَا وباطلها ، وظاهرها وباطنها ،  
ولا سبِّ من الأسبابِ ، أريدُ بذلك إفسادَ شيءٍ مما أعطيتُ عبد الله بن هَرُونَ  
أمير المؤمنين من نفسي ، وأوجبتُ له عَلِيٌّ ، وشرطتُ وسمَّيتُ في كِتَابِي هذا .

وإن أراد به أحدٌ من الناس أجمعين سوءًا أو مَكْرُوهًا ، أو أراد خَلْعَهُ أو مُخَالَفَتَهُ ،  
أو الوُصُولَ إلى نفسه ودَمِهِ ، أو حَرَمِهِ ، أو مَالِهِ ، أو سُلْطَانِهِ أو وِوَلَاتِهِ : جميعًا  
أو فِرَادِيًّا ، مُسَرِّينَ أو مُظْهِرِينَ له - فإني أنصُرُهُ وأحُوِّطُهُ ، وأدْفَعُ عنه ، كما أدْفَعُ عن  
نَفْسِي ، ومُهَجَّتِي ، وِدَمِي ، وشَعْرِي ، وبَشْرِي ، وحُرْمِي ، وَسُلْطَانِي ، وأجْهَزُ الجُنُودِ

إليه ، وأعينه على كلِّ من عَشَّه وخالفه ، ولا أسلمه [ ولا أخذله ] ولا أتخلى عنه ،  
ويكونُ أمرى وأمره في ذلك واحداً [ أبداً ] ما كنتُ حياً .

وإن حدث بأمر المؤمنين هرون حَدَّثُ الموتِ ، وأنا وعبدُ الله ابنُ أمير المؤمنين  
بِحَضْرَةِ أمير المؤمنين ، أو أَحَدُنَا ، أو كُتَا غَائِبِينَ عنه جميعاً : مجتمعين كلاً أو مُتَفَرِّقِينَ ،  
وليس عبدُ الله بنُ هرونَ أمير المؤمنين في وِلايَتِهِ نِجْرَاسَانَ [ فعلى لعبدِ الله ابنِ  
أمير المؤمنين أنْ أُمِصِّيهِ إِلَى نِجْرَاسَانَ ] وَأَنْ أَسْلَمَ لَهُ وَلا يَتَّهَمُ بِأَعْمَالِهَا كُلِّهَا وَجُنُودَهَا ، وَلا  
أَعُوقُهُ عَنْهَا ، وَلا أَحْبِسُهُ قَبْلِي ، وَلا فِي شَيْءٍ مِنَ الْبُلْدَانِ دُونَ نِجْرَاسَانَ ، وَأُعْجَلُ بِإِخْصَاصِهِ  
إِلَى نِجْرَاسَانَ وَإِلَّا عَلَيْهَا مُفْرَدًا بِهَا ، مُفَوَّضًا إِلَيْهِ جَمِيعُ أَعْمَالِهَا كُلِّهَا ، وَأُخْصِصَ مَعَهُ  
مَنْ صَمَّ إِلَيْهِ أمير المؤمنين : مِنْ قُوَادِهِ ، وَجُنُودِهِ ، وَأَصْحَابِهِ ، وَكُتَّابِهِ ، وَعُمَّالِهِ ،  
وَمَوَالِيهِ ، وَخَدَمِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ صُوفِ النَّاسِ بِأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَلا أَحْبِسُ عَنْهُ  
أَحَدًا ، وَلا أَشْرِكُ مَعَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَحَدًا ، وَلا أُرْسِلُ أَمِينًا وَلا كَاتِبًا وَلا بُنْدَارًا ،  
وَلا أَضْرِبُ عَلَى يَدَيْهِ فِي قَلِيلٍ وَلا كَثِيرٍ .

وَأَعْطَيْتُ هُرُونَ أمير المؤمنين وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ هُرُونَ عَلَى مَا شَرَطْتَ لَهَا عَلَى نَفْسِي ،  
مِنْ جَمِيعِ مَا سَمَّيْتُ وَكَتَبْتُ فِي كِتَابِي هَذَا - عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ ، وَذِمَّةَ أمير المؤمنين  
وَذِمَّتِي ، وَذِمَّةَ آبَائِي وَذِمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشَدَّ مَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ  
وَخَلْفِهِ أَجْمَعِينَ : مِنْ عَهْدِهِ وَمَوَاقِفِهِ ، وَالْإِيمَانِ الْمَوْكَدَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
بِالْوَقَائِهِ بِهَا ، وَنَهَى عَنْ نَقْضِهَا وَتَبْدِيلِهَا .

فإن أنا نقضتُ شيئاً مما شرطتُ لهرونَ أمير المؤمنين ولعبدِ الله بنِ هرونَ  
أمير المؤمنين وسَمَّيْتُ فِي كِتَابِي هَذَا ، أَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَنْقُضَ شَيْئاً مِمَّا أَنَا عَلَيْهِ ،

أَوْ غَيَّرْتُ أَوْ بَدَّلْتُ ، أَوْ حُلْتُ أَوْ عَدَّرْتُ ، أَوْ قَبِلْتُ [ ذلك ] من أَحَدٍ من الناس : صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ، بَرًّا أَوْ فَاجِرًا ، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى ، وَجَمَاعَةً أَوْ فَرَادَى - فَبَرِئْتُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمِنْ وِلايَتِهِ ، وَمِنْ دِينِهِ ، وَمَنْ مَجِدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَقِيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَفْرَأَ مُشِيرًا . وَكُلُّ أَمْرَاءِ هِيَ الْيَوْمَ لِي أَوْ أَزْوَاجِهَا لِي ثَلَاثِينَ سَنَةً طَالِقٌ ثَلَاثًا ، الْبَيْتَةُ ، طَلِاقُ الْحَرْجِ ، وَعَلَى الْمُشْتَرِي إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَجَّةً : نَذْرًا وَاجِبًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي عُنُقِي : حَافِيًا رَاجِلًا ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنِّي إِلَّا الْوَفَاءَ بِذَلِكَ . وَكُلُّ مَالٍ هُوَ لِي الْيَوْمَ : أَوْ أَمْلِكُهُ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً هَدَى بِالْبَيْعِ الْكُتْبَةَ الْحَرَامِ . وَكُلُّ مَمْلُوكٍ هُوَ لِي الْيَوْمَ ، أَوْ أَمْلِكُهُ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً أَحْرَارًا لَوْجَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكُلُّ مَا جَعَلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُرَيْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَتَبْتُهُ وَشَرَطْتُهُ لَهَا ، وَحَلَفْتُ عَلَيْهِ ، وَسَمَّيْتُ فِي كِتَابِي هَذَا لِأَزْمَ لِي الْوَفَاءَ بِهِ ، لَا أَضْمُرُ غَيْرَهُ ، وَلَا أَنْوِي إِلَّا إِيَّاهُ . فَإِنْ أَضْمُرْتُ أَوْ نَوَيْتُ غَيْرَهُ فَهَذِهِ الْعُقُودُ وَالْمَوَائِقُ وَالْأَيْمَانُ كُلُّهَا لِأَزْمَ لِي ، وَاجِبَةٌ عَلَيَّ . وَقُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجُنُودُهُ وَأَهْلُ الْأَفَاقِ وَالْأَنْصَارِ فِي حِلٍّ مِنْ حَلْمِي وَإِعْرَاجِي مِنْ وِلايَتِي عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَكُونَ سُوقَةً مِنَ السُّوقِ ، وَكَرَجُلٍ مِنْ عَرَضِ الْمُسْلِمِينَ ، لِأَحَقُّ لِي عَلَيْهِمْ ، وَلَا وِلايَةَ ، وَلَا تَبِعَةَ لِي قِبَالِهِمْ ، وَلَا تَبِعَةَ لِي فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَهُمْ فِي حِلٍّ مِنَ الْأَيْمَانِ الَّتِي أَعْطَوْنِي ، بَرَاءً مِنْ تَبِعَتِهَا وَوَزِيرِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

شَهِدَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ ، وَعِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، وَجَعْفَرُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَهْدِيِّ ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُوسَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَابْنُ حَقُّ بْنُ مُوسَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَابْنُ حَقُّ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ



جعفر بن سليمان ، وعيسى بن صالح بن علي ، وداود بن عيسى بن موسى ، ويحيى  
 ابن عيسى بن موسى ، وداود بن سليمان بن جعفر ، وخزيمة بن حازم ، وهشيمة بن  
 أعين ، ويحيى بن خالد ، والفضل بن يحيى ، وجعفر بن يحيى ، والفضل بن الربيع  
 مولى أمير المؤمنين ، والقاسم بن الربيع مولى أمير المؤمنين ، ودمانة بن عبد العزيز  
 العباسي ، وسليمان بن عبد الله بن الأصم ، والربيع بن عبد الله الحارثي ، وعبد الرحمن  
 ابن أبي الشمير الصائفي ، ومحمد بن عبد الرحمن قاضي مكة ، وعبد الكريم بن شعيب  
 الحجبي ، وإبراهيم بن عبد الله الحجبي ، وعبد الله بن شعيب الحجبي ، ومحمد بن عبد الله  
 ابن عثمان الحجبي ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن نبيه الحجبي ، وعبد الواحد بن عبد الله  
 الحجبي ، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن نبيه الحجبي ، وأبناؤ مولى أمير المؤمنين ، ومحمد  
 ابن منصور ، وإسماعيل بن صبح ، والحارث مولى أمير المؤمنين ، وحالد مولى  
 أمير المؤمنين .

وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة .



وأما ما كتبه المؤمنون ، فنصه بعد التسلمة :

هذا كتاب لعبد الله هرور أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هرور أمير المؤمنين ،  
 في صحبة من عقله ، وجوار من أمره ، وصدق نبية فيما كتب من كتابه ، ومعرفة  
 ما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين .

إن أمير المؤمنين هرور ولأبني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه  
 بعد أبي محمد بن هرور أمير المؤمنين ، وولاني في حياته وبعده خراسان وكورها ،  
 وجميع أعمالها : من الصدقات والعشر والبريد والطرار وغير ذلك ، وأشترط لي على

محمد بن أمير المؤمنين الوفاء بما عقد لي من الخلافة والولاية للعباد والبلاد بعده ،  
 وولايي نجراناً وجميع أعمالها ، ولا يعرض لي في شيء مما أقطعت أمير المؤمنين ،  
 أو ابتاع لي من الضياع والعقد والدور والرباع ، أو استعت منه [لنفسى] من ذلك ،  
 وما أعطاني أمير المؤمنين هرون من الأموال والجواهر والكساء والمتاع والدواب  
 في سبب محاسنته [لأصحابي] ، ولا يتبع لي في ذلك ولا لأحد منهم أترأ ، ولا يدخل  
 علي ولا على أحد من كان معي ومي ، ولا عمالي ولا كتابي ، ومن استعت به من جميع  
 الناس - مكرهاً : في ديم ، ولا نفس ، ولا شعر ، ولا بشير ، ولا مال ، ولا صغير ،  
 ولا كبير .

فاجابه إلى ذلك وأقر به ، وكتب له به كتاباً كتبه على نفسه ورضى به أمير المؤمنين  
 [هرون وقبله وعرف صدق نيته . فشرطت لعبد الله هرون أمير المؤمنين]  
 وجعلت له على نفسي أن أسمع لمحمد بن أمير المؤمنين وأطيعه ولا أعصيه ، وأنصحه  
 ولا أغشسه ، وأوقى بيعته وولايته ، ولا أغدر ولا أنكث ، وأنفذ كتبه وأموره ،  
 وأحسن مؤازرته ومكافئته ، وأجاهد عدوه في ناحيتي بأحسن جهاد ما وفي لي بما  
 شرط لي ولعبد الله هرون أمير المؤمنين ، وسماه في الكتاب الذي كتبه لأمر المؤمنين  
 ورضى به أمير المؤمنين ، ولم ينقص شيئاً من ذلك ، ولم ينقص أمراً من الأمور التي  
 اشترطها لي عليه هرون أمير المؤمنين .

وإن احتاج محمد بن هرون أمير المؤمنين إلى جنيد وكتب لي يأمرني  
 بإشخاصهم إليه ، أو إلى ناحية من النواحي ، أو إلى عدو من أعدائه خالفه أو أراد  
 نقض شيء من سلطانه وسلطاني الذي أسنده هرون أمير المؤمنين إلينا ولأننا -  
 أن أنفذ أمره ولا أخالفه ، ولا أقصر في شيء كتب به إلى .

وإن أراد محمد بن أمير المؤمنين هرون أن يوئى رجلاً من ولده العهد والخلافة من بعدى ، فذلك له ما وئى لى بنا جعل لى أمير المؤمنين هرون ، وأشترط لى عليه ، وشروطه على نفسه فى أمرى ، وعلى إنفاذ ذلك والوفاء له بذلك ، ولا أنقض ذلك ولا أغیره ، ولا أبدله ، ولا أقدم [ قبله ] أحداً من ولدى ، ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين ، إلا أن يوئى هرون أمير المؤمنين أحداً من ولده العهد من بعدى ، فيلزمنى الوفاء بذلك .

وجعلت لأمير المؤمنين ومحمد بن أمير المؤمنين على الوفاء بما أشترطت وسميت فى كتابى هذا ، ما وئى لى محمد بن أمير المؤمنين هرون بجمع ما أشترط لى هرون أمير المؤمنين عليه فى تسمى . وما أعطانى أمير المؤمنين هرون من جميع الأشياء المسماة فى الكتاب الذى كتبه له . [ وعلى ] عهد الله تعالى وميثاقه ، وذمة أمير المؤمنين ، وذمتى ، وذمة آبائى ، وذمة المؤمنين . وأشد ما أخذ الله عز وجل على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه ، والأيمان المؤكدة التى أمر الله عز وجل بالوفاء بها .

فإن أنا نقضت شيئاً مما أشترطت وسميت فى كتابى هذا له ، أو غيرت ، أو بدلت ، أو تكفأت ، أو غدرت - فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ومن دينه ، ومن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقيت الله سبحانه وتعالى يوم القيامة كافراً مشركاً . وكل امرأة لى اليوم أو أتزوجها لى ثلاثين سنة طال لى ثلاثاً البتة [ طلاق ] الحرج . وكل مملوك لى اليوم أو أمملكه لى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله تعالى . وعلى المشى لى بيت الله الحرام الذى بمكة ثلاثين حجة ، نذراً واجباً على وفى عنقى .

حَافِيًا رَاجِلًا ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنِّي إِلَّا الْوَقَاءَ بِهِ ، وَكُلُّ مَا لِي هُوَ لِي الْيَوْمَ أَوْ أَمَلِكُمْ  
إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً هَدَى بِالْبَيْعِ الْكُفْبَةِ . وَكُلَّ مَا جَعَلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ هُرُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَوْ شَرَطْتُ فِي كِتَابِي هَذَا لِأَزِيمٍ لِي ، لَا أُضْمِرُ غَيْرَهُ وَلَا أَنْوِي سِوَاهُ .

شَهِدَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، بِأَسْمَاءِ الشُّهُودِ الْمَقْدَمِ ذِكْرَهُمْ فِي كِتَابِ الْأَمِينِ الْمَبْتَدِئِ بِذِكْرِهِ .  
قَالَ الْأَزْرَقِيُّ : وَلَمْ يَزَلْ هَذَانِ الشَّرْطَانِ مَعْلُقَيْنِ فِي جَوْفِ الْكُفْبَةِ حَتَّى مَاتَ  
هُرُونَ الرَّشِيدُ ، وَبَعْدَ مَا مَاتَ بَسْتَيْنِ فِي خِلَافَةِ الْأَمِينِ . فَكَلَّمَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ  
مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ التَّجَمِّيَّ فِي إِثْبَانِهِ بِهِمَا ، فَتَزَعَمَهُمَا مِنَ الْكُفْبَةِ وَذَهَبَ بِهِمَا إِلَى بَغْدَادَ ،  
فَأَخَذَهُمَا الْفَضْلُ فَحَرَّقَهُمَا وَحَرَّقَهُمَا بِالنَّارِ .

قُلْتُ : وَعَلَى تَحْوِيٍّ مِنْ ذَلِكَ كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الْعَسَاكِينِيُّ مُوَاصِفَةً بِالصُّلْحِ بَيْنَ  
شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَزَيْنِ الْمِلَّةِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، وَصَمْعَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ أَبِي كَالِيَجَارَ ،  
أَبْنَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، فِي النِّصْفِ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ  
وَنَلْمَانَةٍ .

وَنَصَبًا بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ الشَّرِيفَةِ :

هَذَا مَا اتَّفَقَ وَأَصْطَلَحَ وَتَعَاهَدَ وَتَعَاقَدَ عَلَيْهِ شَرَفُ الدَّوْلَةِ وَزَيْنُ الْمِلَّةِ أَبُو الْفَوَارِسِ ،  
وَصَمْعَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو كَالِيَجَارَ ابْنَا عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمِلَّةِ أَبِي تَجَمَّاجِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ  
أَبِي عَلِيٍّ ، مَوْلِيَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِ لِلَّهِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ ،  
وَنَصَّرَهُ وَعَلَّوهُ وَإِذَّنَهُ .

إِتِّفَاقًا وَتَصَالِحًا ، وَتَعَاهَدًا وَتَعَاقُدًا ، عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَالْإِعْتِنَامِ  
بِحَبْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَالْإِنْتِبَاحِ إِلَى حُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَمَعُونَتِهِ ، وَالْإِقْرَارِ بِأَنْفِرَادِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ ،  
لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مِثْلَ ، وَلَا ضِدَّ وَلَا يَدَّ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

آله وسلم تسليماً، والطاعة لأمر المؤمنين الطابع لله، والالتزام بوثائق بيعته، وعلاق  
دعوتيه، والتوازر على موالاة وليه، ومعاداة عدوه، وعلى أن يُسكا [ ذات ] بينهما  
بالسير الحميدة، والسُنن الرشيدة، التي سنها لها السلف الصالح من آباءهما وأجدادهما  
في التألف والتوازر، والتعاضد والتطافر، وتعظيم الأصغر للأكبر، وإشبال الأَكْبَرِ  
على الأصغر، والأشتراك في النعم، والتفاوض في الخطوط والقسم، والأشجاد بملحوص  
الطوايا، والخفايا، وسلامة الخواطر، وطهارة الضمائر، ورفع ما خالف ذلك من  
أسباب المناقصة، وجرائر المضاعفة، وجوالب التوبة، ودواهي الفرقة، والإفران  
لأعداء الدولة، والإرصاد لهم، والاجتماع على دفع كل ناجم، وقبح كل مقوم،  
وإزعام أنف كل ضار متجبر، وإضراج حد كل متجاوز، مستكبر، حتى يكون  
الموالي لأحدهم منصوراً من جماعتهم، والمعادي له مقصوداً من سائر جوانبهم،  
فلا يبعد المناد على أحدهم مفزعة عند أحد من الباقيين ولا اعتصاماً به، ولا النجاة  
إليه، لكن يكون مرمياً بجميع سهامهم، ومضروباً بأسيف قمتهم، ومأخوذاً بكلمة  
بأسهم وقوتهم، ومقصوداً بغالب تجدتهم وشدتهم، إذ كانت هذه الآداب القويمة،  
والطرائق السليمة، جارية للدول نجرى الخن الدافعة عنها، والمعاقيل المساعة لها،  
ومثلها تظمن النعم وتسنن، كما أن باضدادها تسمت وتنفير.

ولما وفق الله تعالى شرف الدولة وزين الملة أبا الفوارس، وخصصهم الدولة  
وشمس الملة أبا كاليبجار أعمقاً هذه الفضائل وإسارها، والتظاهر بها وأستشعارها،  
ودعهما مولاها الطابع لله أمير المؤمنين إلى ما دعاها إليه من التعاطف والتألف،  
والتصافي والتخالص، وأمر خصصهم الدولة أبا كاليبجار بمراسلة شرف الدولة

أبي الفوارس في أحكام معاقبة الأخوة، وإبرام وثائق الألفة - أمثل ذلك وأصغى إليه شرف الدولة وزين الملة أبو الفوارس: أصغى إليه شرف الدولة إصغاء المستوثق المستصيب، وتقبله تقبل العالم اللبيب، وأنفذ إلى باب أمير المؤمنين رسوله أبا نصر نرشيد بن ديار بن مافنة المعروف من كفايته، والمشهور من أصطناع الملك السعيد عضد الدولة وتاج الملة رضوان الله عليه له، وإيداعه إياه وديعة الإحسان التي يحق عليه أن يساوي في حفظها بين الجهتين، ويوازي في رعايتها بين كلا الفريقين .

بقرت بين خصام الدولة وشمس الملة أبو كالجار وبينه محاطبات استقرت على أمور اتت المفاوضة عليها، وأثبت منها في هذه المواقفة ما احتجج إلى إثباته منها [ أمر ] عام للفريقين، وقسمان يختص كل واحد منهما بواحد منهما .

ثاما الأمر الذي يجمعهما عموم، ويكتنفهما شموله، فهو: أن يتخالص شرف الدولة وزين الملة أبو الفوارس، وخصام الدولة وشمس الملة أبو كالجار في ذات بينهما، ويتصافيا في سرائر قلوبهما، ويرفضا ما كان جزؤه عليهما سفهاء الأتباع: من ترك التواصل، وأستعمال التقاطع، ويرجعا عن وحشية الفرقة، إلى أنس الألفة، وعن متقصبة التنافر والتهاجر، إلى متقببة التبار والتلاطف، فيكون كل واحد منهما مريدا لصاحبه من الصلاح مثل الذي يريده لنفسه، ومعتقدا في الذب عن بلاده وحدوده مثل الذي يعتقده في الذب عما يختص به، ومسررا مثل ما يظهر: من موالاته وإيائه، ومعاداة عدوه، والمراماة لمن راماه، والمصافاة لمن صافاه، فان نجح على أحدهما نأجح، أو راعمه سراغم، أو هم به حاسد، أو دلف إليه معاند، أنفقا جميعا على مقارعتة: قريبا كان أو بعيدا، وترافدا على مدافعتة: دانيا كان أو قاصيا، وسمح كل منهما لصاحبه عند الحاجة إلى المواساة في ذلك في سائر أحداث الزمان

وَوَيْه ، وَتَصَارِفِهِ وَغَيْرِهِ ؛ بِمَا يَسْعُ وَيَسْتَمَلُّ عَلَيْهِ طَوْفَهُ مِنْ مَالٍ وَعُدَّهِ ، وَرِجَالٍ وَتَجَدَّهِ ، وَاجْتِهَادِ وَقَدْرِهِ ؛ لَا يَنْفُلُ أَحَدٌ مِنْهُمَا عَنْ أُخِيهِ ، وَلَا يَتَّخِذُهُ وَلَا يُسَلِّمُهُ ، وَلَا يَتْرُكُ نَصْرَتَهُ . وَلَا يَنْصَرِفُ عَنْ مُؤَاذَرَتِهِ وَمُظَاهَرَتِهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَسْتَحِيلُ بِهَا النَّيَاتُ : مِنْ إِرْغَابٍ مُرْغِبٍ ، وَحِيلَةٍ مُخْتَلٍ ، وَمُحَاوَلَةٍ مُحَاوِلٍ . وَلَا يَقْبَلُ أَحَدُهُمَا مُسْتَأْمِنًا إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ صَاحِبِهِ : مِنْ جُنْدِيٍّ ، وَلَا عَامِلٍ ، وَلَا كَاتِبٍ ، وَلَا صَاحِبٍ . وَلَا مُتَصَرِّفٍ فِي وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ التَّصَرُّفَاتِ كُلِّهَا ؛ وَلَا يُجِيرُهُ عَلَيْهِ هَارِبًا ، وَلَا يَعِصُمُ مِنْهُ مُوَارِبًا ؛ وَلَا يَتَطَرَّفُ لَهُ حَسَدًا ، وَلَا يَتَّبِعُهُ حَقًّا ، وَلَا يَهَيِّئُ لَهُ حَرِيمًا . وَلَا يَتَنَاوَلُ مِنْهُ طَوْفًا ، وَلَا يُجِيفُ لَهُ سَبِيلًا ، وَلَا يَسْتَسَبِّبُ إِلَى ذَلِكَ بِسَبَبٍ بَاطِلٍ ، وَلَا بِإِعْتِلَالٍ ظَاهِرٍ ؛ وَلَا يَدْعُ مُوَافَقَتَهُ ، وَمُلَاءَمَتَهُ ، وَمُعَاوَنَتَهُ وَمُظَاهَرَتَهُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ ، وَسِرٍّ وَجَهْرٍ ، عَلَى سَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَتَصَرُّفِ الْحَالَاتِ ، وَوُجُوهِ التَّأْوِيلَاتِ . يَلْتَرَمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ذَلِكَ لِصَاحِبِهِ التَّرَامًا عَلَى التَّمَانِيْلِ وَالتَّعَادُلِ ، وَالتَّوَاوُزِيِّ وَالتَّقَابُلِ .

وَأَمَّا الْأَمْرُ الَّذِي يَخْتَصُّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ وَزَيْنَ الْمِلَّةِ بِهِ ، وَيَلْتَرِمُهُ خِصَامُ الدَّوْلَةِ وَتَمَسُّ الْمِلَّةِ لَهُ ، فَهُوَ أَنْ يُقَدِّمَهُ خِصَامُ الدَّوْلَةِ وَتَمَسُّ الْمِلَّةِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَيُعْطِيَهُ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ فَضْلِ سِنِّهِ . وَيُطِيعَهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ الدَّوْلَةَ الْخَامِعَةَ لَهَا صَلَاحًا ، وَهَاضَ مِنْ عَدُوِّهَا جَنَاحًا ؛ وَعَادَ عَلَى وَلِيِّيْهَا بِعِزٍّ ، وَعَلَى عَدُوِّهَا بِذُلٍّ ؛ وَأَنْ يُقِيمَ خِصَامَ الدَّوْلَةِ الدَّعْوَةَ عَلَى مَا يَرْمِي فِي يَدِهِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا حَقُوقُهُ ، وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمَا حُدُودَهُ ، لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ لَشَرَفِ الدَّوْلَةِ وَزَيْنِ الْمِلَّةِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، ثُمَّ لِنَفْسِهِ . وَيُنْجِرِي الْأَمْرَ فِي نَفْسِكَ دَوْرَ الضَّرْبِ الَّتِي يُطِيعُ بِهَا التَّمْيِيزَ وَالدَّرْهَمَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْبِلَادِ عَلَى الْمِثَالِ . وَيُوَفِّي خِصَامَ الدَّوْلَةِ وَتَمَسُّ الْمِلَّةِ أَبُو كَالِبِجَارَ شَرَفَ الدَّوْلَةِ وَزَيْنَ الْمِلَّةِ أَبَا الْفَوَارِسِ فِي الْمَسْكَبَاتِ

والمخاطبات حقَّ التَّعظيم ، وشِعَارَ التَّفْخِيم ، على التَّقْرِيرِ بِنْتِهِ وَبَيْنَ خَرَشِيدِ بْنِ دِيَارِ  
ابن مَأْفَنَةَ فِي ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْأَمْرُ الَّذِي يَخْتَصُّ صَحْصَامَ الدَّوْلَةِ وَشَمْسَ الْمِلَّةِ أَبُو كَالِيجَارِ بِهِ ، وَيَلْتَرِمُهُ  
شَرَفُ الدَّوْلَةِ وَزَيْنَ الْمِلَّةِ أَبُو الْفَوَارِسِ لَهُ ، فَهُوَ تَرْكُ التَّعَرُّضِ لِسَائِرِ مَمَالِكِهِ ، وَمَا يَتَّصِلُ  
بِهَا مِنْ حُدُودِهَا الْجَارِيَةِ مَعَهَا ، وَالْإِفْرَاجُ مِنْهَا عَمَّا يُوَدُّهُ وَيُسْرِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُ  
شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَزَيْنِ الْمِلَّةِ ، وَتَجَنُّبُ التَّحْيِيفِ لَهَا أَوْ لَشَيْءٍ مِنْ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ فِيهَا ،  
وَمُرَاعَاةُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى نَظَرِهِ وَطَوْلِهِ ، وَإِجْمَالِهِ وَقَضَائِهِ ، وَمَا يَجِبُ  
عَلَى الْأَخِ الْأَكْبَرِ مِرَاعَاةَ أَخِيهِ وَتَأْلِيهِ فِيهِ ، مِمَّا شَبَّهَتْ فِي هَذِهِ الْمُواصَفَةِ جُمْلَتَهُ ،  
وَأَشْتَمَلَتْ الْمَفَادِضَةَ مَعَ خُورَشِيدِ بْنِ دِيَارِ بْنِ مَأْفَنَةَ عَلَى تَهْصِيلِهِ .

أَتَّفَقَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ وَزَيْنُ الْمِلَّةِ أَبُو الْفَوَارِسِ ، وَصَحْصَامُ الدَّوْلَةِ وَشَمْسُ الْمِلَّةِ  
أَبُو كَالِيجَارِ ، بِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِ لِلَّهِ ، وَعَلَى الْأَخْتِيَارِ مِنْهُمَا ، وَالْأَنْشِرَاجِ مِنْ  
صُدُورِهِمَا ، مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ وَلَا إِجْبَارٍ ، وَلَا أَصْطِيبَارٍ وَلَا أَصْطِرَارٍ - عَلَى الرِّضَا بِذَلِكَ  
كَلْمَةً ، وَالْإِكْتِرَامِ لَهُ ، وَيَصِيرُ جَمِيعُهُ عَهْدًا مَرْجُوعًا إِلَيْهِ ، وَعَقْدًا مَعْمُولًا عَلَيْهِ ، وَحَلْفَ  
كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى مَا يَلْتَرِمُهُ مِنْ ذَلِكَ يَمِينًا عَقْدَهَا بِأَنْ يَحْلِفَ صَاحِبُهَا بِمِثْلِهَا ، عَلَى مَا يَلْتَرِمُهُ  
مِنْهُ . فَقَالَ صَحْصَامُ الدَّوْلَةِ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (وَيَسْتَمُ الْعَيْنُ) .



## النوع الثاني

(مما يجري عقد الصلح فيه بين ملكين مسلمين -

ما يكون العقد فيه من جانب واحد)

ولذلك فيه مذهبان :

## المذهب الأول

(أن يُفتح عقد الصلح بلفظ : « هذا » كما في النوع السابق)

وهذه نسخة عقد صلح من ذلك : كتب بها أبو إسحق الصّابي . بين الوزير  
أبي نصر سابور بن أردشير ، والشّريفيّين : أبي أحمد الحسين بن موسى . وأبي الحسين  
محمد ابنه الرضّي ، بما انعقد من الصلح والضمير بين الوزير المذكور ، وبين النقيب  
أبي أحمد الحسين وولده محمد ، حين تزوج ابنه محمد المذكور بنت سابور المذكور ،  
وجعله على تسخين ، لكل جانب نسخة ، بعد البسملة ماضورته :

هذا كتاب لسابور بن أردشير ، كتبه له الحسين بن موسى الموسوي ، وولده  
محمد بن الحسين الموسوي .

إنا وإياك - عند ما وصله الله بيئنا من الصّبر والحلطة ، ونسجد من الحال  
والمودة - آثرنا أن نعقد بيننا وبينك ميثاقاً مؤكداً ، وعهداً مجدداً ، نسكن النفوس  
إليها ، وتطمئن القلوب معها ، وتزداد الألفة بهما على مرّ الأيام ، وتعاقب الأعوام ؛  
ويكون ذلك أصلاً مستقيماً يرجع جميعاً إليه ، ونعوّل ونعتمد عليه ؛ وتوارثه أعقابنا ،  
وتتبعنا فيه أخلاقنا .

فأعطيناك عهد الله وميثاقه ، وما أخذناه على أئيدنا المرسلين ، وملائكته المقربين ،  
صلى الله عليهم أجمعين ؛ عن صدور مُشْرِحه . وآمال في الصّلاح مُتَقِسِّحه - أنا

تُخْلِصُ لَكَ جَمِيعًا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا إِخْلَاصًا صَحِيحًا يُسَاكِلُ ظَاهِرُهُ بَاطِنَهُ ، وَيُؤَافِقُ خَافِيَهُ وَاللَّهِ ؛ وَأَنَا نُؤَالِي أَوْلِيَاءَكَ ، وَنُعَادِي أَعْدَاءَكَ ؛ وَنِصْلٌ مِّنْ وَصْلِكَ ، وَنَقْطَعٌ مِّنْ قِطْعِكَ ، وَنَكُونُ مَعَكَ فِي نَوَائِبِ الزَّمَانِ وَشِدَائِدِهِ ، وَفِي فَوَائِدِهِ وَصَوَائِدِهِ ؛ وَصَيِّمًا لَكَ صَمَانًا شَهِدَ اللَّهُ بِلُزُومِهِ لَنَا ، وَوُجُوبِهِ عَلَيْنَا . وَأَنَا نَصُونُ الْكَرِيمَةَ عَلَيْنَا ، الْأَيْمَةَ عِنْدَنَا ، فَلَانَةَ بِنْتِ فُلَانٍ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهَا - الْمُسْتَقَلَّةَ إِلَيْنَا ؛ كَمَا تَصَانُ الْعُيُونُ بِجُحُوبِهَا ، وَالْقُلُوبُ بِسِغَافِهَا ؛ وَتُجْرِبُهَا مُجْرَى كَرَامِ حَرَمِنَا ، وَتَفَاقِسُ بِنَاتِنَا ، وَمِنْ تَضُمِّهِ مَنَازِلُنَا وَأَوْطَانِنَا ؛ وَتَنَاهِي فِي إِجْلَالِهَا وَإِعْظَامِهَا ، وَالتَّوسِيعَةِ عَلَيْهَا فِي مَرَاعِدِ عَيْشِهَا ، وَعَوَارِضِ أَوْطَارِهَا ، وَسَائِرِ مُمُوتِهَا وَمُؤَنِ أَسْبَابِهَا ، وَالتَّهَوُّضِ وَالْوَقَافِ بِالْحَقِّ الَّذِي أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا لَهَا وَكَانَ فِيهَا ؛ فَلَا تُعْذِمُ شَيْئًا لِقِتَّةِ : مِنْ إِسْبَالِ عَلَيْهَا ، وَإِحْسَانِ إِلَيْهَا ، وَدَبِّ عَنْهَا ، وَمُحَامَاةِ دُونِهَا ، وَتَعَهُّدِ لِمَسَارِهَا ، وَتَوَخُّعِ لِحَامِيهَا ؛ وَنَكُونُ جَمِيعًا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا مُقِيمِينَ لَكَ وَلَهَا عَلَى جَمِيعِ مَا أَشْتَقِلُّ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ فِي حَيَاتِكَ - أَطَاغَا اللَّهُ - وَبَعْدَ الْوَفَاةِ إِنْ تَقَلَّسْتَنَا ، وَحُوشِيَتِ مِنَ السُّوءِ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ، وَأَحْوَالِكَ أَجْمَعِهَا .

ثُمَّ إِنَا نَقُولُ - وَكُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا ، طَائِعِينَ مُخْتَارِينَ ، غَيْرِ مُكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَعْدَ تِمَامِ هَذَا الْعَقْدِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، وَلِزُومِهِ لَنَا وَكَانَ : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الطَّالِبُ الْغَالِبُ ، الْمُدْرِكُ الْمُهْلِكُ ، الضَّارُّ النَّافِعُ ، الْمُطَّلِعُ عَلَى السَّرَائِرِ ، الْمُحِيطُ بِمَا فِي الضَّمَائِرِ ، الَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ . وَحَقِّ عَهْدِ النَّبِيِّ ، وَعَلَى الرِّضَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - مَا وَسَّمَّ وَشَرَّفَ ذِكْرَهُمَا ، وَسَادَتِنَا الْأَيْمَةَ الطَّيِّبِينَ ، الطَّاهِرِينَ ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . وَحَقِّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَمَا أُنزِلَ فِيهِ مِنْ تَحْلِيلِ وَتَحْرِيمِ ؛ وَوَعْدِ وَوَعِيدِ ، وَتَرْغِيبِ وَتَرْهيبِ ؛ لَتَفِينِ لَكَ يَا سَابُورُ بْنُ أَرْدَشِيرَ ، وَالْكَرِيمَةِ الْأَيْمَةَ أَبْنَتِكَ فَلَانَةَ - أَحْسَنَ اللَّهُ رِعَايَتَهَا - بِجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَتْ هَذَا الْكِتَابُ ، وَفَاءً صَحِيحًا ، وَنَلْتَرِ مَنْ لَكَ وَلَهَا شَرَائِطُهُ وَوَتَائِقُهُ ، فَلَا تَنْسَخُهَا ، وَلَا تَنْقُضُهَا ،

وَلَا تَسْتَبْمِهَا ، وَلَا تَمْتَقِبْهَا ، وَلَا تَأْكُلْ فِيهَا ، وَلَا تَزُولُ عَنْهَا ، وَلَا تَلْمِسُ مَخْرَجًا وَلَا مَخْلَصًا  
 مِنْهَا ، حَتَّى يَجْعَمَا أَلْوَقُفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، وَالْمَقْدَمُ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَبِحِنْ يَوْمِئِذٍ ثَابِتَانِ  
 عَلَيْهِمَا ، وَمُؤَدِّيَانِ لِلْأَمَانَةِ فِيهَا ، أَدَاءً يَشْهَدُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَمَلَائِكَتُهُ يَوْمَ يَتُومُ الْأَشْهَادُ ،  
 وَيُحَاسِبُ الْعِبَادَ ، فَإِنْ تَحَنَّنَ أَهْلَانَا بِذَلِكَ أَوْ نَسِيَ مِنْهُ ، أَوْ تَأَوَّلْنَا فِيهِ أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ،  
 أَوْ أَصْحَرْنَا خِلَافَ مَا نُظْهِرُ ، أَوْ أَسْرَرْنَا ضِدَّ مَا نُعْلِنُ ، أَوْ التَّمَسَّنَا طَرِيقًا إِلَى تَقْضِيهِ ،  
 أَوْ سَبِيلًا إِلَى قَسْبِهِ ، أَوْ أَلْمَأْنَا بِإِخْتَارِ ذِمَّةٍ مِنْ ذِمَّتِهِ ، أَوْ أَتَيْنَاكَ حُرْمَةً مِنْ حُرْمِهِ ،  
 أَوْ حَلَّلَ عِصْمَةً مِنْ عِصْمِهِ ، أَوْ أَبْطَلْنَا شَرْطَ مَنْ شُرُوطُهُ ، أَوْ تَجَاوَزْنَا حَدَّ مَنْ  
 حَدُّودُهُ - فالذى يفعل ذلك منّا يوم يفعله أو يعقده ، ونحن يدخل فيه ويتسجيره -  
 يرى من الله جلّ شأنه - ومن نبوة رسوله محمد - ومن ولاية أمير المؤمنين عليّ بن  
 أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن القرآن الحكيم العظيم ، ومن دين الله الصحيح  
 القويم ، ولقبي الله يوم العرض عليه - والوقوف بين يديه ، وجوبه - سبحانه -  
 مشرك ، ورسوله صلى الله عليه وسلم مخالف ، ولأهل بيته معادي ، ولأعدائهم موال ؛  
 وعليه الحج إلى بيت الله الحرام العتيق الذي بمكة : راجلاً ، حافياً ، حاسراً ، وإماماً  
 عواتق ، ونساءؤه طوائق ، طلاق الحرج والسنة : لا رجعة فيه ولا مشنوية ؛ وأموائه  
 - على اختلاف أصنافها - محرمة عليه ، وخارجة عن يديه ، وحريسة في سبيل الله  
 وبراءة الله من حوله وقوته ، وأجناه إلى حوله وقوته .

وهذه العيين لازمة لنا ، وقد أطلق كل واحد منا بها لسانه ، وعقد عليها ضميره ،  
 والنية في جميعها نية فلان بن فلان ، لا يقبل الله من كل واحد منّا إلا الوفاء بها ،  
 والثبات عليها ، والألتزام بشرطها ، والوقوف على حدودها ، وكفى بالله شهيداً ،  
 وجزاءً لعباده ومبينا . وذلك في يوم كذا ، من شهر كذا ، من سنة كذا .

## المذهب الثاني

( أن يُفْتَحَ عَقْدُ الصُّلْحِ بِمُخْطَبَةٍ مُفْتَسِّحَةٍ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» وَرُبَّمَا كُرِّرَ فِيهَا  
التَّحْمِيدُ إِعْلَامًا بِعَظِيمِ مَوْجِعِ النِّعْمَةِ )

وهذه نُسخةُ عَقْدِ صُلْحِ كَتَبَ بِهَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ  
لَمَنْ كَانَ ... ..

وَنَصَبًا عَلَى مَا ذَكَرَهُ فِي «كِتَابِ الْبَلَاغَةِ» فِي التَّرْسُلِ ، بَعْدَ الْإِسْمَلَةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَ بِقُدْرَتِهِ ، وَكَوَّنَ الْأُمُورَ بِحِكْمَتِهِ ، وَصَرَّفَهَا عَلَى إِرَادَتِهِ .  
لَمْ يَلْطَفْ عَنْهُ خَفِيٌّ ، وَلَا أَمْتَعَ عَنْهُ قَوِيٌّ ، أَسْتَدْعَى الْخَلْقَ عَلَى اخْتِلَافِ فِطْرِيهَا ،  
وَتَبَأَيْنَ صُورِيهَا ، مِنْ غَيْرِ مَقَالٍ اخْتَنَاهَا ، وَلَا رَسْمٍ اقْتَفَاهَا ، وَأَيْدِيَهُمْ يَنْعَمْتُهُ ، فِيمَا رَكِبَهُ  
فِيهِمْ مِنَ الْأَدْوَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ ، النَّاطِقَةِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَآكْتَفَوْا بِالْمَعْرِفَةِ بِهِ  
- جَلَّ جَلَالُهُ - بِخَبَرِ الْعُقُولِ ، وَشَهَادَةِ الْأَفْهَامِ . ثُمَّ اسْتَظْهَرَ لَهُمْ فِي التَّبَصُّرِ ، وَغَلَبِهِمْ  
فِي التَّجَسُّسِ ، بِرُسُلٍ أَرْسَلَهَا ، وَأَيَاتٍ بَيَّنَّا بِهَا ، وَمَعَالِمٍ أَوْضَحْنَا ، وَمَنَارَاتٍ لِمَسَالِكِ الْحَقِّ  
رَفَعْنَا ، وَشَرَعَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا وَأَرْتَضَاهُ وَأَصْطَفَاهُ ، وَفَضَّلَهُ وَأَجْتَبَاهُ ، وَشَرَّفَهُ  
وَأَعْلَاهُ ، وَجَعَلَهُ مُهَيْمِنًا عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَقَدَّرَ الْعِزَّ لِحُزْبِهِ وَأَهْلِهِ ، فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ :  
(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)  
وَأَيْدِيَهُ بَأَنْبِيَائِهِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ ، وَالنَّاهِيينَ لَطْرَفِهِ ، وَالْمَهَادِينَ لِفَرَائِضِهِ ، وَالْمُخْبِرِينَ عَنْ  
شَرَائِعِهِ ، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ ، وَأُمَّةً بَعْدَ أُمَّةٍ ، فِي قَتْرَةٍ بَعْدَ قَتْرَةٍ ، وَبَيْنَةَ يَدَيْهِ ، حَتَّى  
أَتَتْهُ تَقْسِيدِيهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَنْ بَعَثَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ، الْقَاضِلَ الرَّيْزِيَّ ، الَّذِي قَفَى بِهِ  
عَلَى الرَّسُلِ ، وَنَسَخَ بِشَرِيْعَتِهِ شَرَائِعَ الْمَلَلِ ، وَوَيْدِيَهُ أَدْبَانَ الْأُمَمِ ، عَلَى حِينِ تَرَاخِي

قَرَّه ، وَرَأَى حَيْرَهُ ، فَأَبَاحَ بِهِ نِيرَانَ الْفِتَنِ بَعْدَ اضْطِرَامِهَا ، وَأَضَاءَ بِهِ سُبُلَ الرِّشَادِ بَعْدَ إِطْلَامِهَا ، عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - بِمَا وَجَدَهُ عِنْدَهُ مِنَ التَّهْوِضِ بِأَعْيَابِ الرِّسَالَةِ ، وَالْقِيَامِ بِإِدَاءِ الْأَمَانَةِ ، فَأَزَاحَ بِذَلِكَ الْعِلْمَةَ ، وَقَطَعَ الْمَعْدَرَةَ ، وَلَمْ يُبْقِ لِلشَّائِكِ مَوْضِعَ شُبْهَةٍ ، وَلَا لِلْعَانِيدِ دَعْوَى مُؤَوَّهَةٍ ، حَتَّى مَضَى حَمِيدًا تَتَبَعُهُ لَهُ آثَارُهُ ، وَتَقَوْمٌ بِتَأْسِيدِ سُنَّتِهِ أَخْبَارُهُ ، قَدْ خَلَّفَ فِي أُمَّتِهِ ، مَا أَصَارَهُمْ بِهِ إِلَى عَطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَالنَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ وَخُطْبِهِ ، إِلَّا مِنْ شَيْءٍ بَسُوهُ آخْتِيَارُهُ ، وَحُرِّمَ الرِّشَادَ بِخِذْلَانِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَأَتَمَّهَا ، وَأَوْفَاهَا وَأَعَمَّهَا .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ سَيِّدَنَا الْأَمِيرَ بِالتَّوْفِيقِ وَتَوَحَّدَهُ بِالْإِرْشَادِ وَالتَّسْيِيدِ ، فِي جَمِيعِ أَمْرَانِهِ ، وَمَوَاقِعِ آرَائِهِ ، وَجَمَلِ هِمَّتِهِ (إِذْ كَانَتْ الِهْمَمُ مَنْصَرِفَةً إِلَى هَشِيمِ الدُّنْيَا وَرِخَائِفِهَا ، الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا الْإِبْنَاءُ وَتَدْعُوهَا إِلَى نَفْسِهَا) ، مَقْصُورَةً عَلَى مَا يَجْمَعُ لَهُ رِضَا رَبِّهِ ، وَسَلَامَةَ دِينِهِ ، وَأَسْتِقَامَةَ أُمُورِ مَمْلَكَتِهِ ، وَصَلَاحَ أَحْوَالِ رِعِيَّتِهِ ، وَأَيْدِيَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الْمَعَارِضِ ، وَالشُّبْهَةِ الْوَاقِعَةِ ، الَّتِي تَحَارُّ فِي مِثْلِهَا الْآرَاءُ ، وَتَضْطَرِبُ الْأَهْوَاءُ ، وَتَتَنَازَعُ خَوَاطِرُ النُّفُوسِ ، وَتَفْتَلِحُ وَسَاوِسُ الصُّدُورِ ، وَيَخْفَى مَوْضِعُ الصَّوَابِ ، وَيُسْكَلُ مَنَبِحُ الصَّلَاحِ - بِمَا آخْتَارَهُ مِنَ السَّلِيمِ وَالْمُؤَادَعَةِ ، وَالصُّلْحِ وَالْمُؤَافَقَةِ ، الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَلَى فَضْلِهِ ، وَالتَّخْيِيرِ الَّذِي فِي ضِمْنِهِ ، بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ حَتَّى أَصْبَحَ السَّيْفُ مَغْمُودًا ، وَرَوَاقُ الْأَمْنِ مَمْدُودًا ، وَالْأَهْوَاءُ مُنْفَقَةً ، وَالْقُلُوبُ مُؤْتَلَفَةً . وَالْكَلِمَةُ مُجْتَمَعَةً ، وَنِيرَانُ الْفِتَنِ وَالضَّلَالَةُ خَامِدَةً ، وَظُنُونُ بُعَاثَتِهَا وَالسَّاعِينَ لَهَا كَاذِبَةً ، وَطَبَقَاتُ الْإِوْلِيَاءِ وَالرَّعِيَّةِ - بِمَا أُعِيدَ إِلَيْهِمْ مِنْ

الْأَمْنَةُ تُعْقِبُ الْخَيْفَةَ، وَالْأَنْسَاءُ مِنَ بَعْدِ الْوَحْشَةِ - مُسْتَبْشِرَةٌ؛ وَإِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ -  
 فِي إِطَالَةِ بَقَاءِ الْأَمِيرِ وَإِدَامَةِ دَوْلَتِهِ، وَحِرَاسَةِ نِعْمَتِهِ وَتَنْبِيْهِتِ وَطْأَتِهِ - رَاضِعِينَ،  
 وَفِي مُسَالَمَتِهِ مُخْلِصِينَ. وَلَوْ لَمْ يَكُنِ السَّلْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَأْمُورًا بِهِ، وَالصَّلْحُ مَحْبُورًا عَنْ  
 الْخَيْرِ الَّذِي فِيهِ؛ لَكَانَ فِيمَا يَنْتَظِمُ بِهِ: مِنْ حَقِّ الدَّمَاءِ، وَسُكُونِ الدِّهْمَاءِ؛ وَيَجْمَعُ  
 مِنْ الْخِلَالِ الْحَمُودَةَ، وَالْفَضَائِلِ الْمُنْوَدَةَ، الْمُقَدِّمِ ذِكْرَهَا - مَا حَادَا عَلَيْهِ، وَمَثَلَ  
 لِلْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْآرَاءِ الصَّحِيحَةِ مَوْضِعَ الْخَيْرِ فِيهِ، وَحُسْنَ الْعَائِدَةِ عَلَى الْخِصَاصِ  
 وَالْعَامِّ بِهِ؛ فِيمَا يَتَجَلَّى لِلْعَبُورِ، مِنْ مَسْتَبْهَاتِ الظُّنُونِ، إِذَ الدِّينُ وَاقِعٌ، وَالشُّكُّ جَانِحٌ  
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمُبْطَلِ، وَالْحَاثِرُ وَالْمُقْسِطُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ نَسَائُهُ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ  
 مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنَّ تَطْلُوهُمْ فَتَضِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نَاطِرًا  
 لِّلْمُسْلِمِينَ مِنْ مَعْرَةٍ أَوْ مَضْرَةٍ تَلْحَقُ بِعَضْمِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ وَمُؤَثِّرًا تَطْهِيْرِهِمْ مِنْ ظَنِّ  
 الْعُدُوَانِ، مَعَ رَفْعِهِ عَنْهُمْ قَرَّطَاتِ النَّسِيَانِ، وَكَأَفَا أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْمَشْرُكِينَ،  
 كَمَا كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛ تَحْتَنُنًا عَلَى بَرِيَّتِهِ، وَإِبْقَاءً عَلَى أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ؛ إِلَى أَنْ  
 يَتِمَّ لَهُمُ الْمِيقَاتُ الَّذِي أَدْنَاهُ، وَالْأَمْرُ الَّذِي أَمْضَاهُ، وَمَوْقِعُ الْحَدِّ فِي طَائِفَتِهِ، وَالسَّلَامَةُ  
 فِي حَاطَتِهِ. وَبَلَّغَهُمْ مِنْ غَايَةِ الْبَقَاءِ أَمَدَهَا، وَمِنْ مَرَافِقِ الْعَيْشِ أَرْعَدَهَا، مَقْصُورَةً  
 أَيْدِي النَّوَائِبِ عَمَّا حَوْلَهُ، وَمَعْصُومَةً أَعْيُنُ الْحَوَادِثِ عَمَّا تَوْلَاهُ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ مَاجِدٌ.

قُلْتُ: وَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ كُتِبَ عَقْدُ الصَّلْحِ بَيْنَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّصِيرِ  
 أَبِي السَّعَادَاتِ «فَرَج» بْنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْقَاهِرِ «بَرْقُوقِ»، وَبَيْنَ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ  
 الْأَنْطَلِيقِيِّ تَيْمُورْ كُورْكَانِ صَاحِبِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، بَعْدَ طُرُوقِهِ الشَّامَ وَفَتْحِهِ دِمَشْقَ  
 وَتَحْرِيقِهَا وَتَحْرِيبِهَا، وَإِرْسَالِ كِتَابِهِ فِي مَعْنَى طَلَبِ الصَّلْحِ، وَإِرْسَالِ الْأَمِيرِ أَطْلَمِشِ  
 لَزِمَهُ، الْمَأْسُورِ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ «بَرْقُوقِ» صَحْبَةَ الْخُوجَا نِظَامِ الدِّينِ مَسْعُودِ  
 الْكُجَجَانِيِّ، جَهَّزَ ذَلِكَ إِلَيْهِ قَرَيْنَ كِتَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ صَحْبَةَ الْخُوجَا

مسمود المذكور، والأمير شهاب الدين بن أغلبك، والأمير قانبيه، في جمادى الأولى سنة خمس وعشمانمائة، بإشارة المقر المتبحر صاحب ديوان الإنشاء الشريف، من إنشاء الشيخ زين الدين طاهر، ابن الشيخ بدر الدين حبيب الحلبي، أحد كتّاب الهندسة الشريف بالأبواب السلطانية، وهو مكتوب في قطع<sup>(١)</sup> بقم<sup>(٢)</sup>..... وفي طرته ما صورته :

« مرقوم شريف جليل عظيم - مبجل مكرم جميل نظيم ؛ مشتمل على عقد صالح آتتحة المقام الشريف : العاني - القطبي ، نضرة الدين ، تيمور كوركان ، زيدت عظمته ، يكون بينه وبين المقام الشريف : السلطان ، المالك ، الملك الناصر أبي السعادات « فرج » بن السلطان الشهيد ، الملك الظاهر أبي سعيد « برقوق » خادم الحرمين الشريفين . خلد الله تعالى ملكه . انعقد بمباشرة السفير عن المقام الشريف القطبي ، المشار إليه وورثه في ذلك ، الخواجا نظام الدين مسمود الكججاني ، بتمادة من حضر صحبته من العدول بالتوكيل المذكور، على حكم إشارة مرسله إليه ومضمون كتابته ، وقصده تجهيز الأمير أطمش زمه . وحلف المقام القطبي على الموافقة والمصافاة ، واتحاد المملكة ، وإجراء الأمور على السداد ، وعمل مصالح العباد والبلاد . »

وإيضاً ثلاثة أوصل بوصل الطرة ، والبسملة في أول الوصل الرابع بهامش عن يمينها ، وتحت البسملة سطر ، ثم بنت العلامة ، والسطر الثاني بعد بنت العلامة . والعلامة بجليل الثلث بالذهب ما صورته : « الله أملي » .

(١) رياض بالأصول .

وُتَسَخَّرَ الْمَكْتُوبُ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ مَا صُوِّرَتْهُ :

الحمد لله الذي جعل الصلح خيراً ما انعقدت عليه المصالح ، والإصلاح بين الناس  
أولى ما اتصلت به أسباب المناجح ، وأحق ما نطقت به ألسن الحماد وأثنت عليه  
أفواه المدائح .

نعمه على نبيه التي جمعت أشنات القلوب الطوانج ، وأضافت إلى ضياء الشمس  
نور القمر فاهتدى بهما كل غاي ورائج ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
شهادة تبلغ قائلها أهني المناجح ، وتعطر مجالس الذكر بعرف روائعها الروائج ، ونشهد  
أن هذا عبده ورسوله أفضل من آخى بين المتحابين فنصح لله ورأى الصلح من  
أعظم النصائح ، وأكمل رسولي أفتادت لأخلاقه الرضية ، وصفاته المرضية ، جوامع  
النفوس الجوامع ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما اجتمعت عليه آراء أولى الألباب ، وركنت إليه قلوب ذوي  
المعرفة من أهل المودة والأحباب - أئلاف الصلوب بعد اختلافها ، وأصافها  
بالتلبس بأحسن أوصافها ، والعمل على الصلح الذي هو أصلح للناس ، وأزج  
متاجر الدنيا والآخرة وأدفع لليأس والبأس ؛ إذ هو مفتاح أبواب الخيرات الشاملة ،  
ومضباح متاهج الفكر الصحيحة الكاملة ، والداعي إلى كل فعل جميل ، والساعي  
بكل قول هو شفاء صدق الغليل ونجاة من داء العليل .

ولما كان المقام الشريف ، العالی ، الكيرى ، العالی ، العالمی ، العالمی ، المؤیدی ،  
المظفری ، المقبضی ، الملاذی ، الوالیدی ، القطبی ، نصره الدين ، ملجأ القاصدين ،  
ملاذ العالدين ، قطب الإسلام والمسلمين ، يثور كور كان ، زيدت عظمته -  
هو البادي بأحياء هذه السنة الحسنة ، والحادي إلى العمل بمقتضى مقاصده الشريفة



التي هي لذلك مُتَضَمِّنَةٌ ، الْوَارِدَةُ إِلَى حَضْرَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ ، السُّلْطَانِ الْمَسَالِكِ ،  
 الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، زَيْنِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ ، أَبِي السَّعَادَاتِ « فَرَج » بنِ السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ  
 الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، أَبِي سَعِيدِ « بَرْقُوقِ » خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى  
 مُلْكَهُ - عَلَى يَدِ سَفِيرِ حَضْرَتِهِ ، الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ ، الشَّيْخِي ، النَّظَامِيِّ ، مَسْعُودِ  
 الْكَلْبَجَانِيِّ ، الْمُرَوَّحَةِ بِمَسْمَلٍ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ تَارِيخِهِ .

وَجُلٌّ مَضْمُونُهَا . وَسِرٌّ مَكْنُونُهَا - قَصْدُ إِيفَاجِ الصُّلْحِ الشَّرِيفِ بَيْنَ الْمَشَارِ  
 إِلَيْهِمَا ، وَتَسْجُجِ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمُصَادَقَةِ بَيْنَهُمَا ، وَإِسْمَالِ رِدَائِهِمَا تَحَامِسُهَا عَلَيْهِمَا ،  
 بِمَقْتَضَى تَقْوِيضِ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ الْقَطْطِيِّ الْمَشَارِ إِلَيْهِ الْأَمْرِ فِي الصُّلْحِ الْمَذْكُورِ إِلَى  
 الشَّيْخِ نِظَامِ الدِّينِ مَسْعُودِ الْمَذْكُورِ ، وَتَوْكِيلِهِ إِيَّاهُ فِيهِ ، وَإِقَامَتِهِ مَقَامَ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ ،  
 وَجَعَلِ قَوْلِهِ مِنْ قَوْلِهِ : وَأَنَّهُ - عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَهُ - أَشْهَدَ اللَّهُ الْعَظِيمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ،  
 وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ مِنْ يَضَعُ خَطَّهُ مِنْ جَمَاعَتِهِ الْمَجْهُوزِينَ حُجْبَةَ الشَّيْخِ نِظَامِ الدِّينِ مَسْعُودِ  
 الْمَذْكُورِ ، وَهِيَ : الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ شَيْخِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ  
 الْحَزْرِيِّ الشَّافِعِيِّ ، وَالصَّدْرُ الْأَجَلُ كَالِ الدِّينِ كَالِ أَغَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ صَدَرَ عَنِ الْمَقَامِ  
 الشَّرِيفِ الْقَطْطِيِّ الْمَشَارِ إِلَيْهِ ، مُوَافَقَتِهِ عَلَى الصُّلْحِ الشَّرِيفِ ، وَإِجَابَةِ الْقَصْدِ فِيهِ  
 بِإِطْلَاقِ الْأَمِيرِ أَطْلَمَشْ لَزِمَ الْمَقَامِ الْقَطْطِيِّ الْمَشَارِ إِلَيْهِ ، وَتَجَهُّزِهِ إِلَى حَضْرَتِهِ الْعَالِيَةِ ،  
 وَأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِحُضُورِ جَمِّ غَفِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ دَوْلَتِهِ وَأَكْبَارِهَا ، وَمَنْ حَضَرَ  
 مَجْلِسَهُ ، بِالْيَمِينِ الشَّرْعِيَّةِ الْجَامِعَةِ لِأَشْيَاتِ الْخَلِيفِ : بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْبَرِيَّةِ  
 وَبَارِئُ النَّسَمِ ، عَلَى ذَلِكَ جَمِيعِهِ . وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَى الْبِلَادِ الْدَاخِلَةِ فِي مَمْلَكَةِ  
 مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا عَاهَدَ وَصَالَحَ وَعَاقَدَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ  
 نِظَامُ الدِّينِ مَسْعُودُ الْوَكِيلِ الْمَذْكُورُ بِقَضِي بِهِ الْمَقَامِ الْقَطْطِيِّ الْمَشَارِ إِلَيْهِ ، وَيُضْمِيهِ  
 وَيَرْتَضِيهِ . وَأَنْفَصَلَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

فبعد ما وقف مولانا السلطان الملك الناصر المشار إليه - خلد الله تعالى ملكه - على المكتبة الشريفة المشار إليها، وتقدم مضمونها، ورأى أن المصلحة في الصلح: تبركاً بما ورد في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - استخار الله عز وجل، وأمر بتجهيز الأمير أطلش المذكور، وتسليمه للشيخ نظام الدين مسعود المذكور، وأذن لها في التوجه إلى حضرة المقام الشريف القطبي المشار إليه: بموافقة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله - أدام الله تعالى أيامه - على ذلك، وحضور الشيخ الإمام الفرد الأوسد، شيخ الإسلام، سراج الدين، عمر البلقيني - أعاد الله تعالى على المسلمين من بركاته - وقضاة القضاة الحكام - أعز الله تعالى أحكامهم - ومشايع العلم الشريف والصلاح، وأركان الدولة الشريفة، ومن يقع خطه في هذا الصلح الشريف بالشهادة بمضمونه .

وعقد الصلح الشريف بين مولانا السلطان الملك الناصر المشار إليه - خلد الله تعالى ملكه - وبين الشيخ نظام الدين مسعود الوكيل المذكور عن المقام الشريف القطبي المشار إليه - زيدت عظمته - على حكم مضمون مفاوضته الشريفة المقدم ذكرها، وما قامت به البينة الشرعية، بشهادة العدلين المذكورين الواصلين صحة الوكيل المذكور بالوكيل المشروح فيه . فكان صلحاً صحيحاً شرعياً، تاماً كاملاً معتبراً مرضياً، على أحسن الأمور وأجملها، وأفضل الأحوال وأشملها .

وحلف مولانا السلطان الملك الناصر المشار إليه - خلد الله ملكه - وعاهد الله عز وجل نظير ما حلف وعاهد عليه المقام الشريف القطبي المشار إليه من القول والعمل، واستقرت بمشيئة الله تعالى الخواطر، وسرت القلوب، وقرت النواظر، بسا في ذلك من حفظ ذمام العهود الشريفه، وإقامة منار الشرع الشريف وأمتداد

ظلالِ أعلامِهِ الْوَرِيثَةِ . وإجزاءِ كَلِمَةِ نَصْدِيقٍ : على لسانِ أَهْلِ الْحَقِّ ، وَصَوْنِ  
أَمَانَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَشِعَارِ دِينِهِ بَيْنَ الْخَلْقِ ؛ فَلَا يَتَغَيَّرُ عَقْدُ هَذَا الصُّلْحِ الشَّرِيفِ  
عَلَى مَدَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ . وَلَا يَقْضَى حُكْمُهُ وَلَا يَحْتَمِلُ بُرْأَمُهُ عَلَى تَوَانِي السِّنِينَ  
وَالْأَعْوَامِ .

هذا : على أن لا يدخل أحد من عساكرهما وجُدِّهما ومسايلِكهما إلى حدود  
مملكة الآخر ، ولا يتمرَّض إلى ما يتعلَّق به من ممالك وقلاع ، وحُصُونِ  
وسواحلِّ وموانٍ وغير ذلك من سائر الأنواع ؛ ورعاياتهما من جميع الطوائف  
والأجناس . وما هو مختصَّ ببلاد كلِّ منهما ومعروفٌ به بين الناس : حاضرها  
وبالديها ، وقاصبها ودانيتها . وعاميرها وقاميرها ، وباطنها وظاهيرها ؛ ولا إلى من  
فيها من الرعية والتجار والمسافرين . وسائر العاديين والمراحمين في السبل والطرق ؛  
متفرقين ومجتمعين .

هذا على أن يكون كلُّ من المتآمين الثميرين المُشَارِ إليهما مع الآخر على أشكل  
ما يكون في السرِّاء والضراء : من حُسْنِ الْوَقَاءِ ، وَجَمِيلِ الْمُوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ ؛ ويكونا  
في الأتحاد كالأولاد والولدد . وعلى المُبَالِغَةِ فِي الْأَمْتِراجِ وَالْأَخْتِلاطِ كروحين في جسد ؛  
مع ما يضاف إلى ذلك من مُصَادَقَةِ الْأَصْدِقَاءِ ، وَمُعَاذَةِ الْأَعْدَاءِ ؛ وَمُسَالَمَةِ الْمَسَالِمِينَ ،  
وَمُحَارَبَةِ الْمُحَارِبِينَ ؛ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ . وَالظُّهُورِ وَالْكِتْمَانِ ؛ وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ  
العالمُ بِمَا تُبْدِي الْأَعْيُنُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ،  
فِي الْغَيْبَةِ وَالْحُضُورِ ، وَالْوُرُودِ وَالصُّدُورِ .

## الباب السادس

## من المقالة التاسعة

(في الفسوخ الواردة على العقود السابقة، وفيه فصلان)

## الفصل الأول

الْفَسُخُ، وهو ما وقع من أحد الجانبين دون الآخر

قال في "التعريف" : وَقَلَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ إِلَّا مَا يَبْعَثُ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ .  
قال : وقد كتب عمي <sup>(١)</sup> صاحب شرف الدين [أبو محمد] عبد الوهاب رحمه الله ،  
سنة دخول العساكر الإسلامية مَلَطِيَّةَ ، سنة أربع عشرة وسبعائة فَنَسَخًا عَلَى التَّكْفُورِ  
مَمْلُوكِ سَيْسَ ، كَانَ سَبِيًّا لِأَنَّ زَادَ قَطِيعَتَهُ . ولم يذكر صورة ما كتبه في ذلك .

وقد جرت العادة أنه إذا كان الفسخ من الجانب الواحد أن يذكر الكتاب فيه  
مُوجِبَ الفسخ الصادر عن المفسوخ عليه : من ظهور ما يوجب نقض العهد ،  
وَنَكْثَ العَقْدِ ، وإقامة الحجّة على المفسوخ عليه من كل وجه .

قال في "التعريف" : والذي أقول فيه : إنه إن كتبت فيه ، كُتِبَ بَعْدَ البِسْمَلَةِ :

هذا ما استخار الله تعالى فيه فلان ، استخارة تبيين له فيها عَدْرُ الغادر ، وأظهر له بها  
سِرَّ الباطن ما حَقَّقَهُ الظاهر ؛ فسخ فيها على فلان ما كان بينه وبينه من المُهادنة  
التي كان آخِرُ الوَقْتِ الفلاني آخِرَ مَدَّتِهَا ، وطهر السيوف الذُّكُورِ فيها من الدماء إلى  
انقضاء عَدَّتِهَا ، وذلك حين بدا منه من مُوجِبَاتِ النُّقْضِ ، وَحَلَّ المُعَاقَدَةَ التي كانت  
يُسَدُّ بِبَعْضِهَا بَعْضُ (وهي كذا وكذا ، وتذكر وتعد) مما يوجب كل ذلك إخفَارَ

(١) انظر زيادة عن "التعريف" (ص ١٧١) .

الذمة ، وتقضى العهود المرعية الحرمة ، وهذا قواعد الهدنة ، وتخليصة ما كان قد  
 أنسك من الأعتة ، كتب إنذارا ، وقدم حذارا ، ومن يشهد بوجود هذا الفسخ ،  
 ودخول مئة تلك الهدنة في حكم هذا الفسخ . ما تشهد به الأيام ، ويحكم به عليه  
 النصر المكتتب للإسلام ، وكتب هذا الفسخ عن فلان لفلان وقد نبذ إليه عهده ،  
 وأبجز وعده ، وأنفذ إليه سبمه بعد أن صبر مليا على مخالاته ، وأقام مدة يدارى  
 مرض وفائه ولا ينجح فيه شيء من مداواته ، ولينصرت الله من ينصره ، ويحذر من  
 يامن مكره من يحذره ، وأمر فلان بأن يقرأ هذا الكتاب على رؤوس الأشهاد ،  
 لينقل مضمونه إلى البلاد ، أفقة من أمر لا يتأذى به الإعلان ، وينصب به لهذا  
 الغادر لواء لا يقال إذا يقال : هذا اللواء لغدر فلان بن فلان .

## الفصل الثاني

المفاتيحة وهي ما يكون من الجانبين جميعا

قال في "التعريف" : وصورة ما يكتب فيها : هذا ما آخاره فلان وفلان من  
 فسح ما كان بينهما من المهادنة التي هي إلى آخر مدة كذا . آخارا فسح بينهما ،  
 ونسخ أثنائها ، وتقضى ما أبرم من عقودها ، وأشد من عقودها ، جرت بينهما على  
 رضا من كل منهما بإيقاد نار الحرب ، التي كانت أطفئت ، وإثارة تلك التوثر التي  
 كانت كفييت ، نبذاه على سواء بينهما ، واعتقاد من كل منهما أن المصلحة في هذا  
 لجهته ، وأسقط ما كان يحمله للآخر من ربقته ، ورضى فيه بقضاء السيوف ،  
 وإمضاء أمر القدر والقضاء في مسافات الخوف ، وقد أشهدا عليهما بذلك الله  
 وخلقه ومن حضره ومن سمع ونظري وكان ذلك في تاريخ كذا وكذا .

## المقالة العاشرة

في فنون من الكتابة يتداولها الكتابُ وثلاثة أقس في عملها، ليس لها تعلقُ بكتابة الدواوين السلطانية ولا غيرها، وفيها بابان

### الباب الأول

في الجديّات ، وفيه خمسة فصول

### الفصل الأول

#### في المقامات

وهي جمع مقامة بفتح الميم ، وهي في أصل اللغة أمم للعباس والجماعة من الناس . وسميت الأحدثونة من الكلام مقامة ، كأنها تُذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها . أما المقامة بالضم ، فبمعنى الإقامة ، ومنه قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة : ﴿ الَّذِينَ أَحَلْنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

وأعلم أن أول من فتح باب عمل المقامات ، علامة الدهر ، وإمام الأدب ، البديع الهمداني : فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه ، وهي في غاية من البلاغة ، وعلو الرتبة في الصنعة . ثم تلاه الإمام أبو محمد القاسم الحريري ، فعمل مقاماته الخمسين المشهورة ، بجاءت نهاية في الحسن ، وأتت على الجزء الواقف من الحفظ ، وأقبل عليها الخصاص والعام ، حتى أنست مقامات البديع وصيرتها كالمرفوضة . على أن الوزير ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر" لم يوقفه حقّه ، ولا عامله بالإتصاف ، ولا أبجل معه القول . فإنه قد ذكر أنه ليس له يد في غير المقامات ،

حتى ذكر عن الشيخ أبي محمد أحمد بن الخشاب أنه كان يقول : إن الحريري رجل مقامات . أي لأنه لم يحسن من الكلام المنشور سواها ، فإن أتى بغيرها فلا يقول شيئاً . وذكر أنه لما حضر بغداد . ووقفت على مقاماته ، قيل : هذا يستصاح لكتابة الإنشاء في ديوان الخلافة . ويحسن أثره فيه ، فأحضر وكتب كتابة كتاب فأحجم ، ولم يجر لسأته في طوبله ولا قصيره ، حتى قال فيه بعضهم :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رِبْعَةِ الْفَرَسِ • يَنْفُ عُنُونَهُ مِنْ أُنُوسِ •

أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِاللِّسَانِ وَفِي • بَعْدَادِ أَصْحَى الْمَلْجُومِ بِالْحَرَسِ !

واعتذر عنه بأن المقامات مدارها جميعها على حكاية تخرج إلى تلخيص ، بخلاف المكاتبات فانها بحر لا ساحل له : من حيث إن المعاني تتجدد فيها بتجدد حوادث الأيام . وهي متجددة على عدد الأنفاس .

وهذه المقامة التي قدمت الإشارة إليها في خطبة هذا الكتاب ، إلى أني كنت أنشأتها في حدود سنة إحدى وتسعين وسبعائة ، عند استقرارى في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة ، وأنها اشتملت - مع الاختصار - على جملة جملة من صناعة الإنشاء ، وسميتها بـ"الكواكب البدرية" ، في المناقب البدرية ، ووجهت القول فيها لتقريب المقر البدرى . بن المقر العلاءي ، بن المقر المحيوى ، بن فضل الله ، صاحب ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية يومئذ ، جمعت مبنها على أنه لا بد للإنسان من حرفة تتعلق بها ، ومعيشة يتسكك بسببها ، وأن الكتابة هي الحرفة التي لا يليق بطالبي العلم سواها ، ولا يجوز له العُدول عنها إلى ما عداها ، مع الجحوح فيها إلى تفضيل كتابة الإنشاء وترجيحها ، وتقدّمها على كتابة الدبونة وترشيحها .

وقد اشتملت على بيان ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد ، وما ينبغي أن يسلكه من الجواد ؛ مع التنبيه على جملة من المصطلح بيّنت مقاصده ، ومهدت قواعده ؛ على استيفائه في خلال مطالعها إن شاء الله تعالى ، وهي :

حكى الناثر ابن نظام ، قال : لم أزل من قبل أن يبلغ برید عمري مركز التكليف ، ويتفرق جمع خاطري بالكلف بعد التأليف ؛ أنصب لأقتناص العلم أشراك التحصيل ، وأثره توحيد الاستغفال عن إشراك التعطيل ؛ مستمرا عن ساق الهدى ذيل الاجتهاد ، مستمرا على الوحدة وملازمة الأفراد ؛ أنتهز فرصة الشباب قبل توليها ، وأغتم حالة الصحة قبل تجايفها ؛ قد حالف جفني السهاد ، وحالف طيب الرقاد ؛ أمرت النفس على الاشتغال كي لا تمل فتتفرعن الطلب وتجمع ؛ ميملا جانب قصدها عن ركوب الأهواء والميل إليها ، صارفا وجه غايتها عن المطالب الدنيوية والركون إليها ؛ متخيرا أبقى الأماكين وأوفق الأوقات ، قانعا بأدنى العيش راضيا بأبسر الأوقات ؛ أونس من شوارد العقول وحشيرا ، وأشرد عن روايض المنقول حوشيا ، وأتلفط صالة الحكمة حيث وجدتها ، وأقيد نادرة العلم حيث أصبتها ؛ مقدما من العلوم أشرفها ، ومؤثرا من الفنون أنفها ؛ معتمدا من ذلك ما تألفه النفس ويقبله الطبع ، مقيلا منه على ما يستجلي حسنه النظر ويستحلي ذكره السمع ؛ متقيا من الكتب أمتعها تصنيفا ، وأتمها تحريرا وأحسنها تأليفا ؛ متخبيا من أشياخ الإفادة أوسمهم علما وأكثرهم تحقيا ، ومن أفران المذاكرة أروضهم بحثا والظفهم تدقيقا ؛ عارفا لكل عالم حقه ، وموفيا لكل عليم مستحقه ؛ قد استغنيت بكتابي عن حلي وريني ، وآثرت بيت خلوتي على شفيق وشفيقي ؛ أجوب فيافي الفنون لتظهر لي طلايع الفوائد فأنهدها عيانا ، وأجول في ميدان الأفكار لتلوح لي كائن المعاني فلا أنفي عنها عيانا ؛ وأسن غارات المطالعة على كتائب الكتب فأرجع



بالتعميم، وأهملهم على حصون الدفاتر ثم لا أولى عن هزيمته؛ بل كلما لاحت لى ففة  
من البحث تحيرت إليها، أو ظهرت لى كنيهة من المعاني حملت عليها، إلى أن أتبع  
لى من الفتح ما أفاضته النعمة، وحصانت من الغنمة على ما اقتضته القسمة .

فبينما أنا أرتع فى رياض ما نقلت، وأجتنبى إمار ما حوت، إذ طلع على جيش  
التكليف حصرى . وخرج على كمين التكليف فأسرني، فأمسيت فى أضيق خناق،  
وأشد وثاق؛ قد عاقبى قيد الأكتساب عن الأشتغال، وصدنى كل الكد عن  
الأهتمام بالطالب والأحيقال؛ فغشيتى من القبض ما غشيتى، وأخذنى من الوحشة  
ما أخذنى، وتعارض فى حرك العقل بين الكسب وطلب العلم، وتساويا فى الترجيح  
فلم تجنح واحدة منهما إلى السلم؛ فصرت مدهوشا لأحسن صنعا، وبقيت متحيرا  
لا أدرى أى الأمرين أقرب إلى نفعنا؛ : إن طلبت العلم للكسب فقد أخشت  
رجوعا، وإن تركت الكسب للعلم هلكت ضيعة ومث رجوعا .

فلسا علمت أن كلا منهما لا يقوم إلا بصاحبه، ولا يتم الواجب فى أحدهما  
مالم يتم فى الآخر بواجبه؛ التمس كسبا يكون للعلم موافقا، وبجملته لايقا؛ ليكون  
ذلك الكسب للعلم موضوعا والعلم عليه محولا، والجمع ولو بوجه أولى؛ فقلت  
أسبر المعاش سير مقصد، وأسير فى قلوب الصنائع سير متعهد؛ لكى أجد  
حرفة تطابق أربى، أو صنعة تجانس طلى .

فبينما أنا أسير فى معاهدها، وأردد طرفى فى مشاهدها؛ إذ رفعت لى صوت قرع  
تمعى برتته، وأخذ قلبى بحتته؛ ففقوت أثره متبعا، وملت إليه مستمعا؛ فإذا رجل  
من أحسن الناس شكلا، وأزبحهم عقلا؛ وهو يرتجم ويثمد :

إن كنت تقصدنى بظلمك عامدا، : حرمت نفع صداقة الكتاب؛

السَّائِقِينَ إِلَى الصَّدِيقِ تَرَى الْغِنَى \* وَالنَّاعِشِينَ لَعْنَةَ الْأَصْحَابِ ،  
وَالنَّاهِضِينَ بِكُلِّ عِبٍّ مُتَقِيلٍ \* وَالنَّاطِقِينَ بِفَضْلِ كُلِّ خِطَابٍ ،  
وَالْعَاطِفِينَ عَلَى الصَّدِيقِ بِفَضْلِهِمْ \* وَالطَّيِّبِينَ رَوَائِحِ الْأَنْوَابِ .  
وَلَيْنَ جَعَدْتُمْ الشَّنَاءَ فَطَالَمَا \* جَعَدَ الْعَيْدُ تَفَضَّلَ الْأَرْبَابُ !

فلما سمعتُ منه ذلك ، وأعجبني من الوصفِ ما هنالك ؛ ذنوتُ منه دُتو الواجل ،  
وجلستُ بين يديه جُلوسَ السائلِ ؛ وقلتُ : هذه وأبيكَ صفاتُ الملوكة بل ملوكُ  
الصفات ، وأكرمُ الفضائلِ بل أفضلُ المكرماتِ ؛ ولم أكُ أظنُّ أنْ للكاتبِ هذا  
الخطَرَ الجسيمَ ، وللكتابِ هذا الحظُّ العظيمُ ؛ فأعرضُ مُغضباً ، ثم فَوَّقَ بصره إلى  
مُعجبا ، وقال : هيهاتَ فاتك الحزمُ ، وأخطأك العزمُ ؛ إنها لمن أعظمِ الصنائعِ قدراً ،  
وأرفعها ذكراً ؛ نطقَ القرآنُ الكريمُ بِفضلِها ، وجاءتِ السنةُ النَّزَّاءُ بِتقديمِ أهلِها ؛  
فقال تعالى جلَّ شأنه ، وتباركتْ أسماؤه : ﴿ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ  
الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فأخبر تعالى أنه عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، حيثُ وصفَ نفسه بالكرمِ ، إشارةً  
إلى أن تَعلِيمَها من جَزِيلِ نِعَمِهِ ، وإيذاناً بأن مَنحَها من فَائِضِ دِيَمِهِ ؛ وقال جلَّتْ  
قُدْرَتُهُ : ﴿ رَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِعَجُوبٍ ﴾ فأقسمَ بِالْقَلَمِ  
وما سَطَّرَهِ الْأَقْلَامُ ، وأتى بذلك في آكِدِ قَسَمٍ فكان من أعظمِ الْأَقْسَامِ . وقال  
تَفَدَّسَتْ عَظْمَتُهُ : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ بفعلِ الكتابةِ من وَصِفِ  
الكرامِ ، كما قد جاءَ فِعْلُها عن جماعةٍ من الأنبياءِ عليهم السلامُ ؛ وإنما مُنِعَها اللهُ  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْجِزَةً قد بَيَّنَّ تعالى سَبَبَها ، حيثُ ذَكَرَ الْحَمْدُهم بقوله :  
﴿ وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آكُتَبَها ﴾ .

هذا : وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في كثرة الكتاب راعيا ، فقد روى أنه كان له عليه أفضل الصلاة والسلام نيف وثلاثون كتابا ، هم محبة أصحابه ، وخلاصة أترابه ، من آمنتهم على أسرار الوحي والتمثيل ، وحاطب بالسنة أفلامهم ملوك الأرض فاجابوا بالإذعان على التبع والمدى الطويل ، وكتب الملوك أيضا إليه ابتداء وجوابا ، وكتب أصحابه وكتبوه فاحسن استماعا وأحتم خطابا ، وبذلك جرت سنة الخلفاء الراشدين فمن تلاهم ، وعلى نهجهم مشيت ملوك الإسلام ومن ضاهاهم .

فالكاتبه قانون السياسة ، ورؤيتها غاية رتب الرياسة ، عندها تقف الإنافة ، وإلها تنهى مناصب الدنيا بعد الخلافة ، والكاتب عيون الملوك المبصرة وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة وعقولهم الحاروية ، بل محض الحق الذي لا تدخله الشكوك ، وإن الملوك إلى الكتاب أحوج من الكتاب إلى الملوك ، وأهيك بالكتابة شرفا . وأعل بذلك رتبة وكفى ، أن صاحب السيف والعلم يزاحم الكاتب في قلبه ، ولا يزاحم الكاتب صاحب السيف والعلم في سيفه وعابه .

وعلى الجملة فهم الحارون لكل وصيف جميل . وشأن نبيل ، الكرم شعارهم ، والحلم دثارهم ، والحدود جادتهم ، والخير عادتهم ، والأدب ممرتهم ، واللطف مذهبهم ، والله القائل :

وشمول كما أعتصروها ، من معاني شمائل الكتاب !

فما أنقصي قلبه ، وبانت سبيله ، قلت : لقد ذكرت قوما راقبي وصمهم ، وشاقتي أطعمهم ، ودعائي طيب حديهم . وحسن أوصافهم ، وجميل نعوتهم ، إلى أن أحل بناديبهم . وأنزل بواديبهم ، فأجعل حرقمهم كسي ، وصنعهم داني ، ليجتمع بالعلم شملي ، ويتصل بالأشغال حبي . فأكون قد ظفرت بمذيتي ، وفزت ببغيتي .

فأى قَيْسِلٍ من الكُتَابِ أَرَدتْ ؟ وإلى أَى نَوْعٍ من الكِتَابَةِ اشْتَرَتْ ؟ أِكِتَابَةُ  
الْأَمْوَالِ ؟ أَمْ كِتَابَةُ الْإِنْشَاءِ وَالْحَطَابَةِ ؟ ، أَمْ غَيْرَهُمَا من أَنْوَاعِ الْكِتَابَةِ ؟ ؛ فَنَظَرُ إِلَى  
مَتَبَسِّمًا ، وَأَنْشَدُ مُتَرَمِّمًا :

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ غَضَبٍ \* نَمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمَنِيَّاتِ ،  
نَأَوْا بِهَا مِنْ لَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعُدُوا \* مَا لَمْ يَسْأَلُوا بَعْدَ الْمُشْرِفِيَّاتِ !

فَقُلْتُ : كَأَنَّكَ تُرِيدُ كِتَابَةَ الْإِنْشَاءِ دُونَ سَائِرِ الْكِتَابَاتِ ، وَهِيَ الَّتِي تَقْصِدُهَا  
بِالتَّصْرِيحِ وَتُسَيِّرُ إِلَيْهَا بِالْكِتَابَاتِ ؛ فَقَالَ : وَهَلْ فِي أَنْوَاعِ الْكِتَابَةِ جُمْلَةٌ تَنْوَعُ يُسَاوِيهَا ،  
أَوْ فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ صَنْعَةٌ تُضَاهِيهَا ؛ ؛ إِنَّ لَهَا لَفَيْدَحَ الْمُعْلَى ، وَالْحَبِيدَ  
الْمُعْلَى ؛ وَالذَّرْوَةَ الْمُنِيْفَةَ ، وَالرِّثَةَ الشَّرِيفَةَ ؛ كُتَابُهَا أَسُّ الْمُلْكِ وَعِمَادُهُ ، وَأَرْكَانُ الْمُلْكِ  
وَأَطْوَادُهُ ؛ وَلِسَانُ الْمَلِكَةِ النَّاطِقِ ، وَسَهْمُهَا الْمَفُوقُ الرَّاشِقُ ؛ وَنَحْوُ حَبِيبِ بْنِ أَوْسِ  
الطَّائِقِ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَضْرِبَةٌ مِنْ كِتَابِ بَنِي سَانِهِ \* أَمْضَى وَأَقْطَعُ مِنْ رَقِيقِ حُسَامِ !  
قَوْمٌ إِذَا عَزَمُوا عِدَاوَةَ حَاسِدٍ \* سَفَكُوا الدَّمَاءَ بِأَيْسَةِ الْأَقْلَامِ !

قَلَمُهَا يَبْلُغُ الْأَمَلَ ، وَيُغْنِي عَنِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ ؛ بِهِ تُصَانُ الْمَعَاوِلُ ، وَتُفَرَّقُ  
الْجَحَافِلُ :

فَلَمْ يَقُلْ الْجَبِيْشُ وَهُوَ عَرَمَرَمٌ \* وَالْبَيْضُ مَا سَلَّتْ مِنَ الْأَعْمَادِ !

فَقُلْتُ : إِنْ كُتِبَ الْأَمْوَالُ يَرَعْمُونَ أَنْ لَمْ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ الْأَعْلَى ، وَالطَّرِيقَةَ  
الْمُنْتَهَى ؛ وَيَسْتَشْهِدُونَ لِقَضَائِلِهَا ، وَتَقْدِمُ أَهْلِهَا ؛ بِقَوْلِ الْإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِ الْحَرِيرِيِّ  
رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي مَقَامَاتِهِ :

«إِنَّ صِنَاعَةَ الْحِسَابِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَصِنَاعَةُ الْإِنْشَاءِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّلْفِيقِ ؛  
وَقَلَمَ الْحَاسِبِ ضَاطِعٌ ، وَقَلَمَ الْمُنْثَنِي حَاطِيطٌ ؛ وَبَيْنَ إِتَادَةِ تَوْطِيفِ الْمُعَامَلَاتِ ، وَتِلَاوَةِ

طَوَامِيرُ السَّجَلَاتِ ؛ بَوْنٌ لَا يُدْرِكُهُ قِيَاسٌ ، وَلَا يَتَوَرَّهَ أَلْيَاسٌ ؛ إِذِ الْإِتَاوَةُ تَمَلُّا  
 الْأَيْجَاسُ ، وَالسَّلَاوَةُ تُفْرَعُ الرَّاسُ ؛ وَخَرَجُ الْأَوَارِجِ ، يُعْنَى النَّاطِرُ ، وَأَسْتِخْرَاجُ  
 الْمَدَارِجِ ، يُعْنَى الْحَاطِرُ ؛ وَالْحَسَبَةُ حَفْظَةُ الْأَمْوَالِ ، وَحَمَلَةُ الْأَثْقَالِ ؛ وَالنَّقَلَةُ  
 الْأَثْبَاتُ ، وَالسَّفَرَةُ النَّقَاتُ ؛ وَأَعْلَامُ الْإِنْصَافِ وَالْأَنْصَافِ ، وَالشُّهُودُ الْمَقَانِعُ  
 فِي الْأَخْتِلَافِ ؛ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَوْفِي الَّذِي هُوَ يَدُ السُّلْطَانِ ، وَقُطْبُ الدِّيَّانِ ، وَقِسْطَاسُ  
 الْأَعْمَالِ ، وَالْمُهَيِّمُنُ عَلَى الْأَعْمَالِ ؛ وَإِلَيْهِ الْمَأْبُ فِي السَّلْمِ وَالْمَرْجِ ، وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ  
 فِي الدُّخْلِ وَالْمَخْرَجِ ، وَبِهِ مَنَاطُ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ ، وَفِي يَدِهِ رِبَاطُ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ؛ وَلَوْلَا  
 قَلَمُ الْحُسَابِ ، لَأَوَدَّتْ ثَمَرَةُ الْآكِنْسَابِ ، وَلَا تَصِلَ النَّفَائِنُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ ؛ وَلَكِنْ  
 نِظَامُ الْمَعَامِلَاتِ مَحْلُولًا ، وَجُرْحُ الظَّلَامَاتِ مَطْلُولًا ، [ وَجِيدُ النَّصْفِ مَطْلُولًا ] ؛  
 وَسَيْفُ النُّظَامِ مَسْلُولًا ؛ عَلَى أَنَّ بَرَّاعَ الْإِنْشَاءِ مُتَقَوِّلٌ ، وَبَرَّاعُ الْحِسَابِ مُتَأَوِّلٌ ؛  
 وَالْحَاسِبُ مُنَاقِشٌ ، وَالْمُنَشِئُ أَبُو بَرَّاقِشِ . »

فوصف كتابة الأموال بأتم الصفات ، ونبه من شيم أهلها وشيئتهم على أكرم  
 الشيم وأحسن الشيات .

فقال : هذه الحجة معارضةً بمثلا ، بل باطلةً من أصلها ؛ وأين ذلك من قوله  
 في صدر كلامه ؟ :

« اعلموا أن صناعة الإنشاء أرفع ، وصناعة الحساب أنفع ؛ وقلم المكتبة خاطب ،  
 وقلم المحاسبة خاطب ؛ وأساطير البلاغات تُنسخ لتُدرس ، ودساتير الحسابات تُنسخ  
 وتُدرس ؛ والمنشئ جوهية الأخبار ، وحقية الأسرار ؛ ونجى العطاء ، وكبير النداء ؛  
 وقلمه لسان أسرار الدولة ، وقارس الجولة ؛ ولقمان الحكمة ، وترجمان الهمة ؛ وهو

البشير والنذير، والشفيح والسفير؛ به تستخلص الصياحي، وتملك النواصي؛ ويقناد العاصي، ويستدنى القاصي؛ وصاحبه برىء من التبعات، أمين كيد السعات؛ مقرظ بين الجماعات، غير معرض لتنظيم الجماعات» .

فهذه أرفع المراتب، وأشرف المناقب؛ التي لا يعتمدها شين، ولا يسوبها مين، وصدر الكلام يقتضي التريجيج، ويؤذن بالتريشيج؛ والرُفَع، أبلغ في الوصف من النفع؛ فقد ينتفع بالزر اليسير، ولا يرتفع إلا بالأمر الكبير؛ على أنه لو اعتبر نفع كتابة الإنشاء لكان أبلغ، وإقامة الدليل عليه أسوع؛ وأنى لكُتاب الأموال، من التأثير في قل الجبوش من غير قتال، وتنج الحصون من غير نزال؛ فهذه هي الخِصِي التي لا تُساوى، والمقبلة التي لا تُساوى :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَبَانَ مِنْ لَبِنٍ . شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا !

فقلت: الآن قد انقطعت الحجج، وبانت المحجج، فما الذي يحتاج كاتب الإنشاء إلى ممارسته؟ فقال: إذا قد تعلقت من الصنعة بأسبابها، وأثبت البيوت من أبوابها .  
إعلم أن كاتب الإنشاء لا تظهر فصاحته، وتبين بلاغته؛ وتقوى براعته، وتجمل براعته؛ إلا بعد تحصيل جملة من العلوم، ومعرفة الأصلاح والإحاطة بالرُسوم؛ ثم أهم ما يبدأ بتحصيله، ويعتمد عليه في جملة الأمر وتفصيله؛ حفظ كتاب الله العزيز الذي هو معدن الفصاحة، وعنصر البلاغة؛ وإدامة قراءته وتكرير متانيه، مع العلم بتفسيره وتدبر معانيه؛ حتى لا يزال دائراً على لسانه حاضراً في ذكره، ولا يرح معناه مُثلاً في قلبه مُصوراً في فكره؛ ليكون مستحضراً له في الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويضطر إلى إقامة الأدلة القاطعة عليه؛ فبِه الحجمة البالغة، ولآياته الأجوبة الدامغة؛ خصوصاً السير والأحكام، وما يتعلق بذلك من مهمات

الدين وقواعد الإسلام، وما أشتمل عليه كلام النبوة من الألفاظ البديعة التي أبكت  
 الفصحاء، والمعاني الدقيقة التي أعميت البغاة، مع النظر في معانيها ومعرفتها غريبها،  
 والأطلاع على ما للعلماء في ذلك من الأقوال بعيدها وقربها، لتكون أبدأ محجته  
 ظاهره، وأدلتها قوية متظاهرة، فإن الدليل إذا استند إلى النص انقطع النزاع  
 وسلم المدعى وزم، والفصاحة والبلاغة غائبهما - بعد كتاب الله تعالى - في كلام  
 من أوتي جوامع الكلم، والعلم بالأحكام السلطانية وفروعها، وحضوضها وشيوعها،  
 والتوغل في أشعار العرب والمؤلفين، وأهل الصناعة من المحدثين، وما ورد عن كل  
 فريق منهم من الأمثال نثرًا ونظمًا، وما جرى بينهم من المحاورات والمناقضات حربًا  
 وسلمًا، والتعويل من ذلك على الأشعار البديعة التي اختارها العلماء بها، فتمسكوا  
 بأوتادها وتعلقوا بسننها، والأمثال الغربية التي انتقوها، ودونوها ورووها، وأستيضاح  
 القسمين وأستكشاف غوامضهما، وأستبصار التوضيح وأستبصار غوارضهما،  
 والأطلاع على خطيب البغاة، ورسائل الفصحاء، وما وقع لهم في مخاطبتهم،  
 ومكاتبتهم، والعلم بأيام العرب وحروبهم، وما كان من الوقائع بين قبائلهم وشعوبهم،  
 والنظر في التواريخ وأخبار الدول الماضية، والقرون الخالية، وسير الملوك وأحوال  
 المهالك، ومعرفة مكابدهم في الحرب المتقدمة من المهاوي والمنجية من المهالك .

مع سعة الباع في اللغة التي هي رأس ماله، وأسن مقالها، وكثرة المعدد للإتفاق،  
 ومعينه بل مفيته وقت الضرورة على الإطلاق، والتحو الذي هو منح كلامه، ومسك  
 ختامه، والتصرف الذي تعرف به أصول أدبية الكلمة وأحوالها، وكيفية التصرف  
 في أسماؤها وأفعالها، وعلوم المعاني والبيان والبديع التي هي حلية لسانه، وآية بيانه،  
 ومعرفة أبوابها وفصولها، وتحقق فروعها وأصولها : من الفصاحة وطرائقها،  
 والبلاغة ودقائقها، واختيار المعاني وترتيبها، ونظم الألفاظ وتركيبها، والفصل

والوصيل ومواقفهما، والتقديم والتأخير ومواضعهما؛ ومواطن الخذف والإضمار،  
وحكم الروابط والأخبار؛ وغير ذلك من الحقيقة والمجاز، والبسط والإيجاز؛ والحل  
والعقد، وتمييز الكلام جيده من رديه بصحة النقد؛ مع معرفة أنواع البديع  
وطرائفها، والأطلاع على غوامض أسرارها وفرائد دقائقها .

على أن أكد شيء يجب تحصيله قبل كل حاصل، ويستوى في الاحتياج إلى  
معرفة المفضول من الكتاب والفاضل؛ العلم بالخط وقوانينه؛ من الهجاء والنقطة  
والشكل، والفرق بين الضاد والطاء المتخالفين في الصورة والشكل، مع المعرفة بالآلات  
الكتابة وصفاتها، وتباين أنواعها واختلاف صفاتها .

هذه أصوله التي ينبغي عليها، وقواعده التي يرجع إليها؛ فإذا أحاط بهذه الفنون  
عاماً، وأتقنها فهماً؛ غزرت عنده المواد، وأتضح له الجواد؛ فأخذ في الاستعداد،  
وسهل عليه الاستشهاد؛ فقال عن علم وتصرف عن معرفة وأستحسن برهان،  
وأنقذ بحجة وتحرر بدليل وصاغ بترتيب وبخا على أركان؛ وأتسع في العبارة  
بجأله، وفتح له من باب الأوصاف أقاله؛ وتلقى كل واقعة بما ياتلها، وقابل كل  
قضية بما يتساكها؛ وعلم المحيد فنسج على منواله، وظهر له القاصر فأعرض  
عن أفواله؛ وحصل له القوة على فهم الخطاب، وأنشأ الجواب بحسب الوقائع  
والأعراض، على طريقي المقاصد والأعراض؛ ومتى أحل بشيء من ذلك فأتته  
الفضائل، وطلقت به الرذائل؛ وقلت بصاعته، ونقصت صناعته؛ وساءت آثاره،  
وقبحت أخباره؛ وخلط الغرر بالغرر، ولم يميز بين الصدف والذرر؛ فأخرج الصنعة  
عن أماكنها، وطمس من الكتابة وجوه محاسنها؛ بجز اللوم إلى نفسه، وأمسى  
مهزاة لأبناء جنسه .



وَوَرَاءَ ذَلِكَ عُلُومٌ هِيَ كَالنَّافِلَةِ لِلْكَتَابِ ، وَالزِّيَادَةُ لِلرَّاعِبِ :

مِنْهَا مَا تَكْتَلِبُ بِهِ صِنَاعَتُهُ ، وَتَعْظُمُ بِهِ مَكَائِنُهُ : كِعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَأُصُولِ الْفِقْهِ  
 وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ ، وَالْمَنْطِقِ وَالْحَدَلِ ، وَأَحْوَالِ الْفِرَقِ وَالتَّحْلِ وَالْمَالِ ، وَعِلْمِ الْعُرُوضِ  
 وَالْمِيزَانِ الْمُحَكَّمِ ، وَعِلْمِ الْقَوَائِي وَحَلِّ الْمُتَرَجِمِ ، وَالْحِسَابِ الْمَفْتُوحِ وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ  
 الْمُعَامَلَةِ ، وَمَا تُسْتَخْرَجُ بِهِ الْمَجْهُولَاتُ : مِنْ حِسَابِ الْخَطَّائِنِ وَالدَّرْهَمِ وَالدَّنْيَارِ وَالجَبْرِ  
 وَالْمُقَابَلَةِ ، وَحِسَابِ الدُّورِ وَالْوَصَايَا ، وَالتَّخْتِ وَالْمَيْسِلِ وَمَا لِأَعْمَالِهِ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ  
 الْمَذْرَبَاتِ ، وَالْعِلْمِ بِالْفَلَاحَةِ ، وَأَحْوَالِ الْمِسَاحَةِ ، وَعِلْمِ عُذُودِ الْأَيْدِيَةِ وَالْمَنْظَرِ الْحَقِيقَةِ ،  
 وَمَسَاكِرِ الْأَنْفَالِ وَالْمَذْرَبَاتِ الْمُحْرِقَةِ ، وَعِلْمِ جَرِّ الْأَنْفَالِ الْأَيْسَةِ ، وَالْعِلْمِ بِالآلَاتِ الْحَرْبِيَّةِ ،  
 وَعِلْمِ الْمَوَاقِيتِ وَالْبِنَكَامَاتِ ، وَالتَّقَاوِيمِ وَالزِّيَاجَاتِ ، وَعِلْمِ تَسْطِيجِ الْكُرَّةِ وَالتَّوَصُّلِ بِهَا  
 إِلَى آسْتِخْرَاجِ الْمَطَالِبِ الْفَلَكِيَّةِ ، وَكَيْفِيَةِ الْأَرْصَادِ وَأَحْكَامِ التَّجْوِيمِ وَالآلَاتِ الظَّلِيَّةِ ،  
 وَعِلْمِ الطَّبِّ وَالتَّبْطَرَةِ ، وَأَحْوَالِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ وَعِلْمِ التَّبَيُّرَةِ .

وَمِنْهَا مَا تَكْتَلِبُ بِهِ ذَاتَهُ ، وَتَتِمُّ بِهِ أَدْوَانُهُ ، كِعِلْمِ التَّعْبِيرِ وَعِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَعِلْمِ السِّيَاسَةِ ،  
 وَعِلْمِ تَدْبِيرِ الْمُتَوَكِّلِ وَعِلْمِ الْفِرَاسَةِ . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي أَضْرِبُنَا عَنْ ذِكْرِهَا خَشْيَةَ  
 الْإِطْلَاقِ ، وَأَعْرَضْنَا عَنْ إِيْرَادِهَا خَوْفَ الْمَلَالَةِ ، فَهَذِهِ عُلُومٌ فَضْلَةٌ بِعَظْمِ بَعْلَمِهَا  
 أَمْرُهُ ، وَفَضِيلَةٌ بِرَفْعِ تَحْصِيلِهَا ذِكْرَهُ ، بَلْ لَا يَسْتَفْنِي عَنِ الْعِلْمِ بَرُّوسِ مَسَائِلِهَا ،  
 وَإِشَارَاتِ أَرْبَابِهَا الْآخِذَةِ مِنْ تِجَارِهَا بِأَطْرَافِ سَوَاحِلِهَا ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَرَدُّ عَلَيْهِ  
 أَوْقَاتٌ لَا يَسْمَعُ جَهْلُ ذَلِكَ فِيهَا ، وَتَمْتَرُ عَلَيْهِ أَرْمَانٌ يَوْدُ لَوْ تُسْتَرَى فَيَسْتَرِيهَا .

قُلْتُ : قَدْ بَانَ لِي عُلُومُهَا ، فَا رُسُومُهَا؟ . قَالَ : إِنْ أَعْبَأَهَا لِأَهْطَةَ حَمَلًا ،  
 وَإِنَّمَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا ، وَلَكِنْ سَأَدْتُ لَكَ مِمَّا سَأَلْتَ ذِكْرًا ، وَأَبْنَيْتُكَ بِسَالِمِ تُحِطُ  
 بِهِ خُبْرًا .

فمن ذلك : المعرفة بالولايات ولو احيقها ، على اختلاف مقاصدها وتباين طرائقها ؛  
من البيعات وأحكامها ، والعهود وأقسامها ، والتقاليد وصفاتها ، والتفاويض  
ومضاهاتها ؛ والمراسيم وأوضاعها ، والتواقيع وأنواعها ؛ والنخطيب ومناسباتها ،  
والوصايا ومطابقتها ؛ ثم العلم بالمتنشير ومراتبها ، والمرعات الجبشية ومعابها ؛  
ومعرفة رتب المكاتب وطبقاتها ، ومن يستحق من الرتب أذناها أو يستوجب  
الرفع إلى أعلى درجاتها : من المكاتب الصادرة عن الأبواب الشريفة الخليفة ،  
والمكاتب الواردة عليها وعلى أرباب المناصب من سائر الآل والعتره النبويه ؛  
وملوك المسادين والقنات ، وملوك الكفر وأرباب الديانات ؛ وأهل المملكة من  
الثواب والكشاف والولاه ، والأمرء والوزراء والعربان والقضاة ؛ وسائر حمله  
الأقلام ، وأهل الصلاح وبقية الأعلام ؛ ونساء الملوك والخوندات ، ومكاتب  
التجار وما عساه يقرأ من المكاتب المستجذات ؛ وكتب البشرى بالجلوس على  
التخت والفتح والظفر ، والبشرى بوفاء النيل والقُدوم من الغزو والسفر ؛ وأسرها  
العزائم ، والبطائق المحمولة على أجنحة الحمام ، والمناطق التي يضطر إليها ، ويعول  
في الأمور الباطنة عليها ؛ وأوراق الجواز في الطرقات ، والإطلاقات في التفسير  
والمثالات المطلقات ؛ ومعرفة الأوصاف التي يكثر في المكاتب تكرارها ، وينسق  
في جيد المراسلات لإيرادها وإصدارها : كوصف الأنواء والكواكب ، والأقلام  
العليه المراتب ؛ والآلات الملوكية الخليلية المقدر ، والسلاج وآلات الحصار ؛  
والخيل المسومه ، والجوارح المئمه ؛ وجليل الوحش وسباعه ، وطير الواجب  
وأشباعه ؛ والأمكنة والرياض ، والمياه والفياض ؛ وغير ذلك مما يعز وبعلو ، ويرتفع  
ويعلو ؛ وإخوانيات المكاتب وطبقاتها ، وتميز كل طبقة منها عن أخواتها ؛  
وما تشتمل عليه من الأبداء والجواب ، والتشوق والعتاب ؛ والترفق والأعتذار ،

والشفاعة وطلب النصف والفقو عند الأقدار، والثمانى والتعازى، وما يكتب مع الهدية ويحاطب منها من المجازى وغير المجازى .

وغير ذلك من مقاصد المكاتبات التى يتعدّد حصرها، ويمتنع على المستقصى ذكرها، ومعرفة الطعرة والطرة والعنوان والتعريف، والعلامة فى الكُتُب على أمارتها الفارقة بين انحطاط القدر والتشريف، وترتيب الكتاب وطيه وختمه، وتعمية ما فى الكُتُب بضرٍب من الحيلة وإخفاء ذلك وكتمه، وتُسرخ الأيمان التى يُستخلف بها، ويحسبك للوفاء بسببها، كيدمين البيعة العامة للوافى والمخالف، وما يختص من ذلك بالتواب وأرباب الوظائف، وإيمان أصحاب اليدع والأهواء، وأهل الملل والحكاه، وكتابة الهدن والمواصفات، والأمانات والدفن والمفاصحات، ومعرفة الأسماء، والكنى، والألقاب، وبيان المستندات وعملها المصطلح عليه بين الكُتُب، وكتابة التاريخ وما أخذت به كل طائفة وثابت إليه تمسكا، وما يفتتح به فى الكتابة تيمناً ويختم به تبركا، ومعرفة قطع الورق: من كليل البغدادى والشامى والثلاثين والنصف والثلاث والمتصوى والعادة، ومن يستحق من هذه المقادير أعلاها أو يوقف به مع أدنى رتبها من غير زياده، والأقلام المناسبة لهذه الأقدار، من الرقاع والتواقيع والثلاث ومختصر الطومار، والعلم بالأوضاع وكيفية الترتيب، ومقادير البياض ومباعدة ما بين السطور والتقريب، ومعرفة الرزادى وقطانها، والنواحي والبندان وسكاتها، والأتم ومساكها، وطرق الأقاليم ومساكها، ومرآكر البريد ومسافاتنا، وأبراج الحمام ومطاراتها، وهجن النج والسفن الممّدة لنقلها، والمخرقات المؤدية إلى اجتراح الهدو وتفریق شمله، والمناور وأماكنها، والقصاد ومكمنها .

هذه رؤسومها على سبيل الإجمال . والإشارة إلى مصطلحاتها بأخصر الأفعال .

وأعلم أن حُسن الخط من الكتابة واسطة عقدها ، وقوة الملكة على السجع والأزواج يلاك حلها وعقدتها ، على أن خير الخط ما قرى ، وأحسن السجع ما سلم من التكلف وبرى ؛ وللكتاب في بحر الكتابة سنج طويل ، وتفنن يسفر عن كل وجه جميل .

قلت : فهل هذه الرتبة الرئيسة ، والمنقبة بنفسه ، ستمط يأمها ، أو سلك يضمها ؟  
 فقال : سبحان الله : إن بيتها لأشهر من قفائبك ، وأظهر للعيان من شاحات جبال النبك ، أي تحفى من البدر ضوءه الباهر ، ونوره الزاهر ؛ « إن ذلك لقاصر على «آل فضل الله» حقاً ، ومنحصر في المقر البدرى صدقاً ؛ فهو قطعها الذي تدور عليه ، وأبنت بجدتها التي ترجع في علومها ورؤسومها وسائر أمورها إليه ؛ فلوراه «الفاضل عبد الرحيم» لم يرتفبه فضلاً ولا رضى لفيه مقالاً ، أو عابته «عبد الحميد الكاتب» فقال : هكذا هكذا وإلا فلا ؛ أو عاصره «قدامة» جلس قدامه ، أو أدركه «أبن قتيبة» لا تحذه في «أدب الكاتب» شيخه وإمامه ، أو بصربه «الصائبي» لصبا إليه ومال ، أو قارن زمانه «الحسن بن سهل» بل «الفضل» أخوه لأقام ببايه وما زال ؛ أو جنح «أبن السديم» إلى مناوآته لأدركه العدم ، أو جرى «الصاحب بن عباد» في مضار فضله لجا وزلت به القدم ، أو أطلع «أبن مقلة» على حُسن خطه فقال : هذا هو الجوهر الثمين ، أو نظر «أبن هلال» إلى بهجة رونقه فقال : إن هذا هو الفضل المبين ؛ إن تكلم فقت سحراً ، أو كتب خلت زهراً أو تحيأت ذراً :

يؤلف السؤلؤ المنثور منقطه ، \* وينظم الدر بالاقلام في الكُتب !

قد علا نسبها ، وفاق حسبا ، وورث الفضل لا عن كلاله ، وأستحق الرتبة بنفسه  
وإن كانت له بالأصالة :

فحيملاً بالمكرمات وبالعلو ، \* وحيماً بالفضل والسؤدد المحض !

فلما سمعت ذلك زال عني الإلباس . وقلت : ذلك من فضل الله علينا وعلى  
الناس . ثم قلت : أقسمت عليك بالذي تُسيرُ إليه ، إلا تُدليني عليه ، فقال : إنه  
صنى المليل ونجيه ، وكاتب سره ووليّه ، والقريب منه إذا بعدوا ، والمخصوص بالمقام  
إذا طردوا ، والموجه إليه الخطاب إذا حضروا ، والمستأثر بالأورود إذا صدرُوا ،  
والمتكلم بلسان الملك إذا سكتوا ، والناطق بمفصل الخطاب إذا بهتوا ، والصالئ  
بجسام لسانه وخطى قلبه ، والحامى الممالك ببحوش سُطوره وجند كليمه ، والمستت  
شمل العدو ببديع الفاظه ودقيق حِكْمه ، والحائر فصب السرى بكرم فضله وفضل  
كرمه ، والمروى ظمأ الوافدين إليه أوكف وبه وفائض ديمه ، والمجلى غياهب  
الظلم بنير بدره ومضى ، أنجحه :

فما زال بدرًا في تمام سيادة \* يُشار إليه في الورى بالأنايل :

بسيط مساعي التجيد ركب نجدة \* من الشرف الأعلى وبذل القواضل :

إذا سأل أعني السامعين جوابه \* وإن قال لم يترك مقالاً لقائل !

قلت : حسبك ! قد دلني عليه عرفه ، وأرشدني إليه وصفه ، وبأن لي بحمده  
الفائز وحسبه الصميم ، وعرفت أصله الرأى وقرعته الكريم . (وذلك فضل الله يؤتيه  
من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

ثم عرجت إلى حاه ، وملت إلى حيه كي أراه ، فإذا به قد برز لتلال أنواره .  
وشرق بالجلالة أفساره ، فدعته الهيبه وعشيتة السكينة وحفته الرياء وجللته  
السعادة ، وحكمت بعز منال قدره الأقدار كما اقتضته الإراده .

فلما رأته استصغرت الرتبة مع شرفها الباذخ في جانبه ، وعلمت أن ما تقدم من المدح لم يوف حقه ولم يقم ببعض واجبه ؛ فقلبت هيئته إقداً ، وحالت حرمة بنى وبين مرامي ؛ فقلت : إنا لله ! قد قاتني مآربي ، ورجعت من قورى إلى صاحبي ؛ فأظهرت له الأسف ، وقصصت عليه القصة قال : لا تحف ؛ إنما المنقبه عمريه ، وأثرة عدويه ؛ فالقاروق جده ، وبنو عدي قبيله وجنده .

هذا وإنه لأطف وأرق من النسيم السارى ، والماء الجارى ؛ وأحى من العذراء في حنجرها ، وأشفق من الوالدة إذا صمت ولدها إلى صدرها ؛ وأعلم من « معن بن زائدة » ، وإن كان أفصح من « قس بن ساعدة » :

يُنْضِي حَيَاءً وَيُنْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ « فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتِيمٌ !

بالعزائم القاروقية فتحت الأمصار ، وبالمهية العمرية أقر المهاجرون والأنصار ؛ ويشهد لذلك قصة « ابن عباس » في العول وسكوته في خلافة عمر وصمته ، وجوابه بعد ذلك للقاتل له : هلا قلت ذلك في زمن عمر ؟ بقوله : إنه كان مهيباً فهتة ؛ كيف ؟ وما سلك بقاً إلا وسلك الشيطانُ بقاً غير بقته وضافت عليه الفجاج ، ولم تُسأل هيئته بهيبة غيره وإن عظمت سطوته حتى قال الشعبي : إن درة عمر لأهيب من سيف الخجاج ، وهو مع ذلك يلطف بالأرامل والمساكين ، ويُسِنُ الفقراء والمحتاجين ؛ فقد آنصحت لك القضييه ، وتحققت أنها ستأت إرثيه .

فمعد ذلك ذهب روعي ، وقوى روعي ؛ وقلت : فهل له أتباع من الكُتاب فاتعلق بمجالهم ، وأتأسى بهم في أقوالهم وأفعالهم ؟ ؛ لكن أئيم بسمه الكُتاب ، وأثبت في جملته غلمان الساب ؛ قال : أجل ! رأس الدست الشريف صنوه الكريم ، وقسيمه في حسبه الصميم ؛ به شد عضده ، وقوى كئده ؛ فأجتمع الفضل له

ولأخيه ، وورثاً سراً بهما « والولد سر أبه » ، ثم كتَّابُ ديوانِ الإنشاءِ جُنْدُه  
وأَتْباعُه : وأولياؤه وأشياؤه ؛ وكتَّابُ الدُّستِ منهم أرفعُ في المقام ، وكتَّابُ الدَّرَجِ  
أجدرُ بالكتابةِ وصنعةِ الكلامِ .

قلتُ : القِسْمُ الثاني أَيْقُ بمقداري ، وأقربُ إلى أو طاري ؛ ثم ودَّعتُ صاحبي  
شاكراً له على صديعه وحامدًا له على أذيه ، وتركتُه ومضيتُ وكان ذلك آخر العهدِ  
به ؛ ثم عدتُ إليه هو فرفعتُ إليه قصتي ، وسألته الإسعافَ بإجابةِ دعوتي ؛  
فقابلها بالقبول ، وأنعمَ بالمستول ؛ وقررتُ في كتابةِ الدَّرَجِ الشريفِ ، وأكتفى  
بالعرفِ عن التعريفِ ؛ وطابقَ الخبرَ الخبرَ ؛ وأسْتغْنيتُ بالبيانِ عن الأثرِ ؛ ثم قمتُ  
عجلاً ، وأنشدتُ مرَّجلاً :

إذا ما بنو الفاروقِ في المحيدِ أعرفوا ،      ونالوا بفضلِ اللهِ ما لا يحسبُه ،  
وجأتُ دُجى الظلماتِ أنوارَ بدرهمِ ،      وعمتِ بقاعَ الأرضِ أنواءُ فضلهِ ،  
نعلتُ ذرى العلباءِ فيهم وأنشدتُ :      « أبى الفضلِ إلا أن يكونَ ليدُه !

ثم تشرفتُ بتقريبِ يده ، ومضيتُ إلى ما أنا بضدِّه ؛ قد منعني هيتي من اللبازِ  
به والقربِ إليه ؛ وصيرتُ عاطرَ مدحي وخالِصَ ادَّعيتي ووقفاً عليه ؛ وصيرتُ إلى  
الديوانِ ، فوجدتُ قوماً قد حَفَّهمُ الحُسْنُ وزانهمُ الإحسانُ ؛ ففقتُ : الحمدُ لله !  
هؤلاءِ فيةُ ذلكِ الكهفِ بلا أمراءِ ، وأشبالُ ذلكِ الأسدِ من غيرِ آقرباءِ ؛ ففلسْتُ  
جلوسَ الغريبِ ، وأطرفتُ إطرأقَ الكئيبِ ؛ إذ كنتُ في هذه الصنعةِ عصامياً  
لا عظامياً ، ومثمناً لا تيامياً ؛ غيرَ أني تعلقتُ منها بحبالِ القمرِ ، وأسْتوقدْتُ نارها  
من أصغرِ الشمرِ ؛ فتلقوني بالرحبِ ، وأحلوني من ديوانهمُ بالمكانِ الرَّحْبِ ؛ وقابلوني  
بالجميلِ قبلِ المعرفةِ ، وعاملوني بالإحسانِ والنَّصفِ .

فلما رأيتُ ذلك منهم حمِدْتُ مَسْرَايَ ، وشكرتُ مَسْعَايَ ، ودَعَوْتُ لِصَاحِبِي أَوْلَا  
إِذْ حَبَبَ صَنَعْتَهُمْ إِلَيَّ وَشَاقِي ، ودَأَى عَلَيْهِمْ وَسَاقِي .

ولما تحققتُ أَنِي قَدْ أَتَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ، وَكُنَيْتُ مِنْ جُمْلَةِ غُلَمَائِهِ ؛ رَجَعْتُ  
الْقَهْقَرَى عَنْ طَلَبِ الْكُتُبِ ، وَأَسْتَوَيْتُ عِنْدِي الْمَحَلُّ وَالْحَصْبُ ؛ وَأَكْتَفَيْتُ  
بِنَفْسِي إِلَيْهِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَتَيَقَّنْتُ أَنْ نَظَرَهُ مِنْهُ إِلَيَّ تَرْقِيئِي إِلَى السَّحَابِ ؛  
وَنَلَوْتُ بِلِسَانِ الصَّدِيقِ عَلَى الْمَلَايِمِ وَهُمْ يَسْمَعُونَ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرِيحِهِ فَبِذَلِكَ  
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وفيا تضمنته هذه المقامة من فضيل الكِتابَةِ وشرفِ الكُتَّابِ مَقْنَعٌ مِنْ غَيْرِهَا ،  
وَمَعْنٍ عَنِ سِوَاهَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْمِنَّةُ .



وهذه نُسخة مَقَامَةِ أَنْشَأَهَا أَبُو الْقَاسِمِ الْخُوَارِزْمِيُّ فِي لِقَائِهِ لِأَدِيبٍ يَعْرِفُ بِالْهَيْبَةِ ،  
وَأَنْفَعَا فِي الْبَحْثِ ، وَعَلِيَّةِ الْخُوَارِزْمِيِّ لَهُ . أوردها ابنُ تَمْدُونٍ فِي "تَذَكُّرَتِهِ" وَهِيَ :  
وَصِيْبَةٌ لِكُلِّ لَيْبٍ ، مُتَقِظٌ أَرِيْبٍ ، عَالِمٌ أَدِيبٍ ؛ يَكْرَهُ مَوَاقِفَ السَّقَطَاتِ ، وَتَحْفَظُ  
مِنْ مَصَادِفِ الْغَلَطَاتِ ، وَيَتَلَطَّفُ مِنْ مُخْزِيَّاتِ الْفَرَطَاتِ ؛ أَنْ يَدْعَى دُونَ مَقَامِهِ ،  
وَيَهْتَصِرَ مِنْ تَمَامِهِ ، وَيَغْضُ مِنْ سِهَامِهِ ؛ وَيُظْهِرُ بَعْضَ شِكِيمَتِهِ ، وَيُسَاوِمُ بِأَيْسَرِ  
قِيمَتِهِ ، وَيَسْتُرُ كَثِيرًا مِنْ بِضَاعَتِهِ ، وَيَكْتُمُ دَقِيقَ صِنَاعَتِهِ ، وَلَا يَبْلُغُ دَقِيقَ غَايَةِ  
أَسْطِنَاعَتِهِ ؛ وَأَنْ يُعَاشِرَ النَّاسَ بِصَدِيقِ الْمُنَاصِحَةِ ، وَجِيلِ الْمُسَاعَمَةِ ؛ وَأَنْ لَا يُجَلِّدَ  
الْإِعْجَابُ بِمَا يُحْسِنُهُ ، عَلَى الْكَزْدَرَاءِ بِنِ بَسْتَقْرِنُهُ ، وَالْأَفْتِرَاءِ عَلَى مَنْ يَعْتَرِضُهُ وَيَلْسِنُهُ ؛  
لِيَكُونَ خُبْرُهُ أَكْثَرَ مِنْ خَبْرِهِ ، وَنَظَرُهُ أَرْوَعَ مِنْ مَنظَرِهِ ؛ وَيَكُونَ أَقْرَبَ مِنَ الْإِعْتِزَارِ ،  
وَأَبْعَدَ مِنَ الْمَجَلَّةِ وَالْأَنْكِسَارِ .



فليس القتي من قال : إني أنا القتي ، . ولكنه من قيل : أنت كذلك ،

وكم مدح ملكا بنسب شهادية . له نخلة إن قيل : أن لست مالا !

ولقد نصرت بالانصاع ، على ذي نباهة وأرتفاع ، وذلك أي أضعفت في بعض  
الأعوام ، مع جماعة من العوام ، بين تاجر وزائر ، إلى العزل والخائر ، حتى آتينا  
إلى قرية شارعه ، أهله زارعه ، وما منا إلا من أمته السمرية فاعترضته ،  
وأقمنه وأمرضته ، وقترته فقبضته ، وكثر منا الخوار ، وأستولى علينا الدوار ،  
فخرجنا منها حروج المسجون ، وقد تقوسنا تقوس العرجون ، فاسترحنا بالصعود ،  
من طول القعود :

كأنا الطير من الأفاص . ناجية من أحيل الفئاص ،

طيبة الأنفس باللاص . متفضات الریش والنواص !

فما استعنت الراحة ، ولا استقرت بنا الراحة ، حتى وقف علينا واقف ، وهتف  
بنا هاتف ، أيكم الخوار زبي ؟ فقالوا له : ذلك الغلام المنفرد ، والشاب المستند ؛  
فأقبل إلى ، وسلم على ، وقال : إن الناظر يستريرك ، فليعجل إليه مصيرك ؛ فقم  
معه ، يتقدمني وأتبعه ؛ حتى آتيتني إلى جملة من الرجال ، ذوي بهاء وجلال ،  
وزينة وجمال ، من أشراف الأمصار ، وأعيان ذوي الأخطار ، من أهل واسط  
وبغداد ، والبصرة والسواد .

ترى كل مرهوب العمامة لايم . على وجه بدر تحته قاب صيغيم !

فصام إلى ذو المعرفة لإكرامه ، وساعده الباقون على قيامه ، وأطلق في سؤاله  
وسلامه ، وجذبوني إلى صدر المجلس فأبى ، ولزمت ذناباه وأحبتيت ، وأخذوا

يَسْتَحْبِرُونِي عَنِ الْحَالِ ، وَالْمَعِيشَةِ وَالْمَالِ ؛ وَدَاعِبَةُ الْارْتِحَالِ ؛ وَعَنِ الثَّيْبَةِ وَالْمَقْصِدِ ،  
وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَالْحَيْرَانَ وَالْبَلَدِ .

وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا حَفِيَّةٌ مُسَائِلٌ ، \* وَوَأَصِفُ أَشْوَاقٍ وَمُثَنٍّ بِصَالِحٍ ،  
وَمُسْتَشْفِعٍ فِي أَنْتِ أَقِيمِ لَيْلِيَا \* أَرْوَحُ وَأَغْدُو عِنْدَهُ غَيْرَ بَارِحٍ !

ثم قال قائلهم : هل نقيت عين الزمان وقلبه ، ومالك الفضل وربّه ، وقليب الأدب  
وغربته ؛ إمام العراق ، وتشمس الآفاق ؟ . فقلت : ومن صاحب هذه الصفة المهولة ،  
والخاية المجهولة ؛ فقالوا : أو ما سمعت بكامل هيت ، ذي الصوت والصيت ؟ :

ذَلِكَ الَّذِي لَوْعَاشَ [دَهْرًا] إِلَى \* زَمَانِهِ ذَا وَأَبْنُ صُوحَانِ ،  
وَأَبْنُ دُرَيْدٍ وَأَبُو حَاتِمٍ \* وَسَيَّبِيوِيهِ وَأَبْنُ سَعْدَانَ ،  
وَعَامِرُ الشَّعْبِيِّ وَأَبْنُ الْعَلَا \* وَأَبْنُ كُرَيْزٍ وَأَبْنُ صَفْوَانَ .  
قَالُوا بِحَبَابِ كُلِّهِمْ : إِنَّهُ \* سَيِّدُنَا ، أَوْ قَالَ : عَلَمَانِي .

فقلت لهم : قد قلدتم المنه ، وهيجتم الحنه ؛ إلى لقاء هذا العالم المذكور ، والسيد  
المشهور ؛ وقد كانت الرياح تاتيني بتفحات هذا الطيب ، وهدير هذا الخيطيب ؛  
فالآن لا أثر بعد عين ، سأصبح لأجله عن سرى القين ؛ أغتنا ما لفقائده ، والنعم  
البارده ، ووجدنا للضالة الشارده .

أَبْنُ أَمِيضٍ وَمَا الَّذِي أَنَا أَبْنِي \* بَعْدَ إِدْرَاكِ الْمُنَى وَالطَّلَابِ ؟  
فَإِذَا مَا وَجَدْتُ عِنْدَكُمْ الْعِلْمَ قَرِيبًا فَا أُرِيدُ النَّوَابِ .  
إِذْهَبُوا أَتَمُّ فُزُورُوا عَلِيًّا : \* لِأَزُورَ الْهَيْبِيَّ وَالْآدَابِ :  
لَنْ أَبْلَى إِنْ قِيلَ الْخَوَارِزِ \* عَنِ أَخْطَافِ فَعْلِهِ أَوْ أَصَابِ !

تفالت الجماعة : بل أصبت ، ووجدت ما طلبت ، وقديما كنا ننشر أعلامك ،  
ونحنى أعلامك ، وسداول أوصافك ، ونحب مضافك ، ونكبر لديه ذكرك ، ونعظم  
لديه قدرك ، فبحرك منك ساكنه ، ونثقل بك أماكنه ، ونسأل الله سبحانه أن  
يجمع بينك وبينه بحضرتنا ، وتلاميح عينك عينه بمنظرنا ، وبنف غبارك بغباره ،  
ويترج تيارك بتياره ، ويختلط مضمارك بمضاره ، فيعرف منك السابق والسكيت ،  
والسوداني والكميت ، ويتبين من الذى يحوى القصب ، فانك كما قال الشاعر :

هَمَّا رُحْمَانِ حَظِيَّانِ كَانَا ۝ مِنَ السَّمْرِ الْمُتَقَفِّهِ الصَّعَادِ

هُمَا الْأَرْضُ أَنْ يَطَا عَلَيْهَا ۝ بِمَثَلِهِمَا تُسَالِمُ أَوْ تَعَاي !

فقال [ بعض الجماعة ] انتم تتكلمون بالإصاف ، وأخطأتم الاعتراف ، وأبعدتم  
القياس ، وأوقعتم الالتباس ، أين ابن ثلاثين ، إلى ابن ثمانين ؟ ، وابن اللبون ،  
من البازل الأمون ؟ ، والرمح الرأجح ، من الجواد القارح ؟ ، والكودن المبروض .  
من المحرب المبروض .

وَأَبْنُ اللَّيُونِ إِذَا مَا لَزَّ فِي قَرْنٍ ۝ لَمْ يَسْتَطِيعْ صَوْلَةَ الْبُرْلِ الْقَنَاعِيْسِ !

كم لديهم بطائح وسباح ، وساكن صرائف وأكواخ ، بين يديه سوادية أنباط ،  
وعلوج أشراط ، ورعاع أخلاط ، وسفل سقاط ، في بلدة إن رأيت سُورَهَا ،  
وجبرت جُورَهَا ، صححت : وأغربتاه ، وإن رأيت وجهها غريباً ناديت : وأبتاه ،  
لا أعرف غير البتية كلاما ، ولا ألقى سوى والدى إماما ، في معشر ما عرفوا  
الترحال ، ولا ركبوا السروج والترحال ، ولا فارقوا الحدار والخلال .

أُولَئِكَ مَعَشَرٌ كَبَاتَ نَعِيشٍ ۝ خَوَالِفَ لَا تَعُورُ مَعَ التَّجُومِ !

[فأثنى له] بمصاولة رجلٍ جَوَالٍ ، رَحَالٍ حَلَالٍ ؛ بهيئت وُضِعَ ، وبالكُوفَةِ أَرْضِعْ ؛  
 وببَغْدَادٍ أَثَغْرٌ ، وبواسطٍ أَحْفَرٌ ؛ وبالحجازِ وَتِهَامَةَ فَعَامُهُ ، وبمِصْرَ والمَغْرِبِ كَانَ أَحْتِلَامُهُ ؛  
 وببَحْرٍ والشَّامِ بِقَلِّ عَارِضُهُ ، وباليَمَنِ وعمانٍ قَوَيْتَ نَوَاهِضُهُ ؛ وبمِجْرَانَانَ بَلَغَ أَشُدَّهُ ،  
 وبمِجَارًا وبمِزْقَنْدَ تَنَاهَى جِئُهُ ؛ وببَزْرَةَ والمِندِ شَابَ وَأَكْتَمَلُ ، ومن سِيحُونَ وَجِيحُونَ  
 عَلَّ وَنَهَلُ ؛ وبمِيسَانَ والبَصْرَةَ عَوْدَ وَقِرِحَ ، وبالبُجَالِ جَلَهُ وَجَلَحَ ؛ فهو يَعْدُ  
 «المَازِنِي» إِمَامُهُ ، وَأَبْنُ «جِنِّي» مُلَامُهُ ؛ و«المُنْتَبِي» من رُؤَايِهِ ، و«المَعْرِي» حَامِلُ  
 دَوَائِهِ ؛ و«الصَّابِي» بَارِي قَلَمِهِ ، و«الصَّاحِب» رَافِعَ عَمَلِهِ ؛ و«أَبْنُ مُقَلَّة» من نَاقِلِ  
 غَاشِيَتِهِ ، و«بَنِي أَبِي حَفْصَةَ» بِمَضِّ حَاشِيَتِهِ ؛ وقد قرأ الكُتُبَ وتَلَاهَا ، وحَفِظَ المُلُومَ  
 وروَاهَا ، ودرَسَ الآدَابَ وروَاهَا ؛ ودَوَّنَ الدَّوَاوِينَ وأَلْفَهَا ، وَأَنشَأَ الحِكْمَ وَصَنَّفَهَا ؛  
 وفَصَّلَ المُشْكَلَاتِ وَشَرَحَهَا ، وَأَرْتَجَلَ الخُطْبَ وَنَقَحَهَا ؛ فهو البِجْرُ المَورُودُ ، والإِمامُ  
 المَقْصُودُ ، والعَلَمُ المَصْمُودُ ، هذا بَوْنٌ ومِرتَقٍ شَدِيدٌ .

أَتَلَقَوْتَ بِالْأَعْرَبِيِّ الرَّايِحَاءِ \* وَبِالْأَكْثَفِ الحَاسِرِ الدَّارِعَاءِ ،

وَبِالْكُودِيِّ السَّابِقِ السَّاحِجَاءِ \* وَبِالْمَنْجَلِ الصَّارِمِ القَاطِعَاءِ ؛

فَمَا أَسْتَمَ كَلَامَهُ حَتَّى أَقْبَلَ : فَإِذَا نَحْنُ بِهِ قَدْ طَلَعَ مُهْرٍ وَلَا ، وَأَقْبَلَ مُسْتَعْبَلًا ؛  
 فَرَأَيْتُ رَجُلًا أَجْلَحَ ، أَمَمٌ أَفْلَحَ ، أَفْطَحَ أَرْدَحَ ؛ طَوِيلًا عَنطَنَطَ ، يَحْكِي ذِيئًا أَمْعَطَ ،  
 أَجْمَعُ أَحْبَطَ ؛ فَتَلَقَّوهُ مُعْظَمِينَ ، وَلَهُ مَقْجَمِينَ ؛ فَقَصَدَ فِي المَجْلِسِ صَدْرَهُ ، وَأَمْسَدَ  
 إِلَى المِخْدَةِ ظَهْرَهُ ؛ فَمَا اسْتَقْرَبَهُ المِكانَ ، حَتَّى قِيلَ لَهُ : هَذَا فُلَانٌ ؛ فَقبِضَ مِنْ أَنْفِهِ ،  
 وَنَظَرَ إِلَى بَشِطٍ مِنْ طَرَفِهِ ؛ وَقَالَ بِيَعِضِ فِيهِ ، هَامُوا مَا كَتَمَ فِيهِ ؛ تَمَسَّا لِلشُّوَاهِ  
 وَجَالِييَهَا ، وَالقَرْتَاءِ وَحَالِييَهَا :

جَاءَ زَيْدٌ مُجَرَّرًا رَسَنَةً \* فَحَلَّ لَا يَمْنَعُهُ سِنَهُ (٩)

أَحَبَّهُ قَوْمُهُ عَلَى شَوْهِ \* إِنْ القَرَنِيِّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةً !

كَانَ لَنَا شَيْخٌ بِالْأَنْبَارِ، كَثِيرُ الْأَخْبَارِ، قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ أَمْلَاهُ، وَمِنَ السَّنِّ أَعْلَاهُ؛  
 قَرَأْتُ عَلَيْهِ جَمِيعَ كِتَابِ، وَعِلْمِ الْأَنْسَابِ؛ وَ"مَسَائِلَ أَبِي السَّرَّاجِ"، وَ"دِيَوَانَ  
 أَبِي الْعَجَّاجِ"، وَ"كِتَابَ الْإِصْلَاحِ"، وَ"مَشْرُوحَ الْإِيضَاحِ"، وَشِعْرَ الطَّرِمَاحِ،  
 وَ"الْعَيْنَ" لِلْفُرْهُودِيِّ، وَ"الْجَهْمَةَ" لِلأَزْدِيِّ؛ وَأَكْثَرَ مِنَ الْمَصَنَّفَاتِ، الْمَجْهُولَاتِ  
 وَالْمَعْرُوفَاتِ؛ يَنْفُخُ فِي شِقَاقِهِ، وَيُزِيدُ فِي بَقَايِهِ، وَيَتَعَاطَمُ فِي تَحَارِقِهِ؛ وَجَعَلَ  
 الْقَوْمَ يَقْسِمُونَ بَيْنَنَا الْأَلْفَاظَ، وَيَحْسُبُونَ الْأَلْفَاظَ؛ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَعْتَاطَ لِسْكَوَتِي  
 وَكَلَامَهُ، وَتَأَثَّرِي وَإِقْدَامَهُ .

ثُمَّ هَدَى الشَّيْخُ إِذْ وُصِفَ لَهُ رَجُلٌ عَلَى الْقَيْبِ ثُمَّ رَأَاهُ، فَاحْتَسَقَرَهُ وَأَزْدَرَاهُ؛  
 وَأَنْشَدَ مُتَمَثِّلًا :

لَعَمْرُؤِ أَيُّكَ تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ : بَعِيدَ الدَّارِ خَيْرٌ أَنْ تَرَاهُ

فَقَالَ : هَذَا الْمُعَيْدِيُّ هُوَ ضَمْرَةٌ، بِنُ ضَمْرَةٍ، بِنُ جَابِرًا، بِنُ قَعْنَانَ، بِنُ نَهْشَلٍ، بِنُ  
 دَارِمٍ، بِنُ مَالِكٍ، بِنُ حَنْظَلَةَ، بِنُ مَالِكٍ، بِنُ زَيْدِ مَنَاةَ، بِنُ تَمِيمٍ، بِنُ مَرْوَةَ، بِنُ أَدَّ،  
 أَبُو طَاهِجَةَ، بِنُ أَلْيَاسٍ، بِنُ مُضَرَ، بِنُ زُبَيْرٍ، بِنُ مَعَدٍّ، بِنُ عَدْنَانَ . وَالْمُعَيْدِيُّ تَصْغِيرُ  
 مُعَيْدٍ، وَهُوَ الَّذِي قَالَتْ فِيهِ نَادِيَتُهُ :

أَنْعَى الْكَرِيمَ النَّهْشَلِيَّ الْمُصْطَفِيَّ « أَكْرَمَ مِنْ خَامِرٍ أَوْ تَحْنَدَفَا!

فَقُلْتُ : مَا بَعْدَ هَذَا الْمَقَالِ، وَجَهٌّ لِلْإِحْتِمَالِ؛ وَمَا يَجِبُ لِي بَعْدَ هَذِهِ الْمَوْاقِفِ،  
 غَيْرُ الْمَكَافَهَةِ؛ وَلَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَ الْمُغَالِبَةِ، مِنْ مُرَاقِبَةٍ :

مَا عَلِيٌّ وَأَنَا جَلْدٌ نَائِلٌ « وَالْقَوْسُ فِيهِ وَرَثَةُ عَنَابِلُ<sup>(١)</sup>

« تَرِيلُ عَنْ صَفْحَتِهِ الْمَعَابِلُ ! »

(١) كما في انسان في مادة - ظل - وفي مادة عنيل "نخب حائل".

ماعلى وأنا [رجل] جلد \* والقوس فيه وتر عرد  
« مثل ذراع البكر أو أشد »

فمطقت عليه عطف الشائر العاسف ، وألقت إليه ألينفات الطائر الخاطيف ؛  
فقلت له : يا أخاهيت ، قد قلت ما شئت ، فأجب الآن إذا دُيت ؛ وألزم مكانك ،  
وغصص عنانك ، وقصر لسانك ؛ إن نادبة صخرة خندقته ، لما وصفته ؛ وما سمعت  
في نسبك إياه يلخندف ذكرا ، فأين عن ذلك عذرا ؛ فقال : إن خندف هي امرأة  
آلباس بن مضر ، غلبت على بنينا فنبسبوا إليها ، كطهية ومزينة ، وباه تدوية وعريته ،  
والسلكة وجهينه ، وندبة وأذينة ؛ وكشيب بن البرصاء وابن الدخماء . فقلت له :  
سئلت ، فأجبت وأصبت ؛ فأخبرني عن خندف هل هو اسم موضوع ، أو لقب  
مصنوع ؛ فوقف عند ذلك حماره ، وتحدث ناره ؛ وركد جريانه ، وسكن هديانه ،  
وقرغلبانه ، وظهر حرانه ؛ وذل وأنقمع ، وأنطوى وأجتمع ؛ فاضطره الحياء ، وأجلاه  
الاستنجدها ؛ إلى أن قال وهو يُخفي لفظه ، ويُطرق لفظه : أظنه لقبا . فقلت : هو  
كما ظننت فما معناه وما سببه ؟ وكيف كان موجهه ؟ فلم يجد بدا من أن يقول :  
لا أدري ، فقال وقد أذنته من الإمامة ، وأحسن من القوم بتظاهر الشباهة :

وودَّ بجدع الأنف لو أن صحبه « تنادوا وقالوا في المناجح له : تم !

ثم أقبلوا إلى ، وعكفوا على ؛ بأوجه متهاله ، وألينة متوسله ؛ في شرح الحال ،  
والقيام بجواب السؤال ؛ فقلت : هذا بديع عجيب ، أنا أسأل وأنا أجيب ؛ إن آلباس  
ابن مضر تزوج ليلي بنت ثعلبة <sup>(١)</sup> ، بن حلوان ، بن الحانف ، بن قضاة ، بن معدة ،  
(في بعض النسب) ، فولد له منها : عمرو وعامر وعمير . ففقدتهم ذات يوم ، فألحقني

(١) صحابه بنت حلوان بن عمران .

على ليلى باللوم، فقال: أخرجني في أثرهم، وأتيتني بجزيرهم، ففعلت في طلبهم، وعادت بهم، فقالت: ما زلت أحنديف في أتباعهم، حتى ظفرت بإقائهم، فقال لها ألياس: أنت حنديف، والحنديفة في الأتباع، تقارب الخطو في إسراع، وقال عمرو: يا أباي أنا أدركت الصيبد قلوبته، فقال له: أنت مدركة إذ حويته. وقال عامر: أنا طيخته وشويته. فقال له: أنت طايحة إذ شويته. فقال عمير: أنا انقمعت في الحياء، فقال له: أنت قسمة للاختباء، فلصدت بها وبهم هذه الألقاب، وجرت بها إليهم الأنساب.

فقال حينئذ: هذا علم استفدته، وفضل استردته، وقد قال الحكيم: مذاكرة ذوي الألباب، ثناء في الآداب. فقالت له ممتلا:

أقول له والرمح ياطر منه . فأمل خفايا : إني أنا ذاك!

ثم لم يتحسب إلا قبلا، ولم يمسك طويلا، حتى عاد إلى هديره، وأخذ في تهديره، طمعا بأن يأخذ بالنار، ويعود الفيض له في القمار، فعدل عن العلوم النسبية، وجال في ميدان العريسه، ولم يحس أن باعه فيها أقصر، وطرفه دون حقائقها أحسر، فقال: حضرت يوما حلبة من حلبات العلوم، وموسما من مواسم المنثور والمنظوم، وقد غص بكل خطيب مصنع: وحكم مفتح، وعالم مصدع، ومعلم من كل عتيق صهال، وعتيق صوال، ومنطبق جوال، فأخذوا في فنون المعارضات، وصنوف المناقضات، وسلكوا في معاني القريض، كل طويل عريض، حتى أخذ السائل منهم بالحق، بيث [الفرزدق] <sup>(١)</sup>:

وعص زمان يا ابن مروان لم يدع . من المسال إلا مسحا أو مجلف!

(١) الزيادة من النسخة مادة - من ح - و - ج - ل - ف - .

فَكَثُرَ فِيهِ الْجَدَالُ ، وَطَالَ الْمَقَالُ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَجَادَ الْقِيَاسَ ، وَأَصَابَ  
 الْفِرْطَاسَ ، وَوَقَعَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَتَى بِالْتَّحْقِيقِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ فِي تَعْمِيرِهِمْ سَاهُونَ ،  
 وَفِي ضَلَالَتِهِمْ يَعْهَمُونَ ، فَنَادَيْتُهُمْ : إِلَى قَسَارِعُوها ، وَمِنِّي فَاسْتَمِعُوا ، فَإِنِّي أَنَا ابْنُ بَيْتِيهَا ،  
 وَعَالِمُ مَا تَحْتُ جِلْدَتِهَا ، ثُمَّ إِنِّي أَبَدَيْتُ لَهَا سِرَّارَهَا ، وَأَبْقَيْتُ نَارَهَا ، وَحَلَلْتُ عُقْدَهَا ،  
 وَخَضَعْتُ زُبْدَهَا ، وَأَطْرَقْتُ لَيْدَهَا ، وَبَجَسْتُ حَجْرَهَا ، وَأَبْتَنْتُمْ حُجْرَهَا وَبُجْرَهَا ، فَقَالُوا : اللَّهُ  
 أَبُوكَ ! فَإِنَّكَ أَسْبَقْنَا إِلَى غَايَةِهَا ، وَأَكْشَفْنَا لَهَا غَيْبَهَا ، وَأَجَلَلْنَا لَهَا شَبِيهَهَا ، وَأَضْرَأْنَا فِي بَدْنِهَا ،  
 وَمَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ دَلِيلًا ظَهَرَهَا مِنْ يَوْمٍ يَعْلَمُ مَا فِيهَا ، وَيَطَّلِعُ عَلَى حَافِيَتِهَا .

فَأَدْرَكَنِي الْأَمْعَاضُ ، وَأَخَذَنِي الْإِكْتِفَاضُ ، فَانْسَدَّتْهُ :

مَنْ ظَنَّ أَنَّ عُقُولَ النَّاسِ نَاقِصَةٌ . وَعَقْلُهُ زَائِدٌ أَزْرَى بِهِ الطَّمَعُ !

وَقُلْتُ لَهُ : أَدَّعَيْتَ ، فَوْقَ مَا وَعَيْتَ ، فَأَخْبَرَنِي دُونَ أَوَّلِ هَذَا الْبَيْتِ ، يَا بَعْجَرِي  
 الْكَيْتِ ، وَكَيْفَ نُنْشِدُهُ : وَعَضَّ بِالْفَتْحِ أَوْ وَعَضَّ بِالضَّمِّ ؟ فَقَالَ : كِلَاهُمَا مَرْوِيٌّ ،  
 فَقُلْتُ : تَبْتَدِي بِالْفِعْلِ ثُمَّ تَعُودُ إِلَى الْأَسْمِ إِذَا الْإِعْجَابُ ، تَهَيَّأُ لِلسَّائِلِ فِي الْجَوَابِ ،  
 وَأَخْبَرَنِي لِمَ فَتَحْتَ آخِرَ الْمَاضِي ؟ فَاسْرِعْ مِنْ غَيْرِ التَّغَاضِي ، وَقَالَ : لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَيْهِ ،  
 لَا يُضَافُ سِوَاهُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : هَذَا جَوَابٌ تَعَلَّمَهُ ، وَمِنْ صِبْيَانِ الْمَكْتَبِ لَا تَعْدِمُهُ ،  
 وَإِنَّمَا أَلْتَمَسْتُ مِنْكَ الْفَائِدَةَ فِيهَا ، وَأَطْلُبُ كَشْفَ حَافِيَتِهَا . فَقَالَ : مَا جَاءَ عَنْ أُمَّةِ  
 النَّحَاهِ ، وَسَائِرِ الرُّوَاهِ ، فِي هَذَا غَيْرُ مَا تَسْرُحُهُ ، وَلَا زَادَ عَلَيَّ مَا أَوْصَحْتَهُ . فَقُلْتُ : دَعِ  
 عَنْكَ هَذَا وَأَخْبَرَنِي عَنْ هَذَا الْبِنَاءِ ، الْعِلْمِيَّةِ أَمْ لَتَغْيَرُهَا ؟ فَأَقْبَلَ يَتَرَدَّدُ وَيَتَرَحَّرُ ، وَيَتَنَابَّ  
 نَارَةً وَيَتَنَحَّحُ . فَلَمَّا سَدَّ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِهِ ، وَحَصَلَ فِي مَضِيقِهِ ، وَعَضَّ بِرِيقِهِ ،  
 قَالَ : لَا أَعْلَمُ ! . فَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ : أَعَدَّرَ إِلَيْكَ مِنَ الْوَقْفِ سِلَاحَهُ ، وَعَضَّ جِمَاحَهُ ،  
 وَمِنْ أَدْبَرِ بَعْدَ إِقْبَالِهِ ، عُدِلَ عَنْ قِتَالِهِ :



والحق أبلغ لا يُحسد سبيله . والحق يعرفه ذوو الأبواب!

والآن فقد فازت قدأحك ، وبانت غررك وأوصأحك ، وأجذت النصال ،  
وأدركت الحصال ، فأوضح لنا عما سألت ، وأرشدنا إلى ما دللت ، لتلا يقال : هذا  
بهت ، ومحال تحت ، فقلت حبا وكرامه ، إسمع أنت باطعامه ، إن الفعل من  
فاعله ، كالولد من نأجيه ، لا يخلو الفعل من علامة الفاعل ، في لفظ كل نائل ،  
وهي الفتحة من ماضيه وأوقعه ، والزوائد في مستقبله ومضارعه . وبيان ذلك :  
أن الفتحة لا تكون مع الناء والنون ... فتثبت الفتحة ، ثم تقول : أخرجت  
وأخرجنا ، فسقط ما ذكرنا ، وعلامتان لمعنى محال ، لا يوجبها الحال . فان كانت  
النون التي مع الألف ضمير المفعول عادت الفتحة ، فتقول : أخرجنا الأمير ، فهذا  
بين ، فصفت الجماعة وسمحت ، وحسنت وبجحت ، وجعل الأديب يضطرب  
أضطراب العصفور ، ويتقلب تقاب الصقور ، متيقنا أن أسده صار جردا ،  
وبأزيه عاد صردا ، ودوره انقلب محشبا (؟) ، وزيتونه تحول عريبا ، وقناه تغير  
قصبا ، وأن مستقبله توج ، وجيده تهرج ، وصحيحه تخرج ، وحديده تكرج ،  
فقال منسدهم :

ترى الرجل اليحيف قتردريه ، وتحت نيايه أسد منير

ويعجبك الطيرير فتبتايه ، فيخالف ظنك الرجل الطيرير

فما عظم الرجال لم بفخير . ولكن خفرهم ككرم وخير!

فأخذ الأبلأس ، وضافت به الأنفاس ، وسكنت منه الحواس ، ورقصه  
الناس ، وجعل ينكت الأرض ، ويواصل بكفه العض ، ويتشاءم بيومه ،

ويعود على نفسه بلومه ؛ يَسْحُحُ جَبِينَهُ ، وَيُكْثِرُ أَيْنَتَهُ . فقامتُ فقامتُ معي الجماعة  
وَوَرَّكَتَهُ ، وَأَسْتَهَانَتْ بِهِ وَفَرَّكَتَهُ ؛ فلما بَقِيَ وَحْدَهُ ، تَمَنَّى لِحَدِّهِ ؛ وَأَسْبَلَ دَمْعَتَهُ ،  
وَوَدَّ أَنْ الْأَرْضَ بَلَعَتْهُ :

وكان كمثل البومائين رُوم \* تلوذ يحقويه السراة الأكار ،  
فاصبح مثل الأجرىب الخلد مفردا \* طريدا فما تدنو إليه الأباغر !

فقام فَبَعَثِي ، وَوَقَّفَ وَوَدَّعَنِي ؛ وَأَطَالَ الْأَعْتِدَارَ ، وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ وَالْأَسْتِغْفَارَ ؛  
وَقَالَ : مَثَلُكَ مِنْ سَرِّ الْخَلَالِ ، وَأَقَالِ الْعَثْرَةَ وَالرَّزْلَ ؛ فَقَدْ آغْرَرْتُ مِنْ سِنِّكَ بِالْحَدَاثَةِ ،  
وَمِنْ أَخْلَاقِكَ بِالذَّمَامَةِ . فَقُلْتُ : كُلُّ ذَلِكَ مَفْهُومٌ مَسْلُومٌ ، وَأَنْتَ فِيهِ مَعْدُورٌ  
لَا مَلُومٌ ؛ وَمَا جَرَى بَيْنَنَا فَهُوَ مَنِيٌّ غَيْرَ مَذْكُورٍ ، وَمَطْوِيٌُّّ غَيْرَ مَشْهُورٍ ، وَمَحْفِيٌُّّ  
غَيْرَ مَشْهُورٍ :

و[جدال] أهل العلم ليس بقادح \* ما بين عالمهم إلى المغلوب !

ثم سكتَ فما أعاد ، وَزَلَّتْ وَعَادَ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ عَهْدٍ بِهِ وَآخِرِهِ ، وَبَاطِنَ  
لِقَاءٍ وَظَاهِرِهِ ، وَكُلَّ أَجْتِمَاعٍ وَسَائِرِهِ .

## الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة العاشرة

( في الرسائل )

وهي جمع رسالة ، والمرادُ فيها أمورُ يرتبها الكاتبُ : من حكاية حالٍ من عدوِّ  
أو صَيدٍ ، أو مَدْحٍ وَتَقْرِيرِضٍ ، أو مُفَاخَرَةٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ ، أو غير ذلك مما يجرى هذا  
الجرى . وَسُمِّيَتْ رسائلٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْأَدِيبَ الْمُتَنَشِّئَ لَهَا رَبَّمَا كَتَبَ بِهَا إِلَى غَيْرِهِ

مُخْبِرًا فِيهَا بِصُورَةِ الْخَالِ، مُفْتَحَةً بِمَا تُفْتَحُ بِهِ الْمَكْتَابَاتُ، ثُمَّ تُوسَّعُ فِيهَا فَافْتَحَتْ بِالْخَطِّبِ وَغَيْرِهَا .

ثم الرسائل على أصناف :

### الصنف الأول

( منها الرسائل المملوكية ، وهي على ضربين )

#### الضرب الأول

( رسائل الغزوة - وهي أعظمها وأجلها )

وهذه نسخة رسالة أنشأها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله ، بفتح [ الملك الظاهر ] لقيسارية من بلاد الروم ، وأقبلها من أيدي التتار ، وأستيلانه على ملكها ، وجأوسه على تحت بنى سلجوق ، ثم العود منها إلى تملكة الديار المصرية . كتب بها إني الصاحب بهاء الدين بن حنا ، وزير السلطان الملك الظاهر ، ومعرفة ما كان في تلك الغزوة ، وما أشتمت عليه حال تلك السفرة - وهي :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ بِسَاحَاتِ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السَّيِّدِيَّةِ ، الصَّاحِبِيَّةِ الْبِهَائِيَّةِ ؛ لِأَنَّ رَكَائِبَ السَّيْرِ تَحْتُ إِلَى أَرْجَائِهَا السَّيْرِ ، وَصُرُوفُ الزَّمَنِ تُسَالِمُ خُدَامَهَا وَتُعَلُّ الْغَيْرَ بِالْغَيْرِ . وَلَا بَرَحَتْ مَوْطِنَ الْبِرِّ وَمَعِينَ الْجُودِ وَبَحْرَ الْكَرَمِ وَعُكَاظَ الْخَيْرِ ؛ وَيُنْهَى بِمَدْرَجِ أَدْعِيَتِهِ الَّتِي لَا تَزَالُ مِنَ الْإِجَابَةِ مَحْوُطَةٌ ، وَلَا تَبْرَحُ يَدَاهُ بِهَا مَبْسُوطَةٌ ؛ أَنَّ الْعَيْدَ مِنْ شَأْنِهِمْ إِتْحَافُ مَوَالِيهِمْ بِمَا يُسَاهِلُونَهُ فِي سَفَرَاتِهِمْ مِنْ عَجَائِبِ ، وَإِطْلَاعُهُمْ عَلَى مَا يَرَوْنَهُ فِي غَزَوَاتِهِمْ مِنْ غَرَائِبِ ؛ لِيَقْضُوا بِذَلِكَ حُقُوقَ الْأَسْتِزْقَاقِ ، وَتَكُونَ نِعْمَ سَادَاتِهِمْ قَدْ أَحْسَنَتْ لِأَقْوَامِهِمُ الْأَسْتِزْقَاقَ . وَتَعَرَّضُوا لِمَا عَسَاهُ يَبْعَثُ مِنْ مَرَا حِهِمْ أَيْ مَا عِنْدَهُمْ غَيْرُهَا يَنْفَعُ وَمَا عِنْدَهَا بَاقٌ .

ولما كان المملوك قد انتظم في سلك الخدم والعبيد، وأصبح كم له قصيد في مدح هذا البيت الشريف كل بيت منها بقصيد بيت القصيد؛ وأن في ما تراه الرسائل التي قد شاعت، وضاعت نفعاتها في الوجود وتم رسالة غيرها في غيره ضاعت - رأى أن يخفف الخواطر الشريفة من هذه الغزوة بأصح يختار منها من يؤلف، ويُسند إليها من يُورخ أو يُصنف؛ وإنما قصد أن يخفف بها أبواب مولانا مع بسط القول واتساع كتابته، لأن الله قد شرف المملوك بمبودية مولانا: والله أعلم حيث يعمل رسالته؛ فإن كان المملوك قد طوّل في المطارحة، فمولانا يتطوّل في المسامحة؛ وإن قال أحد: هذا هدى، فما زال شرح الوقائع مطولاً كذا؛ وتالله ما وُرخ مثلها في التواريخ الأول، ولعمري إن خيراً من سيرة ذلك البطال سيرة هذا البطل؛ والأمر أعلى في قراءتها واستيعابها، والتأمل في حجلها حتى تُسفر حسن نفاها وترفع مسدول قناعها،

قد أحاطت العلوم الشريفة بالعزومات الشريفة السلطانية، وأنها استصحبت ذلك، حتى تصفحت المهالك؛ وسرنا لا نستقر بنا في شيء منها قرار، ولا يفتدح من غير سنابك الخيل نار، ولا تمس على مدينة إلا مرور الرياح على الخائل في الأصائل والإبكار؛ ولا نقيم إلا بمقدار ما يتريد الزائر من الأهبه، أو يتروّد الطائر من النغسه؛ نسبق وقد الرياح من حيث نتجى، وتكاد مواطئ خيلنا بما تستحبه أذبال الصوافي تتجى؛ تحيل هنا الخيل العتاق، ويكبو البرق حلقنا إذا حاول بنا الحاق، وكل يقول لسلطاننا نصره الله:

أين أزمعت أيها هذا الهمام؟ \* نحن نبت الربا وأنت الغمام!

ومرّ لا يفعل السيفُ أفعاله ، ولا يسير في مهمه إلا عمه ، ولا جيل إلا طاله ؛  
تساره السوارى والغواذى ، ولا ينفك الغيث من أسكاب في كل نادٍ ووادى :

فباشرونها طامًا بآشر القنا ، وبلى ثيابًا طامًا بأها الدم !

وكان مولانا السلطان من حلب قد أمر جميع عساكره بقتل لامات حريمهم ،  
وتحمل آلات طعنهم وضرهم :

بخاز له حتى على الشمس حكه ، . . . وبان له حتى على البدر ميسم .

بمد يديه في المقاصة صيغ ، . . . وعيذه من تحت التريكة أرقم !

ورحلوا من حلب في يوم الخميس ثاني ذى القعدة جرائد على الأعراس المعهود ،  
قد خففوا كل شيء حتى البود والعمود ، فسرنا في جبال نسترى فيها سلوك الأرض ،  
وأودية تملك الأشواط فيها إذا ملأت الفروج من الرخص ؛ تزور ديارا ما تحب  
معناها ، ولا تعرف أقصاها من أذناها . واستقبلنا الدرب فكان كما قال المتنبي :

رحى الدرب بالليل العناق إلى العدا . . . وما علموا أن الشهام خيول ،

شوازل تشوال المقارب بالقنا . . . لها مرخ من تحته وصهيل .

[ وما هي إلا خطرة عرّصت له . . . بجزات لبثها قنا ونصول

همام إذا ما هم أمضى هوممه . . . بأرعن وطء الموت فيه ثقيل

وخيول برّاه الرخص في كل بلدة . . . إذا عرّست فيها فليس ثقيل ]<sup>(٢)</sup>

فلما تحلّى من دلوك وصابعة . . . عات كل طود راية ورعيل

(١) الذي في ديوان المتنبي : بالجراد الجواد .

(٢) الزيادة من ديوان المتنبي .

عَلَى طَرِيقِ فِيهَا عَلَى الطَّرِيقِ رِفْعَةٌ \* وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الْإِنْسِ حُمُولٌ !

وَمَرَرْنَا عَلَى مَدِينَةِ دَاوُكَ وَهِيَ رُسُومُ سُكَّانِهَا ، ضَاحِكَةٌ عَنِ تَقْسِيمِ أَزْهَارِهَا  
وَقَهْقَهَةِ غُدْرَانِهَا ؛ ذَاتُ بَرْوَجٍ مُشِيدَةٍ ، وَأَرْكَانٍ مَوْطَدَةٍ ، وَبَيْرَانٍ تَرَاوِقٍ مُوقَدَةٍ ،  
فِي عَمْدٍ مِنْ تَكَاثُفِهَا مُمَدَّدَةٍ ؛ وَسِرْنَا مِنْهَا إِلَى مَرْجِ الدِّيَابِجِ تَتَعَادَى ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةٍ  
ذَاتِ أُنْدِيَةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ بُحَادَى ؛ فُطَّمَاتُهَا مُدْبِغَةٌ ، وَطُرُقَاتُهَا قَدْ أَصْبَحَ أَغْرَهَا  
عَلَيْنَا عُمَّهُ ، لَا يَثْبُتُ تُرْبُهَا نَحْتِ قَدَمِ الْمَازِ ، وَكَأَنَّمَا سَالِكُهَا يَمْسِي عَلَى شَقَا جُرُفِ  
هَارٍ ؛ فَبِنَا هُنَالِكَ لَيْلَةً نَسْتَحْقِرُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى سِدَّتِهَا لَيْلَةَ الْمَلْسُوعِ ، وَتَغْنَى الْعَيْنُ بِهَا  
هَجْمَةَ هُجُوعٍ ؛ وَأَخَذْنَا فِي آخِرَاتِ غَابَاتِ أَشْجَارِ تَحْفِي الرِّفِيقِ عَنِ رَفِيقِهِ ، وَتَسْنَدُهُ عَنِ  
أَفْتَاءِ طَرِيقِهِ ؛ يَنْبِرِي مِنْهَا كُلُّ غُضْنٍ يُرْسِلُهُ الْمُتَقَدِّمُ إِلَى وَجْهِ رَفِيقِهِ ، كَمَا يَخْرُجُ السَّمُّ  
بِقُوَّةٍ مِنْ مَنَجْنِيقِهِ ؛ حَوْطًا مَعَاثِرًا أَتَجَارُ كَأَنَّهَا قُبُورٌ بُعِثَتْ ، أَوْ جِبَالٌ تَفْطُرَتْ ؛ بَيْنَمَا  
تَحَايِضُ ، لَا بَلَّ مَعَايِضُ ، كَأَنَّهَا بَحَارٌ بَحُرَتْ ؛ مَا نَخْرُجُنَا مِنْهَا إِلَّا إِلَى جِبَالٍ قَدْ تَمَنَّقَتْ  
بِالْحَدَاوِلِ وَتَعَمَّمَتْ بِالثَّلُوجِ ، وَعَمَّيْتُ مَسَالِكُهَا فَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ قَائِلٌ : فَهَلْ إِلَى  
خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ أَوْ إِلَى سَبِيلٍ مِنْ خُرُوجٍ ؛ تَضِيْقُ مَنَاهِجُهَا بِمَشْيِ الْوَاحِدِ ، وَتَلْتَفُّ  
شَجَرَاتُهَا أَلْفَافَ الْأَكَامِ عَلَى السَّاعِدِ ؛ ذَاتُ أَوْعَارٍ رَلَقَهُ ، وَصُدُورٍ شَرِقَهُ ، وَأَوْدِيَةٍ  
بِالْمُرْدَحِيمِ مُحْتَفِقَةٍ ؛ بِنَا يَقُولُ مُتَحَيِّجًا : قَدْ نَلْتُ السَّمَاءَ بِسُلَيْمٍ مِنْ هَذِهِ الشَّوَاهِقِ ،  
إِذَا هُوَ مُتَضَائِلٌ قَدْ هَبَطَ فِي مَازِقٍ مُتَضَائِقٍ ؛ لَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْجِبَالُ تَأْخُذُنَا وَتَرْمِينَا ،  
وَتَلِكِ الْمَسَارِبُ تَضْمُنًا وَتَلِكِ الْمَشَارِبُ تُظْمِنَا :

سُودُ الشَّمْسِ مَنَا بِيضٍ أَوْجُهِنَا ، \* وَ [لَا] سُودُ بِيضِ الْعُدْرِ وَاللَّيْمِ ،  
[وَكَانَ حَالَهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً \* لَوْ أَحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكِيمٍ ]

وَتَرَكُ الْمَاءَ لَا يَنْفَكُ مِنْ سَقَرٍ ، \* مَا سَارَ فِي الْعَمِيمِ مِنْهُ سَارَ فِي الْأَدَمِ !

حتى وصلنا الحَدَثَ الحَمْرَاءَ المُمَيَّاةَ الآنَ بِكَيْنُوكَ ومعناها المَحْرَقَةُ ، كان المَلِكُ قُسْطَنْطِينُ وَالِدُ صَاحِبِ سِيسِ قد أَخَذَهَا مِنْ أَصْحَابِ الرُّومِ وَأَحْرَقَهَا ، وَتَمَلَّكَهَا وَعَمَرَهَا ، بِقَصْدِ الضَّرَرِ لِبِلَادِ الإِسْلَامِ وَالتَّجَارِ . فلما كان في سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ سَيَّرَ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ إِلَيْهَا عَسْكَرَ حَآبٍ فَأَفْتَحَهَا بِالسَّيْفِ وَقَتَلَ مِنْ كَانَ بِهَا مِنَ الرِّجَالِ وَسَيَّ الحَرِيمِ وَالثَّرِيَّةَ ، وَخَرِبَتْ مِنْ ذَلِكَ الحِينِ ، وَمَا بَقِيَ بِهَا مِنْ يَكَادُ يُبِينُ ، فَشَاهَدْنَا مَا بَعَثَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِنُ حَمْدَانَ مِنْهَا وَالقَنَا تَفْرَعُ القَنَا وَمَوْجُ المَنَابِيا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمٌ ، وَقِيلَ حَقِيقَةٌ هُنَاكَ : عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ ، وَهِيَ الَّتِي عَنَاهَا أَبُو الطَّيِّبِ بِقَوْلِهِ :

عَصَبَ الدَّهْرِ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا : فَبِنَاهَا فِي وَجَنَةِ الدَّهْرِ خَالَا

فِيهِ تَمَيَّشِي مَشَى العُرُوسِ أَخْيَالَا \* وَتَمَيَّي عَلَى الرِّمَائِ دَلَالَا !

فَبِنَاهَا وَأَبْتَيْنَا وَخَيْلَنَا مَبْنُوتَةٌ فَوْقَ الأَحْيَادِ كَمَا تَبَثَّتِ الدَّرَاهِمُ فَوْقَ العُرُوسِ ، وَجِيَادُنَا عَلَى الرُّكُوبِ فِي أَعْلَى العَيْنِ تَدُوسُ ، إِذَا زَلَقَتْ مَشَتْ كَالأَرَاقِمِ عَلَى البُطُونِ ، وَإِنْ تَكَاسَلَتْ بَرَّ بَعْضُهَا بَعْضًا بِالصَّهِيلِ : « وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ » ، وَخُضْنَا فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مَخَائِصَ سَوَائِفٍ ، كَانَتْهَا لِأَجْلِ عَوْمِ الخَيْلِ بِهَا تَمَيَّ كُلُّ مِنْهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ سَابِحٌ ، كَلَّمَا قُلْنَا : هَذَا بَحْرٌ قَدْ قَطَعْنَاهُ أَعْرَضَ لَنَا جَبَلٌ ، وَكَلَّمَا قُلْنَا : هَذَا جَبَلٌ طَلَعْنَاهُ بَانَ لَنَا وَادٍ يُسْتَهَانُ دُونَ الهَوِيِّ فِيهِ نَفَادُ الأَجَلِ ، لَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى وَصَلْنَا كَوَكُصَا (٥) وَهُوَ النَّهْرُ الأَزْرَقُ ، وَهُوَ الَّذِي رُدَّ المَلِكُ الكَامِلُ مِنْهُ سَنَةَ الدَّرْبَنْدَاتِ لِمَا فَصَدَ التَّوَجُّهُ إِلَى الرُّومِ . وَهَذَا النَّهْرَيْنِ الجِبَالِ مَهْوِي رِجَامِيهَا ، وَمَثْوِي نَحَامِيهَا ، وَمَلْوِي زِمَامِيهَا ، وَمَأْوِي قَنَامِيهَا ، فَلِلْوَقْتِ عَبْرَانَهُ رَكُضًا ، وَأَعْجَلَتْ الخَيْلُ فَمَا دَرَّتْ هَلْ حَاضَتْ لِحَّةً أَمْ قَطَعَتْ

أرضاً؛ وبات الناس من برّ هذا النهر الآخر وأصبحوا مُسَلِّينَ في تلك الشَّم، ووقع السَّيَّك يُسَمِّع من تلك الجبال الصَّم؛ حتَّى وصلوا إلى أباغادربند فما تَبَّت يدُ قَرَس لمصافحة صفاها، ولا نَعْلَهُ لمكالفة رَحَاها، ولا رِجْلَهُ لمطارحة قُواها؛ وتَمَزَّت الخيلُ على الأقباحم والأزدحام في التَطْرُق، وتَمَوَّدت ما تَمَوَّدته الأوعالُ من التَسْرِب والتسلق؛ فصارت تُحَطُّ أُنْحِطاطَ الهَيْدَب، وتَرْتَفِعُ أَرْتِفَاعَ الكَوْكَب؛ وتَسْمِرِي سَرِيانَ الخيلِ، وتُمْكِنُ حَوَافِرَها الحِيَادَ فتزولُ منها الجبالُ؛ حتَّى حصلَ الخروجُ من مُنْهَى أباغادربند وهو خِثاقُ ذلك المَأْرِقِ الذي كَمَّ أَمْسَكَ على طَارِق، وقَمَّ ذلك الدَّرِبِ الذي كَمَّ عَضَّتْ أُنْيَابُهُ على مُسَاوِقٍ ومُسَابِقٍ؛ وذلك في يوم الأربعاء تَامِينَ ذِي القَعْدَةِ، وبات السلطانُ والناسُ في وَطْأَةِ هِنَاك، وسَمَّجت السَّحْبُ بما شاءت من بَرْدٍ وبردٍ، وجاءت الرياحُ بما أَلَمَّتِ الحِلْدَ واستنقذتِ الحِلْدَ؛ وأنتشرت العساكرُ في وَطْأَةِ هِنَاك حتَّى مَلَأَتِ المَقَاوِزَ، ومَلَكَتِ الطَّرِيقَ على المَارِّ وأخذتها على الجَلَّازِ؛ وقَدَّمَ مولانا السلطانُ الأميرَ تَمَسَّ الدينَ سُقْرًا الأشقرَ في الجالِيشِ في جماعة من العساكرِ فوقع على ثلاثة آلاف فَارِسٍ من التَّارِ مُقَدِّمُهُم كَرَامِي، فآتَمَزَمُوا مِن بَيْنِ يَدَيْهِ، وأخذ منهم من قُدِّمَ لِلسَّيْفِ السلطانيِّ فأكل نَهْمَتَهُ وأَسَارَ، وأسَمَّتْ تلك سُنَّةً فِيمَنْ يُؤْخَذُ مِنَ التَّارِ وَيُؤَسَّرُ؛ وذلك في يوم الخميس تاسع ذِي القَعْدَةِ .

وبات التَّارُ على أَجْمَلِ تَرْتِيبٍ لأنفسهم وأَجْمَلِ مَنظَرٍ، وبات المسلمون على أَمِّ تَيْقِظٍ وأَعْظَمِ حَذَرٍ؛ ولم يَتَحَقَّقُوا قُدُومَ مولانا السلطانِ في جُيُوشِ الإسلامِ، ولا أَنَّهُ حَضَرَ بِنَفْسِهِ النِّفِيسَةَ لِيَوْمٍ في نُصْرَةِ دِينِ الله هَذَا المَقَامِ . فلَمَّا كان يوم الجمعة عَاشِرُ ذِي القَعْدَةِ تَتَابَعِ الخَبْرُ بِمَدِ الخَبْرِ أَنَّ القَوْمَ قد قَرُبُوا، وَأَنَّهُمْ تَأَبَّأُوا وَوَسَّأُوا :

وَقَدْ تَمَنَّوْا عِنْدَاةَ الدَّرِبِ فِي الحَبِّ \* أَنْ يُبْصِرُوهُ فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ عَمَّوْا !



وشرع مولانا السلطان فوصى جنوده بالثبات عند المصدمه ، والاجتماع عند المصدمه ، ورب جيش الإسلام العجيب ، على ما يجب ، وأراهم من نور رأيه ما لا على بصير ولا بصيرة يحتجب ، فطاعت العساكر مشرفة على صحرائ هونى من بلاد أبلستين ، وكان العدو ليلته تلك بائنا على نهر زمان ، وهو أصل نهر جهان ، وهو نهر جيحان المذكور فى الحديث النبوى ، وإنما الأزمُن لا تنطق بالهاء .

فلما أقبل الناس من عابو الجبل شاهدوا المغل قد ترتبوا أحد عشر طلبا كل طلب يزيد على ألف فارس حقيقه ، وعزوا عسكر الروم عنهم خيفة منهم ، وجعلوا عسكر الكرج طلبا واحدا بفرده . ولما شاهدوا سناجق مولانا السلطان المنصورة ومن حولها من المالك الظاهرية ، وعابهم الخوذ الصفر المقترحة ، وكأثها فى شعاع الشمس نيران مقتدحه . رجوا انى ما كانوا عقدوا من المزامم حقلوا ، وسقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، وعلى الموت يرأسلون ، فانصبت الخيل إليهم من أعلى الجبل أنصباب السيل ، وبقتلت الحياة منهم ونفى الخيل ، فشمروا عن السواعد ، ووقفوا وقفة رجل واحد ، وهؤلاء المغل كان طاغية التار آبنا - أهلك الله - قد اختارهم من كل ألف مائة ، ومن كل مائة عشرة ، ومن كل عشرة واحدا لأجل هذا اليوم ، وعرفهم بسيا الشجاعة وعرضهم لهذا السزم ، وكان فيهم من المقدمين الكبار تدلون ، ومعنى هذا الأكم التخاذ ، يعنى أنه ما كان فى عسكر قط إلا نغذه ، والمقدم الآخر هو (٤) وإليه أمر بلاد الروم وعساكر المغل بها ، وأرختوا أخو تدلون ، وبهادر بحشى . ومن مقدمى الأتوف ذلك ، وصهر آبنا : وفراق وخواصه :

بِضِّ الْعَوَارِضِ طَمَّائُونَ مِنْ حَقُّوا \* مِنْ الْقَوَارِيسِ سَلَّالُونَ لِلنَّعِيمِ !  
قَدْ بَلَّغُوا بَقَّاهُمْ فَوْقَ طَافِنِهِ \* وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْجِيمِ .

فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَهُمْ \* مِنْ طَيْمِينٍ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ !  
 فعند ما شاهدوا نجد الملائكة ، وتحققوا أن نفوسهم هالكة ، أخذت فرقة منهم  
 إلى الأرض فقاتلت ، وعاجت النايأ على نفوسهم وعاجلت ، وباعت نفوس المسلمين  
 لهم وتاجرت ، وكثرت وما كثرت ، وجاء الموت للعدو من كل مكان ، وأصبح  
 ما هناك منهم وقد هان ، وللوقت خذلوا وجذلوا ، ولبطون السباع وحواصل  
 الطيور حصلوا ، وصاروا مع عدم ذكر الله بأفواههم وقلوبهم ، يقانلون قياماً وقعوداً  
 وعلى جنوبهم ، فكلم من شعاع الصق ظهره إلى ظهر صاحبه وحامى ، وناضل ورأى ،  
 وتم فيهم من منهم ، ما سلم قومه حتى لم يبق في كائنه سهم ، وذى سن طارح به فسا  
 طرحه حتى تسلم ، وذى سيف حادثه بالصقال فاجلى محاذته حتى تكلم ، وأبانوا  
 عن نفوس في الحرب أبيه ، وقلوب كافرة ونحوه عمريه ، وأشدت فرقة من العدو  
 من جهة الميسرة معرجين على السناجق الشريفة من خلفها ، متغلين بصفوفهم  
 على صفها :

فَلَزِمُوا الطَّرَادُ إِلَى قِتَالٍ \* أَحَدٌ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ !

فَنَابَ مولانا إليهم ، ووثب عليهم ، فضحى كل منهم بكل أشتط ، وأفرى الأجساد  
 فأفرط ، وخلق مولانا السلطان منهم من قصد التحصين بالجبال فأخذهم الأخذة  
 الرأيه ، وقتلهم فهل ترى لهم من بآقيه ؟ :

وما الفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ \* تَمَحَّى النَّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَعْلِ ؟

وأنهزمت جماعة يسيرة طمع فيها من العوام من كان لا يدفع عن نفسه ، وأخذتهم  
 المهاوى فما نجا منهم إلا آيس من حياة غده في أميه .

مَضَوْا مُتَسَابِقِينَ الْأَعْضَاءِ فِيهِ \* لِأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ حِتَارُ

إِذَا قَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلْتَهُمْ \* بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطِشِ انْفِقَارًا!

وقصدت مئمة عسكريا جماعة من المغل ذوربأس شديد، فقاتلهم المسلمون حتى  
 صَجِرَ الحديد من الحديد ، وكان مولانا الصاحب زين الدين - حرس الله جلالة -  
 لنا دُعِيَتْ تَزَالِ أَوَّلُ مُسَابِقٍ ، وَأَسْرَعُ رَاشِقٍ ، وَأَقْرَبُ مُطَاعِنٍ ، وَأَعْظَمُ مُعَاوِنٍ ،  
 فَذَكَرَ مَنْ شَاهَدَهُ أَنَّهُ أَحْسَنُ فِي مَعْرَكَتِهِ ، وَأَجْمَلُ فِي كَرَمَتِهِ ، وَأَجَادُ فِي طَعْنَتِهِ ، وَزَارَ  
 زَيْدَ اللَّيْلِ ، وَسَابِقُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ حَيْثُ ، وَوَفَّ دَرِيئَةَ الرِّمَاحِ مِنْ عَن تَيْبِنِهِ وَسِمَالِهِ ،  
 وَخَضَّبَ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِ عُدُوِّهِ أَكْثَافَ سَرَجِهِ وَعِنَانَ لِحَامِهِ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ  
 بَاقِيَةٌ وَأَقِيَّةٌ فِي تَهْدِيمِهِ وَإِقْدَامِهِ ، وَشَاحِدَانَهُ وَقَدْ تَخَرَّجَ مِنْ وَسْطِ الْمَعْرَكَةِ وَدَوَسَاكِي  
 السَّلَاحِ ، وَقَدْ أَخَذَ نَصِيْبَهُ وَنَصِيْبَ فَرَسِهِ مِنْ سَالِمِ الْحِرَاحِ ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ لَا يُعْجِلِيَهُ مِنْ  
 إِسْأَلَةِ دَمِ بَعْظَمِ اللَّهِ الْأَجْرَ بِسَائِلِهِ ، بِجَعَلِهِ - وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ - مِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ أَنْبِيَائِهِ .

ولقد ذكر الأمير عز الدين أيُّدمر اللُدِّوَادَارِ الظَّاهِرِيُّ ، قَالَ : لَقِيْتُنِي وَقَدْ تَكَسَّرَ  
 رُجْحِي ، وَعَادَ - لِوَلَا لُطْفِ اللَّهِ - إِلَى الْخَسَّارَةِ رِبْعِي ، فَأَعْطَانِي الْمَوْلَى الصَّاحِبُ  
 زَيْنُ الدِّينِ رُجْحَهُ إِذَا فِيهِ نُصُولٌ ، وَبَسِيَّتَهُ مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ قُلُوبٌ ، وَرَأَيْتُ دَبُوسَ  
 الْمَوْلَى الصَّاحِبِ زَيْنِ الدِّينِ وَقَدْ تَسَلَّمَ ، وَكَانَ الْحَوْفُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَدِيدًا  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، وَلَقَدْ بَلَغَ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ خَبْرَهُ فَسَأَلَهُ فَمَا أَجَابَهُ بِغَيْرِ أَنْ قَالَ :  
 سَيْفُ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ هُوَ الَّذِي سَفَكَ ، وَعِزُّهُ هُوَ الَّذِي فَتَكَ .

وَمَنْ يَكُ مَحْفُوظًا مِنَ اللَّهِ فَلْيَكُنْ \* سَلَامَتُهُ مِمَّنْ يُعَذِّرُهُ كَمَا ،

وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّدُوفِ مُسَلِّمًا \* وَلَا مَنَّ يُّدِيهِ وَلَا نَالَهُ أَدَى !!

وأما العذو فتعاشت الأيدي ما يتطونه من الصواهل والصوائف ، وما يصولون به  
 من سيف وقيس وكائن ، وما يلبسونه من خود ودر ورج وجرابن ، وما يتكلمونه

من جميع أصناف المعادين ، فَعَنِمَ ما هُنَالِكَ ، وَتَسَلَّمَ من اسْتَشْهَد من المُسْلِمِينَ رِضْوَانُ  
وَتَسَلَّمَ من قُتِلَ من الكُفَّارِ مَالِكِ .

وكان الذين اسْتَشْهَدُوا في هذه الوَقْعَةِ من المُقَدِّمِينَ : شَرَفُ الدِّينِ قَبْرَانُ العَلَّائِيُّ ،  
وِعِزُّ الدِّينِ أَخُو الأَمِيرِ بَهْمَالِ الدِّينِ أَحْمَدِيُّ . ومن المَالِكِ السُلْطَانِيَّةِ : شَرَفُ الدِّينِ  
فَلْحَقُ (؟) البَاشَانِكِيرِ الطَّاهِرِيُّ ، وَأَيْتُكَ الشَّقِيقِيُّ الَّذِي كانَ وَزِيرَ الشَّقِيفِ . وكان  
المَجْرُوحُونَ عِدَّةً لَطِيفَةً لم يُعْلَمَ عَدَدُهَا لِقَاتِهَا ، بل نَلَقْتِهَا ، وَأَوْرَثَ اللهُ المُسْلِمِينَ مَنَازِلَهُمْ  
فَنزَلُوهَا ، وَوِطَاقَاتِهِمْ وَتَرَكَوا رِجْلَهُمْ قَتَمًا وَلَوْهَا ؛ وكانَ مولانا السُلْطَانُ وكانَ أَعْدَاؤُهُ كَمَا قِيلَ :

فَسَاهُمْ وَبُسَطَهُمْ حَرِيرٌ ، \* وَصَبْحَهُمْ وَبُسَطَهُمْ تَرَابٌ !!

وَأُصْبِحَ الأَعْدَاءُ لَأَتْرَى إِلا أَسْلَافَهُمْ ، وَلا تُبْصِرُ إِلا أَعْيَاؤَهُمْ ؛ كَأَنَّما جَزُرُ  
أَجْسَادِهِمْ جَزَائِرُ يَتَخَلَّلُهَا من الدَّماءِ السَّيْلُ ، وَكَأَنَّما رُءُوسُهُم المَجْمُوعَةُ لَدَى الدَّهْلِيذِ  
الْمَنْصُورِ أَكْثَرُ تَلْعَبُ بِهَا صَوَالِحُهُ من الأَيْدِي والأَرْجُلِ من الخَيْلِ :

أَلَقْتُ إِلىنا دِمَاءَ المُغْلِ طَاعَتِهَا \* فَلوَدَعَوْنَا بِلا حَرِيبِ أَجَابَ دَمٌ!

فَكَمْ شاهِدَ مولانا السُلْطَانُ مِنْهُمْ مَهِيَّبَ المَأمَةِ ، حَسَنَ الوَسَامَةِ ، تُتَفَرَّسُ في جَهَامَةِ  
وَجْهِهِ الفَخَامَةِ ، فَدَفَضَ الرُّمْحُ فَاهُ فَفَرَّعَ السِّنُّ على الحَقِيقَةِ نَدَامَةً :

وَوَجُّوهَا أَخافَها مِنْكَ وَجْهٌ \* تَرَكَتْ حُسْنَها لَهْ وَالْجَمالَ!

أَوْ كَمَا قِيلَ :

لَا رَحِمَ اللهُ أَرْؤُسا لَهْمُ \* أَطْرُونَ عَن هَامِيهِنَّ الحَقاقا! <sup>(١)</sup>

وأقبل بعض الأحياء من الأسارى على الأموات يتعارفون ، والأخبار شجاعتهم  
يتواصفون ، فَمِمَّنْ من قائل : هَذَا فلانٌ وَهَذَا فلانٌ ، وَهَذَا كانَ وَهَذَا كانَ ؛ وَهَذَا

(١) في ديوان المنبي "لا يرسم" .

كان يُحَسِّدُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَبْزِمُ الْأَلُوفَ ، وَهَذَا يُتَرَمَّرُ فِي ذَهَبِهِ أَنَّهُ لَا تَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
الضُّفُوفُ ، وَكَثُرَتْ الْأَسَارِيُّ مِنَ الْمُغَلِّ فَاخْتَارَ السُّلْطَانُ مِنْ كِبَرَائِهِمُ الْبَعْضَ ، وَعَمِلَ  
فِيهِمْ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُخْرَجَ فِي الْإَرْضِ ﴾ .  
فَجَعَلَهُمُ لِلسُّيُوفِ طُعْمَةً ، وَأَحْضَرَتْ الْأَسَارِيُّ مِنَ الرُّومِ قَرِيبَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ  
فِيهِمُ الْإِلَّ وَالذَّمَّه :

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَمُوعِ عَنْهُمْ ، \* وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يُحْفَظُ الْيَدَا !

وكان في جملة الأسارى الروميين مهذب الدين بكلازكس ، يعنى أمير الأمراء  
وولد البرواناه ، وتور الدين جاجا أكبر الأمراء ، وجماعة كثيرة من أمراء الروم  
ومقدمي عساكره ، فكان البرواناه أحق بقول أبي الطيب :

تَجَوَّتْ بِأَحَدِي مُقْتَلِكِ جَرِيحَةً \* وَخَلَفْتَ إِحْدَىٰ مُهَجَّبِكَ تَسِيلًا !

أَسْلِمِ لِلطَّيِّبَةِ أَنْتَكَ هَارِبًا \* وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلًا ؟

لأنه شمر الذليل ، وأمتطى - هرباً - أشهب الصبح وأحمر الشفق وأصفر الأصيل  
وأدهم الليل ، وتم يُخْرِجُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَا تَمَّ ، وَهَمَّ قَلْبُهُ رَفِيقَهُ حِينَ هَمَّ :

فَتَحَّنْ فِي جَدَلٍ ، وَالرُّومِ فِي وَجَلٍ ، \* وَالْبُرِّ فِي سُغْلٍ ، وَالْبَحْرِ فِي مَجَلٍ ! !

وَدَخَلَ الْبِرْوَانَاهُ مَدِينَةَ قَيْصَرِيَّةَ فِي تَارِيخِ يَوْمِ الْأَحَدِ ثَانِي عَشَرَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ ،  
فَأَفْهَمَ غِيَاثَ الدِّينِ سُلْطَانَهَا ، وَالصَّاحِبَ نَحْرَ الدِّينِ بْنِ عَلَمَا (؟) وَالْأُنَايِكَ تَجْدَ الدِّينِ ،  
وَالْأَمِيرَ جَلَالَ الدِّينِ الْمُسْتَوْفِي ، وَالْأَمِيرَ بَدْرَ الدِّينِ مِيكَائِيلَ النَّاتِبِ ، وَالْأَمِيرَ فَلَانَ  
الدِّينِ الطُّغْرَانِي ، وَهُوَ وَوَلَدُ عَزَّ الدِّينِ ابْنِي الْبِرْوَانَاهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَكْتُبُ طُرُقَ الْمُنَاشِيرِ -  
أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَسَرُوا بَعْضَ الْمُغَلِّ وَبَقِيَتْهُمْ مِنْهُمْ مَوْنٌ ، وَيُخَشَىٰ مِنْهُمْ دُخُولُ قَيْصَرِيَّةَ  
وَالْأَلُوفِ مَا يَكُونُ بِهَا فِي طَرَائِفِهِمْ حَقًّا عَلَى الْإِسْلَامِ . فَأَخَذَهُمْ جَرَانِدٌ ، وَأَخَذَ

زَوْجَتَهُ كُرْجِي خَاتُون بِنْتِ غِيَاثِ الدِّينِ صَاحِبِ أَرْزَنِ الرُّومِ ، فَاسْتَصْحَبَتْ مَعَهَا  
 أَرْبَعَةَ جَارِيَةٍ لَهَا ، وَكَانَ لَهَا مَالًا كَانَتْ لِمُصَاحِبِ الرُّومِ مِنَ البَخَائِيِّ وَالخِيَامِ وَالآلَاتِ ،  
 وَتَوَجَّهُوا كُلُّهُمْ إِلَى جَرِهِ تَوَقَّاتِ (؟) وَهُوَ مَكَانٌ حَصِينٌ مَسِيرَةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مِنَ  
 قَيْصَرِيَّةَ . وَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ قَيْصَرِيَّةَ حَمَلَهُمْ عَلَى سُرْعَةِ الهَرَبِ ، وَأَنْذَرَهُمْ عَذَابًا قَدْ  
 اقْتَرَبَ ، وَهَوَّلَ عَلَى بَقِيَّةِ أَسْرَاءِ الرُّومِ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، وَأَخْفَى البرَوَانَةَ أَمْرَهُ  
 وَأَمَرَ مِنْ مَعَهُ حَتَّى لَا يُخْبِرَ بِمُخْرَجِهِمْ .

وَكَانَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ قَدْ جَرَدَ الأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ سُفْرًا الأَشْقَرِ فِي عَدَدِ مُسْتَظْهِرًا  
 بِهِ لِإِدْرَاكِ مَنْ فَاتَ مِنَ المَغْلِ ، فَهَرَّوْا فِي طَرِيقِهِمْ بِفِرْقَةٍ مَعَهَا بِيُوتُهُمْ فَأَخَذَ مِنْهَا جَانِبًا ؛  
 وَدَخَلَ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ فَمَرَكْتُ فِي سِرِّيهِ ذَاهِلًا ذَاهِبًا . وَرَحَلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ فِي بُكْرَةِ  
 السَّبْتِ حَادِي عَشْرَ ذِي القَعْدَةِ مِنْ مَكَانِ المَعْرَكَةِ ، فَتَزَلَّ قَرِيبَ القَرْيَةِ المَعْرُوفَةِ  
 بَرِيَّانَ ، وَهَذِهِ القَرْيَةُ قَرِيبُ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ حَقِيقَةً ، لِأَمَّا يُقَالُ : إِنَّهُ قَرِيبُ حُسْبَانِ  
 مِنْ بِلَادِ البَلْقَاءِ ، وَقَرِيبًا مِنْهُ صَلَدٌ مِنَ الصَّفَاءِ عَلَيْهِ كِتَابَةٌ بِالرُّومِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الخَطِّ  
 القَدِيمِ . وَأَمَّا القَرْيَةُ المَذْكُورَةُ المَسَاءَةَ بَرِيَّانَ فَإِنَّ بِيُوتَهَا بُنِيَتْ حَوْلَ سِنِّ جَبَلٍ قَائِمٍ  
 كَأَهْرَمٍ إِلَّا أَنَّهُ مَمْنُومٌ ، وَعُمِّرَتْ البُيُوتُ فِي سَفْحِهِ حَوْلَهُ بَيْنَا فَوْقَ بَيْتٍ فَبَدَتْ كَأَنَّهَا  
 مَجْرَّةُ النُّجُومِ ؛ وَمَا مِنْ بَيْتٍ مِنْهَا إِلَّا وَبِهِ مَقَاعِدُ ذَوَاتِ دَرَابِزِيَّاتٍ مَنجُورَةٍ ،  
 وَرَوَاسِيْنَ قَدْ بَدَتْ فِي أَكْمَلِ صُورِهِ ؛ يَخْتُمُّهَا مِنْ أَعْلَاهَا أَحْسَنُ بُنْيَانٍ ، وَيَعْلُوهَا مِنْ  
 رَاسِهَا مَنزِلٌ مَسَّمَّ الرَّاسِ كَمَا يَعْلُو الصُّعْدَةَ السَّنَانُ ؛ وَتَطُوفُ بِهَذِهِ القَرْيَةِ جِبَالٌ كَأَنَّهَا  
 أَسْوَارٌ بِلِ سِوَارٍ ، وَكَأَنَّهَا فِي وَسَطِهَا إِنَاءٌ فِيهِ جَدْوَةٌ نَارٌ ؛ وَيَتَفَرَّغُ مِنْهَا أَنهَارٌ ، هِيَ  
 فِي تِلْكَ الأَوْدِيَةِ كَأَنَّهَا يَهْبُوطُهَا كَثِيبٌ قَدْ أَنهَارَ ؛ ذَوَاتُ قَنَاطِرٍ لِأَنَسَعُ غَيْرَ رَاكِبٍ ،  
 وَمَضَائِقَ لَا يَأْتِي بِعَبْرَتِهَا لَنَا كَبْ ؛ قَدَّرَ اللهُ أَنْ العَسَاكِرَ خَلَّصَتْ مِنْهَا وَلَكِنْ بَعْدَ  
 مُقَاسَاةِ الجُهْدِ ، وَخَرَجَتْ وَقَدْ رَقَّ لَهَا قَلْبٌ كُلُّ وَهْدٍ ، وَزَلْنَا قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى

تَحَلَّصَ مِنْ تَحَلُّصٍ ، وَحَضَرَ مِنْ كَانُ فِي الْمَصَائِقِ قَدْ تَرَبَّصُ ، وَقَالَ : كَلَّ الْأَرْضَ  
حَضَّحَصَ .

وَرَحَلْنَا مِنْ هُنَاكَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ نَائِي عَشْرِ شَهْرَيْ ذِي الْقَعْدَةِ وَكَانَتِ السَّمَاءُ قَدْ حَيَّتِ  
الْأَرْضَ بِيَجَانٍ أَمْطَارِهَا ، وَأَغْرَقَتِ الْهَوَامَّ فِي أَجْحَارِهَا ، وَالْفُتُوحَ فِي أَوْكَارِهَا ؛  
وَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ لِاتِّمَّاسِكَ حَتَّى لَا لِمُرُورِ الْأَرَامِ ، وَالْجِبَالُ لِاتِّمَّاسِكَ أَنْ تَكُونَ  
لِلْعَقَمِ عَوَاصِمَ ؛ تَقَعُ بِهَا مِنَ الدُّوَابِّ كُلِّ [ذَاتِ] حَمَلٍ ، وَتَوْلَقُ فِي صَقِيلِهَا أَرْجُلُ  
الْقَمَلِ ؛ وَسِرْنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ تَهَارَاتًا كَلَّهِ إِلَى قَرِيبِ الْغُرُوبِ ، وَقَطَعْنَا بِتَسَائِينَا أَيْدِي  
الدُّرُوبِ مِنْ أَيْدِي الدُّوُوبِ ؛ وَزَلْنَا عِشَاءً فِي مُنْتَجِعِ أَرْضٍ تَطُوفُ بِهَا جِبَالٌ شَاهِقَةٌ ،  
وَمِيَاءٌ دَافِقَةٌ ؛ تُعْرَفُ قَاعَةٌ تِلْكَ الْأَرْضِ بِوَطْأَةِ قِشَلَا وَسَارِ (٢) مِنْ أَعْمَالِ أَصَارُوسِ  
الْعَتِيقِ . وَيَقْرَبُ مِنْ تِلْكَ الْجَهَةِ مَعْدِنُ الْفِضَّةِ .

وَبَيْنَمَا نَحْنُ قَدْ شَرَعْنَا فِي أَهْبَةِ الْمَيْتِ ، وَلَمْ تَقْضِ الشَّمْلُ الشَّيْتِ ؛ وَإِذَا بِالصَّاحِحِ  
قَدْ صَدَحَ ، وَالتَّذِيرِ قَدْ سَنَحَ ؛ رَافِعًا عَقِيرَتَهُ بِأَنْ قَوْجًا مِنَ التَّنَّارِ فِي بَحْوَةٍ هُنَاكَ  
قَدْ أَسْتَرُوا ، وَفِي تَجْوَةٍ لَغْرَةٍ قَدْ أَنْتَظَرُوا ؛ فَرَكِبَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَرَكِبَ النَّاسُ  
فِي السَّلَاحِ ، وَعَزَمُوا عَلَى الْمَطَّارِ فَعَاقَهُمْ تَتَابِعُ الْعَيْثِ وَكَيْفَ يَطِيرُ مَبْلُولُ الْجَنَاحِ ؟ ؛  
ثُمَّ لَطَفَ اللَّهُ وَعَادَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَهُوَ يَقُولُ لِلنَّاسِ : ، لَا بَاسَ ؛ فِيمَنَا نَوْمَةُ السَّلِيمِ ،  
وَصَدَرَتْ أَفْكَارُنَا شَاغِرَةً فِي كُلِّ وَادِيَتِهِمْ ؛ وَأَصْبَحْنَا فَسَلَكْنَا جِبَالًا لَا يَجِيطُ بِهَا  
الْوَصْفُ ، وَتَنَسَّطَ عُدْرَاءُ الطَّرْفِ فِيهَا حِينَ يَكْبُو فِيهَا الطَّرْفُ ؛ تَنَحَّطُ مِنْهَا إِلَى جَنَادِلِ ،  
يَضَعُفُ عَنِ الْهَوِيِّ إِلَيْهَا قَوِيُّ الْأَجَادِلِ ؛ بَيْنَا نَقُولُ : قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهَا نَقَادًا وَمِنْهَا  
نَقَادًا ، وَإِذَا بَعْدَ الْأُودِيَةِ أُوْدِيَةٌ وَبَعْدَ الْجِبَالِ جِبَالٌ نَشْكُرُ عِنْدَ ذَلِكَ هَذِهِ وَذَلِكَ عِنْدَ  
هَذَا ؛ وَمَرَرْنَا عَلَى قَرْيَةٍ أَوْتَرَكَ ، وَتَحْتَهَا قَنَاطِرٌ وَخَانٌ مِنْ حَجَرٍ مَنَحُوتٍ ، ثُمَّ خَانَ آخَرَ

للسبيل على رأس رابية هناك تعرف باشيبدى ، قَرِيْبًا من حصن سَمْتَدُو ، التي عرض بها أبو الطَّيِّب في قوله :

فَإِنْ يُقَدِّمَ فَقَدْ زُرْنَا سَمْتَدُو \* وَإِنْ يُخْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ !

وكان مولانا السلطان قد سَير إليها خواصه بكتّاب إلى نائبها فقبله وقبله ، وأدعَى لتسليم حصنها المنيع والتأثرول لأمر السلطان عنها إن استنزله ، فشكر مولانا السلطان له تلك الإجابة ، ووفّاه من الشكر حساباه . وكذلك إلى قلعة دوندا وإلى دولوا ، فكلهم أجابوا وأطاعوا ولكلمة الإذعان قالوا ، ونزلنا في وطاة قريب قرية تعرف بجمرها ، وكان الناس قد فرغت عُلوقَات خيلهم أو كادت ، والخيَل قد باتت ليالي بلا طَبِيق فما استفادت ، وشاركتها خيول الكسوب (٩) في عليقتها ، وما ساعدتها في طروقها ولا في طريقها ، فصعقت عن حمل نفوسها فما ظنك براكبها ، وكاد القارط - لولا لطف الله عز وجل - أن يفرط فيها ، فصادفنا في هذه الليلة بعض أثبان أمسكت أزماقها ، وأحسنّت إرفادها وإرفاقها .

وأصبحنا في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة راحلين في جبال كأنها تلك الأول ، وهابطين في أودية يمتلئ سالكها من شدة مضايقتها أنت لو عاد إلى ترقى أعلى جبل ، وما زلنا كذلك حتى أشرقنا على خان هناك يعرف بقرطاي يدل على شرف همة بانيه ، وطلب تواب الله فيه ، وذلك أنه من أكبر الأبنية سعة وأرتفاعا ، وأحسنها شكلا وأوضاعا ، كله مبنى بالحجر المنحوت المصقول الأحمر الذي كأنه رخام ، ومن ظاهر أسواره وأركانها نفوش لا يمكن أن يرسم مثلها بالأفلام ، وله خارج بابه مثل الرئض بيابين بأسوار حصينة ، مبلط الأرض ، فيه حوايت - وأبواب الخان حديد من أحسن ما يمكن استعماله . وداخله أوامر صفيه ، وأمكنة



شَتْوِيَّة ، وإصطبلات على هذه العورة لا يُحْسِنُ الإنسانُ أن يُعبرَ عنها بِكَيْفٍ ،  
وما منها إلا ما يَجِدُهُ الإنسانُ رِحْلَةً لِلشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ ؛ وفيه الخَمَامُ وَالِبِيارِسْتَانُ  
والأَدْوِيَّةُ وَالْفَرَسُ وَالْأَوَانِي وَالصَّبَافَةُ الكُلُّ طَارِقِي عَلَى قَدْرِهِ ، حُمِلَ لِمولانا السلطان  
من صِبَاقَتِهِ لَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ ، وكثر الناسُ فَمَا وَصَلَ أَحَدٌ إِلَيْهَا وَلَا إِلَيْهِ ، وعليه أوقافٌ  
عَظِيمَةٌ ، وَصِبَاعٌ كَثِيرَةٌ حَوْلَهُ وفي غيره من البلاد ، وله دَوَابُّونٌ وَكُتَّابٌ وَمُبَاشِرُونَ  
يَتَوَارَنُ اسْتِخْرَاجَ أَمْوَالِهِ وَالإِنْفَاقَ فِيهِ ، ولم يَتَعَرَّضِ النَّارُ إِلَى الإِطْلَاقِ نَحْوَهُ مِنْ  
رُسُومِهِ ، وَأَبْقَوْهُ عَلَى عَوَائِدِ تَحْرِيكِهِ ، وَأَهْلُ الرُّومِ بِبَالِغُونَ فِي تَجْمِيلِ بَانيهِ - رحمه الله -  
وَتَعْظِيمِهِ ؛ وَزَلْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ قَرِيبَ قَرْيَةٍ تَقْرُبُ مِنْ قَيْصَرِيَّةٍ مِنْ حُقُوقِ وَادِي  
صَلْعَوْمَةِ شَرْقِي الْجَبَلِ المَعْرُوفِ بِعَسِيبٍ ، وفيه قَبْرُ أَمْرِي القَيْسِ الشَّاعِرِ ... ..

أَجَارَتْنَا إِنَّ الخُطُوبَ تُثْرِبُ ، وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ ،

أَجَارَتْنَا إِنَّا غَيْرِ بَيارِئِ هَاهُنَا ، وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلغَرِيبِ نَسِيبُ !!

وهذا الجبل يعلوه جبل أرجاس ، وهو الذي يضرب الروم الأمثال بتساميه ،  
وتنضاهل الجبال في جميع الدنيا لتعاليه ؛ لا تُسْحَبُ ذُبُولُ السَّحَابِ إِلَّا دُونَ  
سَفْحِهِ ، وَلَا يُعْرَفُ مِنْ نُجُوجِهِ شِتَاءٌ وَصَيْفًا وَمِنْ مِثَالِ الأَبْجَرَةِ المَتَّصِعَةِ مِنْهُ عِشَاؤُهُ  
مِنْ صُبْحِهِ .

ولما كان يوم الأربعاء متصفا ذى القعدة ، وهو يوم شرف الزهراء ركبت  
العساكر المنصورة مرتبة ، وملاّت الفصاء متتمّره ؛ وركب مولانا السلطان  
في زمرته ، وذوى أمره وإمرته ؛ يَخْتَالُ جِوَادُهُ فِي أَفْصَحِ مِيدَانٍ ، وَيَصِيحُ بِهِ قَرَحًا  
وَمَرَحًا كَأَنَّهُ نَسْوَانُ دَرَى أَنَّهُ سُلْطَانُ :

تَظَلُّ مَلُوكُ الأَرْضِ حَاشِعَةً لَهُ « تُفَارِقُهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجْدًا !

وخرج أهل قيصريّة وأكاريها، وعلماءؤها وزهادها وتجارها، ورعاياها ونساؤها  
 وصغارها، فأكرم مولانا السلطان ممشاهم، وشكرهم معهم، وتلقى قضاتهم وعلماءهم  
 رُكباناً، وحادثهم إنساناً فإنساناً، وحصلت جماعة من الفقراء والناس حالاتٌ وجد  
 مطريه، وصدحاتٌ ذكري معجبه. وكان دهليز السلطان غياث الدين صاحب الروم  
 وقيامه وشعار سلطنة الروم قد بنى جميع ذلك في وطاة قريب الجوسق والبستان  
 المعروف بيكخسرو، وترجل الناس على اختلاف طبقاتهم في الركاب الشريف من  
 ملك وأمة ومأمور وأمير، وأرتفعت الأصوات بالتهليل والتكبير:

رَجَا الرُّومُ مِنْ تَرْجِي النُّوَابِلِ كُلِّهَا « لَدَيْهِ وَلَا تُرْجَى لَدَيْهِ الطُّوَابِلُ !

ونزل مولانا السلطان في تلك المضارب المعدة لكرم الوفاة، وضربت نوبة  
 سلجوق على باب دهليزه على العادة، وأذن مولانا السلطان للناس في التقرب إلى  
 شريف فسطاطه، وشملهم بنظره واحتياطه، وحضر أصحاب الملاهي، فما طفروا  
 بغير النواهي، وقيل لهم: أرجعوا وراءكم فالتبسوا، وأذهبوا إلى وادٍ غير هذا  
 الرادى فالتبسوا، فهذه الهناه لا تنفق هنا، وما هذا موضع الغناء بل هذا موضع  
 الغنى، وشرع مولانا السلطان في إنفاق اللهمي، وعين لكل جهة شغصاً وقال: أنت  
 لها، وحكم وحكم، وعلم وعلم، واعتمد على الأمير سيف الدين جاليش في الثبابة،  
 وأعطى كلاً بيته كتابه، وأقام الحجّة على من أترج بالأسهطاف، وتأمين من خاف،  
 فما خرج كثيرهم عن الخائفة، ولا زعيمهم عن المطاولة، فلما علم مولانا السلطان  
 أنهم لا يقبلحون، ولغير التتار لا يصالحون، وأنهم إن أصبحوا على الطاعة لا يسون  
 وإن أمسوا لا يصيحون، عاد عن تلك الوعود، وأختار أن مابدأ إليه يعود، وأن  
 يعت نفسه إلى ما بعته الله إليه من المقام المحمود، فركب يوم الجمعة سابع عشر

ذی القعدة مستقبلاً من الله كل الخير ، ونصب جتر بنی ساجوق على رأسه فشهد  
الناس منه صاحب القبة والسبع وصاحب الثبة والطير ، ودخل قيصرية في بكرة  
هذا اليوم وكانت دار السلطنة قد فرشت لتزويله ، وتحت بنی ساجوق وقد هي  
لحلولة ، وهي دار ترهون ، ومنازل من يتعد أو متارزه من يلهو ؛ أئبقة المبتقى ، تحف  
بها بساين عذبة الخبي ، جذرائها بأحسن أصناف القاشاني مصفحة ، وباجل  
نقوشه مصرحة ، بغلس ، ولانا السلطان في مرتبة الملك في أسعد وقت ، ونال  
التخت بحلولة أسعد البخت :

وما كان هذا التخت من حين نصبه \* لغير المليك الظهير الذب يصلح .  
مليك على اسم الله ما فتح له \* صوامره ابيض المواضي وتفتح .  
أنسه وفود الروم والكل قائل : \* رأيتك تعنو عن كثير وتصفح .  
فأوسمهم حتما وجاد لهم ندى \* وأمسوا على من وأمن وأصبحوا .  
ولو أنهم لم يمتحوا للكب \* عن الحق والهج القويم لآفلحوا ،  
ولكنهم أعطوا يداً فوقها يد \* تصافع كفا زدها النار قدح !!

واقبل الناس على مولانا السلطان يهنؤونه ، وعلى كفة الشريف يقبلونه ، وبعد  
ذلك حضرت القضاة والفقهاء والمعلماء والصوفية ودو المراتب من أصحاب العارم  
على عادة بنی ساجوق في كل جمعة ، ووقف أمير الحفيل وهو كبير المقدار عندهم ، له  
وسامة ونخامة ، وله أكبر كم وأوسع عمامة ، وأخذ في ترتيب الحفيل على قدر الأقدار ،  
وأنصب قائماً بين يدي مولانا السلطان منتظراً ما إليه به يسار ، وشرع القراء يقرعون  
جميعاً وقراءى بأحسن تليح ، واجمل تحيين ، فانت أصواتهم بكل عجيب ، وعادوا  
عن الترتيل إلى الترتيب . ولما قرعوا شرع أمير الحفيل صارخاً ، وبكوار فيه نلغا ،

فَأُتْسَدُّ وَأُورَدُ بِالْفَارِسِيَّةِ مَا يُعْجِبُ مَذَلُولُهُ ، وَيَسُوءُ مَقُولُهُ ، وَأَطَالَ وَمَا أَطَابَ ،  
وَأَسْتَصَوَّبُ مَنْ يَعْرِفُ مَقَالَهُ قَوْلَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

ولما انقضى ذلك مَدَّ سِمَاطَهُ لَيْسَ يُنَاسِبُ هِمَّ الْمَلُوكِ ، فَاتَّكَلَ النَّاسُ مِنْهُ  
لِلشَّرَفِ لَا لِلشَّرَفِ ، ثُمَّ عَادَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى مَقَامِهِ فَوَقَّفَ ، وَقَامَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ إِلَى  
مَكَانِ الْإِسْتِرَاحَةِ فَأَقَامَ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ ، ثُمَّ نَحَرَ إِلَى مُحِيطِهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ ، وَكَانَ بَدَارِ  
الْمَلِكِ حَرَمِ السَّلْجُوقِيَّةِ قَدْ أَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسْكَتَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ ، قَدْ نَبَتْ بِهِمْ  
مَوَاطِنُهُمْ وَمَوَاطِنُهُمْ ، عَلَى أَيْوَابِهِمْ أَشْمَالُ سُورٍ مِنْ حَرِيرٍ ، وَمَشَاحِجُ خُدَامٍ يَسْتَحِقُّ كُلُّ  
مِنْهُمْ - لِكِبَرِ سِنَتِهِ - أَنْ يُدْعَى بِالْكَبِيرِ ، عَلِيَّ سِمِ ذَلَّةِ الْإِنْكَسَارِ ، وَأَمَارِ الْإِنْفِتَارِ ،  
بِحَبْرِهِمْ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَأَتْسَمَهُمْ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَتَوَجَّهَ مِنْ تَوَجُّهِهِ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ  
فِي قَيْصَرِيَّةٍ وَبِهَا سَبْعُ جَمْعِ نُقَامٍ ، وَبِهَا خُطْبَاءٌ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، فَصَلَّيْنَا فِي جَامِعِ  
السُّلْطَانِ وَهُوَ جَامِعٌ عَلِيٌّ يَدُلُّ عَلَى أَحْتِفَالِ مَلُوكِهَا بِنُبُوتِ عِبَادَاتِهِمْ ، وَرَأَيْنَا فِيهِ مِنْ  
دَلَائِلِ الْخَيْرِ مَا يَهْضِي بِحَسَنِ إِرَادَاتِهِمْ ، فَحَضَرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَكَارِيهَا ، وَجَلَسُوا حِلَقًا  
لَا صُفُوفًا ، وَأَجْرُوا مِنَ الْبَحْثِ بِالْعَجَمِيَّةِ صُوفًا ، وَاجْتَمَعَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ حَفَظَةِ  
الْمِكْنَابِ الْعَزِيزِ فَتَخَارَجُوا الْقِرَاءَةَ آيَةَ آيَةٍ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ بَعِيدَةٍ عَنِ النَّوَايَةِ ، بَلْ إِنَّهَا  
تُبْرِزُهَا أَصْوَاتٌ مُتَرَنِّمَةٌ ، وَالْحَمْدُ لِتَفْرِيقِ الْكَلِمَاتِ مُقَسِّمَةٍ ، يَنْطِقُونَ بِالْحُرُوفِ  
كَيْفَ اتَّفَقَتْ ، وَلَا يَتَوَقَّفُونَ عَلَى تَخَارِجِ الْحُرُوفِ أَنَّهَا نَطَقَتْ أَوْ لَا نَطَقَتْ .

فَلَمَّا آتَى وَقْتُ الْأَذَانِ قَامَ صَوِيٌّ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ وَسَطِ جَمَاعَةٍ عَلَيْهِمْ أَقِيَّةٌ قَعُودٌ عَلَى  
دِكَّةِ الْمُؤَذِّنِينَ ، فَابْتَدَأَ بِالتَّكْبِيرِ أَوَّلًا وَثَانِيًا بِمَقْرَدِهِ مِنْ غَيْرِ إِعَانَةٍ وَلَا إِيَاةٍ . وَلَمَّا تَشَهَّدَ  
سَاعَدُوهُ جَمِيعُهُمْ بِأَصْوَاتٍ مُجْتَمِعَةٍ مُتَعَلِّعَةٍ ، وَتَفَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، يُمَسِّكُونَ لَهُ النِّعَمَ بِأَحْسَنِ  
تَلْعِينٍ ، وَيَتَرَنَّمُونَ بِالْأَصْوَاتِ إِلَى آخِرِ التَّأْدِينِ ، وَفَرَعَ الْأَذَانَ وَكَلَّمَهُمْ قَعُودٌ مَا مِنْهُمْ

أحد غير الصبي وقف ، وما بنا أحد نكلمة من الأذنان عرف ، ولما فرغ الأذان طلع شيخ كبير السن يعرف بأمر محفل المنبر، فصعد إلى ذروة المنبر، وشرع في دعاء لا نعرفه ، وأدعاء لا نألفه ، كأنه مخاصم . أو ويكل شرع أحضره لشادة خصمه محاكم بين يدي حاكم ، وطلع الخطيب بعد ذلك تحطبه ودعا مولانا السلطان بغير مشاركته ، ودعا الناس بما تلقته من الأقوال الملائكة ، وأتقتت الجماعة على هذه الصورة، المستورة، وضربت الشكة باسم مولانا السلطان، وأحضرت الدراهم إليه في هذا اليوم، فشاهدتها فرأى أوجهها باسمه الأسمون، وأقرت الأئسة بهذه النعمة وقوت العيون ، وشاهدت بقتارية مدارس وخوانق وربطاً تدل على اهتمام بآنيها، ورغبتهم في العلوم الشرعية والدينية ، مشيدة بأحسن الحجار الحجر المصقولة المنقوشة، وأراضيها بأجمل تلك مقروشه ، وأواوينها وصفقها مؤزره بالفاشاني الأجل صورة ، وجميعها مقروشه بالبسط الكرجية والعالية، وفيها المياه الحارية، وها الشبابيك على البساتين الحسة ، وسوق قيصرية طائف بها من حولها، وليس داخل المدينة دكان ولا سوق .

والوزير في بلاد الروم جميعها يعرف بالصاحب «نخر الدين خواجا علي» ولا يحسن الكتابة ولا الخط ، وخلفته من ممالكة خاصة مائتا تملوك ، ودخله في كل يوم - غير دخل أولاده وغير الإقطاعات التي له ولأولاده وخواصه - سبعة آلاف درهم سلطانية ، ولقد شاهدت في مدرسته من خيامه وتحركاته شيئاً لا يكون لأكثر الملوك، وله روم معروف، وهو بالخير موصوف :

والمسعود بالوزير كثير \* والوزير الذي لنا المأمول !

وعلي هذا وذاك علي . وعلي هذا له التفضيل !

الذى زُلْتُ عنه شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَتَدَاهُ مَقَابِلِي لَا يَزُولُ !  
وَمَعِيَ أَيُّهَا سَاكِنُ كَأَنِّي ، كُلَّ وَجْهِهِ لَهُ بِوَجْهِهِ كَفِيلُ !

وَأَمَّا مَعِينُ الدِّينِ سُلَيْمَانَ البرواناه وَزَوْجَتَهُ كُرْحِي حَاتُونَ ، فَظَهَرَ لَهَا مِنَ الْمَوْجُودِ  
الْبَادِي لِلْعِيونِ كُلِّ نَفِيسٍ ، وَبِحَمْدِ اللَّهِ اسْتَوْلَى مَوْلَانَا السَّلْطَانُ وَمَمَالِكُهُ مِنْ مَوْجُودِهِ  
وَدَارِ زَوْجَتِهِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَصَرَحَ بِنَفِيسٍ .

ولما أقام مولانا السلطان بقبصيرية هذه المدة، ففكر في أمر عساكره ومصالحه  
بما لا يعرفه سواه، ونظر في حالهم بما أراه الله، وذلك لأن الأقوات قلت،  
والسويق من المصارعة ملئت، والسواعد من المصادمة كلت، وأنه ما بقي في الروم  
من الكفار من يُعزى، ولا يجزأ السوء يُجزى، ولا بقي في البلاد غير رطايا كالسوايم  
الهامله، ولا دية - للكفر منهم - على عاقل وعاقله، وأنه إن أقام فالبلاد لا تمحله،  
ومواد بلادها لا تصله، وأخشاب الروم بالدوس قد أضحلت، وعلوفاتها قد قلت،  
وزروعها لا تُرعى لكفائه، ولا تُرضى خيول العساكر المنصورة بما تُرضى به خيول  
الروم من الرعي والرعاية، وأن الحسام الصقيل الذي قُتل النار به في يد الفاتل،  
وأشبه إن كان أعجبهم عامهم فيعودون إلى الروم في قابل .

ورحل في يوم الاثنين عشرين من ذي القعدة بعد أن أعطى أمراءه وخواصه  
كل ما أحضر إليه من الأئنة والأزمه، وكل ما يطلق على توليه أسم النعمة، فنزل  
بمئزلة تعرف بعتلوا وفي هذه المئزلة ورد إلى السلطان رسول من جهة غياث الدين  
سلطان الروم، ومن جهة البرواناه والكبراء الذين معه، يسمى ظهير الدين الترمجان،  
وفي الحقيقة هو من عند البرواناه، يستوقف مولانا السلطان عن الحركة وما علموا  
إلى أين، بل كان الأمر شامعا بين الناس أن الحركة إلى جهة سيواس . فعدد مولانا  
السلطان عليه حسن وفائه بعهده، وأنه أجاب دعاءهم مرة بعد مرة من أقصى

ملكه مع بؤيده ، وأنهم ما وقفوا عند الشروط المقتره ، ولا وفوا بمضمون الرسائل  
المسيره ، وأنهم لما جاء الحق وزهق الباطل طلبوا نظرة إلى مبصره ، وأن أعنتهم  
للكفر مسلمه ، وأنهم منذ استيلاء التارهم أصحاب المشامه ، وعلم مولانا السلطان  
أن بلاد الروم ماها عسكر يستخلصه لنفسه ، ولا من يقابل المغل في غده خوفا  
مما شاهده كل منهم في أميه ، وأنهم أهل التذاذذ : لا أهل نفاذ ، وأهل طرب ،  
لا أهل حرب [وعتب] ؛ وأهل طيبة عيش ، لا قواد جيش ؛ فرد السلطان إلى سليمان  
البروانه مديده ، وقال : قل له : إني قد عرفت الروم وطرفاتها ، وأخذت أمه  
أسيرة وابن بنه وولده ؛ ويكفيننا ماجرى من النصر الوجيه ، (ولينصرون الله من ينصره  
إإن الله لقوي عزيز) وما كل من قضى قريضة الحج تحب عليه المجاوره ، ولا بعد  
هذه المناصرة مناصره ، ولا بعد هذه المجاورة مجاوره ، ونحن فقد ابتغيها فيما آتانا الله ؛  
من حن دماء أهل الروم وعدم تهيب أموالهم الدار الآخرة ؛ ونفرتنا عن أموال كتم  
للتار تستحبونها ، ومعارم كثيرة هي فهم من الجنات مغنم يأخذونها حين يأخذونها ؛  
وما كانت جلوسنا في تحت سلطنتكم لزيادة بفت آي سلجوق ، إلا ليعلمكم أنه  
لا عائق لنا عن أمر من الأمور يعوق ؛ وأن أحدا لا ينبغي له أن يامن لنا سطوه ،  
وليتحقق كل أن كل مسافة جمعة لنا خطوه ؛ وسرورنا - بحمد الله - أعظم من ذلك  
النخت جلالا ، وأرفع منالاً ؛ وتم في ممالك كراسي ملك نحن آبه ذلك الكرسي ،  
وكم لنا فتح كله - والحمد لله - في الإنافة الفتح القدسي .

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَعْلِ الشَّمْسِ مَوْضِعَهُ \* فَلَيْسَ يَرَفَعُهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَضَعُ !

وَأَسْتَضْحَبُ السُّلْطَانَ مَعَهُ تَحْتَ الرِّضَا وَالْعَفْوِ مِنْ أَكْبَارِ الرُّومِيِّينَ - الْأَمِيرِ  
سَيْفِ الدِّينِ جَالِيشِ النَّائِبِ بِالرُّومِ ، وَهُوَ رَجُلٌ شَيْخٌ نَبِيٌّ لَهُ اشْتِغَالٌ بِعِلْمٍ ، وَكَانَ لَهُ

في الروم صورة، وهو أمير دار يعني أمير المظالم . وأستصحب ظهير الدين موح (٩) مشرف الممالك، ومرتبته دون الوزارة وفيه فضل، ونسخ كثيرا من العلوم بخطه، مثل الصحاح في مجلد واحد، وغير ذلك . وأستصحب الأمير نظام الدين أوحده ابن شرف الدين بن الخطير، وإخوته وجماعته وجماعة والده، وأولاد عمه ضياء الدين بن الخطير المستشهد رحمه الله .

وأستصحب من الأمراء : الأمير مظفر الدين محاف (٩) والأمير سيف الدين بكبكجا الجاشنكير، والأمير نور الدين المنجيني، وأصحاب ماظية أولاد رشيد الدين أمير عارض، وهم : كمال الدين وإخوته، وأمير علي صاحب كركر .

وأستصحب قاضي الأضاة بملطية، وهو القاضي حسام الدين ابن قاضي العسكرا، ووأله الذي كان يرسل عن السلطان علاء الدين إلى الملوك، وهو رجل عالم فاضل . وأكثر هؤلاء حضروا بيوتهم ونسائهم وغلمانهم وحفدتهم .

والذين حضروا تحت الغضب - ولد البرواناه المذكور، وولد خواجا يونس، وهو ابن بنت البرواناه، ووالدة البرواناه . والأمير نور الدين جاجا، وهو أكبر أمراء الروم أصحاب النعمة والنعمة، والأمير قطب الدين أحمد أخو الأتابك، والأمير سيف الدين سنقر حاه الروناسي، والأمير سراج الدين إسماعيل بن جاجا، والأمير نصر الدين صاحب سيواس، والأمير كمال الدين عارض الجيش، والأمير حسام الدين ركوك قريب البرواناه، والأمير سيف الدين الجاويش، والأمير سراج الدين أخو حسام الدين، والأمير شهاب الدين غازي بن علي شير التركايني .

ومن المغل : مقدمي الألوفا والمات - زيرك وسرطلق، وحنوكه، وسركده

وتماديه (٩) .



ثم رحل السلطان في اليوم الثاني ونزل بمنزلة قريب خان السلطان علاء الدين كيقباد، ويعرف بكرواني صراى . وهذا الخان بنية عظيمة من نسبة خان قرطاي ، وله أوقاف عظيمة . ومن جملة ما وجد قريبا منه أذواد كثيرة من الأغنام عبت فيها العساكر المنصورة، سألت عنها قبيل : إنها وقفت على هذا الخان يذبح نتائجها لواردين على هذا الخان ، وهذه الأغنام له من جملة الوقوف، قدر الله استيفادها جملة لما كثرت على هذا الخان من الجيوش المنصورة الضيوف .

ورحلنا في اليوم الثالث وهو يوم الأربعاء ثاني عشرين من الشهر، ونزلنا في وطاة عادة التار يزلون بها تسمى روران كودلوا، وكودلوا اسم جبال تلك الوطاة .

ورحلنا في يوم الخميس ثالث عشرين من ذي القعدة ، فعارضا بها - في وطاة خلف حصن تسمى من طريق غير الطريق التي كئا توجهنا منها - نهر يعرف بنهر قزل صوا، قريب كودلوا الصغير . ومعنى قزل صوا النهر الأحمر، وهذا النهر صعب الخاض، واسع الاعتراض ، عالي المهبط ، زرق المسقط ، مرتفع المرتقى ، بعيد المستقى ، لا يجيد السانك من أحوال حافته إلا صعبا زلقا ، فوقف مولانا السلطان بنفسه ، وجرّد سيفه بيده ، وبأمر العمل بنفسه هو وجميع خواصه ، حتى أتيا المكان جميعه ، ووقف راجلا بعبء الناس أولا فأولا : من كبير وصغير وغلام ، وهو في أثناء ذلك يكرّ على من يزدحم ، ويكرّر التأييد لمن يطلب بأذية رفيقه ويتحجم ، وما زال من رابعة هذا النهار إلى الساعة الثامنة حتى عبرت الناس سالمين . ولما حقت البرورة ولم يبق إلا المرور، ركب فرسه وعبر الماء والأيسنة له داعيه ، وعليه من الله واقية باقيه ، فترل في واد هناك به مرعى ولا كالسعدان ، ومرأى ولا كشعب بوآن .

ثم رحل في يوم الجمعة فنزل عند صحرات فراجار حصاراً، وهي قرية كانت عامرة  
فيما مضى، قرية من هدر رجال (؟) قبالة بازار بلو، وهذا بازار هو الذي كانت  
الخلائق تجتمع إليه من أقطار الأرض، ويُساع فيه كل شيء يُحلب من الأقاليم،  
ويقرب من كودلوا الكبير.

وسرنا في يوم السبت سوفاً طول النهار، حتى نزلنا في واطية الأبلستين، وفي هذا  
النهار عبر مولانا السلطان - نصره الله - على مكان المعركة لمشاهدة أُمّ التتار، وكيف  
تعاقبت عليهم من العقبان كواسرها، وكيف بأسهم من النُور مناسرها، وكيف  
أصبحوا لا يندبهم إلا البوم، وتحققوا أن التي أهلكتهم زرق الأيسنة لا زرق الروم؛  
فراهم لمن بني عبره، وعبر صوا على ربهم صفاً وجاؤوه كما خلفوا أول مره، وابتصر  
الرياح لأشلائهم متخطفه، والهوام في أجسادهم متصرفه، وشاهدتهم وقد هدأهم  
كل شيء حتى الوحوش والرياح: فهذه من صديدهم متكرمة وهذه عليهم متقصفة.  
قد سَوَدَتْ شَجَرِ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ \* فَكَانَ فِيهِ مِسْفَةَ الْغُرَبَانِ !

ولما عاينهم مولانا السلطان وعابنهم الناس، أكثروا شكر الله على هذه النعم التي  
أمست لكافة الكُفر كافةً وشالةً ودارزه، وأثنوا على منبه التي سنت<sup>(١)</sup> إليهم خيار  
العساكر المنصورة حتى أصبحت تلك الأرض بهم بارزه، وحضرت من أهل  
الأبلستين هنالك جماعة من أهل التقي والدين، واستخبرهم مولانا السلطان عن عدة  
قتلى المغل فقالوا: (فاسأل العادين)؛ فاستفهم من كبيرهم عن عدة المغل كم من  
قتيل، فقال: (قل الله أعلم بعبثهم ما يعلمهم إلا قليل) وقال بعضهم من عددهم  
ومن عنده علم من الكتاب:، أنا عددت ستة آلاف وسبعائة وسبعين نفراً وضاع

(١) مأخوذ من قولهم سن الإبل سافها سوفاسريها .

الحِساب ؛ هذا : غير من آوى إلى جبل يعصمه من ماء السيوف فما عصمه ،  
وغير من اعتقد أن فرسه نُسأله فأسمه ؛ فتركهم مولانا السلطان ومضى والمفلوات  
مزرعة بحسومهم ، والدود لآلتها مؤمنة وهم كفار قد أثرت كالتواسر في حوهم ؛  
فرسم مولانا السلطان بتقدم الأتقال والحراس والذهليز المنصور صحبة الأمير  
بدر الدين الخزندار ، والذخول في أبحه دربند ، وأقام مولانا السلطان في ساقية العسكر  
المنصور بقية يوم السبت ويوم الأحد :

فهو يوم الطراد أول سابق ، وهو يوم القبول آحر سائق ؛

وأنظر في هذين اليومين صيدا من العدو يعين ، وما من دماءهم إلى السيف يعين ؛  
فلم لم يجد أحدا رحل في يوم الاثنين فزل قريبا من الخان الذي في الدر بند ، وركب  
يوم الاثنين من طريق غير التي حضر منها ، فسلك طريقا من الأوتار يسا ، وسلك  
من قبال الجبال في هضاب كان كلاً منها ألف حنت من الأنجم قيسا ، فقامى العام  
في هذا اليوم من الشدة ما لا يدخل في قياس ، وكادوا يهلكون لولا أن الله عز وجل  
تدارك الناس ، فسأهبوا ولكن على مثل حد نسيب ، وسألوا ولكن سل حوافر  
الحيسل كيف ؛ ، وهبطوا من جبال يستصعبها كل شيء ، حتى طارق الطيف ؛  
يستصعب الحجر الخلق من شاق وقوعه في عفاها ، ويستهبول النجم الثاقب ترفع  
شعابها ، بالقرب منها جبل شاق يعرف بسقر وما أدراك ما سقر ، لا يبقى على شيء  
من الذواب ولا يدرى له عقبه لراحة للبشر ؛ أعلن الله على المبطوط منها ، وقار بمشيئة  
الله وبسعادة مولانا السلطان من زحاح عنها ، وعدينا كوكصوا وهو النهر الأزرق ،  
وبات مولانا السلطان هالك ، وكان قضيم البغال تلك الليلة ورق البلوط ، إلا من  
أمست عناية الله أن تيسر في شبيب بخسة عشر درهما كل مد يحوط .

ورحل مولانا السلطان في يوم الأربعاء تاسع عشرين من ذي القعدة فزل قريب  
 كسول<sup>(٩)</sup> المقدم ذكرها، وعدل إلى طريق مَرَعَش فزال بحمد الله الداعي، وقالوا  
 للشاعر: ما فينا لك مُحَاطِبٌ ولا مِنَّا فيك بِمَالِهِ مُحَاطِرٌ، وللقبول قد حصل لك  
 في مِصْرَ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ في سَعْبَانَ وفي الشَّامِ في ذِي الْحِجَّةِ الرَّابِعِ الْآخِرِ، فَأُرْتِعَتْ  
 لِأَيْرُوعِهَا أَصْحَابُ الْمَوَازِينِ في تلك المساجد، وَأَسْتَمَرَّتْ في مُرُوجٍ يَتَأَسَفُ عَلَيْهَا  
 أبن المساجد<sup>(١٠)</sup>؛ وَقَسَمَ مولانا السلطان تِلْكَ الْأَعْشَابِ كَمَا تَقَسَّمَتْ في آفَاقِ السَّمَاءِ  
 النُّجُومِ، وَأَوْقَفَ كُلَّ أَحَدٍ في مَقَامٍ حَتَّى قَالَ: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ)؛ فَكَمْ  
 هُنَاكَ مِنْ مُرُوجٍ أُعْشِبْتَ فَأَعْجِبْتَ، وَأَنْجَابِ السَّمَاءِ عَنْهَا فَانْجَبْتَ، وَأُرْبَتْ  
 عَلَى زُهَيْرِ النُّجُومِ فَاهْتَرَتْ وَرَبَّتْ:

يَصُدُّ الشَّمْسُ انِّي وَأَجَهْتُنَا \* فَيَحْجُبُهَا وَيَأْدُبُ لِلنَّاسِمِ!

يَحْتَلِّهَا هُنَاكَ أترعُ الحِياضِ، وَيَلْهُو بِهَا كُلُّ شَيْءٍ فَكَمْ قَصَفَ الْعَاصِي بِهَا  
 في تِلْكَ الرِّياضِ .

هَذَا كُلُّهُ: وَخَيْرٌ مِنْ أَرْدَنْجَمَانِ، حَارَّةٌ بِرِجْوَانَ، وَخَيْرٌ مِنْ أَرَاضِي تَوْرِيذِ، قِطْعَةٌ  
 مِنْ أَيْلِيزِ، وَكَوْمٌ مِنْ كِيَانِ سَقَطَ مَبْدُومٌ، خَيْرٌ مِنْ قَصْرِ قِيَصْرِيَّةِ الرُّومِ، وَنَظْرَةٌ  
 إِلَى الْمِقْيَاسِ، خَيْرٌ مِنْ سِيَوَاسِ، وَمَنَاطِرُ الْمَلُوقِ، خَيْرٌ مِنْ كَيْفَبَاذِ آلِ سَلْجُوقِ، وَوَرَبَّةٌ  
 مِنْ تَرْبِ الْقَرَّاقَةِ، خَيْرٌ مِنْ مُرُوجِ الْعِرَاقَةِ، وَشَبْرٌ مِنْ شَبْرَا، خَيْرٌ مِنْ سَطَا وَمِصْرَا<sup>(١١)</sup>

وَجُلُوسٌ فِي بَابِ دَارِكَ خَيْرٌ \* مِنْ جُلُوسِ فِي [بَابِ] إِيوَانِ كِسْرَى،

وَأَنْتِيَا حِي لُنُورِ وَجْهِكَ خَيْرٌ \* لِي مَنْ أَنْتِي أَشَاهِدُ بَدْرًا!

يَاوَلِيَا يُسُولِي الْأَبَادِي سِرًّا \* وَوَزِيرًا فَلَيْسَ يَكْتَسِبُ وَزْرًا:

مَا رَأَيْتَا وَاللَّهِ فِيمَنْ رَأَيْتَا \* لَكَ مِنْهَا مِنَ الْبَرِيَّةِ طَرْزًا.

تَمَّ خَيْرَنَا الرَّجَالِ فِي كُلِّ أَرْضٍ \* فَإِذَا أَنْتَ أَعْظَمُ الْخَلْقِ قَدْرًا!  
 تَمَّ فُلَانٍ قَالُوا وَقَالُوا فُلَانًا \* فَإِذَا النَّاسُ دُونَ عَالِكَ حَسْرَى.  
 لَكَ مَدْحٌ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ سُبْحًا \* نَ إِلَيْهِ بِهِ إِنِّي النَّاسِ أَسْرَى!  
 مَا رَأَيْنَا مِصْرًا كِمِصْرٍ وَلَا مِنْكَ \* فِينَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا!

### الضرب الثاني

(من الرسائل الملوكية رسائل الصيد)

وهذه نسخة رسالة في صيد السلطان الشهيد الملك الناصر بن السلطان الشهيد  
 الملك المنصور «قلاوون» من إنشاء القاضي تاج الدين البازاري، وهي :

الحمد لله الذي نعم النفوس الشريفة بإدراك الظفر، وأنعم على هذه الأمة بمحمد  
 الذي أثار كوكب نصيره وسفره، وشرع لها على لسان نبيها صلى الله عليه وسلم الغنيمة  
 في السفر، وأسعف هذه الدولة الشريفة بدوام سلطانها الذي حقت أيامه بالعزيز  
 والتأييد والظفر .

نحمده على أن أقر العيون بفضله بما أقر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك  
 له شهادة ألانت قلب من نقر، وكومت أسبابها فلا يتسك بها إلا أعز فريق ونقر،  
 ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أعز من آمن وأذل من كفر، صلى الله عليه  
 وعلى آله وأصحابه الذين تجاوز الله عن ذنوبهم وغفر، وسلم تسليما .

وبعد، فإن في ابتغاء النصر ملامذا تدركها كل ذات شرفت، وتملكها السجيا  
 التي تعارفت بالفخار وانتلفت، وتاهت النفوس التي مالت إلى العز وإلى تلقائه

صُرِفَتْ ، وَمَنْشَرُهَا مِنْ حَالَتَيْنِ : إِمَّا فِي مَوْقِفٍ عِزٍّ عِنْدَ مَا تَلْمَعُ بُرُوقُ الصَّفَاحِ ،  
وَتَسْيِبُ مِنْ هَوْلِ الْحَرْبِ رُيُوسَ الرِّمَاحِ ، وَتَسْرَحُ جَوَارِحُ النَّبَالِ لِحِجْلِ فِي الْجَوَارِحِ  
وَتَصِيدُ فِي الْأَرْوَاحِ ؛ وَإِمَّا فِي مَوْطِنٍ سَلْمٍ عِنْدَ مَا تَنْبَسِطُ النِّفُوسُ إِلَى أَمْتِطَاءِ صَهَوَاتِ  
الْجِيَادِ فِي الْأَمْنِ وَالِدَعَةِ ، وَتَنْشِرُحُ الصُّدُورُ إِلَى مَعَاظَةِ الصُّيُودِ وَالْمَسَرَّاتِ مُجْتَمِعَةً ؛  
وَتُطْلَقُ الْبُرَاةُ قَتَايِدُ ، وَتَتَصَرَّفُ بِأَمْرِ الْمَلُوكِ الصَّيْدِ ؛ وَتُرْسَلُ الْحَوَامِي الْمُسَكَّةُ ،  
وَتُلْقَى عَلَى مَا سَتَحَ مِنَ الْوَحْشِ فَلَا تُرَى إِلَّا مُدْرِكَةً ؛ وَتَقَاضُ حِينَئِذٍ النِّعَمَ السُّلْطَانِيَّةَ  
وَتُجْزَلُ مَوَاهِبُهَا ، وَتَلُوحُ الْعِصَابَةُ الشَّرِيفَةُ وَتَنْبَعُثُ مَوَاهِبُهَا .

وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ جَمَعَ لِمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ ، الْمُعْظَمَةِ ، السُّلْطَانِيَّةِ ، الْمَالِكِيَّةِ ،  
النَّاصِرِيَّةِ ، خَلَدَ اللَّهُ سُلْطَانَهَا - سَعَادَةَ الْخَائِنِينَ حَرْبًا وَسِلْمًا ، وَأَنَاهُ فِيهِمَا النَّصْرَ الْأَرْفَعَ  
وَالْعِزَّ الْأَشْمَى ؛ وَوَسَمَ بِصَدَقَاتِهِ وَعِزِّ مَاتِهِ الْأَمْرِينَ وَنَسَا ، وَنَصَرَهُ نَعْمًا وَعَظْمَهُ  
سُنْمَةً وَشَرَفَهُ أَسْمًا ؛ فَأَيَّامُ حُرُوبِهِ كُلُّهَا رِفْعَةٌ وَأَنْتِصَارٌ ، وَأَسْتِيْلَاءٌ وَأَسْتِظْهَارٌ ، وَقُوَّةٌ  
تَحِيَّا بِهَا الْمُؤْمِنُونَ وَتَفْتَى الْكُفَّارَ ؛ وَأَيَّامُ سَلْمِهِ كُلُّهَا عَدْلٌ وَهَيْبَةٌ ، وَصَدَقَاتٌ مُنْجِيَّةٌ  
مُنْجِبَةٌ ، وَرَفْعُ ظُلُمَاتٍ مُتَشَعِبَةٍ ؛ وَقَمْعُ نَفُوسٍ مُتَوَشِّبَةٍ ؛ وَحَسْمُ حُطُوبٍ مُسْتَدَّةٍ ،  
وَحِفْظُ الْحُوْزَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ وَوَقَايَتُهَا مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ ؛ وَفِي خِلَالِ كُلِّ عَامٍ  
تُصَرَّفُ عِزَّتُهُ الشَّرِيفَةُ إِلَى آتِفَاءِ صَيْدِ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ : لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ تَمْرِينَ  
النَّفُوسِ عَلَى آكْتِسَابِ التَّائِيدِ ، وَحُصُولِ الْمَسْرَةِ بِكُلِّ ظَفِيرٍ جَدِيدٍ ؛ فَيَرْسَمُ - خَلَدَ  
اللَّهُ سُلْطَانَهُ - فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَرْسَمُ بِهِ مِنْ مَشْتَى كُلِّ عَامٍ بِإِحْرَاجِ الدَّهْلِيَّزِ الْمَتَّصُورِ  
فَيُنْصَبُ فِي بَرِّ الْحَيْزَةِ بِسَفْحِ الْحَرَمِ ، فِي سَاعَةِ مُبَارَكَةِ آخِذَةٍ فِي إِقْبَالِ الْجُودِ وَالكَرَمِ ؛  
فَتَمُدُّ بِالتَّائِيدِ أَطْنَابَهُ ، وَتَرْفَعُ عَلَى عَمْدِ النَّصْرِ قِبَابَهُ ، وَيُحَاطُ بِجِرَاسَةِ الْمَلَانِكَةِ الْكِرَامِ  
رِحَابَهُ ؛ وَتَضْرِبُ خِيَامُ الْأَمْرَاءِ حَوْلَهُ وَطَاقًا ، وَتَحْتَفُ بِهِ [مِثْلُ] التَّجُومِ بِالْبَدْرِ إِشْرَاقًا ؛  
وَيَسْتَقْبَلُ الرِّكَابُ الشَّرِيفُ - شَرَفَهُ اللَّهُ - بَعْدَ ذَلِكَ بِقَصْدِ عُبُورِ النَّبْلِ الْمُبَارَكِ فَيُظْهِرُ

من القامة المحروسة والسلامة تحجبه من الخفاة ، والحراسة تصحبه فيما قرب ونأى  
 من المسافة ، ولسان السعد قد خاطبه بالحيية وشافه ، ومما ليك الأمرأه قد حفوا به  
 أطلابا ، وسنى مؤكبه قد بعث أمامه من الإضاءة نجابا ، ولم يرزل حتى يأتي النيل  
 المبارك ويستوى على الكرمى فى الفلك المشحون ، محوطا بالنصر الميمون والجنش  
 المأمون ، وقد استبشر باعتلائه البحر والنون ، وأضحى لظهر الفلك من الفخار  
 [بحضرتة] المكرمه ، مالمهوات أجياده المتاق المسومه ، فلهذا نشر أعلام بشرها ،  
 وقال : ﴿ أركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ﴾ ، فسارت به فى اليم ، ونصر الله  
 قد تم ، وصعد من فلكه ، على ما يسر نفوس المؤمنين فى كمال سلطانة وعزة ملكه ،  
 واستقر على جواد شرفت صهوته ، وقربت بالآناة والسكون خطوته ، عربى النجار ،  
 يخال فى سيره كأنما أنتشى من العفار :

ويخال بك الطرف كأن الطرف تسوان .

ترى الطرف درى أو ليس يدري أنك سلطان !

وسار فى زروج محضرة ، وتفور نبات مقتره ، وقد طلعت للظفر شمسه وبدوره ،  
 وأعدت للصيد بزائه وصقوره ، من كل متوقد اللغظ من الشهامه ، محمول على  
 الرأحات من فرط الكرامه ، يتوسم فيه الأبحاح ، قبل خفق الجناح ، ويخرج من  
 جوى السماء ولا حرج ولا جناح ، وبازها الأشهب ، يجىء بالظفر ويذهب بصدر  
 مقضض وناطير مذهب ، له ينسر أفتى ، طالبا أغنى ، كأنما هو شبا السنان وقد  
 حباه الحكاة طعنا :

وصارم فى يدك منصات • إن كان للسيف فى الوعى روح ،

متقد اللغظ من شهامته • فابحوا من ناطيريه مجروح !

قد رآه النَّجُّجُ جَنَاحَهُ ، وَقَرَنَ اللَّهُ بِالْمَيْنِ عُذُوهُ وَرَوَّاحَهُ ، وَنَصَرَهُ فِي حَرْبِهِ حَيْثُ  
جَعَلَ مِنْسَرَهُ رُحْمَهُ وَمَحَلَّهُ صِفَاحَهُ ؛ فِي قَوَادِمِهِ السَّعْدُ قَادِمٌ ، وَفِي خَوَافِيهِ النَّصْرُ  
ظَاهِرُ الْمَعَالِمِ ؛ كَمَا أَلْهَمَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «بُورِكَ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» ،  
فَيَسْرُحُ وَالطَّيْرُ جَائِعَةً فِي وَكُورِهَا ، وَيَخْرُجُ فِي إِغْبَاشِ السَّحَرِ وَعَلَيْهِ سَوَادٌ ، فَيَهَابُهُ  
الصَّادِحُ فِي الْجَوِّ وَالْبَائِغُ فِي الْوَادِ ؛ وَيَأْمُرُ - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - أَمْرَاءَهُ فَيَضْرِبُونَ  
عَلَى الطَّيْرِ حَلَقَةً وَهِيَ لَاهِيَةٌ فِي التَّنْقَاطِ حَبَّهَا ، غَافِلَةٌ عَمَّا يُرَادُ بِهَا ، فَيَدْعُرُونَهَا بِمَجْفَقِ  
الطُّبُولِ وَضَرْبِهَا ؛ وَمَوْلَانَا السَّاطِرَانُ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - لِنَافِيهَا مُتَرَقِّبٌ ، وَلِطَائِرِهَا  
بِالْحَارِجِ مُعَقِّبٌ ، فَمَا يَبْدُوهُ الْكُرْكِيُّ مَقْرُورًا ، حَتَّى يَثُوبَ مَقَهَّورًا ؛ سَاقِطًا مِنْ  
سَمَانِهِ إِلَى أَرْضِهِ ، وَمَنْ سَعَتِهِ إِلَى قَبِيضِهِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ كُلَّ جِنْسٍ وَقَهَّرَ بِمَقْضِهِ  
بِعِضِهِ ؛ هَذَا : وَالْحَارِجُ قَدْ انْتَسَبَ فِيهِ مَحَالِيهِ ، وَسَدَّ عَلَيْهِ سُبُلَهُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ  
وَمَذَاهِبِهِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ - خَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى سُلْطَانَهُ - عَامَةً يَوْمِهِ مُتَوَعِّلًا فِي التَّمْتِيعِ بِلَدَاتِ  
صُبُودِهِ ، وَأَوْقَاتِ سُعُودِهِ ؛ وَحُصُولِ أَرْبِهِ وَمَقْصُودِهِ ، وَجُنُودِ الْمَلَائِكَةِ حَاقِقُونَ بِهِ  
وَبِجُنُودِهِ ؛ حَتَّى يَنْسَخَ النَّهَارَ اللَّيْلَ بِظُلْمَانِهِ ، وَيَنْبَعِ الطَّارِقُ بِأَضْوَانِهِ ؛ فَيَعُودُ عِنْدَ  
ذَلِكَ الرَّسَائِلِ الشَّرِيفِ إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ وَالْجَوَارِحِ كَاسِبِهِ ، وَالْأَفْدَارُ وَأَهْبَسِهِ ؛  
وَالْجَوَارِحُ مَسْرُورَةٌ ، وَالطُّيُورُ مَأْسُورَةٌ ؛ وَالنُّفُوسُ مُتَمَتِّعَةٌ ، وَالْمَوَاهِبُ مُنَوَّعَةٌ ، وَالْأَرْجَاءُ  
مُضَوَّعَةٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى مَعَ سُلْطَانِهِ بِكَلَامَتِهِ : «وَمَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ» ؛ فَيَرْفَعُ  
أَمَانَتَهُ فَيَأْتِيهِ تَوْعْمَانٌ ، كَأَنَّهُمَا كَوْكَبَانِ بَيْنَهُمَا أَقْتِرَانٌ ، أَوْ فَرْقَدَانِ رَفَعْتَهُمَا يَدَانِ ؛ فَيَدْنُو  
إِلَى مُخَيَّمِهِ الْمَنْصُورِ فِي سُرَادِقِ الْعِزِّ الْحَبِيبِ ، وَعِصَابَةِ النَّصْرِ الْأَمِيلِ ، وَتَرَجُّلِ الْإِنصَارِ  
قَبْلَ تَسَطُّطِهِ الْمَعْظَمِ عَلَى قَدْرِ مِيلِ ؛ وَيُسْعَى بِالشَّمُوعِ لِنَاقِيهِ ، وَيُسَوَّى تَحْتُ الْمَلِكِ  
لِتَرْقِيهِ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَطُوفُ بِالدهليزِ الْمَنْصُورِ أَمْرَاءُ الْحَرَسِ بِالشَّمُوعِ الْمَرْفُوعَةِ ،  
وَالْمَزَاهِرِ الْمَسْمُوعَةِ ؛ فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ مُسْتَبِيلًا ، وَجَاءَ الشُّبْحُ شَيْئًا قَلِيلًا ؛ عَمِرَضَتْ



عليه النعم فأعطاهما ، وأذهبت الإسلاميه فقضاها ، وقدمت له الجياد المسومة  
فامتطاهما ، ويسرُح إلى الصيْد والجوارح التي صادت بالأيس قد استأسدت ،  
وإسعاده إلى ظفرها قد أُرشدت ، فإذا سار ركابه الثمرات فرقت على أثره عساكر  
الإسلام ، وقوضت تلك الحيام كأنها الأيام .

ولم يبرح ذلك دأبه في كل يوم من أيام حركته حتى يأخذ حظه من صيد الطير ،  
فبعد ذلك يذني عنان السير ، إلى أقاص الوحش فيعد لإمساكها كل هيكل قيد  
الأوباد ، قد حقد الخير بناصيته فأصبح حسن المعاهد .

من أذهب : كريم المعار ، ذى إهاب من النهار ، وأديم كأنه صهبة الأبرار ،  
أبيض مثل الهدى ، له في الصبح إنارة النضر وإغارة على العدا ، علا قدراً  
وعلا قيمه ، وله إلى آل أعوج نسبة مستقيمة ؛ إذا استن في مضمار يسبق البروق  
الخاطفة ، ويخلف الريح حسرى وهى واقفه ، يحده الفارس بجراً ، وله عند تجرى  
العوانى مع السوايق تجرى .

ومن أحر : كأنما صبح بدم الأعداء أديمه ، وكأنما هو شقيق الشقيق وقسيمه ؛  
كرمت غمره وجوهه ، وحسنت أعرافه وذبوله ، مكر منير جلمود صخر حطنه من  
علي سوله ، حتى لونه نجتز الرقيق ، وله كل يوم ظفر جديد مع أنه عتيق .

ومن أدهم : مدرك كالليل ، منصب كالسبل ، كريم الناصيه ، جواب فاصيه ؛  
كان غمرته صبح تنفس في الدجى المسالك ، وكأنه من الليل باق بين عينيه كوكب  
يضي المسالك ، وكان جوهه بروق تفرقت في جوانب النسق فحسن منظرًا لذلك ؛  
سنايكه يورى قدحها ، وغمرته ينير صبحها ؛ وجوارحه مسود جنتها ، وصهونه  
تكن فيها العز فلا يزال ظاهرًا مجحها .

ومما سوى ذلك من الجياد المُنْتَبَهَةِ ، وَالصَّافِيَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ :

إِذَا مَا صَرَفْتَ اللَّفْظَ نَحْوَ شَبَابِهَا \* وَالْوَأْنِيهَا فَالْحُسْنَ عَنكَ مَقِيبٌ !

وإنما هي بصبرها على الظأ، وشدة عذوها في النور والظلمة، وسبقها إلى ظلمات رهانها، وشبابها تحت رايات قرانها .

وتليها الفهود الحسن منظرها ، الجميل ظفرها ، الكاسب نأبها وظفرها ، تفرق الليل في أهبها المجتمعه ، وأذركت العواصم في هضابها المرتفعه ، وجوهها كوجوه اللبوث الحادره ، وثباتها على الطريدة وثبات الفئته المؤمنة على الفئته الكافره ، مقلصة الحواصر ، عزماؤها على الوحش حواصر ، ما أطلقت على صيد إلا قنصته سريها ، ولا بصرت بعانة من حمر إلا أخذتها جميعا .

ثم الحوامى المعلمه ، والضواري التي أصحمت بالنجح متوسمه ، ما منها إلا طاري الخاصره ، وثباته طائفة غير قاصره ، بدوي كالأسنه ، وساعدين مفتولين تسبق بهما ذوات الأعمه ، لو رآه عدى بن حاتم رضى الله عنه لضمه إلى ما لديه ، وأكل مما أمسك عليه .

وتضرب العساكر حلقة ما يلتقي طرفاها إلا إلى الليل في أتساعها ، تحوى سائر الأوايد على اختلاف أنواعها .

فمن تعام : خُصِبَ ظَلِيمُهَا لِمَا أَكَلَ رَبِيعًا ، وَأَحْرَمَتْ أَطْرَافَ رَيْبِهِ فَكَانَتْهَا سِيَاهُ أَصَابِتِ تَجِيعًا ؛ طَالَتْ أَعْنَاقُهَا النَّاحِلَةَ فَكَانَتْهَا خَطْبِيهِ ، وَأَشْدَدَتْ قَوَائِمُهَا الْحَامِلَةَ فَكَانَتْهَا مَطْبِيهِ ؛ شَارَكَتِ الطَّيْرَ فِي وُجُودِ الْحَنَاحِ ، وَفَارَقَتْهَا فِي تَكَاثُفِ الْأَشْبَاحِ ؛ وَأَشْبَهَتْ

(١) الذي في ديوان المتنبي :

إذا لم تشاهد غير حسن شبابها \* وأعضائها فالحسن عنك مقيب .

الْوَحْشَ فِي مَسْكِنِ الْفَقَارِ، وَشِدَّةِ النَّمَارِ، قَدْ اجْتَمَعَ فِي ظَاهِرِهَا التَّلَوَّنَانِ مِنَ الْوَحْشِ  
وَالطَّيْرِ وَأَنْتَفَى فِي بَاطِنِهَا الضَّمَدَانِ مِنْ مَاءِ وَنَارِ .

وَمِنْ طِبَاءٍ : مُسَوِّدَةَ الْأَحْدَاقِ ، حَكَّتِ الْحَبَائِبَ فِي كَحْلِ الْمَقِيلِ وَحُسْنِ سَوَالِفِ  
الْأَعْنَاقِ ، أَبْيَضَّتْ بَطُونَهَا ، وَأَخْمَرَّتْ مُتُونَهَا ، وَرَاقَتْ أَوْرَاقُهَا ، وَحَدَّكَتْ أَمَاقُهَا ،  
نَافِرَةٌ فِي صَحْرَائِهَا ، طَيِّبٌ مَرَعَاهَا فَلِمَدُّكَ مِنْ دَهَائِهَا .

وَمِنْ بَهْرٍ وَحَشِيَّةٍ : عُفْرِ الْإِهَابِ ، سَاكِنَةِ الْأَضْيَابِ ؛ لَهَا فِي حِقَافِ الرَّهِيلِ  
مَرَايِضٌ ، حَدَرًا مِنْ قَانِيصٍ فَايِضٌ ؛ تَمَّ فِي ... .. مِنْ لَوَى يَتَهَادَى ، كَأَنَّ إِبْرَةَ  
رَوَقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادًا .

وَمِنْ حَمْرٍ زَهَابِهَا أَقْرَبُ مَنْسُوبَةٍ إِلَى أَحَدِ (١) وَلَمْ تُرَكَّبْ مُتُونُهَا ، وَقَدْ حَكَى الْجُرْعُ  
الَّذِي لَمْ يُتَّقَبْ فِي دُجَى اللَّيْلِ عِيُونُهَا .

وَعِنْدَ مَا تَنْتَقِي حَاقَةَ الْعَسَاكِرِ يَحْقِقُهَا - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - وَمَعَهُ الْجَوَارِحُ الصَّائِدَةُ ،  
وَالْحَوَامِي الصَّائِلَةُ ، وَالْأَسْهُمُ النَّاسِفَةُ ، وَالْفُهُودُ الْآخِذَةُ ، فَمَوْجُ الْوَحْشِ دُعْرًا ،  
وَتَرَى مَسَالِكَهَا قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهَا سَهْلًا وَوَعْرًا ، وَضُرِبَ دُونَ نَجَاتِهَا بِسُورٍ مِنَ الْجِيَادِ  
وَالْفُرْسَانِ ، وَحِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ خَلَاصِهَا بِنِيَالٍ وَخُرْصَانٍ ؛ فَيَنْتَدِي تَفَرُّ النَّعَامِ عَنْ رِمَالِهَا ،  
وَالظَّبَاءُ عَنْ ظِلَالِهَا ، وَالْبَقَرُ عَنْ جَادِرِهَا ؛ وَالْحُمْرُ عَنْ بُوخَا ، وَيَقْبِضُ - خَلَّدَ اللَّهُ  
سُلْطَانَهُ - مِنْ جِنْسِ الْوَحْشِ كُلِّ نَوْعٍ ، وَلَوْ لَمْ يُمَسِّكْهَا بِجَارِحٍ لِأَمْسِكْهَا كَمَا تُمَسِّكُ  
عُدَاةُ الْإِسْلَامِ بِالرُّوْعِ ؛ وَتُجَزَلُ مِنْهَا الْمَكَّاسِبُ ، وَتَمَلَأُ مِنْهَا الْحَقَائِبُ ؛ فَإِذَا أَخَذَ حَظَّهُ  
مِنَ الْقَبِيضِ وَلَدَّةِ الْاَكْتِسَابِ ، رَسَمَ لِأَمْرَانِهِ بِالصَّيْدِ عِنْدَ ضُنُورِ رِكَابِهِ ؛ فَيَصِيدُونَ  
وَيَقْتَنِصُونَ ، زَادَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ - فَيَنْهَمُ فِي طَاعَتِهِ مُخْلِصُونَ ، فَيَكْتَرُ عِنْدَ ذَلِكَ كُلِّ

فقص دُبيح، وياتي كلُّ بما اقتنصه ليظهر التَّرجيح؛ فاذا استكمل أوقات الصَّيد من الطَّير والوحش تخا ركابه الشَّريف إلى جهة القلعة المحروسة والقفار قد شرفت بمرور مواكبه، والوحش والطَّير قد اقتخرت بكونها أصبحت من مكاسيه .

هذا كله وإن كانت النفس تراه لهوا، وتبلغ به كلُّ ما تهوى، فحق طيبه من تحرير الجنود على الحرب ما تشدُّ به العزما وتقوى؛ فيؤمُّ الركاب الشَّريف عائداً إلى سرير ملكه بالقلعة المحروسة، والسلامة قد قصت ما يجب عليها من حراسه، والأقدار قد وقت ما ينبغي من كلائته؛ فلم يك إلا وهو صاعداً إلى القلعة المحروسة واليسنة السعادة تُحاطبه، وسريره قد اهتزت فرحاً بمقدمه جوانبه، والصَّيد المبارك قد سعدت مبادئه وحمدت عواقبه؛ فلبى أهبة السَّفر، وأخذ فيما بطن من المصالح الإسلامية وظهر، وتشدُّه السنة السلامية ما أملى عليها العز والتأييد والظفر :

مَلِكُ البَيْسِطَةِ أَبٌ مِنْ سَفَرِهِ \* والنَّصْرُ والتَّأْيِيدُ فِي آثَرِهِ ،  
فَصَحَّاهُ فِي عِزِّ مَوَكِبِهِ \* بَدْرًا تَلَقَى فِي سَنَا حَقَرِهِ .  
مَا فِي البَرِّيَّةِ مِثْلُهُ مَلِكٌ \* أَوْقَى الَّذِي أُوتِيَ مِنْ ظَفَرِهِ !  
يَسْرِي إِلَى أَعْدَائِهِ رَهَبٌ \* مِمَّا يَبْثُ النَّاسُ مِنْ خَبَرِهِ .  
فَاللَّهُ رَبُّ النَّاسِ قَاطِرُنَا \* يُؤْتِيهِ مَا يُرِي عَلَى وَطَرِهِ !!

### الصنف الثاني

(من الرسائل ما يردُّ منها مورد المدح والتقرُّيب)

إما بأن يجعل المدح مورد الرسالة ويصدر بمدح ذلك الشخص المراد، وإما بأن يصدر بما جرى يحكيها المُنشئ ويتخلص منها إلى مدح من يقصد مدحه وتقرُّيبه

وما يجرى مجرى ذلك . وللكتاب وأهل الصناعة في ذلك آفانين مختلفة المقاصد ، وطرق متباينة الموارد .

وهذه نسخة رسالة أنشأها أبو عمرو عثمان بن يعمر الجاحظ سماها "رسالة الشكر" قصد بها تقريظ وزير المتوكل وشكر نعمه لديه ، مصدرها بذكر حقيقة الشكر وبيان مقاصده ، وهي :

جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَيُّدِكَ اللهُ وَأَكْرَمَكَ وَأَعَزَّكَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعِنْدَكَ . لَيْسَ بِكَوْنِ الشُّكْرِ - أَبْفَاكَ اللهُ - تَأْتِي ، وَمِنْ حَدِّ النُّقْصَانِ خَارِجًا ، حَتَّى يَسْتَصْحِبَ أَرْبَعَ خِلَالَ ، وَيَسْتَعْمَلَ عَلَى أَرْبَعِ خِصَالٍ :

أولها : العلم بموقع النعمة من المنعم عليه ، وبقدر انتفاعه بما يصل إليه من ذلك : من سد حاجة ، أو مبلغ لذة وعلو في درجة ، مع المعرفة بمقدار احتمال المنعم للشقة ، والذي حاول من المعاناة والكلفة في بذل جأه مصون ، أو مفارقة علي ثمين . وكيف لا يكون كذلك ؟ وقد خول من نعمه بعض ما كان حبيسا على حوادث عدة ، فزاد في نعم غيره بما انتقص من نعم نفسه وولده . فكأنما تذكر الشاكر ما احتمل من مشونة البذل ، سهل عليه احتمال ما تمص به من ثقل الشكر .

والخصلة الثانية : الحرية الباعثة على حب المكافاة واستحسان المجازاة . والشكر من أكبر أبواب الأمانة ، وأبعده من أسباب الخيانة . ولن يبلغ أحد في ذلك غاية المجد إلا بمعونة الطمع ، وإلا الحرب يجال بينهما ، والظفر مقسوم عليهما . كذلك حكم الأشياء إذا تساوت في القوة ، وتقاربت في البلوغ المدد . وقد زعم ناس أن الشاكر والمنعم لا يستويان ، كما أن البادي بالظلم والمتصير لا يتبدلان ، لأن البادي أخذ ما ليس له ، والمتصير لم يتجاوز حقه الذي هو له ، ولأن البادي لم يكن مهتجا على

الظلم بيلة جناها المنتصر، والمنتصر مهيج على المكافاة بيلة جناها البادئ، والمنثور للطباع المعصب، والمستخف المهيج أعذر من الساكن الوادع المطمين .  
 فلذلك قالوا : إن البادئ أظلم، والمنتصر أعذر . وزعموا أن المنعم هو الذي أودع صدر الشاكر المحبة بانعامه عليه، وهيجه بذلك على مكافأته لإحسانه إليه، فقد صار المنعم شريك الشاكر في إحسانه، وتفرد بفضل إنعامه دون مشاركة غيره، والمنعم هو الذي دفع للشاكر أداة الشكر، وأعاره آلة الوفاء، فهو من ههنا أحق بالتقديم، وأولى بالفضل .

هذا، وقد قال بعض الحكماء والأدباء والعلماء : من تمام كرم المنعم التغافل عن مجته، والإقرار بالفضيلة لشاكر نعمته، لأن الحاجة مغالبه، ولا يتم مودة إلا مع المسامحة . ولذلك قال الربيع لئاس من العرب يحتصمون : هل لكم في الحق أو خير منه ؟ قالوا : قد عرفنا الحق، فما الذي هو خير منه ؟ قال : التغافل فإن الحق مر . ألا ترى إلى بنت هريم بن سنان لما قالت لابنة زهير بن أبي سنان في بعض المناحات، أو في بعض المزاورات : إنه ليعجبي ما أرى من حُسن شاركتكم، وبقاء نفعكم . قالت ابنة زهير : أما والله لئن قلت ما قلت، فإذ ذلك إلا من فضول ما وهبتم، ومن بقايا ما أنعمتم . قالت بنت هريم : لابل لكم الفضل، وعلينا الشكر، أعطيناكم ما بقى، وأعطيتُمونا ما سبق . وقيل لعبد الله بن جعفر حين أجزل لنصيب الشاعر في الهبة، وكثر له في العطيبة : أتدبل هذا العبد الأسود كل هذا النيل، وتجبوه عنبل هذا الهباء ؟ فقال عبد الله بن جعفر : أما والله لئن كان أسود الخلد إنه لأبيض الشعر، أعطيناك دراهم تفتي، وثياباً تبلى، ورواحل تضي، وأعطانا نساءً يتي، وحديتاً يتي، ومكارم لا تتلي . فلهذه الحصائل تكاملت يحصل العجيد فيهم، فظهر عنوان كرم الخير عليهم، فصاروا في زمانهم منارا، ولمن بعدهم

أعلاما . وليس تيم معاني كرم المنعم ، ومعاني وقاء الشاكر ، حتى تتوافق أقوالهما ،  
وتتفق أهواؤهما على تدافع الحجمة ، والإقرار بالمعجزة ، فيزداد بذلك المنعم فضلا ،  
والشاكر نبلا .

هذا جملة القول في خصلتين من الأربع التي قدمنا ذكرها ، وشهرا أمرها .

والخصلة الثالثة : الديانة بالشكر ، والإخلاص للمنعم في تصفية الود ، فان الدين  
قائد المروءة ، كما أن المروءة خطام الحية . وهذه الخصال وإن تشعبت في بعض  
الرجوه ، وافتقدت في بعض الأماكن ، فإنها ترجع إلى نصاب يتبعها ، وإلى إناء  
يحفظها ، منه نجت ، وعنه آبلت ، وإليه رجعت . ولا يحتاج هذه الخصال على  
مخالفة الهوى ، ومجانبة الهوى ، وعلى اتسام دواعي الشهوة ، والامتناع من كلب  
الطبيعة . وفق الأتولون بينها في جملة الأسم ، وقارنوا بينها في جملة الحكم . ولذلك  
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أعتبر عزمه بحمته ، وحرمه بمناع بيته .

ومدار جميع الأحوال المحمودة على الصبر ، ولن يتكلف مرارة الصبر من يجهل  
عاقبة الصبر . وقالوا : لما صار فعل الشكر لا يحتمل إلا بالصبر ، صار الشكر من  
نتائج الصبر ، وكما أنه لا بد للحلم - مع كرم الحلم - من الصبر ، فكذلك لا بد للشكر  
- مع كرم الشكر - من الصبر . فالصبر يجري مع جميع الأفعال المحمودة ، كما يجري  
الهوى مع جميع الأفعال المذمومة . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« خلق الله عز وجل النار وحفها بالشهوات ، وخلق الجنة وحفها بالمكاره » .

والخصلة الرابعة : وصف ذلك الإحسان باللسان البين ، وتخييره بالبيان التبر ،  
وباللفظ العذب الشهي ، والمعنى الشريف البهي . فان الكلام إذا كان حسنا ،  
جعلته الحكاء أدبا ، ووجدته الرواة إلى نشره سببا ، حتى يصير حديثا مأثورا ، ومجدا

مَذْكُورًا، ودَاخِلًا فِي أَسْمَارِ الْمُلُوكِ، وَسُوقًا مِنْ أَسْوَاقِ الْمُنَادِيَيْنِ، وَوَصْلَةً فِي الْمَجَالِسِ،  
 وَزِيَادَةً فِي الْعَقْلِ، وَضَحْدًا لِلْسَانَ، وَتَرْهِيْقًا لِلْقَلْبِ، وَنَاطِقِيًا لِلْفِكْرِ، وَعِمَارَةً لِلصُّدْرِ،  
 وَسُلْمًا إِلَى الْعُظْمَاءِ، وَسَبِيًّا إِلَى الْجِلَّةِ الْكِبْرَاءِ . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ رَائِعًا، وَالْمَعْنَى  
 بَارِعًا، وَبِالنَّوَادِرِ مُرْتَحًا، وَبِالْمَلَجِّ مَجْلُوبًا، لَمْ تَصُغْ لَهُ الْإِسْمَاعُ، وَلَمْ تَنْشَرْحْ لَهُ الصُّدُورُ،  
 وَلَمْ تَحْفَظْهُ النُّفُوسُ، وَلَمْ تَسْطِقْ بِهِ الْأَفْوَاهُ، وَلَمْ يَتُّنَّدْ فِي الْكُتُبِ، وَلَمْ يَقَيَّدْ بِالدَّرْسِ،  
 وَلَمْ يَجِدَلْ بِهِ قَائِلٌ، وَلَمْ يَتُّنَّدْ بِهِ سَامِعٌ . وَمَتَى لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَانَ كَلَامًا كَكَلَامِ الْأَنْعَامِ،  
 وَمَعَانِي السُّمُورِ، وَكَالْمُحْجَرِ الَّذِي لَا يُفْهَمُ، وَالْمُسْتَعْلَقِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ .

وليس - أبقاك الله - نبيٌّ أَحْوَجَ إِلَى الْحِدْقِ، وَلَا أَفْقَرُ إِلَى الرَّفْقِ، مِنْ الشُّكْرِ  
 النَّافِعِ، وَالْمَدِيحِ النَّاجِعِ، الَّذِي يَبْقَى بَقَاءَ الْوَيْتِ، وَيَلُوحُ كَمَا يَلُوحُ النُّجُومُ . كَمَا أَنَّهُ لَا شَيْءَ  
 أَحْوَجَ إِلَى وَسْعِ الطَّاقَةِ، وَإِلَى الْفَضْلِ فِي الْقُوَّةِ، وَإِلَى الْبَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ، وَإِلَى تَمَامِ  
 الْعَزْمِ - مِنَ الصَّبْرِ . وَعَلَى أَنْ الشُّكْرَ فِي طَبَقَاتِ مُتَفَاوِتِهِ، وَمَنَازِلِ مُتَبَايِنَتِهِ، وَإِنْ جَمَعَهَا  
 أَسْمٌ، فَلَيْسَ يَجْمَعُهَا حُكْمٌ، فَرُبَّمَا كَانَ كَلَامًا تَجِيئُ بِهِ الصُّدُورُ، وَتَمُجُّهُ الْأَفْوَاهُ،  
 وَتَجِدُّ بِهِنَّ الْأَلْسِنَةُ، وَيُسْتَعْمَلُ فِيهِ الرَّأْيُ الْمُقْتَضِبُ، وَالخَاطِرُ الْمُخْتَارُ، وَالْكَلَامُ  
 الْمُرْتَجَّلُ، فَيُرْمَى بِهِ عَلَى عَوَاهِنِهِ، وَيُنْفَى مَصَادِرُهُ عَلَى غَيْرِ مَوَارِدِهِ، لَا يَتَعَدَّرُ فِيهِ  
 الشَّاكِرُونَ لِانْتِفَاحِ الْمُنْعِمِينَ، كَمَا تَعَدَّرَ الْمُتَعَمُّونَ لِانْتِفَاحِ الشَّاكِرِينَ . وَلَيْسَتْ غَايَةُ  
 الْقَائِلِ إِلَّا أَنْ يَعْذَرَ بِأَيِّهَا مَقُوهَا، أَوْ يَسْتَرِيدَ بِهِنَّ إِلَى نِعْمَةِ السَّالِفَةِ نِعْمًا آتِيَةً، أَوْ لَيْسَ  
 إِلَّا لِيَعْتَرَّ كَرِيحًا، أَوْ يَخْتَدِعَ غِيًّا لَا يَتَفَقَّدُ سَاعَاتِ الْقَوْلِ، وَلَا يَتَعَرَّفُ أَقْدَارَ الْمُسْتَمْعِينَ ؟  
 وَلَيْسَ غَايَتُهُ إِلَّا الْكَسْبُ وَالْمَعْرُضُ وَالْانْتِفَاعُ وَالتَّرْتُّحُ، وَعَلَى هَذَا يَدُورُ شُكْرُ الْمُسْتَاكْبِرِينَ،  
 وَإِحْمَادُ الْمُتَكَسِّبِينَ .

وهذا البابُ وَإِنْ جَعَلْتَهُ الْعَوَامُ شُكْرًا، فَهُوَ بِغَيْرِ الشُّكْرِ أَشْبَهَ، وَبِذَلِكَ أَوْلَى،  
 وَرُبَّمَا كَانَ شُكْرُهُ عَنْ تَأَنُّقٍ وَتَذَكِيرٍ، وَعَنْ تَحْذِيرٍ وَتَحْيِيرٍ، وَعَنْ تَفَقُّدِ الْحَالَاتِ،



وتحصيل للأموال في المقامات التي تحيط بمهجنه ، وبخضرة عدو لا يزال مترصداً  
 لبعثه ، فربما آتس الزيادة في غيظه ، وربما آتس شفاء ذاته وإصلاح  
 قلبه ، ونقص المبرم من معاقب حقدده ، على قدر الرد ، وعلى قدر تصرف الحالات  
 في المصلحة ، لأن الشاكر كالأند لأهله ، وكريم رهطه ، والمشار إليه عند مشورته ،  
 فربما آختر أن يكون شكره شعراً ، لأن ذلك أشهر ، وربما آختر أن يكون كلاماً  
 منثوراً : لأن ذلك أنبل . وربما أظهر البسر وأتمحل الثروة ، وجعل من الدليل  
 على ذلك كثرة الفقه ، وحسن الشارة ، ويرى أن ذلك أصدق المدحين ، وأنبل  
 الشكرين ، ويعمل قائده إلى هذا المذهب ، وسابقه إلى هذا التدبير قول نصيب :

فأجوا فأنشوا بالذي أنت أهله .. ولو سكتوا أنتت عليك الحقايب !  
 ومما يدخل في هذا الباب وليس به - قول العنري :

يا بن العلاء ويا بن القرم مرداس : .. نبي لأطربك في أهلي وحلاسي .  
 حتى إذا قيل : ما أعطاك من صفيدي .. طأطأت من سوء حال عندها رأسي !  
 أنبي عليك وفي حال تكذبي .. بما أقول فاستحي من الناس !

وبين هذين الشكرين طبقات معروفة ، ومنازل معلومة . وموضع الشكر من  
 قلب السامع في القبول والأستجابة ، على قدر حسن النية ، والذي يعرف به الشاكر  
 من صدق اللهجة ، ومن قلة السرف ، واعتدال المذهب ، والأقتصاد في القول ،  
 وهذا باب سوى الباب الآخر من حسن الوصف ، وجودة الرصف . ولذلك لما  
 أحسن بعض الواعظين في الموعظة ، وأبنت في الاعتبار وفي ترويق القلوب ، ولما لم ير  
 أحداً يجمع ، ولا عيناً تدمع ، قال : يا هؤلاء إما أن يكون بي شر ، أو يكون بكم شر .

وقيل بلنسائه الفضيل الرفاشي ، وعبد الصمد بن الفضل الرقاشي : ما بال  
 دموعكم عند الفضل أغزر . وعند عبد الصمد أنزر ، وللام عبد الصمد أغزر ،

وَكَلَامُ الْفَضْلِ أَزْرَرُ؟ قَالُوا : لِأَنَّ قَلْبَ الْفَضْلِ أَرْقَى ، فَصَارَتْ قُلُوبُنَا أَرْقَى ،  
وَالْقُلُوبُ تُجَارَى .

وقالوا : طُوبَى لِمَمْدُوحٍ إِذَا كَانَ لِلدَّجِ مُسْتَحَقًّا ، وَلِلدَّاعِي إِذَا كَانَ لِلتَّسْبِيحَةِ  
أَهْلًا ، وَلِلْمُنْعِمِ إِذَا حَظِيَ بِالشُّكْرِ ، وَلِلشَّائِكِ إِذَا حَظِيَ بِالقَبُولِ .

إِنِّي لَسْتُ أَحْتَسِمُ مِنْ مَدْحِكَ ، لِأَنِّي لَسْتُ أَزِيدُ فِي وَصْفِكَ ، وَلَسْتُ أَمْدُحُكَ  
مِنْ جِهَةِ مَعْرُوفِكَ عِنْدِي ، وَلَا أَصْفُكَ بِتَقْدِيمِ إِحْسَانِكَ إِلَيَّ ، حَتَّى أَقْدِمَ الشُّكْرَ الَّذِي  
هُوَ أَوْلَى بِالتَّقْدِيمِ ، وَأَفْضَلُ الصَّنْفِ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ بِالتَّقْضِيلِ . وَفِي الخَبَرِ  
المُسْتَفِيضِ ، وَالحَدِيثِ المَأْثُورِ : « مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَاهْتَمَى . وَقَلِيلٌ بَاقٍ  
خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فَإِنْ » .

تَذَاكَرَ النَّاسُ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ طَبَقَاتِ السَّابِقِينَ فِي الْفَضْلِ ، وَتَثْرِيْلَ حَالَاتِهِمْ  
فِي الْبِرِّ ، وَمَنْ كَانَتْ اَلْحَصْلَةُ المَحْمُودَةُ فِيهِ أَكْثَرَ ، وَالحَصْلَةُ النَّاتِيَةُ فِيهِ أَوْفَرَ ، فَقَالَ  
ذَلِكَ الْحَكِيمُ : لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ يَسْبِقَ رَجُلٌ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ ، فَقَدْ سَبَقَ  
إِلَى تَقْدِيمِهِ نَاسٌ وَأَبْطَأَ آخَرُونَ ، وَلَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ يَفُوقَ الرَّجُلُ أَتْرَابَهُ فِي الرَّهْدِ ،  
وَأَكْفَاءَهُ فِي الْفِقْهِ ، وَأَمْثَالَهُ فِي الذَّبِّ : وَهَذَا يُوجَدُ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَيُصَابُ فِي كُلِّ  
البُلْدَانِ . وَلَكِنَّ العَجَبَ العَجِيبَ ، وَالنَّادِرَ العَرِيبَ ، الَّذِي تَهَيَّأَ فِي مَحْمَرِ الخَطَّابِ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَسْبَقَ لَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَبَرَ عَشْرَ مَجْمُوعٍ : يَفْتَحُ الفُتُوحَ ، وَيُدَوِّخُ البِلَادَ ،  
وَيَصْرُ الأَمْصَارَ ، وَيُدَوِّنُ الدَّوَابِينَ ، وَيَقْرِضُ الفُرُوضَ ، وَيُرَبِّبُ الخِلاصَةَ ، وَيُدَبِّرُ  
العامةَ ، وَيَجْبِي الفِئَةَ ، وَتَرْمِي إِلَيْهِ الأَرْضَ بِأَفْلاذِ كَيْدِهَا ، وَأَنْوَاعِ زُخْرُفِهَا ، وَأَصْنَافِ  
كُنُوزِهَا ، وَمَكُونِ جَوْهَرِهَا ، وَيَقْتُلُ مَلُوكَهَا ، وَيَبِي تَمَالِكُهَا ، وَيَحُلُّ وَيَعْقِدُ ،  
وَيُؤَلِّ وَيُعزِّلُ ، وَيَضَعُ وَيَرْفَعُ ، وَبَلَّغَتْ حَبْلَهُ إِفْرِيقِيَّةً ، وَدَحَلَتْ نُرَّاسَانَ : كُلُّ ذَلِكَ  
بِالتَّسْدِيرِ الصَّحِيحِ وَالعَضْبِطِ ، وَالإِثْقَانِ وَالقُوَّةِ ، وَالإِشْرَافِ ، وَالبَصَرِ النَّاقِذِ ، وَالعَزْمِ

المُتَمَكِّن . ثم قال : لا يَجْمَعُ مَصْنَعَةُ الْأُمَّةِ ، وَلَا يَحُوشِمُ عَلَى حَظِّهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ  
وَأَجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ . وَإِقَامَتِهِمْ عَلَى الْحَمِيَّةِ ، مَعَ ضَبْطِ الْأَطْرَافِ ، وَأَمْنِ الْبَيْضَةِ - إِلَّا لِيْنِ  
فِي غَيْرِ ضَعِيفٍ ، وَشِدَّةٍ فِي غَيْرِ عُنْفٍ . ثُمَّ غَرِبَ بِعَدِّ ذَلِكَ سَيْدَهُ كُلَّهَا عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ ،  
وَطَرِيقَةٍ مُطَرَّدَةٍ ؛ لَا يَحْرَفُ عَنْهَا ، وَلَا يُغَيِّرُهَا ، وَلَا يَسَامُهَا ، وَلَا يَزُولُ عَنْهَا :  
مِنْ حُسُونَةِ الْمَأْكَلِ وَالْمُنْبَسِ ، وَغَيْظِ الْمَرْكَبِ ، وَظَلْفِ النَّفْسِ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ،  
وَدَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا ، وَكُلِّ مَا يَتَاخَرُ النَّاسُ عَلَيْهِ . لَمْ يَتَغَيَّرْ فِي لِقَاءِ وَلَا فِي حِسَابِ ،  
وَلَا فِي مُعَامَلَةٍ وَلَا فِي مَجَالَسَةٍ ؛ وَلَا فِي جَمْعٍ وَلَا فِي مَنَعٍ ، وَلَا قَبْضٍ وَلَا بَسْطٍ :  
وَالدُّنْيَا تَتَصَبَّبُ عَلَيْهِ صَبَابًا ، وَتَتَدَفَّقُ عَلَيْهِ تَدَفُّقًا ، وَالْحَصَلَةُ مِنْ حِصَالِهِ ، وَالْحَلَّةُ مِنْ  
خِلَالِهِ ؛ تَدْعُو إِلَى الرِّغْبَةِ ، وَتَفْتَحُ بَابَ الْأَلْفَةِ ، وَتَقْضِي الْمُبْرَمَ ، وَتُهَيِّدُ الْمُرُوءَةَ  
وَتُنَسِّحُ الْمُنَّةَ ، وَتَحُلُّ الْعُقْدَةَ ، وَتُورِثُ الْأَعْتَرَارَ بِطَوْلِ السَّلَامَةِ ، وَالْأَتَكَالَ عَلَى دَوَامِ  
الظَّفَرِ ، وَمُوَانَاةَ الْأَيَّامِ ، وَمُتَابَعَةَ الزَّمَانِ . وَكَانَ ثَبَاتُهُ عَشْرَ حِجَجٍ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ  
أَعْجُوبَةً ، وَمِنَ الْبَدَائِعِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَبِأَوَّلِ مِنْ هَذَا يَظْهَرُ الْعَجَبُ ، وَيُسْتَعْمَلُ الْكِبْرُ ،  
وَيَظْهَرُ الْجَفَاءُ ، وَيَقِلُّ التَّوَاضُعُ .

وَنَحْنُ وَإِنْ كُنَّا لَا نَسْتَجِيرُ أَنْ نُلْحِقَ أَحَدًا بِطَبَاجِ عُمَرَ وَمَنْهَبِهِ ، وَفَضْلِ قُوْتِهِ ،  
وَمَسَامِ عَزْمِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ بَدَأً مِنْ مَعْرِفَةِ فَضْلِ كُلِّ مَنْ اسْتَقَامَتْ طَرِيقَتُهُ ، وَدَامَتْ  
حَلِيقَتُهُ ، فَلَمْ يَتَغَيَّرْ عِنْدَ تَتَابُعِ النَّعْمِ ، وَتَطَاهُرِ النَّصْعِ ، وَإِنْ كَانَتْ التَّمُّ مَخْتَلِفَةً  
الْأَجْنَاسِ ، وَمُتَفَاوِتَةً فِي الطَّبَقَاتِ . وَكَيْفَ يَلْحَقُ بِهِ أَحَدٌ ؟ مَعَ قَوْلِهِ : «لَوْ أَنَّ  
الصَّبْرَ وَالشُّكْرَ بَعِيرَانِ مَا بَالَيْتُ أَيْسَمَا رَكِبْتُ» وَلِكِنَّا عَلَى حَالٍ لَا نَدْعُ تَعْظِيمَ كُلِّ مَنْ  
بَانَ مِنْ نُظْرَائِهِ فِي الْمَرْتَبَةِ . وَأَشْبَاهِهِ فِي الْمُنْزِلَةِ ، إِذْ كَانَ أَدْوَمَهُمْ طَرِيقَهُ ، وَأَشَدَّهُمْ  
مَرِيرَهُ ، وَأَمْضَاهُمْ عَلَى الْجِنَادَةِ الْوُسطَى ، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى الْحَمِيَّةِ الْعُضْمَى .

ولا بد من أن يُعطى كل رئيس قسطه، وكل زمان حظه؛ ولا يُعجبنى قولُ  
 الفائل: لم يدع الأول للآخر شيئاً، بل لعمري لقد ترك له العريض الطويل،  
 والثمين الخطير، والقيم النرج، والمنهج الرُحْب. ولو أن الناس مذُبحَتْ هذه الكلمة  
 على أفواه العوام، وأنجَبَ بها الأعمار من الرجال - قلدوا هذا الحكم، وأسئسوا  
 لهذا المذهب، وأهملوا الروية، وبتسوا من الفائدة، لقد كان ارتفع من الدنيا نفع  
 كثير، وعلم غزير.

وأى زمان بعد زمان النبي صلى الله عليه وآله أحق بالتفضيل، وأولى بالتقديم،  
 من زمان ظهرت فيه الدعوة الهاشمية، والدولة العباسية، ثم زمان المونكي على الله،  
 والناصر لدين الله، والإمام الذي جلّ فكره، وكثر شغفه بتصفية الدين وتهذيبه،  
 وتلخيصه وتنقيحه، وإعزازة وتأسيده، وأجتماع كلمته، ورجوع ألفه. وقد  
 سمعت من يقول - ويستشرد العيان الفأهر، والخبر المتظاهر - : مارأيت في زماننا  
 من كفاة السلطان وولائه، وأعوانه وحجائه، من كان يؤمل تحملك، ويتقدم  
 في التأهب له، إلا وقد كان معه من البذخ والنخ، ومن الصاف والعجب، ومن  
 الخيلاء، ومن إفراط التغيير للأولياء، والتمسك على الخلفاء، ومن سوء اللقاء،  
 مالا خفاء به على كاتب ولا على عامل، ولا على خطيب ولا على أديب؛ ولا على  
 خاصي ولا على عامي.

بجمعت - والحمد لله على النعمة فيك - بين التواضع والتعجب، وبين الإنصاف  
 وقلة التريد، فلا يستطيع عدو معين، ولا كاذب مسر، ولا جاهل غبي، ولا عالم  
 مبرز، يزعم أنه رأى في شماثلك وأعطافك - عند نتائج النعم، وتظاهر المنين - تغيراً  
 في لِقَاء ولا في بشر عند المساءلة، ولا في إنصاف عند المعاملة، وأحتمل عند  
 المطاولة. الأمر واحد، والخلق دائم، والبشر ظاهر، والنجح ناقيه، والأعمال

رَأَيْجِهِ ، وَالنَّفُوسَ رَاضِيَةً ، وَالْعُيُونَ نَاطِقَةً بِأَحَبِّهِ ، وَالصُّدُورَ مَأْهُولَةً بِالْمَوْدَةِ ،  
وَالذَّاعِيَ كَثِيرًا ، وَالشَّاكِيَ قَلِيلًا ، وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَزْدَادُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِالتَّوَاضُعِ نُبْلًا ،  
وَبِالإِنصَافِ قَضَا ، وَبِحَسَنِ اللِّقَاءِ حَبَّةً ، وَبِقِلَّةِ العُجُوبِ هَبَّةً .

وقال سهل بن هرون في دعائه لبعض من كانت يعنى بشأته : اللهم زد من  
الخيرات ، وأبسط له في البركات ، حتى يكون كل يوم من أيامه مؤقياً على أمسه ،  
مُقَصِّراً عن قُضِيَّةِ عَيْدِهِ . وقال في هذا المعنى أعشى همدان ، وهو من المخضرمين :

رَأَيْتُكَ أُمْسٍ خَيْرَ بَنِي مَعَدٍّ \* وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أُمْسٍ ،

وَبَعْدَ عَدِّ تَزِيدُ الخَيْرِ ضِعْفًا \* كَذَلِكَ تَزِيدُ سَادَةَ عِبْدِ شَمْسٍ !

قد والله أنعم الله عليك وأسبغ ، فاشكر الله وأخلص ، بحمدك شريف ، وأرومتك  
كرامة ، والعرق منجب ، والعدد دثر ، والأمر جميل ، والأرجوه حسان ، والعقول  
رزاق ، والعفاف ظاهر ، والذكر طيب ، والنعمة قديمة ، والصنعة جسيمة ،  
وما مثلكم إلا كما قال الشاعر :

إِنَّ المَهَابَةَ الكَرَامَ تَحْمَلُوا \* دَفَعَ المَكَارِهِ عَنِ ذَوِي المَكْرُوهِ ،

زَانُوا قَدِيمَهُم بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ \* وَكَرَّمَ أخْلَاقِي بِحُسْنِ وُجُوهِهِ !

النعمة محفوظة بالشكر ، والأخلاق موقومة بالأدب ، والكفاءة محفوفة بالحدق ،  
والحدق مردود إلى التوكل ، والصنع من وراء الجميع إن شاء الله .

هذا إلى ما أتيسر الله من القبول ، وغشاك من المحبة ، وطوقك من الصبر .  
فبقي الآن أن نسهي ما أنت فيه شهوة في وزن هذه المرتبة ، وفي مقدار هذه المترلة ،  
فإن الرغبة وإن قويت ، والرغبة وإن اشتدت ، فإنهما لا يجران من النشاط ،

وَيُنْتِجَانِ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْمُبَاشَرَةِ وَالكَدِّ ، مَا يُقِرُّهُ الشَّهْوَةُ وَإِنْ ضَعُفَتْ ، وَالْحَرَكَةُ  
مِنْ ذَاتِ النَّفْسِ وَإِنْ قَلَّتْ ، لِأَنَّ النَّفْسَ لَا تَسْمَعُ بِمَكْتُونِهَا كُلِّهَا ، وَتُجُودُ بِغَزْوِنِ  
قُوَاهَا أَجْمَعٍ ، إِلَّا بِالشَّهْوَةِ دُونَ كُلِّ عِلَّةٍ مُحَرَّكَةٍ ، وَكُلُّ سَبَبٍ مَهَيِّجٍ .

قال يحيى بن خالد بن جعفر بن يحيى حين تقلد الوزارة ، وتكأف النهوض بأعباء  
الخلافة : أَيْ بُحِي ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْعَجَزَ : لِعَظِيمِ مَا تَقَلَّدْتَ ، وَجَسِيمِ مَا تَحْمَلْتَ .  
إِنِّي لَسْتُ آمِنٌ أَنْ تَنْفَسَخَ تَحْتَ ثِقَلِهَا تَفْسَخَ الْجَمَلُ تَحْتَ الْجَمَلِ النَّقِيبِ .  
قال جعفر : لِكَيْتِي أَرْجُو الْقُوَّةَ ، وَأَطْمَعُ أَنْ أَسْتَقِيلَ بِهَذَا الثَّقَلِ وَأَنَا مُبْتَهِلٌ غَيْرِ  
مَبْهُورٍ ، وَأَيْحَى قَبْلَ السَّوَابِقِ وَأَنَا تَائِي . يقول : وَأَنَا تَائِي عِنَائِي ، لِأَنِّي لَمْ أَجْهَدْ  
فَرَسِي رَكْضًا . قال يحيى : إِنْ لَكُلِّ رَجَاءٍ سَبَبًا ، فَسَبَبُ رَجَائِكَ ؟ قال :  
شَهْوَتِي لِمَا أَنَا فِيهِ ، وَالْمُشْتَهَى لِلْعَمَلِ لَا يَجِدُ مِنَ أَلَمِ الْكَدِّ مَا يَجِدُهُ الْعَسِيفُ الْأَسِيفُ .  
قال يحيى : إِنْ تَهَضَّتْ بِثِقَلِهَا فِيهِذَا ، وَإِلَّا فَلَا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَ شَهْوَتَكَ  
إِلَى حُبِّ ذَلِكَ ، وَهَوَاكَ إِلَى الْإِحْتِفَاطِ بِنِعْمَتِكَ : بِشُكْرِ الْمُصْلِحِينَ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى رَبِّ  
العالمين .

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ مِنْ غَرَسِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَأَبْتَدَأَتْهُ ، وَمِنْ صَنَائِعِهِ وَأَخْتِيَارِهِ ،  
أَنْ يُخْرِجَ عَلَى أَدْبِهِ وَتَعْلِيمِهِ ، وَعَلَى تَنْفِيهِهِ وَتَفْوِضِهِ ، وَأَنْ يُحَقِّقَ اللَّهُ فِيهِ الْأَمَلَ ،  
وَيُخْرِجَ فِيهِ الطَّلَعَ ، وَأَنْ يَمُدَّ لَهُ فِي السَّلَامَةِ ، وَيُجْزِلَ لَهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ ، وَيُطَيِّبَ ذِكْرَهُ ،  
وَيُعَلِّيَ كَعْبَهُ ، وَيَسِّرَ صَدِيقَهُ ، وَيَكْتُمَ عَدُوَّهُ .



وهذه نسخة رسالة تسمى الإغريضية ، أرسلها أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن  
سليمان المعري التميمي إلى أبي القاسم الحسين بن علي المغربي ، وهي :

[ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ الْإِعَانَةُ ] <sup>(١)</sup>

السلام عليك أيتها الحكمة المقرية ، والألفاظ العربية ؛ أي هواء رقائك ، وأى غيث سقائك ؛ برقه كالإخريص ، وودقه مثل الإغريض ؛ حلت الربوة ، وجلت عن الهبوة ؛ أقول لك ما قال أخو عمير ، لفتاة بنى عمير :

زَكَا لَكَ صَالِحٌ وَخَلَائِكُ دَمٌ \* وَصَبَحْتَ الْإِيَامِينَ وَالسُّعُودُ!

لأننا أسف على قرينك من الغراب الخمازي ، على حسين الزبي ، لما أفقر ، وركب السفرة ، فقدم جبال الروم في تو ، أنزل البرس من الجوة ؛ فأنقذت إلى عطفه وقد شبط فأسي ، وترك التعيب أو تسي ؛ وحبط إلى الأرض فمشى في قيد ، وتمثل بيت دريد :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا النَّسِيبُ رَأْسَهُ ، \* فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ : تَبَعِدِ!

وأراد الإياب ، في ذلك الخلباب ؛ فكزه الشبات ، فكبد حتى مات ؛ ورب وني أغرق في الإكرام ، فوق في الإبرام ؛ إبرام السأم ، لإبرام السلم ؛ فحرس الله سيدنا حتى تدغم الطاء في الماء ؛ فتلك حراسة بنير انتهاء ؛ وذلك أن هذين صندان ، وعلى التضاد متباعدا ، رخو وشديد ، وهاد ودو تصعيد ؛ وهما في البتھر والمعيس ، بمنزلة غد وأمس ؛ وجعل الله رتبته التي كالفاعل والمبتدا ، نظير الفعل في أنها لا تخفص أبدا ؛ فقد جعلني : إن حضرت عرف شاني ، وإن عبت لم يجهل مكاني ؛ كما في النداء ، والمخدوف من الابتداء ؛ إذا قلت : زيد أقبل ، والإيل الإيل ؛ بعد ما كنت كهاء الوقف إن ألفت فواجب ، وإن ذكرت فغير لأرب .

(١) الزيادة من شرح الرسالة الإغريقية الموجودة بدار الكتب السلطانية تحت رقم ١٢٧ أدب .

(٢) البرس الفطر ، والمراد الفطر المشبه به .

أَيُّ وَإِنْ غَدَوْتُ [ فِي زَمَانٍ ] كَثِيرِ الدَّدِ ، كِهَاءِ العَدَدِ ، لَزِمَتِ المَذَكْرُ ، فَاتَتْ  
بِالمُنْكَرِ ، مَعَ إِثْفِ بَرَأْنِي فِي الأَصْلِ ، كَأَلِفِ الوَصْلِ ، يَذَكُرُنِي بغيرِ النِّسَاءِ ، وَيَطْرِحُنِي  
عندِ الأَسْتِغْنَاءِ ، وَحَالٍ كَالهَمْزَةِ تُبَدِّلُ العَيْنَ ، وَتَجْعَلُ بَيْنَ بَيْنَ ، وَتَكُونُ نَارَةً حَرْفَ لَيْنَ ،  
وَنَارَةً مِثْلَ الصَّامِتِ الرِّصِينِ ، فَهِيَ لَا تَتَّبِعُ عَلَى طَرِيقِهِ ، وَلَا تُدْرِكُ لَهَا صُورَةً  
فِي الحَقِيقَةِ ، وَتَوَائِبُ الحَقِيقَةِ الكَثِيرِ بالصُّغِيرِ ، كَأَنَّهَا تَرخِيمُ التَّصْفِيرِ ، رَدَّتِ المُتَحَلِّسَ  
إِلَى حُلَيْسَ ، وَقَابُوسًا إِلَى قُبَيْسَ ، لِأَمْدَنَ صَوْتِي بِتِلْكَ الآلَاءِ ، مَدَّ الكُوفِيَّ صَوْتَهُ  
فِي هَؤُلَاءِ ، وَأَخَفَّفَ عَن حَضْرَةِ سَيِّدِنَا [ الوَازِرِ ] الرَّبِيسِ الحَبْرِ ، تَخْفِيفَ المَدْنِيِّ مَا قَدَّرَ  
عَلَيْهِ مِنَ التَّيْرِ ، إِنْ كَاتَبْتُ فَلَسْتُ مُتَمِسِّسَ جَوَابَ ، وَإِنْ أَمْتَهَبْتُ فِي الشُّكْرِ فَلَسْتُ طَالِبَ  
تَوَابَ ، حَسْبِي مَا لَدَيْهِ ، وَمَا عَمَّرَ مِنْ فَضْلِ السَّيِّدِ الأَكْبَرِ أَبِيهِ ، أَدَامَ اللهُ  
لَهَا التَّقْدِيرَ مَا دَامَ الضَّرْبُ الأَوَّلُ مِنَ الطَّوِيلِ صَحِيحًا ، وَالمُنْذِرُ حَفِيفًا سَرِيحًا ،  
وَقَبَضَ اللهُ بَيْنَ عَدُوهُمَا عَن كُلِّ مَعْنَى ، قَبَضَ العَرُوضِ مِنْ أَوَّلِ وَزْنٍ ، وَجُمِعَ لَهُ  
المَهْسَانَةُ إِلَى التَّقْيِيدِ ، كَمَا جُمِعَا فِي تَائِي المَدِيدِ ، وَقَوْلِمَ قَلَمِ الفَيْسِطِ ، وَخُيِّلَ كَسْبَاعِي  
البَيْسِطِ ، وَعَصَبَ [ اللهُ ] الشَّرْبَهَامَةَ شَائِبَهُمَا وَهُوَ مَحْزُوقٌ ، عَصَبَ الوَافِرِ الثَّالِثِ وَهُوَ  
مَحْزُوقٌ ، بَلَّ أَضْمَرْتُهُ الأَرْضُ إِضْمَارَ ثَالِثِ الكَامِلِ ، وَعَدَاهُ أَمَلُ الأَمِلِ ، وَسَلِمَ سَيِّدَانَا  
أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُمَا وَمَنْ أَحْبَاهُ وَقَرَّبَاهُ سَلَامَةً مُتَوَسِّطِ المَجْمُوعَاتِ ، فَإِنَّهُ آمِنٌ مِنْ  
المُرُوعَاتِ ، فَقَدْ أَفْتَنْتُ فِي بَعِيهِمَا الرَّائِعَةَ ، كَأَفْتِنَانِ الدَّائِرَةِ الرَّابِعَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا أُمَّ سَيِّئَةٍ  
مَوْجُودِينَ ، وَثَلَاثَةَ مَقْقُودِينَ .

وَأَنَا أَعِدُّ نَفْسِي مُرَاسَلَةَ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا الجَلِيلَةِ عِدَّةَ ثُرَيَّا اللَّيْلِ ، وَثُرَيَّا سُهَيْلَ ،  
هَذِهِ القَمَرُ ، وَتِلْكَ عَمْرُ ، وَأَعْظَمُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، إِعْظَامًا فِي مِقَّةٍ وَبَعْضُ الإِعْظَامِ



في مَمَّتْ ، فقد نَصَبَ لِلآذَانِ قُبَّةَ صَارَ النَّشْمُ فِيهَا كَشَامَةَ الْمَعِيبِ ، وَالْعِرَاقُ كَعِرَاقِ  
الشَّيْبِ ، أَحْسَبَ ظِلَالُهَا مِنَ الْبُرْدَيْنِ ، وَأَعْنَتِ الْعَالَمُ عَنِ الْمُنْدِينِ ، وَهِنْدِ الطَّيِّبِ ،  
وَهِنْدِ النَّدِيبِ ، رَبَّةَ الْحِمَارِ ، وَأَرْبَابِ قِسَارِ ، أَخْدَانِ النَّجْرِ ، وَخَدِيئَةَ الْمُهْجَرِ .  
أَحَامِلَةَ طَوِيقٍ مِنَ الْبَلْبَلِ ، وَبُرْدٍ مِنَ الْمُرْتَبِعِ مَكْفُوفِ الدَّلِيلِ ، أَوْفَتِ الْأَشْيَاءُ ، فَقَالَتْ  
لِلْكَعِيبِ مَا شَاءَ ، فَسَمِعَهُ غَيْرَ مَفْهُومٍ ، لَا بِالرَّمْلِ وَلَا بِالْمَزْمُومِ ، كَانَ تَجِيحَهَا قَرِيبُضَ ،  
وَمُرَاسِلَهَا الْقَرِيبُضَ ، فَقَدْ مَادَ لَشَجْوِهَا الْعُودَ ، وَقَفِدُوعَا لِابْعُودِ ، تَدْبُ هَدِيلاً قَاتِ ،  
وَأَتِيحُ لَهُ بَعْضُ الْآفَاتِ - بِأَشْوَقٍ إِلَى هَدِيالِهَا مِنْ عَيْدِهِ إِلَى مُنَاسِمَةِ أَنْبَانِهِ ، وَلَا أَوْجَدَ  
عَلَى إِيْمِهَا مِنْهُ عَلَى زِيَارَةِ قِنَانِهِ ، وَتَيْسَتِ الْأَشْوَاقُ ، لَدَوَاتِ الْأَطْوَاقِ ، وَلَا عِنْدَ  
السَّاجِدِ ، عِبْرَةٌ مَتَرَاجِعِهِ ، إِنَّمَا رَأَتْ الشَّرْطَيْنِ ، قَبْلَ الْبُطَيْنِ ، وَالرِّشَاءِ ، بِمَدِّ  
الْعِشَاءِ ، فَخَكَّتْ صَوْتِ الْمَسَاءِ فِي الْخَيْرِ ، وَأَتَتْ بَرَاءَ دَائِمَةِ التَّكْرِيرِ ، فَقَالَ جَاهِلٌ  
فَقَدْتُ حَرِيماً ، وَتَكَلْتُ وَلَدًا كَرِيماً : وَهَيَّاتِ يَا بَا كَيْفَهُ أَصْبَحْتِ ، فَصَدَحْتِ ،  
وَأَمْسَيْتِ ، فَتَنَاسَيْتِ ، لَا هَمَامَ لِأَهَامِ ، مَا رَأَيْتِ أَنْجَبَ مِنْ هَاتِفِ الْحَمَامِ ، سَلِمَ  
فَنَاحِ ، وَصَمَّتْ وَهُوَ مَكْشُورُ الْجَنَاحِ ، إِنَّمَا الشُّوقُ لِمَنْ يَدُكِرُ كُلَّ حِينٍ ، وَلَا يُدْهِلُهُ  
مِضَى السَّنِينِ .

وسيدنا الوزير أطل الله بهما الفائل النظم في اندكاه مثل الزهر ، وفي النقاء مثل  
الجوهر ، تحسب بادرته النجاج ، ارتفع عن الحجاج ، وغارته الججل : في الرجل ، يجمع  
بين اللفظ القليل ، والمعنى الجليل ، يجمع الأفعوان في لعابه بين القلعة ، وقفة البيلة ،  
حسن ، حُسن ، ولان ، فما هان ، لين الشكير ، يدل على عتي الحضير ، وحرش  
الدينار ، آية كرم النجار ، فصوف الأشعار بعده كاليف السلام ، يلفظ بها في الكلام ،  
ولا تثبت لها هيئة بعد التلام ، خلص من سبك النقد خلوص الذهب ، من الذهب ،  
والجبن ، من يد الثين ، كأنه لآل ، في أتابي حوال ، وسواه لظ ، في عني نط ،

ما حانتَه قُوَّةُ الخاطرِ الأَمِينِ ، ولا عيبَ بسنادٍ ولا تَضَمِينِ ، وأينَ الثَّرَّةُ ، من العَثْرَةِ ، والقَرَقَدِ ، من القَرَقَدِ ؟ ، فالسَّاعِي في أثرِهِ فارسٌ عَصاً بِصِيرٍ ، لا فارسٌ عَصاً قَصِيرٍ .

وأنا نبتٌ على هَذِهِ الطَّوِيَّةِ ثَبَاتَ حَرَكََةِ البناءِ ، مُقِيمٌ تلكَ الشَّهَادَةَ بِغيرِ اسْتِثْنَاءٍ ، غَنَى عن الأَيْمَانِ نَلا عَدَمَ ، مُقِيمٌ على ما قَلَّتْ فَلَاحِنَتْ ولا تَدَمُّ ، وإنما تُثَمِّبُ الدُّرَّةَ ، لِلنَّسَاءِ الحُزْنَ ، ويُجَادُ بِالْيَسِينِ ، في العَلَقِ الثَّمِينِ ، ما أَنفَسَهُ خَاطِرًا أَمْتَرَى الفِضَّةَ ، من الفِضَّةِ ، والوَصَاءِ ، من مِثْلِ الحِصَاةِ ، ورُبَّمَا نَزَعَتِ الأَشْبَاهُ ، ولم يُنْسَبِ المَرَّةُ أباهُ ، ولا غَرَوَ لذلكَ : الحُضْرَةُ أمُ اللَّهِيبِ ، والحَمْرَةُ بِنْتُ الغَرِيبِ .

وكذلكَ سِيدُنَا وَالدُّ من صِغَرِ المَتَقَدِّمِينَ ، حِكْمَةٌ لِلتَّغْيَاءِ المَتَدَيِّبِينَ ، كَمَ لَهُ من قَافِيَةِ تَبَيُّ السُّودِ ، وتَبَيُّ الحُسُودِ ، كَالْمَيْتِ ، من شُرْبِ العَاقِقَةِ الكُكَيْتِ ، نُشُورِهِ قَرِيبِ ، وحِسابُهُ تَرِيبِ ، أينَ مُشَبَّهُو النِّاقَةِ بالفَدَنِ ، والصَّحَّاحِ بِرِداءِ الرَّدَنِ ، وَجَبِ الرِّحِيلِ ، عن الرِّبْعِ المُحِيلِ ، نَشَأَ بَعْدَهُمُ وَاصِفِ ، غُودِرَ رَأُلَهُ كَالْمَنَاصِفِ ، إذا سَمِعَ الخَافِضُ صِفَتَهُ لِلسَّهْبِ اللِّفِيجِ ، والرَّهْبِ الطَّلِيجِ ، ودَّ أَنْ حَشِيَّتَهُ بَيْنَ الأَحْنَاءِ ، وَخَلُوقَهُ عَصِيمِ الهِنَاءِ ، وَحَلَمَ بالقُودِ ، في الرُّقُودِ ، وَصَاغَ بُرَى ذَوَاتِ الأَرْسَانِ ، من بُرَى البِيضِ الحِسانِ ، شَنَفًا لُدَّرَ النُّجُورِ ، وَعُيُونِ الحُورِ ، وَشَغَفًا بَدْرَ بَكِي ، وَعَيْنِ مِثْلِ الرُّكْنِ ، وَأَعْرَاضًا عن بُدُورِ ، سَكَنَ في الخُثُورِ ، إلى مَحُولِ ، كَأَهْلَةِ المَحُولِ ، فَهِنَّ أَشْبَاهُ القَيْسِيِّ ، وَنَعَامِ الشَّيْءِ ، وَإِنْ أَخَذَ في نَعْتِ [ الحَلِيلِ ]<sup>(١)</sup> فَيَاخِيَةِ من سِيبَةِ الأَوَايِدِ بِالتَّقْيِيدِ ، وَشَبَّهَ الحَافِرَ بِقَعْبِ الوَلِيدِ ، نَعْتًا عَقَّبَ بِهِ المَهْجِينَ المَنْسُوبِ ، وَالبَّازِيَّ

(١) الزيادة من شرح الرسالة .

(٢) أى أذهب حواسها . وفي الأصل شَبَّهَ بالثنين .

اليمسُوب؛ إذ رُزِقَ من الخير، ما ليس لكثير من سباع الطير؛ وذلك أنه على الصغر، سمي بعض الغرر؛ وقد مضى حرس، وخفت حرس؛ ولقالع، انقض طالع؛ والأزرق؛ يُحبك عنه الفرق.

فالآن سلّمت إخبته من المعص، وشمل بعضها بركات بعض؛ فأيقن النطيج، أن ربه لا يطيح؛ والمهقوع؛ تجاهه وأيكه من الوقوق؛ فقل يعرب، قائد المقرب؛ ولن يرجل، سائس الأرجل؛ والغاب، وإن لحق الكعاب؛ فإنه ناكب، عن باقات المرابك. وقالت خيفانه أميري القيس: الدبابة، لرأعي المباءة؛ والأثنية؛ للقدرة الكفية؛ فعماعلى جاعل غدريها كقرون العروس، وجهتها كحديف الثروس؛ وأنى للكندى، قواف كهجمة السعدى:

إذا اصطكتِ بضيقِ حمرتها \* تلاقى المسجديّة والمطم!

فالقسيب، في تضاعيف النسيب، والشباب في ذلك التشيب؛ ليس رويته بقلوب، ولكنه من إرواء القلوب؛ قد جمع الليل ماء الصبا، وصليل طعاه الطبا؛ فالمصراع كوزيلة الغريه، حكيت الزينة والرّيه؛ وأريت الحسناء سناها، والسمة ما عاناها؛ فأما الرياح فلو ذكرها لشفقت من الحر، وانتقت من الكرم إلى الكرم؛ ولم ترض دنائس العقار، بداس القار؛ وتسج المناكب؛ على المناكب؛ ولكن تكسى من وشي ثيابا، ويُعمل طلاؤها زربابا؛ ولقد سمعته ذكر خيمة يغيط المسك جآرها من الشيام، ويود سعد الأخبية أنه سعد الحيام.

ووقفت على "مختصر إصلاح المنطق" الذي كاد نبهة الأبواب، يعني عن سائر الكتاب؛ فعجبت كل العجب من تقييد الأجمال، بطلاء الأجمال؛ وقبب البحر،

إلى قَلْتِ النَّعْرَ، وإجْرَاءِ الْفُرَاتِ، في مِثْلِ الْأَنْحَرَاتِ، شَرَفًا لَهُ تَصْنِيفًا سَمَّى الرَّيْبَ،  
وَكَفَى مِنْ آبِنِ قُرَيْبٍ؛ وَدَلَّ عَلَى جَوَامِعِ اللُّغَةِ بِالْإِيْمَاءِ، كَمَا دَلَّ الْمُضْمَرُ عَلَى مَا طَالَ  
مِنَ الْأَسْمَاءِ.

أَقُولُ فِي الْإِخْبَارِ: أَمَرْتُ أَبَا عَبْدِ الْجَبَّارِ؛ فَإِذَا أَضْمَرْتُهُ، عُرِفَ مَتَى أَقُلْتُ:  
أَمَرْتُهُ؛ وَأَبْلَى مِنَ الْمَرِيضِ وَالْمَمْرِيضِ، بِمَا أَسْقَطَ مِنْ شُهُودِ الْقَرِيضِ؛ كَأَنَّهُمْ  
فِي تِلْكَ الْحَالِ، شَهِدُوا بِالْحَمَالِ؛ عِنْدَ قَاضٍ، عَرَفَ أَمَانَتَهُمْ بِالْإِنْتِقَاضِ؛ عَلَى حَقِّ  
عِلْمِهِ بِالْعِيَانِ، فَاسْتَعْنَى فِيهِ عَنِ كُلِّ بَيَانٍ.

وَقَدْ تَأَمَّلْتُ شَوَاهِدَ "إِصْلَاحِ الْمُنْطِقِ" فَوَجَدْتُهَا عَشْرَةَ أَنْوَاعٍ فِي عِدَّةٍ لِمَاخُوةِ  
الصَّدِّيقِ، لَمَّا تَطَّاهَرُوا عَلَى غَيْرِ حَقِيقٍ؛ وَتَزِيدُ عَلَى الْعَشْرَةِ بِوَاحِدٍ، كَلَّجَ لِيُوسُفَ  
لَمْ يَكُنْ بِالشَّاهِدِ. وَالشُّعْرُ الْأَوَّلُ وَإِنْ كَانَ سَبَبَ الْأَثَرِ، وَصَحِيفَةُ الْمَأْتَرِ؛ فَإِنَّهُ كَذُوبُ  
الْقَالَةِ، نَوْمُ الْإِطَالَةِ؛ وَإِنْ قَفَا نَبِكَ [عَلَى حُسْنِهَا]، وَقَدِمَ سِنَهَا؛ لِنَقْرِ بِمَا يُبْطِلُ  
شَهَادَةَ الْعَدْلِ الرَّضَا، فَكَيْفَ بِالْبَيْعِ الْأَثْنِيِّ؛ قَاتَلَهَا اللَّهُ عَجُوزًا لَوْ كَانَتْ بَشَرِيَّةً،  
كَانَتْ مِنْ أَغْوَى الْبَرِيَّةِ. وَقَدْ تَمَّادَى بِأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْأَجْتِهَادُ، فِي إِقَامَةِ  
الْأَشْمَادِ؛ حَتَّى أَتَشَدَّ رَجَزَ الضُّبِّ، وَإِنْ مَعَدًّا مِنْ ذَلِكَ لِحَدِّ مَغْضَبٍ؛ أَعْلَى فَصَاحَتِهِ  
يُسْتَعَانُ بِالْقَرِضِ، وَيُسْتَشْهَدُ بِأَحْنَاشِ الْأَرْضِ؛ بِمَا رُوِيَ عَنْهُ فِي نَقِيرِهِ، فَمَا قَوْلُكَ  
فِي ضَبِّ دَائِمِي الْأَطْلَافِيرِ؟ وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ يَعْقُوبَ وَجَدَهُ كَلْمَهُمْ، إِلَّا بِأَبِ فَعَلٍ  
وَفَعَلٍ؛ فَإِنَّهُ مُؤَلَّفٌ عَلَى عَشْرِينَ حَرْفًا: سِتَّةٌ مُدْتَقَةٌ، وَثَلَاثَةٌ مُطَبَّقَةٌ؛ وَأَرْبَعَةٌ مِنْ  
الْحُرُوفِ الشَّدِيدَةِ، وَوَاحِدٌ مِنَ الْمَزِيدَةِ؛ وَنِيفَتَيْنِ: النَّاءُ وَالذَّالُ، وَآخِرُ مَعَالٍ؛  
وَالْأَخْتَيْنِ الْعَيْنِ وَالْحَاءِ، وَالشَّيْنِ مُضَافَةً إِلَى حَيْرِ الرَّاءِ. فَرَحِمَ اللَّهُ أَبَا يُوسُفَ لَوْ عَاشَ  
لَفَاطَ كَمَا، أَوْ أَحْفَاطَ حَسَدًا، سَبَقَ ابْنَ السُّكَيْتِ ثُمَّ صَارَ السُّكَيْتُ، وَسَمَّى ثُمَّ حَارَ  
وَتَدَا اللَّيْتُ؛ كَانَ الْمَكَّابُ تِبْرًا فِي تُرَابِ مَعْدِنٍ، بَيْنَ الْحِثِّ وَبَيْنَ الْمُتَدِّنِ؛ فَاسْتَحْرَجَهُ

سَيِّدَنَا وَأَسْتَوْشَاهُ، وَصَفَلَهُ فِكْرَهُ وَوَشَّاهُ، وَقَبَطَهُ النَّيْرَاتُ عَلَى التَّرْقِيشِ، وَالْأَلَّالِ النَّفِيشِ؛  
فَهُوَ مَحْبُوبٌ لَيْسَ بِهَيْئٍ، عَلَى أَنَّهُ ذُو وَجْهَيْنِ، مَا تَمَّ قَطُّ وَلَا هَمَّ، وَلَا نَطَقَ وَلَا أَرَمَ؛  
فَقَدْ نَابَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الصَّعِيمِ، مَنَابَ مِرْآةِ الْمُتَجَمِّمِ فِي عِلْمِ التَّنْجِيمِ؛ شَخَّصَهَا ضَيْلٌ  
مَلْمُومٌ، وَفِيهَا الْقَمْرَانِ وَالشُّجُومُ.

وَأَقُولُ بَعْدُ فِي إِعَادَةِ اللَّفْظِ : إِنَّ حُكْمَ التَّأْلِيفِ فِي ذِكْرِ الْكَلِمَةِ مَرَّتَيْنِ، كَلْتَجْمَعُ  
فِي النَّكْحِ بَيْنَ الْأَخْسَيْنِ ؛ لِأَوْفَى حُلِّ يُرَامُ، وَالثَّانِيَةَ بِسَلِّ حَرَامٌ ؛ كَيْفَ يَكُونُ  
فِي الْفُتُوذِجِ لَيْسَانَ، وَفِي السُّبَّةِ تَحْمِيسَانَ، يَا أُمَّ النَّبَاتِ حَسْبُكَ مِنَ الْهُنُودِ، وَيَا أَبَا  
الْفَتَيَانَ شَرَعْتُكَ مِنَ السُّعُودِ، عَلَيْكَ أَنْتِ بَرِّئْتُ وَدَعْتِ، وَنَمَّ أَيْهَا الرَّجُلِ بِسُؤَى سَعْدِي  
مَا قَلَّ أَثِيرُهُ وَالْأَسْمَاءُ كَثِيرُهُ.

مَثَلٌ يَعْقُوبَ مَثَلٌ خَوْدٌ كَثِيرَةٌ الْخَلِيٌّ ضَاعَفْتَهُ عَلَى التَّرَاقِ، وَعَطَّيْتَ الْخَضِرَ وَالسَّاقِ؛  
كَانَتْ يَوْمَ قُدُومِ تِلْكَ النُّسخَةِ يَوْمَ ضَرِبَ حَمْرَ الْوَحْشِ مَعَ الْإِنْسِ، وَأَضَافَ  
الْحِنْسَ إِلَى غَيْرِ الْحِنْسِ، وَلَمْ يَحْكَمْ عَلَى الظُّبَاءِ، بِالسَّبَاءِ، وَلَا رَمَى الْأَجَالَ، بِالْأَوْجَالَ؛  
وَلَكِنَّ الْأَضْدَادَ تَجَمَّعَ، فَتَسْتَمِعُ، وَتَنْصَرِفُ بِلَذَاتِ، مِنْ غَيْرِ أَدَاةٍ؛ وَإِنْ عَبَدَهُ  
مُوسَى لِقَبِيئِي تَقَابَا، فَقَالَ : هَلُمَّ كِتَابَا، يَكُونُ لَكَ شَرَفَا، وَهُوَ الْآيَاتُ فِي حَضْرَةِ سَيِّدِنَا  
- أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - مُعْتَرِفَا، فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : ﴿إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا  
وَلَا تَعْرَى وَأَنْتَ لَا تَنْظَمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾، وَأَحْسَبُهُ رَأَى نُورَ السُّؤُدِ فَقَالَ لِحَلْفِيهِ،  
مَا قَالَهُ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِأَهْلِيهِ : ﴿إِنِّي آتَيْتُ نَارًا أَعْلَى آيَتِكُمْ مِنْهَا بَقَائِسُ  
أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾، فَلَيْتَ شِعْرِي : مَا يَطْلُبُ ؟ أَقْبَسَ ذَهَبٌ ؟ أَمْ قَبَسَ  
لَسِبَ ؟ بَلْ يَنْتَرِفُ بِالْأَخْلَاقِ الْبَاهِرَةِ، وَيَتَبَرَّكُ بِالْأَحْسَابِ الطَّاهِرَةِ.

(١) السُّبَّةُ الزَّمَنُ مِنَ الشَّهْرِ، وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ بِهَا الْأَسْبُوعَ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ رِسَالَتِي الْفَرَنَزِيِّ الْمَوْجُودَةِ  
بِذَارِ الْكُتُبِ السُّفْطَانِيَّةِ.

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلِي يَفْتَسِنُ لَهَا « جَزَلَ الْخَدَا غَيْرَ حَوَارٍ وَلَا دِعْرًا !

وقد آتت من سفرته الأولى ومعه جدوة من نأير قديمة : إن لمست فنأير إبراهيم ، أو أونسست فنأير الكليم ، وأجتنى بهارا حبتت به المرأزية كسرى ، ومحل في فكك الأسرى ، وأدرك نوحا مع القوم ، وبقي غصبا إلى اليوم ، وما أتبع موسى إلا الروض العسيم ، ولا أتبع إلا أصدق مقيم ، وورد عبده الزهيري من حضرته المطهرة وكأنه زهرة يبيع ، أو وردة ربيع ، كثيرة الورق ، طيبة العرق ، وليس هو في نعمته كالريم ، في ظلال الصريم ، والحاب ، في السحاب المنجاب ، لأن الظلام يسفر ، والغمام يسفر ، ولكنه مثل النون في الجوه ، والأعقر تحت جريه .

وقد كنت عرفت سيدنا في ما سلف أن الأدب كهوود في غيب جهود ، أروت التجاد فما نكك بالوهود ؟ ، وأنى نزلت من ذلك الغيب ببلد طسم ، كأثر الوسم ، منعه القراع ، من الإمراع ، يابوس ، نبي سدوس ، العدو حازب ، والكلاء عازب ، ياخصب بن عبد المدان ، صان في الحربيت وإيل في السعدان ، فلما رأيت ذلك أتعت الأظل ، فلم أجد إلا الحنظل ، فليس في الليد ، إلا الهيد ، جنيته من شجرة أجتنت من فوق الأرض ما لها من قرار . تبني الإيل عن المزار مرة ، وعن الأراك طيب حر .

هذا مثلي في الأدب . فاما في النسب ، فلم تر لي بحمد الله تعالى وبقاء سيدنا بلنغان : بلغة صبر ، وبلغة وفر ، أنا منهما بين الليلة المرعية ، واللوج الربيعية ، هذه عام ، وتلك مال وطعام ، والقاليل ، سلم إلى الحليل ، كالمصل يربغ الضوء ، بإسباع الوضوء ، والتكفير ، بإدامة التعفير ، وقاصد بيت الله يغسل الحوب ، بطول الشحوب .

وأنا في مكتبة حفصة سيدةنا الجليلة، والميل عن حفصة سيدةنا الأجل والده  
 - أعز الله نصره - كتبنا يعرب، لما أتت في الثغرب، إلى خالق النور، ومصرف  
 الأمور، نظر فلم ير أشرق من الشمس يدا، فسجد لها تعبدًا . وغير معلوم سيدنا  
 لو أعرض عن شقائق النعمان الربيعية، ومدائحه الربوعية، ملاً من أهل هذه البلد  
 المضاف إلى هذا الاسم، فغير معذور، من أنقض لأجلهم نبي المنذر، وهم إلى  
 حفصته السنية رجالات : سائل، وقائل، فأما السائل فالح، وأما القائل فغير  
 مستمع، وقد سرت نفسي عنها ستر الخبيص، بالقميص، وأبني الختر، بسجوف  
 الستر، فظهر لي فضله الذي مثله مثل الصبح إذا لمع تصرف الحيوان في شؤونه  
 وخرج من بيته الربوع، وبرز الملك من أجل الربوع، وقد يولع الهجرس، بأن  
 يجرس، في البلد الجرد، فدام الأسد الورد . وإني خبرت أن تلك الرسالة الأولى  
 عرضت بالمعروض الكريم : فأوجب ذلك رحيل أختها، متعرضة لمنزل بختها،  
 وكيف لا تنفع، وفي اليم تقع، وهي بمقصد سيدنا فاتحة، ولو هبت الأولى  
 لآتمت الآخرة :

كملت الرسالة .



قلت : وهذه رسالة أنسأها في تقرير المفقذ الكريم الفتحى، أبى المعالى فتح الله،  
 صاحب دواوين الانشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الإسلامية، آدم الله  
 تعالى معاليه، في شهر سنة أربع عشرة وثمانمائة، وهى :

الحمد لله الذى جعل الفتح محط رجال القرائح الجائدة، ومستقر نواها، ومحيط  
 دائرة الأفكار الواردة، ومركز شعاع كواها، ومادة عناصر الأفهام الجائلة، وعناد  
 شكيمة قواها .

تحمده على أن خص المملكة المصيرية من إيداع سرها المصون بأوسع صدر  
رحيب، وأنهن بتدبير مصالحها من إذا سرت كتاب كُتبه إلى عدو أنشد من شدة  
الفرق: قفا نيك من ذكرى حبيب، وأقام لضررتها بأسل الأفلام وصفاح المهاريق  
من إذا طرقتها على البعد طارق نلا لسان راعته: ﴿نصر من الله وتفتح قريب﴾ .  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسييرها برؤ الهداية إلى آفاق  
الأخلاق نقشيد فلاح الإيمان بأقطار القلوب أركانها، وترقم أسرار شعاريها بنفيس  
القبول في صحف الإقبال فبندل داعيها بإذاعة خبرها من الإسرار إعلانا، وتدين  
بطاعتها ملوك الممالك النائية خضوعا فتجد كتب رسالتها على المفاريق بعد اللهم  
يحيانا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي من المعروف وتذب إليه، وأكرم  
رسول جعل خير بطاتي المالك التي تأمره بالخير وتحمته عليه، صلى الله عليه وعلى آله  
وصحبه الذين سلكوا في السير سبيله وأتبعوا في السيرة سنته وأتقوا فيه سنته،  
وأتبعوا في المعروف آثاره فتلا عليهم تالي الإخلاص: ﴿لقد كان لكم في رسول الله  
أسوة حسنة﴾ . صلاة لتناقل على مر الزمان أخبارها، ويتصدى لروايتها من الأمة  
على تمادي الدهر أخبارها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن رياسة أهل الدول تتفاوت باعتبار قرب الرئيس من ملكه في مخاطبته  
ومناجاته، واعتياد تصرفه في أمور دولته وتنفيذ مهماته، والاستناد على رأيه في جليل  
خطويه وعظيم ملماته :

فقال تمارت في العلو كما ، تحاول نارا عند بيض الكواكب !

ولا يخفاء أن صاحب ديوان الإنشاء من هذه الرتبة بالمثل الأرفع، والمترلة التي  
لا تدافع ولا تدفع، والمقام الذي تمرر بصدارته فكان كالمصدر لا ينشأ ولا يجمع ؛



إذ هو كليم الملك ونجيبه ، ومقرب حضرته وحظيه ، بل عميد المملكة وعمادها ،  
وركنها الأعظم وسنادها ، حامي حومتها وسدادها ، وعقدتها المسبق ونظامها ، ورأس  
ذروتها العليا وسنمها ، وجهته خبرها ، وحقيبة وريدها وصدرها ، ومبلغ أنبيائها  
وسفيرها ، وزند رأيها المورى ومشيرها .

فهيلاً بالمكرّمات وبالعلوّ ، وحيهلاً بالفضل والسؤدد المحض !

هذا . وهو الواسطة بين الملِك ورعيته ، والمتكفل لقصيهم بدرِك قصده وبلوغ  
بغيتِه ، والسعد للظلم من عزائم توقيعاته بما يقضى بنصرتِه ، وحينئذ فلا يصلح  
لها إلا أن كان مع كرم الخيم بارز الخيام لأصطناع المعروف ، ومع سمو الرتبة سامي  
الجمّة لإغاثة الملهوف ، ومع عز الخناب لدى ملكه لين الخناب لدى المسألة ، ومع  
قُربِه بحضرة سلطانِه قُرباً من الرعية حتى من المسكين والأرمله .

وغير خاف أن كل وصف من هذه الأوصاف مع مة آية كالفستق اللذين  
لا يجتمعان بحال ، والقبضين اللذين قضى العقل بأن الجمع بينهما محال ، وأنى يجتمع  
العالي والهابط ، والمرتفع والساقط ؟ أم كيف تنصل الأرض بالسما ، أو يقع  
أمتراج عنصر النار بعنصر الماء ؟ ومن ثم عز هذا المطلب لهذه الوظيفة حتى إنه  
لأعز من الجوهر النور ، وقيل وجوده حتى لم يوجد إلا في الواحد القصد فلا تراه  
إن تراه إلا في حيز النور ، ولا تظفر به إلا ظفرك بيض الأنوق إن كان يظفر به  
ظافر ، إلا أنه ربما سمع الدهر فاقى بالهد من هذا النوع في الزمن المتباعد ، أو أسعد  
الدهر فأسعف بالواحد بعد ألف واحد .

ثم قد مضت برهة من الأيام وجيد ديوان الانشاء من نظر من هو متصف ببعض  
هذه الأوصاف عاقل ، والدهر يعد بمن يقوم فيه بتفريغ كربة الملهوفين ولكنه  
يماطل :

يرفه ما يرفقه في التفاضل \* وليس لديه غير المطلق تقد!

إلى أن طلع نير الزمان وتوضح شروقها، وظهرت تباشير صباحها وأقبل بطلوع السعد عيوقه؛ فأقبلت الدولة الظاهرية بسعادتها، وتلقته الأيام الناصرية جارية منها على وفق عاداتها؛ ووفر للثنتين من انتخاب الأصفياء قسمتها، ومخضت لها الرأي الصائب حتى ظهرت في الوجود زبدتها؛ فكانت خلاصة اصطفايتها، وزبدة آتفائها؛ المقر الأشرف، العالى، المولوى، القاصوى، الكبرى، السفى، المشىرى، الفتى، نظام الممالك الإسلامية وزمام سياستها، ومنقذ أمرها، وجامع رأيتها؛ أبو المعلى فتح الله صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية، زاد الله تعالى في آرتقائه على تعاقب الدول، وأجره من خنى اللطف على أجمل العوائد وقد فعل؛ فألقى إليه من أسرار المملكة مقاليدها، وأتفقت بحسن سفارته باتفاق الرواة أمانيدها؛ فنقدت بتنفيذه أمرها، وكنت بصحيح رأيه كسورها؛ بقرت الأمور بحسن تديره على السداد، ومشت الأحوال بلطف سفارته على أتم المراد؛ واعترفت له الكافة بالسيادة فاطاعت، وعرفت له الرعية تقدمه في الراسة فرعت حرمة وراعت.

وإن أمور الملك أضخى مدارها \* عليه كادارت على قطبها الرى!

قد استعبد الخط فأصبح له كالخديم، وأتى من المعروف بكل غريب فأنسى من أثره ذلك في الزمن القديم؛ فلوراه «خالد بن برمك» لأخيم عن ملاقاته عظما، أو نأواه «يحيى بن خالد» لمات من مناوآته عدما، أو سابقه «الفضل وجعفر» أبناء لسبفهما كرمًا :

مناف لوأتى تكلفت نسجها، \* لأفلس في أفلامها ومدادها!

أو سجع به "الحسن بن سهل" لقطع إليه الخيزن والسهميل، أو بصره "الفضل"  
أحوه، لما رأى أنه للفضل أهل، أو عابته "أبو علي بن مقلة" لعلم أنه فاقه حظًا  
وحظًا، أو نظر "أبن هلال" إلى أهله نواته لتحقق أنه سبقه إلى تحرير هندسة  
الحروف وما أخطأ :

إِذَا أَخَذَ الْفِرْطَاسَ حَنَّتْ يَمِينُهُ . . . تَفْتَحُ تَوْرًا أَوْ تُنْظِمُ جَوْهَرًا !

لأن تكلم أنى من بيانه بالسحر الخلال، أو حاوّر أنى من البلاغة بما يقصر عن  
رَبِّهِ "سحبان" في المقال، أو ترسل أعشى "عبد الحميد" في رسالته، أو كتبت رعتت  
من روض خطه في زهر نحاته :

يُؤَلِّفُ الْمَوْلُوَ الْمَشُورَ مِنْطِقَهُ . . . وَيَنْظِمُ الذُّرَّ بِالْأَقْلَامِ فِي الْكُتُبِ !

فَرَأَيْهِ السَّيْفُ لَا مَا صَنَعَ الْهِنْدُ، وَعَقْلُهُ الصَّارِمُ لَا مَا اسْتَوْدَعَ الْعَمْدُ :

فَفِي رَأْيِهِ تُجْحُ الْأُمُورُ وَلَمْ يَزَلْ . . . كَفَيْلًا بِإِرْشَادِ الْخَيَّارِ مُوقِفًا !

أفلامه تُزْرِي بالصَّوَارِمَ وَتَهْرَأُ بِالْأَسْلِ ، وَتَجْرِي بِصَلَةِ الْأَرْزَاقِ فَتَرِيدُ عَلَى الْأَمَانِ  
وَتَرَبُّو عَلَى الْأَمَلِ :

بِتَّ جَارَهُ فَالْعَيْشُ نَحَتْ ظِلَالَهُ . . . وَأَسْتَسْقِيهِ فَالْبَحْرُ مِنْ أَنْوَانِهِ !

فَكَارِمُهُ كَفَى مِنَ الْإِمْلَاقِ ، وَبَوَا كَرَهُ بِالْإِسْعَادِ تَبَادُرَ الْغُدُوِّ وَالْإِشْرَاقِ ، وَعَطَايَاهُ  
تَسِيرُ سَبِيلَ السَّحَابِ فَتُمْطِرُ الْغَيْثَ عَلَى الْآفَاقِ :

كَرِيمٌ مَسَاعِي الْمَجْدِ يَرْكَبُ تَجْدَةً \* . . . مِنَ الشَّرَفِ الْأَعْلَى وَيَبْدِلُ الْفَوَاضِلِ !

قد خدّمته الحظوظ وأسعدته الحدود، وقُسمت المنازل السنية فكان له منها  
سعد السعود :

لوعَدَدَ النَّاسِ مَا فِيهِ لِمَا بَرِحَتْ \* تَلْتَمِي الْخَوَاصِرَ حَتَّى يَنْفَدَ الْعَدَدُ!

فلو غَرَسَ الشُّوكَ أَمْسَرَ الْعِبَاءَ أَيْ أَرَادَهَا ، أَوْ حَاوَلَ الْعَقَاءَ فِي الْجَوِّ لَصَادَهَا ؛  
أَوْ ذَرَعَ فِي السَّبَاحِ لَكَانَ ذَلِكَ الْعَامُ الْعَامَ وَالسَّنَةُ الْخَصْبَةَ ، وَلِضَوْعِيَتْ مُضَاعَفَةٌ  
حَسَنَاتِهِ فَأَنْبَتَتْ كُلُّ حَبَّةٍ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ :

وإذا السعادة لأحظنك عيونها ، \* ثم فالتخاؤف ككهن أمان ،

وأصطد بها العفاء فهي حبايل \* وأقند بها الجوزاء فهي عنان!

قد ليس شرفاً لا تطعم الأيام في خلمه ، وتقمص من الفضل جلباباً لا تتطعم  
الأيام إلى ترعه ، وآتهى إليه المجد فوقف ، وعرف الكرم مكانه فالتحاز إليه وعطف .

فقصرت عنه خطاً من مجاريه ، وضاق عنه باع من يباريه :

نالت يده أفاصي الكرم الذي \* مد الحسود إليه باعاً ضيقاً!

فتناقبه تسبق أقلام الكتائب ، وتستغرق طاقة الحاسب ؛ ليس لأرتفاعها غايه ،  
ولا لتداولها نهايه ، فلا توفى جامعة بشرطها ، ولا تقوم جريدة بسطحها :

وقد وجدت مكان القول ذاسمة \* فإن وجدت لساناً قائلاً فقل!

قد هتف بمدحه خطباء الأقلام على متابر الطروس ، ونظقت بقضيه أفواه المخابر  
فتمكست لرمة قدره شوايح الرؤوس ؛ وطلعت في أفق المهاريق سعوداً لمآليه السعيدة  
فأقلت لوجوده النحوس ؛ ورقت محاسنه بنقش الليل على صفحات النهار فأرسمت ،  
وحملت أخباراً معروفه فتراحت الأفاق على أنتشاق أرج ريمه العبقه وأستهمت :

لقد كرمت في المكرمات صفاته \* فما دخلت لاء عليها ولا إلا!

انْفَقَتِ الْأَيْسَنَةُ عَلَى تَقْرِيبِهِ فَمَدَحَ بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَتَوَافَقَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّهِ فَكَانَ لَهُ بِكُلِّ قَلْبٍ مَكَانٌ ، وَاسْتَعْرَقَتْ مَادِحُهُ الْأَزْمِنَةَ وَالْأَمَكِنَةَ فَاسْتَوَى شُكْرُهُ عَلَى الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ :

وَلَمْ يَحُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ لَفْظٌ مُجِيرٌ \* وَلَمْ يَحُلْ مِنْ تَقْرِيبِهِ بَطْنٌ دَقِيرٌ !

عَلَى أَنَّ اسْتِقْبَالَ عَثْرِيٍّ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي أَطْرَائِهِ ، وَالتَّعْرِضُ مِنْ مَدْحِهِ لِمَا لَانْتِهَاضُ بَأْعْبَائِهِ ، فَلَوْ أَنَّ «الْجَاحِظَ» تَصِيرِي ، وَ«أَبْنَ الْمُتَّقِعَ» ظَهِيرِي ، وَ«قَسَّ بْنَ سَاعِدَةَ» يُعِدْنِي ، وَ«سَجْبَانَ وَائِلَ» يُجِدْنِي ، وَ«عَمْرَو بْنَ الْأَهَمِّ» يُرِشِدْنِي ، لَكَانَ أَعْرَافِي بِالْعَجْزِ فِي مَدْحِهِ أَيْلَاجٌ مِمَّا آتَيْهِ . وَإِقْرَارِي بِالتَّقْصِيرِ فِي شُكْرِهِ أَوْلَى مِمَّا أَصَفُهُ مِنْ تَوَالِي طَوْلِهِ وَأَيَادِيهِ :

وَلَوْ أَنَّ نِيَّ فِي كُلِّ مَنِيَّةٍ شَعْرَةٌ ، لِسَانَ يُطِيلُ الشُّكْرَ فِيهِ لِقَصْرًا !



وهذه نسخة رسالة للشيخ الإمام العالم معين الدين تاج العلماء، خطيب الخطباء، زين الأئمة، فؤدة الشريعة، الصدر أبي الفضل يحيى بن جعفر بن الحسين بن محمد الحصكفي رحمه الله، سماها: «عَتَابَ الْكُتَّابِ، وَعِقَابَ الْأَلْفَابِ، الْمُسْتَعْمَلَةَ عَلَى أُصُولِ الْفَرِيبِ وَالْإِغْرَابِ» وهي:

عَذِيرِي مِنْ وَرْدَائِ النَّصْبَةِ وَكُتَّابِهَا، وَكِبْرَاءِ الدُّسُوتِ وَأَرْبَابِهَا، وَأَوَائِحِ الدُّوَلِ وَأَطْنَابِهَا، وَتَوَابِ الدَّوَاوِينِ وَأَنْبِيَاءِهَا، وَجِبَابِ بِيُوتِ الْأَمْوَالِ، وَالسَّعَاةِ فِي زَمِّ نَمْرِ الْأَحْوَالِ، وَسَاسَةِ الْمَهَالِكِ، وَصُحُفِ أَسْرَارِ الْمَالِكِ، وَالشَّاهِينِ بِأَنْوَفِ التَّيْسِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالسَّاحِينِ ذُبُولِ الْعُجْبِ وَالخَيْلَاءِ، الرَّافِلِينَ فِي حُلِيِّ الْبَهَاءِ، وَالقَافِلِينَ عَنِ فُرُوضِ الْعِلَاءِ، الَّذِينَ تَبَوَّءُوا السُّؤْدَدَ مِنْ غَيْرِ سَدَادٍ، وَسَمِعُوا الرَّتَبَ بِلا إِعْدَادٍ،

(١) الأنياب جمع ناب وهو سيد الغنم وكبيرهم .

فكانهم الحاصب ، وعدوا لله المناصب ؛ شغلهم الأثر والفجور ، وحكل على  
 بسطته يمحور ، همهم حجاج الأجرح ، وتبع الراح بالماء القراح ؛ وأمتطاء المرذ ،  
 والعناق الجرد ؛ أملهم تعيد الأفيه ، وتشييد الأبيه ؛ والزيادة في الرقيق والكراع ،  
 والخلول والاتباع ؛ وليس بغال ، كثرة خيل ويقال ؛ بما باعوه من الوريع والديانة ،  
 وأضاعوه من العفة والصيانة :

قَدْ مَلَكُوا الدُّنْيَا عَلَى غَيْرَةٍ \* وَنَاقَسُوا فِيهَا السَّلَاطِينَا !  
 تَوَزَعُوا الدُّوَلَةَ وَالْمُلْكَ وَالْحَضْرَةَ وَالْإِسْلَامَ وَالدُّنْيَا ،  
 شَادُوا بِأَعْمَالِهِمْ دُورَهُمْ \* وَأَحْرَبُوا فِيهَا الدَّوَابِينَ ،  
 عَفُوا وَمَا عَفَوْا بِأَفْلَاحِهِمْ \* مَسَاكِنًا تَحْوِي مَسَاكِينَا ،  
 عَرَسَتْهُمُ الدُّنْيَا بَانَ أَظْهَرَتْ \* عَنْ غِلْظَةِ تُضْمِرُهَا لِينَا ،  
 وَالذَّمُّرُ تَمْ جَرَّعَ فِي مَرَّةٍ \* مُرًا وَحِينًا سَاقَهُ حِينَا .  
 يَا أَنْفُسَا ذَلَّتْ بِإِتْيَانِهِمْ \* وَبِكَ أَنْتَانِ الْآتَانِينَا ،  
 لَا تَرْغَبِي فِي رِسَالِهِمْ إِنَّمَا \* تَمْرِينَ فِي الْقَعْبِ الْأَمْرِينَا !  
 وَكَانَ يُجِدِي الْقَصْدُ لَوْ أَنَّهُمْ \* يَذْرُوبُ شَيْئًا أَوْ يَذْرُوبَنَا .  
 مَوْتِي هُوَ فَمَلِكُ تَقْرِيبُهُمْ \* إِنْ كُنْتِ لَا تَأْبِينِ ، تَأْبِينَا ،  
 لَا يَبْعَنِي الْفَضْلُ بِأَطْرَاءِ مَنْ \* يَكُونُ فِيهِ الْهَجْوُ مَقْبُونَا ،  
 لَوُ رَمْتِ شَيْئًا دُونَ أَقْدَارِهِمْ \* لَهَجْوِهِمْ لَمْ تَعْبِدِ الدُّوْنَا !!!

قد أخذوا إلى الوضاعة ، عن تحصيل البضاعة ، وكفاهم من البراعة ، برى البراعة ،  
 وعنوا بأسوداد الليقة ، عن مؤدد الخليفة ؛ وأحالوا على الرمم ، عند قصور الهمم ؛  
 ومن أعظم الآفات ، تغرهم بالعظيم الرقات .

وَكَاثِمٍ لَصِيمِ هَاشِمٍ \* أَوْ مِنْ هَاشِمِ الْعَبَّاسِ ،  
عَبَسُوا مَا يَفْشَاهُمْ \* بِالطُّوْعِ إِلَّا كُلُّ غَاشِمٍ :

لَا يَمِينُ أَحَدُهُمْ عَلَى مُرْوَةٍ ، وَلَا يُنْعِشُ ذَا أَخْوَةٍ ، وَلَا يَرْعَى وَارِثَ أَبُوهِ ، وَلَوْ  
أَعْرَى إِلَى بَنُوهِ ، فَهُوَ غَيْرَ آسٍ بِجُودِهِ ، وَلَا مُوَأْسٍ بِمَوْجُودِهِ ، يَرْوُكُ كَيْسَهُ وَالْعُلَامَ ،  
وَتَرْوَعُكَ دُوبِيَهُ وَالْأَقْلَامَ ، فَإِذَا أَسْتَنْطَقَ قَلَمَهُ الصَّامِتَ ، أَجْدَلُ عَدُوَّهُ الشَّامِتَ ،  
فَزَادَ أَدْرَاجَهُ تَاقِصًا ، وَعَادَ عَلَى أَدْرَاجِهِ نَاكِصًا .

فَهُوَ الَّذِي أَمَلَى لَهُمْ حِلْمَهُ \* مَعَ الْخَنَاءِ وَالنَّكَدِ الْبَاهِضِ ؛  
لَوْ أَنِّي وُلِّيتُ نَادِيَهُمْ \* سَقَيْتُ صَدْرَ الْبَيْتِ النَّاهِضِ !  
مَنْ نَاطِرٍ يُضْحِي بِلَا نَاطِرٍ ، \* وَعَارِضٍ يُمَسِّي بِلَا عَارِضٍ ،  
وَمُتَشْرِفٍ لِلدِّينِ مَا قَصَّدَهُ \* فِي الْوَطْبِ إِلَّا زُبْدَةُ الْمَاخِضِ ،  
وَحَازِنٍ إِنْ لَفَّ مَرَضَاتَهُ \* مِنْ حُلُومِهِ عَفَّ عَنِ الْحَامِضِ ،  
وَمَنْ حَبِثَ جَاءَنَا ذِكْرُهُ \* فِي الذِّكْرِ بَيْنَ الْبِكْرِ وَالْفَارِضِ ،  
وَكَاتِبٍ لَوْ أَنْصَفُوا مَهْرَهُ \* لَكَانَ أَوْلَى مِنْهُ بِالرَّائِضِ !!!

إِنْ وَقَعَ ، رَأَيْتَ اللَّفْظَ الْمُرَقَّعَ ؛ وَإِنْ أَطَالَ وَأَسْهَبَ ، أَذَالَ عِرْضَهُ وَأَسْهَبَ ؛  
وَكَانَ أَحَقُّ بِتَقْلِيدِ الْفُهُودِ ، عِنْدَ تَقْلِيدِ الْعُهُودِ ؛ وَأَوْلَى بِسَطْرِ الْمَنَاشِيرِ ، عَنِ سَطْرِ  
الْمَنَاشِيرِ ، وَأَجْدَرُ بِقَبْضِ الرُّوحِ ، إِذَا أَنْبَسَطَ لِلشَّرُوحِ ، وَأَخَذَ فِي ذِكْرِ الْوَقَائِعِ وَالْفُتُوحِ ؛  
كَفَّهُ بِالْحَسْمِ ، أَوْلَى مِنْهَا بِالْقَلَمِ ، وَأَخْلَقَ بِالْمَسْحَاهِ ، مِنَ السَّحَاهِ ، وَأَلْبَقُ بِالْفُرُوسِ ،  
مِنَ الطُّرُوسِ ، يَبْرِي وَيَقْطُ ، وَلَا يَدْرِي مَا يَحْطُ ؛ إِذْ لَيْسَ فِي السَّقَطِ ، غَيْرَ السَّقَطِ ؛  
إِنْ فَاتَحْتَهُ ، أَوْ طَارَحْتَهُ ، ظَفِرَتْ بَعْضَةُ الْمَسَاحِ ، وَخَشَرَ الْمَفَاتِحَ ، إِنْ خَطَّ : فَنُونُهُ  
كَلَامُهُ ، وَخَلَطَ فُنُونُهُ فِي كَلَامِهِ .

إِنْ وَقَعُوا وَقَعُوا فِي دَمٍ كُلِّ قَوْمٍ ، \* أَوْ أَنْفَدُوا أَنْفَدْتُمْ أَسْمَهُمُ الْكَلِمَ ،  
 أَوْ قَلَدُوا قُلْدُوا نِزَامًا يُجَلِّهَلُّهُمْ ، \* أَوْ أَقْطَعُوا قُطِعُوا شَمًا بِجَهْلِهِمْ .  
 أَرَأَيْتُمُ الْمَالَ وَالْأَعْمَالَ إِنْ رَقَعُوا ، \* جَاءُوا مِنَ الرَّقْمِ وَالْأَلْفَاظِ بِالرَّقْمِ ،  
 فَلِلَّهِ بِأَخْذٍ مِنْهُمْ لِلدَّوَاءِ وَاللَّانِقَاسِ بِالْحَقِّ وَالْفِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ !!

فإنجليد بهم ستمل ، والسوام بينهم همل ، ولا علم عندهم ولا عمل ، هفي على  
 الفضل المذال ، برقعة الأذال ، وضباع الحقوق ، وأنصاع البيضة عن العقوق .

ثم ما على سيدنا الوزير ، مع اصطحاب الهم والزرير ، وتناق سوقه ، وأنفاسه  
 في فسوقه ، وأتصال صبوحة بغبوقه ، وتخلبه في الهوى للعب واللهو ، من ظهر غي  
 يرتكب ، وذى يسار يتكب ، وساج ينسى ، وراج يرتشي ، ورسوم حيف تجتذ ،  
 وسوات تعدد ، ما يضره من شكوى الخارج البغات ، وصریح لا بغات ، ووال  
 يعسف بأهل مصره ، وإن شرکه في إضره ، وقاض لا ينصف الرعيه ، ولا يتبع  
 القضايا الشرعيه ، وقفيه يسف إلى تحصيل عرض زائل ، وتعجيل عرض من  
 سائل ، ماله وحفظ المال ، ومحاسبة المال ؟ :

أم ما على العامل نمس الدجاج \* إن نقص الكرم وزاد الخراج ؟  
 عليه أنب يحصل في كفه \* شيء ، وإن أخلى جميع الخراج .  
 وهو خراج عند ما ينتهي \* يبسط بالمبضع ما في الخراج !!!

شغلهم بالشهد المشور ، لا بشهد يوم المشور ، وقصدهم الجمع والآكتساب ،  
 ومتى الجمع والحساب ، إنما هو مال يثقّب ، لا مال يرتقب ، وفساد في الأرض ،  
 لا إعداد ليوم العرض :



وَإِنِّي لَأَرَى لِلرَّائِبِ تَحْوِي \* عَلَيْهَا قُرُودٌ فَوْقَهُنَّ بَرُودٌ ،  
 سِرَاعٌ إِلَى السُّوَاتِ فِيمَا تَشِينُهُمْ \* وَلِكُنْهَمَ عَمَّا زَيْنٌ رُكُودٌ ،  
 يِقَاطُ إِذَا مَا تَوَبَّ اللُّؤْمُ دَاعِيَا \* وَعِنْدَ نِدَاءِ الْمَكْرَمَاتِ رُقُودٌ ،  
 وَمَا غَرَّبَنِي إِلَّا جَلَاوِزُ حَوَلْتُمْ \* وَإِلَّا قِيَامٌ بَيْنَهُمْ وَقُعُودٌ ،  
 لَتَدْحُسِدُوا ظُلْمًا عَلَى مَا أَنَّهُمْ \* وَهَلْ لِأَبِي تَقْصِيسُودُ حَسُودٌ ؟  
 وَلِلسَّيِّدِ الْمُحْسُودِ كَفٌّ عَنِ الْعُلَى \* تَدُودٌ وَأَنْجَرِي النَّوَالِ تَجُودٌ ،  
 لَمَّا اللَّهُ دُنِيَانَا اتَى صَلَّى سَعِيهَا \* وَفِيهَا عَيْنِي بِالضَّلَالِ شُرُودٌ ،  
 إِذَا صُغِرْتُ كَسِمِ الْحُسَيْنِ حَمَلَةٌ \* عَلَّتْ وَعَلَا فِيمَا يَزِيدُ زَيْدٌ ،

إِنَّمَا الصَّدْرُ مِنْ صَدْرِهِ كَالْهُ ، وَحَسُنْتَ أَعْمَالُهُ ، وَجُودٌ لِلْعَزَمَاتِ ، فَشَرْدُ  
 الْأَزْمَاتِ ، وَتَمَيُّ بِذَبَّةِ الْكُرْبَاتِ ، وَأَصْطَفَى لِرَبِّهِ الْقُرْبَاتِ ، فَسَهْلُ الْغَنَى ، وَأَقْرَبُ الْإِنَانِ ،  
 وَوَضَعَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ أَخْبَا ، فَهُوَ يَهْشُ لِلنَّوَالِ ، وَيَهْشُ عِنْدَ السُّؤَالِ ، لَا يَسُوبُ  
 وَرَدَّهُ الْقَدَا ، وَلَا يَبْطُلُ مِنْهُ بِالْمَنْ وَالْأَدَى ، يَبْشُرُ بِنُشْرِهِ بِحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَنْشُرُ نَشْرَهُ  
 الصَّبِّ فِي الْأَفَاقِ ، وَيُجِيسُ بِدَوَانِهِ دَاءَ الْإِمْلَاقِ ، وَيُجْرِزُ بِهَضْبَتِهِ قَصَبَ السَّبَاقِ :

يُجْرِدُهَا مِنْ مِثْلِ وَفَضَّةِ نَابِلٍ \* أَحْبَبْتُهَا مِنْ تَأْفِذَاتِ الْمَسَائِلِ ،  
 وَفِي خَطِّهِ الْمُنْسُوبِ تُرْرِي شَبَابَهَا \* بِلَهْدَمِ مَنْسُوبٍ إِلَى الْخَطِّ ذَائِلِ ،  
 وَإِنْ بَدَرْتُ عَنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ أَثْبَتَتْ \* مِنْ الْبِرِّ قَبْلَ الْبِرِّ مَسِيعَ سَائِلِ !

دُؤُوبُهُ لِإِقَالَةِ الْعَائِرِ ، وَعَمَارَةُ الدَّائِرِ ، وَإِسَاعَةُ الْمَنَازِرِ ، هَمُّهُ فِي مُعْضِلَةِ الرُّاحِ ،  
 وَمَعْدَلَةُ مُنَاضِ ، وَخَلَلِ يُسَدِّ ، وَجَلَالِ يُصَدِّ ، وَعَانَ بِظَهْرِهِ يُعَانِ ، وَعَاتٍ بِقَهْرِهِ يَهَانِ ،  
 بَابُهُ مَفْتُوحٌ ، وَخَيْرُهُ مَمْنُوحٌ ، وَمَا أَقَلَّ النَّالِيمِ ، لَمَنْ أَكْثَرَ الْوَالِيمِ ، وَأَغْفَلَ الْجَادِبِ ،

لَمَنْ صَوَّعَ الْمَادِبَ ، وَأَخْلَصَ الْإِخَاءَ ، لَمَنْ أَسْتَخْلَصَ السَّعَاءَ ، فَبَدَّلَ الرَّغْوَةَ وَالصَّرِيحَ ،  
وَالسَّنَامَ الْإِطْرِيحَ ؛ لَأَكُنَّ بِشَحِّهِ بِالْقَتَارِ ، لَفَرَطِ الْإِقْتَارِ ، وَبِضْنِ الْبِوَضْرِ ، عَلَى  
الْمُحْتَضِرِ ، وَيَخْلُجُ بِالْعُرَاقِ ، عَمَّنْ رُوحُهُ فِي التَّرَاقِ ، وَيُسِرُّ الضَّمِيرَ ، لَمَنْ يَنْتَهِي الْمِيرَةَ ،  
وَيُطِئُ الدَّاءَ ، لَمَنْ يَنْتَظِرُ الْغَدَاءَ ، وَيُسْعِرُ الْأَحْشَاءَ ، لَمَنْ تَرَقَّبَ الْعِشَاءَ :

مسلط سيرته نعمة \* وجائز قسمنه ضيرى ،

ليس بذي لب يملئ النأي \* ولا لباب يملأ الشيرى !

يَعْقُدُ عَلَى الْإِخْوَانِ ، عِنْدَ ظَهْوَرِ الْخَوَانِ ؛ فَتَرَاهُ يُحَدِّقُ ، إِلَى مَنْ يُسَدِّقُ ، وَيَنْتَقِمُ ،  
مَنْ يَلْتَقِمُ ، وَيُدُلُّ الْأَكْبَلَ ، وَيُجِلُّ بِهِ التَّنْجِيلَ ، وَيُبْقِضُ الشَّرِيْبَ ، وَإِنْ كَانَ الْخِلْدَانَ  
الْقَرِيْبَ ، فَالْحَائِنِ مِنْ يَرِدُ ، فَيَرْدِدُ ، وَالْحَائِنِ مِنْ يَنْبَسِطُ ، فَيَسْتَرْطِبُ ؛ يَسْتَأْ مِنْ  
الْأَجْرَاسِ ، صَوْتِ الْأَضْرَاسِ ، وَحَشْرَجَةِ الْبَلَاعِمِ ، بِدَحْرَجَةِ الْمَطَاعِمِ ، وَهَرْمَرَةَ  
الشَّدُوْقِ ، وَبِحَرْجَةِ الْخُلُوْقِ ، وَقَدْ صَدَّتْ حَوَاجِرُ بِلَوَاهِ ، أَفْوَاهَا تَصَدَّتْ لِحَلَوَاهِ ؛  
وَحَكَمَتْ بِلِحَامِهِ ، بِحِكْمَةِ بِلِحَامِهِ ، وَعُدَّتْ بِكِيَوَانِهِ ، لَمْ تُعِدَّتْ بِالْوَانِهِ ؛ رَغِيْفُهُ أَعْرَازُ<sup>(١)</sup>  
مِنَ الْعَرِيْفِ ، وَأَعْرَبُ مِنَ الشَّيْءِ الطَّرِيْفِ ؛ صَرِيْفُ بَابِهِ ، دُونَ صَرِيْفِ نَابِهِ ؛  
وَيُحَكِّمُ صَكَّ بَابِهِ ، عَنِ كَبَابِهِ ؛ وَيُعِدُّ سَدِيْفَ جِفَانِهِ ، مِنْ سَدِيْفِ أَجْفَانِهِ ؛ يَمَانِعُ  
بِلَدِيْدِهِ ، عَنِ سَفُوْدِ قَدِيْدِهِ ؛ وَيُصَافِحُ بِصَفْحَةِ وَرِيْدِهِ ، عَنِ صَفْحَةِ تَرِيْدِهِ ؛ حَمَلُهُ مِنْ  
مُجُومِ الْحَمَلِ ، وَسَمَكُهُ فَوْقَ السَّمَكِ الْأَعْرَازِلِ ؛ وَحُوْتُهُ بَيْنَ الْحُوْتِ وَالْأَسَدِ ، وَجَدِيْهُ  
عِنْدَ جَدِيِ الْفَرَقْدِ ؛ دُونَ مُعْجَمِهِ أَرْتِفَاعِ الْعِجَابِ ، وَتَحْتِ دَجَاجَتِهِ ذَنْبُ الدَّجَاجَةِ :

يدرج في القدر دراجه \* ليلقط الحب وطيبوجه

ففي السموات سمائاته \* وعند ديك العرش فروجه

(١) من عرزة يصره لترعه انتراما عنيقا والعرىف الدلو .

يَحْرُسُ مَائِدَتَهُ الدَّلْوُ وَالْمَقْرَبُ ، وَهُمَا مَتَا أَدْنَى وَأَقْرَبُ ، يُعْجِبُهُ التَّشْمِيرُ وَالْأَحْجِيَانُ ،  
 وَيَلْدُلُهُ التَّوْفِيرُ وَالْأَخْتِرَانُ ، وَقَصْرُ مَفَاجَأَةِ أَحْوَالِ ، تُصْرِحُ عَنْ أَهْوَالِ ، وَكَأَنَّكَ  
 بِالْأَيَّامِ بَعْدَ الْإِبْتِسَامِ ، شَاهِرَةٌ لِلْحُسَامِ ، قَدْ كَثُرَتْ عَنْ أَنْبِيَائِهَا الْعُصَلُ ، فِي بُكْرَاهَا  
 وَالْأُصْلُ ، وَأَجَلَتْ عَنْ سَلِيْبِ مَسْحُوبِ ، لَتَنْتَكِرُ مَصْحُوبِ ، وَأَخْرَجَتْ دُدَّ فِي الْبُوسِ ،  
 وَيُخَلِّدُ فِي الْجُبُوسِ ، قَدْ حَصَلَ عَلَى سَلَةِ الْحَاوِي ، مِنْ سَالَةِ الْحَسْلَاوِي ، وَمِنْ طَعْمِ  
 الْعَسَلِ ، عَلَى طَعْمِ الْأَسَلِ ، وَمِنْ الْعَنْبِ الْبَارِدِ ، عَلَى حَرِّ الْمَبَارِدِ :

تقبض من خطوه الكبول • فهو على قومه يقول ،

خَلَا مِنَ الْخَيْرِ فَهُوَ طَبْلٌ • وَهَكَذَا تَضْرِبُ الطُّبُولُ ،

يَشْكُو إِلَى اللَّهِ مُسْتَفِيئًا • وَمَا لَهُ عِنْدَهُ قَبُولُ ،

ذَلِكَ بِمَا كَانَ مُسْتَطِيلًا • تُرْدِي دَوَاهِيَهُ وَالْمَبُولُ !

فهم بين حصى تعصر ، وقفا يقصر ، وركاب متقويه ، وأنواع عقوبه ، أو يقال  
 فلان أنارته شعوب ، ووارته الجبوب ، وأكتنى بسلفه المات ، من المقدمات ،  
 وما ظنك بالشلو الطريح ، في صنك الصريح ، تحته البرزخ الموصود ، وفوقه الجبل  
 المنصود ، أنظر كيف هجر به المقصود ، وجائت جنابه الوفود ، وأخلفت رباعه ،  
 وتفرقت أتباعه ، ثم تشويه الحبوب ، أشبع من تشويه الشحوب (؟) ، وويل للقوم  
 البور ، من بعثرة القبور :

وَبِأَخْسَارِ الْأَنْفُسِ الْعَاوِيَةِ • مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْحَقْرِ الْهَاوِيَةِ ،

وَكُلٌّ مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ • قَامُهُ فِي بَيْتِهِ هَاوِيَهُ ،

وَلَيْسَ يَذْرَى وَيَجْهَهُ مَاهِيَهُ • نَارٌ عَلَى سُكَّانِهَا حَامِيَهُ !

أعاذنا الله من خِلَالٍ يَقْضِي جَهْلُهَا بِالشَّنَارِ، وَأَفْعَالٍ تُقْضِي بِأَهْلِهَا إِلَى النَّارِ، بِكَرَمِهِ  
وَإِحْسَانِهِ، وَطَوْلِهِ وَأَمْتِنَانِهِ .

### الصنف الثالث

( من الرسائل المفانعات ، وهي على أنواع )

منها : المفانعة بين العلوم .

وهذه نسخة رسالة في المفانعة بين العلوم ، أنشأتها في شهر سنة ثمان وتسعين  
وسبعمائة ، لغاضي القضاة شيخ الإسلام ، علامة الزمان ، جلال الدين ، عبد الرحمن  
ابن شيخ الإسلام ، بقية المجتهدين ، أبي حفص عمر البلقيني الكلاني ، الشافعي ،  
أمتع الله تعالى المسلمين ببقائه ، ذكرت فيها نيفا وسبعين علما ، ابتدأتها بعلم اللغة ،  
وختمتها بقرن التاريخ ، ذا كرا فخر كل علم على الذي قبله ، محتجا عليه بفضائل موجودة  
فيه دون الآخر ، وجعلت مصب القول فيها إلى أشتماله على جميعها ، وإحاطته بكلها ،  
مع الإشارة إلى فضل والده ، شيخ الإسلام ، ومساهمته له في الفضل ، على ما ستقف  
عليه إن شاء الله تعالى ، وهي :

الحمد لله الذي جعل للعلم جلالا تودُّ جلائل الفضائل أن تكون له أتباعا ، وأطلق  
السنة الأعلام من حبل شأنه بما أنطق به ألسنة العالم ليكون الحكم بما أبت من  
مأثور فضله إجماعا ، وأجرى من قاموس فكره جداول أنهار العلوم الزكية فتعش  
قلوبا وتزه أبصارا وشنف أسماعا .

أحمدته على أن أفاض نتائج الأفكار على الأذهان السليمة لذي النظر الصحيح ،  
وبت جباد الألسنة وميدان الجدال غاز قصب السبق منها كل لسان ذليق فصيح .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى قهرت بنسأت دلائله المُلحدَ  
 المعانِدَ، وبهرت قواطعُ براهينه الألدَّ الخَصِمَ والجندلَ المُكابِدَ؛ وأشهد أن محمداً عبده  
 ورسوله الذى أظهر من واضح الحجج الخلية ماسقط بحججه دعوى المعارض، وأتى  
 من فصل الخطاب بما أحم به الخصوم فلم يستطع أشدهم فى البلاغة شِكِمة أن  
 يأتى له بمناقض؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من جليل المناقب بكل  
 وصِف جميل، واشتهرت فى الوجود مناقضهم فلم يُحجج فى إثباتها إنى إقامة دليل؛  
 صلاة يُمسكُ فى دعوى الشرف بيمين حَبِئها، وتنفق أدلة العقل والنقل على القطع  
 بعلوّ شأنها وتوفّر فضلها .

وبعد ، فلما كانت العلوم مشتركة فى أصل التّفصيل ، متّفقة الفَصل فى الجملة  
 وإن تفاوتت فى التفصيل؛ مسلماً أصلُ الشرف فيها من غير مُنازع ، مُجمَعاً على أنه  
 لا شىء من العلم من حيث هو علمٌ بضارٌّ ولا نىء من الجهل من حيث هو جهولٌ  
 بنافع ؛ مع اختلافها فى التفاضل باختلاف موضوعاتها ، وتفاوتها فى الشرف بحسب  
 الحاجة إليها أو وثاقه مُحججها أو تقاسم غاياتها ؛ عطس كلُّ منها بأنفٍ شايخ غير مُستلِم  
 للآخر ولا مُسالمٍ ، ومدّ إلى العلياء يد المطاولة فتناول الثريا قاعداً غير قائم ؛ وآدعى  
 كلُّ منها أن بحرهُ الطامى ، وفضله النامى ؛ وجواده الطامح ، وسماكته الرَّامح ؛ زاعماً  
 أن حُسامه القاطع وعُضبه الناضب ، وقدحه المِعلى وسهمه الصائب ، وتجمه السارى  
 وشهابه الشائب ؛ وأن تُشر الثناء على مجاميره موقوف ، وخطيب المحامد بمنايره  
 معروف ؛ وفلك الفُضيل على قُطبه دائر ، وكلُّ شرفٍ عليه مُحبَسٌ وكلُّ نخرٍ عليه قاصر ؛  
 فمأس بعطفه ومآل ، وبسَط فى الكلام لسانه فقال وطال .

هذا : وإنما اجتمعت يوماً أجمع معنى لا صورده ، وقامت لها سوق بالبحث  
 معروفة وعلى الجندال مقصوره ؛ وتفاوتت بيسان الحمال وتخاصبت ، وتجاوزت

في دعوى الشرف وتجاوبت ، وألثت بالمنافرة فتناقرت ، وتسابقت في ميدان  
الانتصار فتناحرت ، وأخذ كل منها في نضرة مذهبه ، وتحقيق مطلقه ، بأنواع الحجج  
والاستدلالات ، وإقامة البراهين والأمارات ، وما يتوجه على ذلك من الأسئلة  
والاعتراضات . فكان أول بادي بدأ منها بالكلام ، وفتح باب الجدال والخصام : -

علم اللغاة فقال :

قد علمت معشر العلوم أني أعلمكم نفعاً ، وأوسعكم مجالاً وأكثركم جمعاً ، على قطب  
لكي تدور الدوائر ، وبواسطي تدرك المقاصد ويستعلم ما في الضائير ، وبدلاتي تعلم  
المعاني المفردات ، ويميز ما يدل على الذوات مما يدل على الأدوات ، وتبين دلالات  
العالم والخاص ، ويتعرف ما يرشد إلى الأنواع والأجناس وما يخص بالاشخاص ،  
على أن كلكم كل على ، ومحتاج في ترجمة مقصوده إلى ، فلفظي "المحكم" وأقوال  
"الصحيح" ، وكلامي "الجامع" وسيف لساني "المجرد" ناهيك من سلاح ، وفضل  
"المجمل" لا يحتاج إلى بيان . استأثر الله تعالى بتعليمي لأدم عليه السلام ، وآثره في  
معرفة على الملائكة فكان خصيصة له على الملائكة الكرام .

فلما أنقضى قبله ، وبانت للستير سبيله ، تاب إليه علم التصريف مبتدرا ،  
ولفسيه ولسان العلوم متصرا ، فقال : رويدك أيها المساجل ، وعلى رسلك إذا  
الناضل ، فقد ذل من ليس له ناصر ، وحط قدر من ترفع على أبناء جنسه ولو عقدت  
عليه انخناصر ، وما يجدي البازي بغير جناح ، أو ينني الساعي إلى الحرب بغير  
سلاح ، وأنى يطعن ربح بغير سنان ، أو يقطع سيف لم يؤيد بقاتم ولم تقبض عليه  
بسان ، إنك وإن حويت فصلا ، وأغرقت أصلا ، وكنت للكلام نظاما ، وإلى

(١) الذي في كتب اللغة «خصيصة» ويحد .

بيان المقاصد إماماً ؛ فانت غير مُستقل بنفسك ، ولا قائم برأسك ؛ بل أنا المتكفل بتأسيس مبانيك ، والمترجم بتحرير ألفاظك وتقرير معانيك ؛ بي تُعرف أصول أبنية الكلمة في جميع أحوالها ، وكيفية التصرف في اسمائها وأفعالها ؛ وما يتصل بذلك من أحوال الحروف البسيطة وترتيبها ، واختلاف مخرجها وبيان تركيبها ؛ والأصلي منها والمزيد ، والمهموس والرخو والشديد ؛ و <sup>(١)</sup> تقديره ، والصحيح والمعتل وتحريره ؛ وكيفية التثنية والجمع ، والفصل والوصل والأبتداء والقطع ؛ وأنواع الأبنية وتغيرها عند اللواحق ، وكيفية تصريف الفعل عند تجرده عن العوائق ؛ وأمثلة الألفاظ المفردة في الزنة والهيئة وما يختص من ذلك بالأسماء والأفعال ، وتمييز الجامد منها والمُشتق وأصناف الاشتقاق ؛ وكيف هو على التفصيل والإجمال .

على أنك لو خُليت ومجرد التعريف ، وبيان المقاصد بالأصطلاح أو التوقيف ؛ لكان علم الخلط يقوم مقامك في الدلالة الحالية لدى المتلقي ، ويرتجح عليك ببعد المسافة مع طول البقاء ؛ مع ما فيه من زيادة ترتيب الأحوال ، وضبط الأموال ؛ وحفظ العلوم في الأدوار ، واستمرازاها على الأكوار ؛ وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان ، وتحملها سرا من مكان إلى مكان ؛ بل ربما آكتنفي عنك بالإشارة والتلويح ، وقامت الكفاية منها مقام التصريح .

فعندها غضب علم النحو وأكفَهَزَ ، وزَجَرَ وأشَمَحَرَ ، وقال : يا لله ! ”أَسْتَنْتِ  
الفِصَالُ حَتَّى الْقَرَأَ“ ، و”أَسْتَسَمَرَتِ الْبُعَاثُ“ ، فكان أَسَدٌ ثَمَمَةٌ وَأَعْظَمُ صَدْعًا ؛ لقد  
أَدْعَيْتَ مَا لَيْسَ لَكَ فِقَاةُكَ الْحُبُورُ ، و”مَنْ تَسْبَعُ بِمَا لَمْ يَنْلِ فَهُوَ كَلَّائِسٌ تَوْبَى زُورُ“ ؛  
وهل أنت الا بَضْعَةٌ مِثِّي ، سُنْدٌ إِلَى وَتَقُلُّ عَنِّي ؛ لم يزل علمك باباً من أبوابي ،

(١) ياضر بالأصول ؛

وَجُمَلُكَ دَاخِلَةٌ فِي حِسَابِي ، حَتَّى مِيرَكَ " الْمَازِنِي " ، فَأَفْرَدَكَ بِالتَّصْنِيفِ ، وَتَلَاهُ  
 "أَبْنُ جَنِّي" قَبِيحَةً فِي التَّالِيفِ ، وَأَقْتَصَرَ "ابْنُ مَالِكٍ" مِنْكَ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَى الضَّرُورِي-  
 الْوَاجِبِ ، وَأَحْسَنَ بِكَ "أَبْنُ الْحَاجِبِ" فِي شَافِيَتِهِ فَرَقَعَ عَنكَ الْحَاجِبِ ، وَأَنْتَ  
 مَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ مَطْوِيُّ ضَمْنِ كُنْيَتِي ، نَسَبُكَ مُتَّصِلَةٌ بِنَسَبَتِي وَحَسَبُكَ لِاحِقٌ بِحَسَبِي ؛  
 أَنَا مِلْحُ الْكَلَامِ ، وَمِسْكُ الْخِتَامِ ، لَا يَسْتَعْنِي عَنِّي مِتْكَمٌ ، وَلَا يَلْبِقُ جَوَاهِلُ بَعَالِمٍ  
 وَلَا مُتَعَلِّمٌ ، بِي مَتَيْنِ أَحْوَالُ الْأَلْفَاظِ الْمُرَكَّبَةِ فِي دِلَالَتِهَا عَلَى الْمَقَاصِدِ ، وَيَرْتَفِعُ الْأَبْسُ  
 عَنِ سَامِعِهَا فَيَرْجِعُ مِنْ قَهْمِهَا بِالصَّلَاةِ وَالْمَعَانِدِ ، فَلَوْ أَنَّي الْمِتْكَمُ فِي لَفْظِهِ بِأَجَلٍ مَعْنَى  
 وَكُنْ لَذَهَبَتْ حَلَاوَتُهُ ، وَزَالَتْ طَلَاوَتُهُ ، وَعَيْبٌ عَلَى قَائِلِهِ وَتَغْيِيرٌ دِلَالَتُهُ . وَقَدْ كَانَتْ  
 الْخُلَفَاءُ تَحُثُّ عَلَى النَّحْوِ وَتُرْشِدُ إِلَيْهِ ، وَتَحْذَرُ الْفَحْنَ وَتُعَاقِبُ عَلَيْهِ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا « فَأَجَلُهَا عِنْدِي مُقِيمُ الْأَلْسِنِ !

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَرَزَتْ عُلُومُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ وَالْبَدِيعِ جُمْلَةً ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِ  
 بِصَدْقِ الْعَزْمِ فِي اللَّفَاءِ حَمَلَهُ ، وَقَالَتْ : جَعَجَعَةٌ رَحًا مِنْ غَيْرِ طَحْنٍ ، وَتَصْوِيبُ  
 رَعْدٍ مِنْ غَيْرِ مَرْزَنِ ، لَقَدْ أَتَيْتَ بِغَيْرِ مُعْرَبٍ ، وَأَعْرَبْتَ عَنِ لَيْتٍ لَيْسَ بِمَطْرِبٍ ؛  
 الْحَقُّ أَبْلَجُ ، وَالْبَاطِلُ بَلْخَجُ ؛ إِنْ الْقَوَزَ لَقَدْ حَنَّا ، وَالْوَرَى لَقَدْ حَنَّا ؛ نَحْنُ نُبُّ  
 الْعَرَبِيَّةَ وَخُلَاصَتَهَا ، وَالْمُعْتَرِفُ لَنَا بِالْفَضْلِ تَامَتِهَا وَحَاصَتُهَا ، وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا شَيْءٌ  
 جَرَى عَلَيْكَ الْأَصْطِلَاحُ ، وَسَاعَدَكَ الْأَسْتِمَالُ فَأَمِنْتَ الْأَطْرَاحَ ؛ فَلَوْ أَصْطَلِحَ عَلَى  
 نَقَبِ الْفَاعِلِ وَرَفَعَ الْمَفْعُولِ لَمْ يَخْلُ بِالتَّفَاهِمِ فِي الْمَقَاصِدِ ، وَهَذَا كَلَامُ الْعَامَّةِ لِذَلِكَ أَقْوَمُ  
 دَلِيلٌ وَأَعْظَمُ شَاهِدٌ .

فَقَالَ عِلْمُ الشُّعْرِ : أَرَأَيْتُمْ قَدْ نَسِيتُمْ قَضِي الَّذِي بِهِ فَضَلْتُمْ ، وَصَرَّمْتُمْ حَبْلِي الَّذِي  
 مِنْ أَجَلِهِ وَصَلْتُمْ ؛ أَنَا حُجَّةُ الْأَدَبِ ، وَدِيْوَانُ الْعَرَبِ ؛ عَلَى تَرِيدُونَ ، وَعَنِّي تَصْدُرُونَ ؛



وإلى تَنَسِيْبُون، وبى تَشْتَهِيْرُون، مع ما أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ من المَدْحِ الذى كَم رَفَع وَضَعَا، وَجَلَبَ نَفَعَا، وَوَصَلَ قَطَعَا، وَجَبَرَ صَدَعَا، وَاهْتَجَوُ الَّذِي كَم حَطَّ قَدْرَا، وَأَتَمَدَ ذِكْرَا، وَجَعَلَ بَيْنَ الرَّفِيعِ وَالْوَضِيعِ فِي حَبِيطَةِ الْقَدْرِ نَسْبًا وَصِهْرًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ من أَنْوَاعِ الشُّعْرِيَّةِ الَّتِي شَاعَ ذِكْرُهَا، وَأَصْنَوَاعِ الْعِطْرِيَّةِ الَّتِي فَاحَ نَشْرُهَا، بَلْ لَا يَكَادُ عِلْمٌ من الْعُلُومِ الْأَدَبِيَّةِ يَسْتَفْنِي عَنْ شَوَاهِدِي : وَلَا يَخْرُجُ فِي أَصُولِهِ عَنْ قَوَائِنِي وَقَوَاعِيدِي ؛ حَتَّى عِلْمَ النَّثْرِ الَّذِي هُوَ شَقِيقِي فِي النَّسَبِ، وَعَدِيلِي فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ؛ لَمْ يَزَلْ أَهْلُهُ يَنْطَهَلُونَ عَلَيَّ فِي بَيْتٍ يَجْلُونَهُ، وَيَقْنُونُ من بَدِيحِ مَحَاسِنِي عِنْدَ حَدِّ لَا يَتَعَدُّونَهُ .

فَقَالَ عِلْمُ الْقَافِيَةِ : إِنَّكَ وَإِنْ تَأَلَّقَى بَرَقَ مَبَاسِمِكَ، وَطَابَتْ أَيَّامَ مَوَاسِمِكَ ؛ فَانْتَ مَوْقُوفٌ عَلَيَّ مَقَاصِدِي، وَمُعْتَرِفٌ من رَوَى مَوَازِدِي ؛ أَنَا عُدَّةُ الشَّاعِرِ . وَعُمْدَةُ النَّاثِرِ ؛ لَا يَسْتَفْنِي عَنِّي شِعْرٌ وَلَا خَطَابَةٌ، وَلَا يَسْتَنْكِفُ عَنِ الْوُقُوفِ عَلَيَّ أَبُوَابِي دُوْرَتْسِلِ وَلَا كِتَابَةٌ ؛ طَالَمَا عَمَّرَ الْفُحُولُ فِي مَيْدَانِي، وَتَشَعَّبَتْ عَلَيْهِمْ طُرُقُ فَضْلُوا السَّبِيلِ وَآخْتَلَفَتْ عَلَيْهِمِ الْمَبَازِي ؛ فَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ التَّكَوُّسِ وَالتَّرَاكِبِ فِي التَّعَارُفِ، وَلَمْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ التَّدَارُكِ وَالتَّوَاتُرِ وَالتَّرَادُفِ .

فَقَالَ عِلْمُ الْعُرُوضِ : لَقَدْ أَشْمَعْتَ الْقَوْلَ فِي الدُّعْوَى من غَيْرِ تَوْجِيهِ فَدَخَلَ عَلَيْكَ الدُّخِيلُ، وَأَوْقَعَكَ الْوَصْلُ دُونَ تَأْسِيسِ فِي هُوَّةِ النَّقِصِ : فَهَلْ إِلَى خُرُوجِ من سَبِيلِ؟ ؛ أَنَا مَعْيَارُ الْقَرِيضِ وَمِيزَانُهُ، وَعَلَى تَبْنِي قَوَاعِيدُهُ وَأَرْكَانُهُ ؛ لَمْ يَزَلِ الشُّعْرُ فِي عُلُورُوتِهِ بِفَضْلِي مَعْتَرِفًا وَخَلَقِي مَتَحَقِّقًا، وَمِنَ بُحُورِي مُعْتَرِفًا ؛ وَبِأَسْبَابِي مَتَعَلِّقًا ؛ فَأَيَّانُهُ بِمِزَانِي مَحْرَرَهُ . وَأَجْرَائُهُ بِقِسْطَائِي تَفَاعِيلِي مُقَدَّرَهُ ؛ وَبِقَوَاصِلِي مُتَّصِلَهُ ، وَبِأَوْنَادِي مُرْتَبِطَهُ غَيْرَ مُتَنَصِّلَهُ .

فَقَالَ عِلْمُ الْمَوْسِيقِيِّ : لَقَدْ أَشْرَفْتَ فِي الْأَقْتِنَارِ فَضَلَّمَاتِ الطَّرِيقِ وَبَدَتْ عَنْهَا، وَوَرَّطْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ فَلَزِمْتَ دَائِرَةَ لَا تَنْفَكُ عَنْهَا ؛ وَأَتَيْتَ من طَوِيلِ

الكلام بما لا طائل تحته فتقل قولاً، وجئت من بساط القول بما لو اقتصرته منه على المتقارب لكان بك أولى؛ فانت بين ذى طبع وزان لا يحتاج الى معيارك في نظم قريضه، وآنررت طباعه عن الوزن فلم ينتفع من علمك بظريه ولا عروضة؛ فإذا لا فائدة فيك ولا حاجة إليك، ولا عبرة بك ولا معمول عليك؛ وكفى بك هضماً، ونقيصةً وذمماً؛ واستدلالاً على دحس محنتك، وضعف أدلتك؛ قول ابن حجاج:

مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ فَعُولٌ \* مَسَائِلُ كُلِّهَا فُضُولُ،

قد كان شعراً الورى صحيحاً \* من قبل أن يخلق الخليل!

على أنه إن ثبتت لك فائده، وعاد منك على الشعر أو الشعراء فائده؛ فأنما تفاعيلك مقدمة للألحاني، وأوزانك وسيلة إلى أوزاني؛ نعم أنا غذاء الأرواح، وقاعدة عمود الأفرح؛ والمتكفل بساط النفوس وقبضها، والقائم من تعديلها وتقويتها بنقلها وقرضها؛ أحرك النفس عن مبدئها فيحدث لها السرور وتظهر عنها الشجاعة والكرم، وأبعثها إلى مبدئها فيحدث لها الفكر في المواقب وتزايد الهموم والندم؛ فارة أستمحل في الأفرح وزوال الكرب، ونارة في علاج المرضى وأخرى في ميادين الحروب؛ وأونة في محمل الأخران واجتماع المآثم، ومررة يستعماني قوم في بيوت العبادات فأبعثهم على طلب الطاعات واجتباب المحارم؛ وآتى من غريب الألحان، بما يسبح به الجائع ويروى به الظمان، ويأنس به المستوحش وينشط به الكسلان؛ وتدنو لسماعه السباع، ويعنوه بعد الشدة الشجاع.

مع ما يتفرغ عنى من علم الآلات الروحانية التي تُنمِش الأرواح، وتجلب الأفرح؛ وتنفى الأتراح، وتؤثر في البهيم السباح، وتفتل في الأثباب ما لا تفعل في اللبائ يرض الصفاح.

فقال علم الطب : لقد أضعت الزمان في اللهو ، وملت مع الأريحية فانس بك العجب وزاد بك الزهو ، وداحلك الطيش ففتمت بالإطراب ، وعينت بمعرفة الفن ففانك الإعراب ، تذكر العشايق أحوال النوى فسلها الهوى إلى الهوان ، وانتقل في نواحي الإيقاع تنقل الهائم فتمسى في حجاز وتصبح في أصبهان ، وانت وإن ادعيت أنك العلم الروحاني ، والمستوى بتحرك الطبائع الأربع على النوع الإنساني وغير الإنساني ، فانت غير مستعني عني ، ولا فك في الحقيقة منك عن قبي ، بل قواعذك مرتبة على قواعدي ، وفوائدك مستفادة من قوائدي ، وأهل صناعتك يتطفلون في معرفة الملائم والمثاني على ساقط ثياب موائدي ، وأنى تنسبط بك الروح مع وجود السقم ، أو تستريح إليك القلب مع شدة مناساة الأم ؟ ، بل أنا قوام الأبدان ، وغاية ملاك الإنسان ، في تحفظ صحة الأجسام ، وتمكن النفس من استكمال قوتها النظرية والعملية بواسطة زوال الأسقام وانتفاء الآلام ، مع ما يتضح بالنظر في التشریح الذي هو أحد أنواع من سر قوله تعالى : ( زَوْفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) . وما يظهر من حال الصحة والمرض وسر الموت من أنه تعالى بدأ الخلق أول مرة وإليه يحشرون .

مع ما يلتحق بي من علم خواص العقاقير الغريبة ، والأشجار التي تؤثر بتمزيجها الصناعاتي التأثير العجيب ، وتأني من نوادر الأفعال بالأعمال الغريبة ، على أني لست بمتخص في الحقيقة بيد الإنسان ، ولا قاصير على نوع من أنواع الحيوان ، وإنما أفردت بنوع البشر اهتماماً بشأنه ، وتنبهت على جلالة قدره وعلو مكانه .

ثم ألتقى بالإنسان في الاعتناء به الحيول فاشتق لها مني علم البيطرة ، وتلاها في الاعتناء بجوارح الطيور لاهتمام الملوك بشأنها فاستنبط لها من أجزائي علم البيطرة ، وأهمل ما سوى ذلك من جنس الحيوان ، فلم يعن بأمره ولم يهتم له بشأن .

فقال علم القافة : لقد ارتقيت مرتقى صعبا ، ووصلت مَوْجِيا صلبا ، وأثبتت من مشكلات الفضاء بما ضاقت مطالبه ، وعرضت نفسك لمغالبة الموت والموت لا شيء يُغالبه ، واقتصررت في تثيريكم الأعضاء على ذكر منافعها وصفاتها ، وأضربت عما تدل عليه بصورها وكيفياتها ؛ أين أنت من إلحاق الابن بالأب بالصفات المتماثلة ، والحكم بثبوت النسب بدلائل الأعضاء كما يُحكم بالبيدة العادله ؟ ؛ فهذه هي الفضيلة التي لا تُساوى ، والمثبته التي لا تُعادل ولا تُساوى ؛ وكفالك لذلك شاهدا ، وعلى ثبوته في الشريعة المُطهرة مُساعدا ؛ وأنه لا يتصور ذلك مُعارضه ولا نقض ، استبشار النبي صلى الله عليه وسلم بقول مدح المدلي : « إن هذه الأقدام بعضها من بعض » .

فقال علم قص الأثر : نعم إن شأنك لغريب ، وإن أجتهدك لمُصيب ؛ غير أنني أنا أغرب منك شأنا ، وأدق في الإدراك معنى ؛ إذ أنت إنما تُلحقُ المحقق بالمشاهدة بمثله ، وتقيسُ فرقا على أصلٍ ثم تُلحقُ الفرع بأصله ؛ وأنا فأدرك المؤثر من الأثر ، وأستدل على الغائب بما يظهر من اللوائح في الرمل والمدبر ؛ وربما ميزت أثر البعير الشارد من المرابع ، وفرقت بالنظر فيه بين الصحيح والظالم ؛ فأدركت من الأمر الخفي ما تُدركه أنت من الظاهر ، وقضيت على الغائب بما تقضى به على الحاضر .

فقال علم غصون الكف والجبهة : ما الذي أثبت به من الغريب ، أو أظهرته بعينك من العجيب ؟ ؛ فلو أثبتت بأرض صلبة لوقفت آمالك ، أو تحت الريح معالم الأثر بطلت أعمالك ؛ أو وُلح من تُفنى أثره المساء لقات حدسك الصائب ، أو جعل الماشي مُقدم تله مؤخره لقلت : إن الذهب قديم والقادم ذاهب ؛ لكن أنا كاشف الأسرار الخفية ، والمستدل على لوازم الإنسان بما رُكّب فيه من الدلائل الخفية ؛

أَسْتَخْرِجُ مِنْ أَسْرَارِ الْجَهَنَّمِ وَعُضُوقِ الْكَفِّ أُمُورًا قَدْ أُرْشِدَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ  
إِلَيْهَا ، وَجُعِلَتْ تِلْكَ الْعَلَامَةُ فِي الْإِنْسَانِ دَلَالَةً عَلَيْهَا .

فَقَالَ عِلْمُ الْكَيْفِ : إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَسْتِدْلَالِ عَلَى الشَّيْءِ بِإِلْزِمِهِ أَمْرٌ مُسْتَقَرَّبٌ ،  
وَلَا مَا يُقَالُ فِيهِ : هَذَا مِنْ ذَلِكَ أَنْعَجِبُ ، وَإِنَّمَا الشَّانُ أَنْ يَقَعَ الْأَسْتِدْلَالُ عَلَى الشَّيْءِ  
بِمَا هُوَ أَجْنَبِيٌّ مِنْهُ ، وَخَارِجٌ عَنْهُ ، كَمَا أَسْتَدِلُّ أَنَا بِالْخَطُوطِ الْمَوْجُودَةِ فِي كَيْفِ  
الَّذِي يَجِيءُ عَلَى الْحَوَادِثِ الْغَرِيبَةِ ، وَالْأَسْرَارِ الْعَجِيبَةِ ، مِمَّا أَجْرَى اللهُ بِهِ الْعَادَةَ فِي ذَلِكَ ،  
وَجَعَلَهُ عِلَامَةً دَالَّةً عَلَى مَا هُنَاكَ .

فَقَالَ عِلْمُ خَطِّ الرَّمْلِ : لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَسْتَ بِمُحَقِّقٍ لِمَا أَنْتَ لَهُ مُتَوَسِّمٌ ،  
وَلَا وَائِقٍ بِالْإِصَابَةِ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ تُتَّجِمُ ، وَغَايَتُكَ الْوَقُوفُ مَعَ التَّجَارِبِ ، وَالرُّجُوعُ فِيمَا  
تُحَاوِلُهُ إِلَى التَّقَارُبِ ، مَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّفْضِ وَالْإِهْمَالِ . وَمَا رُبِمَتْ بِهِ مِنَ الْقَطِيعَةِ  
وَقِلَّةِ الْأَسْتِمَالِ ، أَمَا أَنَا فَقَارِسُ هَذَا الْمَيْدَانِ ، وَمَالِكُ زِمَامِ هَذَا الشَّانِ ، فَكَمْ مِنْ صَمِيرٍ  
أَبْرَزْتُهُ ، وَأَمِيرٍ خَفِيَ - أَظْهَرْتُهُ ، وَمَكَانٍ عَيَّنْتُهُ فَوَافِقٌ ، وَأَمِدٍ قَدَّرْتُهُ فَطَائِقٌ ، عَلَى أَنَّهُ  
لَيْسَ لَكَ أَصْلٌ تَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَلَا دَلِيلٌ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّا أَثَبَتْنَا مِنْكَ قَوَاعِدَ ، وَأَوْضَحْنَا  
عِنْدَ الْإِعْتِبَارِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ ، فَإِنِ عَدَوْتَ طَوْرَكَ ، أَوْ حَزَنْتَ فِي الْإِحْتِجَاجِ  
خِصْمَكَ ، فَمَدَاكَ ، أَنَّهُ كَانَ نَبِيٌّ يَخْطُ فَمِنْ وَافِقٍ خَطَّهُ فَذَلِكَ .

فَقَالَ عِلْمُ تَعْيِيرِ الرُّؤْيَا : إِنَّكَ وَإِنِ أَظْهَرْتَ السَّرَائِرَ ، وَأَبْرَزْتَ الضَّمَائِرَ ،  
فَإِنَّ أَمْرَكَ مَوْقُوفٌ فِي حَدْسِكَ عَلَى الدَّلَالَةِ الْحَالِيَةِ ، وَمَقْصُورٌ فِي تَحْمِينِكَ عَلَى الْأُمُورِ  
الْإِحْتِمَالِيَةِ ، أَيْنَ أَنْتَ مِنِّي حِينَ أُعَبَّرُ عَنْمَا شَاهَدْتُهُ النَّفْسُ فِي النَّوْمِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ ؟  
وَكَيْفَ أَكْشِفُ عَنْهُ الْجُحُبَ بِالنَّوْبِ لِيَقَعَ كَقَلْبِ الشُّبْحِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ ،  
فَأَخْبِرَ بِحَوَادِثِ تَفَعُّعِ الْعَالَمِ قَبْلَ وُجُودِهَا ، وَآتِي مِنَ حَقَائِقِ النَّدَارَةِ وَالْبَشَارَةِ بِمَا يُلَبِّئُهُ  
عَلَى التَّحْذِيرِ مِنْ مُخُوسِهَا وَالتَّقَرُّبِ لِمُؤَاظَةِ سَعُودِهَا .

فقال علم أحكام النجوم : حقيق ما أولت ، وصحيح ما عنه عبرت وعليه  
 عولت ؛ إلا أنك قاصر على وقائع مخصوصة تُرشد إليها ، وأمور محدودة تُنبه عليها ؛  
 على أنه ربما نشأت الرؤيا عن فكرة وقعت في اليقظة فأصلت بالنام ، أو حدثت  
 عن سوء مزاج أو رذالة مطعم ونحو ذلك فكانت أضغاث أحلام ؛ أما أنا فإني أدل  
 بما أجه الله تعالى من العادة ، على الحوادث العامة مصاحبا لمقتضيات الإرادة ؛  
 ليظهر ما في الحكمة الإلهية من قضايا التذبير ، ويتبين ما أشتملت عليه الأفلاك  
 العلوية من تفسير الترتيب وترتيب التقدير ؛ مع ما يقرب على ذلك من الأعمال  
 العجيبة ، والأحوال الغريبة ؛ التي تبهر العقول ، ويمتنع إليها من غير طريق  
 الوصول :

من علم السحر على الإطلاق ، وعلم الطلسمات الغريبة وعلم الأوقاف ،  
 وكذلك علم النيرنجيات وعلم السيميا الآخذ بالأحداق .

فقال علم الهيئة : مالك ولأباطيل شمعها ، وأكاذيب تزهر فيها وتزهر فيها ؛  
 وأمائل يمتددا المعتمد فتخيب ، وأقاويل تارة تُحطى وتارة تصيب ؛ ولقد وردت  
 الشريعة المطهرة بالنهي عن اعتبارك ، وجاءت السنة الفراء بنحو أخبارك وإعفاء  
 آثارك ؛ ونأهيك بفساد هذا الاعتقاد ورد هذا المذهب ، ما ثبت في الصحيح من  
 أنه من قال : مطرنا بنوء كذا فهو كافر بالله مؤمن بالكوكب ؛ على أنك في الحقيقة  
 نوع من أنواع ، معدود من جندي ومحسوب من أتباعي ؛ نعم أنا القائم من دليل  
 الاعتبار في القدرة بتمام الفرض ، والقائد بزمام العقل إلى التفكر في خلق السموات  
 والأرض ؛ عني يتفرع علم الزيجات والتقويم الذي به يُعرف موضع كل واحد  
 من الكواكب السائرة ومدة إقامتها ، وزمن تشرقها وتغربها ومقدار رجوعها

وَأَسْتَفَامَتَهَا ؛ وَحَالُ ظَهْوَرِهَا وَأَخْفَائِهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْأَنْفِصَالِ  
وَالْأَنْفِصَالِ وَالْحُسُوفِ وَالْكُسُوفِ وَأَخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ .

فَقَالَ عِلْمُ كَيْفِيَّةِ الْأَرْضَادِ : مَا عِلْمُ الرِّيْحَاتِ وَالنَّقَاوِيمِ الَّذِي تُقَدِّمُهُ فِي اللَّهِ كَرَعِي ،  
وَتَوَزِيرُهُ مِنَ الْفَضْلِ بِمَا لَدَيْهِ ؛ إِذْ بِي تُعْتَرَفُ كَيْفِيَّةُ تَحْصِيلِ مَقَادِيرِ الْحَرَكَاتِ الْفَلَكِيَّةِ ،  
وَالْتَوْصُلِ إِلَيْهَا بِالآلَاتِ الرَّصَدِيَّةِ ؛ الَّتِي عَلَيْهَا يَتَرْتَبُ عِلْمُ الرِّيْحَاتِ ، وَيُعْرَفُ فِي النَّقْوِيمِ  
الْأَنْفِصَالَاتِ وَالْأَنْفِصَالَاتِ وَالْأَمْتَرَاغَاتِ .

مَعَ مَا يَلْتَحِقُ بِي مِنْ عِلْمِ الْكُرَّةِ الَّذِي مِنْهُ تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ اتِّخَاذِ الْآلَاتِ الشَّعَائِعِ ،  
وَيَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَطَالِبِ الْفَلَكِيَّةِ .

فَقَالَ عِلْمُ الْمَوَاقِيتِ : كَيْفَ وَأَنَا سَيِّدُ عُلُومِ الْهَيْئَةِ وَرَزَعِيمُهَا ، وَشَرِيفُهَا فِي الشَّرِيعَةِ  
وَكَرِيمُهَا ؛ بِي تُعْرَفُ أَوْقَاتُ الْعِبَادَاتِ ، وَتُسْتَخْرَجُ جِهَةُ الْقِبْلَةِ بِلِ سَائِرِ الْجِهَاتِ ؛  
وَتُعَلَّمُ أَحْوَالُ الْبُلْدَانِ وَمَحَلَّتُهَا مِنَ الْمَعْمُورِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، وَمَقَادِيرُ أَبْعَادِهَا  
وَأَنْحِرَافُ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ ؛ مَعَ مَا يَنْخَرِطُ فِي هَذَا السَّلْكِ مِنْ مَعْرِفَةِ السُّمُوتِ  
وَأَرْتِفَاعِ الْكَوَاكِبِ ، وَمَطَالِعِهَا مِنْ أَجْزَاءِ الْبُرُوجِ وَالطَّلَاحِ مِنْهَا وَالْعَارِبِ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ  
مِنَ الشَّعَائِعِ الْخَرُوطِ ، وَالظَّلَالِ الْقَائِمَةِ وَالْمَيْسُوطِ ؛ إِنِّي غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَلْتَحِقُ بِي ،  
وَيُنَسَّبُ إِلَيَّ وَيَتَعَلَّقُ بِسَبَبِي :

مِنْ عِلْمِ الْآلَاتِ الظِّلِّيَّةِ الَّتِي تُعْرَفُ بِهَا سَاعَاتُ النَّهَارِ ، وَيَطْهَرُ مِنْهَا الْمَاضِي  
وَالْبَاقِي بِأَقْرَبِ مُتَمَسِّسٍ وَأَنْطِفِ اعْتِبَارٍ ، مِنْ نَحْوِ الرِّخَامَاتِ الْقَائِمَاتِ ، وَالْمَيْسُوطَاتِ  
مِنْهَا وَالْمَآئِلَاتِ .

فَقَالَ عِلْمُ الْهَنْدَسَةِ : إِنْ فَضَّلْتَ لِمَشْهُورٍ ، وَمَقَامَكَ فِي الشَّرَفِ غَيْرِ مَنْكُورٍ ؛ إِلَّا أَنْ  
أَلَيْكَ بِي مُقَدَّرُهُ ، وَأَشْكَالَكَ بِأَوْضَاعِي مُحَرَّرُهُ ؛ فَأَنَا إِمَامُكَ الَّذِي بِهِ تَقْتَدِي ، وَتَجْمَلُ

الذي به تهتدي ، بل جميع علوم الهيئة في الحقيقة موقوفة على ، وراجعة في قواعدها إلى ، لولاى لم يعرف السطح والكوه ، ولم يميز بين الخطوط والقيسى والدوائر المقدره ، مع ما ينشأ عنى ، ويستعمل من صحابي ويقتبس منى ، من أحوال المقادير ولواحقها ، ومعرفة ظواهرها الواضحة ودقائقها ، وأوضاع بعضها عند بعض ونسبها ، وخواص أشكالها والطرق إلى عمل ما سيبله أن يعمل لها ، واستخراج ما يحتاج إلى استخراجه بالبراهين البيهية القاطعه ، وإظهارها إلى الحس بالأشكال البيهية والحدود الجامعة المانع .

فقال علم عقود الأبنية : نعم ، إلا أتى أنا أجل مقاصدك ، وأعذب مواردك ، ونور عيونك ، وعروس فنونك ، منى يستفاد بناء الحصون والأسوار ، ويتعرف شق الأبنية وحفر الأنهار ، وعمارة المدن وعقد القواصر ، وسد البثوق وبناء القناطر ، وتضييد المساكن ووضع المنازل ، ونصب الأشجار وترتيب الرياض ذوات الخائل .  
فقال علم بحر الأثقال : صدقت ولكنى أنا أساس مبانيك وقاعدة سنادك ، وحامل أثقالك وتمود اعتمادك ، بي تعرف كيفية نقل الثقل العظيم بالقوة اليسيره ، حتى تنقل مائة ألف رطل بقوة خمسمائة وذلك من الأسرار النفيسة والأعمال الخطيره .

فقال علم مرآة الأثقال : إلا أنك محتاج إلى فى أعمالك ، ومتوقف على فى جميع أحوالك ، من حيث استخراج مرآة الأجسام المحموله ، وبيان معادلة الجسم العظيم بما هو دونه لتوسط المسافة بالآلات المعموله .

فقال علم المساحة : أراك قد غفلت عن معرفة المقادير والمسافات التي هي مقدمة عليك فى وضع المباني ، ومفردة عنك بكثير من المعانى ، من آله الخراج والزراعات ،



وتقدير الرستيق والبياعات ، وكثيبيبة ذرع المثلثات ، والمربعات ، والمدورات ،  
والمستطيلات ، وغير ذلك من دقائق الأعمال ، وإدراك كليات المقادير على التفصيل  
والإجمال .

فقال علم الفلاحة : فإذا قد آعترمت أنك من بحلة أواحي ، مندرج في حذوق  
وداخل تحت مرافق ؛ فانا في الحقيقة المقصود منك في الوضع بالقياس ، والمضج  
بك دون غيري من غير التباس ؛ مع ما أنا عليه من معرفة كيفية تدبير النبات من بدء  
كونه إلى تمام تدبيره ، وتنمية الجيوب والثمار بإصلاح الأرض وما تحلها  
من المغفئات كالسماد وغيره وما أئديه من اللطائف في إيجاد بعض الفواكه في غير  
فصله ، وتركيب بعض الأشجار على بعض وأستخراج بعضها من غير أصله .

فقال علم إنباط المياه : إلا أني أنا بداية عملي ، وغاية منتهى أملي ؛ لا يتم لك  
أمر بدوني ، ولا تثبت لك خضرأ ما لم تُسقى من يناري وعيوني ؛ فانا الكفيل  
بأحياء الأرض الميتة وإفلاحها ، والقائم بتلطيف مزاجها وإصلاحها .

فقال علم المناظر : ما الذي مجدي أنت وطرفي عنك مرقد ، ونظري إليك غير  
ممتد ؛ وأنى تستطيع مياهك التري من الأغوار إلى النجود ، وتنقل عيونك وأنبارك  
بين الهبوط والصعود ؛ إذا لم أكن لك ملاحظا ، وعلى الاعتناء بأمرك محافظا ؛  
مع ما أشتمل عليه غير ذلك من تحقيق المبصرات في القرب والبعد على اختلاف معانيها ،  
وما يماط فيه البصر كالأشجار الثقانة على سطوط المياه حيث ترى وأساؤها أنالها .

فقال علم المرايا المحرقة<sup>(١)</sup> : إنك وإن دقت النظر ، وحققت كل ما وقع عليه  
حاسة البصر ، فانا مقصدك الأعظم ، ومهمك المقدم ؛ طالما أحرقت القلاع

(١) ذكر في لسان العرب أن المرأة جمعها مرايا كمرأع وأن المواتم يقولون في جمعها : مرايا .

بشماعى، وحصنت الجيوش بدفأعى، وقت بما لم يقم به الجيش العرمرم والعسكر  
الجزار، وأغنت مع أفرادى عن كثرة الأعوان ومماضدة الأنصار .

فقال علم الآلات الحربية : وإن حتك لكليل، وإن جدك لقليل، وإن  
المستنصر بك لدليل، وماذا عسى تصل في الإحراق إليه، أو تسلط في الحروب عليه؟  
أنا باع الحرب المديد، والمحصن من كل بأس شديد، والتالى لسان الصدق على  
الأعداء : ( قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ) . فانا نفس المقصود وعين  
المراد، وعمود الحق وقاعدة الجهاد .

فقال علم الكيمياء : ما أنت والقتال، ومواقعة الحروب وقوارع التزال، وهل  
أنت إلا آلة من الآلات، لا تستقل بنفسك في حالة من الحالات، وأنى يعنى  
السلاح عن الجبان مع خور الطباع، أو يحتاج إليه البطل الصديد والمجرب الشجاع،  
فالعبرة بالمقاتل، لا بالدوايل، والعنقدة على الرجال، لا ببوارق السيوف عند التزال،  
وبكل حال فالعنقدة في الحروب وجمع الصاكر على التقنين دون ماعداهما،  
والاستناد إلى الذهب والفضة بخلاف ماسواهما، وإلى هذا الحديث يساق وعلى  
فيه يعتمد، وعنى يؤخذ وإلى في مثله يستند، أحاول بحسن التدبير، ما طبخته  
الطبيعة على ممر الدهور، فأتى بمثله في الزمن القريب، وأجانب بين المعادين في مازجتها  
فيظهر عنها كل معنى غريب، وأبرز من خصائص الإكسير ما يقليب المريخ قرراً  
من غير نيس، ويحيل الزهرة شمسا وناهيك بإحالة الزهرة إلى الشمس، فصاحي  
أبدا عزيز المنال، شريف النفس عن الطلب عفيف اللسان عن السؤال .

فقال علم الحساب المفتوح : إنك وإن دقت عنا، وجلبت غنى، فأموالك  
الجمه، وحواصلك الضخمه، محتاجة إلى حسابى، غير غنية عن كئابى، أنا جامع

الأموال وضابط أصولها ، والمتكفل بحفظ جملتها وتفصيلها ، مع احتياج كثير من  
العلوم إلى في الضرب والقسمة والإنقاط .

قد أخذت من علم الارتطاطيقى الذى هو أصل علوم الحساب بمواعينه ،  
وتعلقت منه بأسهل طرقه وأقرب مذاهبه ، وتأهيك بشرف قدرى ، ورفعة  
ذكرى ، قول أبى محمد الحريرى فى بعض مقاماته ، منها على شرف قلبى وسنى  
حالته : « ولولا قلم الحسب لأودت ثمرة الأكتساب ، ولأنصل الثغابن إلى يوم  
الحساب » .

فقال علم حساب التخت والميل : مه ! فما أنت إلا علم العامة فى الأسواق ،  
تدور بين الكفاة على العموم وتتداول بينهم على الإطلاق ، تكاد أن تكون يديها  
حتى للأطفال ، وضروياً للنساء والعبيد فى جميع الأحوال ، يتسع عليك مجال  
الضرب فتقصر عنه همتك المقصره ، وتتسبب عليك مدارك القسمة فتأق بها على  
التقريب غير محوره ، أين أنت من سعة باعى ، وأمتداد ذراعى ، وتغوير أوضاعى ؟  
لا يعتمد أهل الهيئة فى مساحه الأفلاك والكواكب غير حقائق أمورى ، ولا يعملون  
فيها - على سعة فضائها - إلا على صحاحى وكسورى .

فقال علم حساب الخطأين : مالى ولعلم لا يوصل إلى المقصود إلا بعد عمل  
طويل ، ويحتاج صاحبه مع زيادة العناء إلى استصحاب تفت وميل ، وقد قيل :  
كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام بخداه قاصر ونفعه قليل ، على أن غيرك يساركك  
فما أنت فيه ، ويوصل إلى مقصودك بطريق لا يدخله الغلط ولا يعتره ، وإنما  
الشأن فى استكشاف غامض أو إظهار غريب ، ولا أنجب من أن تُصيب إخراج  
المجهول من الأعداد بخطأين فقال : أتى بخطأين وهو مُصيب .

فقال علم الجبر والمقابلة : حَبُّكَ فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَجْهُولَاتِ كَنَقْطَةِ  
 مِنْ قَطْرٍ ، أَوْ نُفْثَةٍ مِنْ بَحْرٍ ، تَقْتَصِرُ مِنْهَا بِطَرَفِكَ الْفَاصِرَةَ وَأَعْمَالِكَ النَّائِبَةَ ،  
 عَلَى مَا أَمْتَكَنَ صَيُورَتَهُ مِنَ الْعَدَدِ فِي أَرْبَعَةِ أَعْدَادٍ مُتَنَاسِبَةٍ ؛ نَعَمْ أَنَا أَبُو عَدْرَتِهَا ،  
 وَأَبْنُ يَجْدَتِهَا ، وَأَخُو تَجْدَتِهَا ؛ اسْتَخْرِجْ جَمِيعَ الْمَجْهُولَاتِ ، مِنْ مَسَائِلِ الْمَعَامَلَاتِ ،  
 وَالْوَصَايَا وَالتَّرِكَاتِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى ، وَيَتَّخِذُ هَذَا النَّحْوَ وَيَسْرَى  
 هَذَا الْمَسْرَى ؛ مِمَّا يَدْخُلُ تَحْتَ الْأُمُوالِ وَالْمُدُنُورِ ، وَالْأَعْدَادِ الْمُطْلَقَةِ مِنَ الصَّحَاحِ  
 وَالْكُسُورِ .

فقال علم حساب الدرهم والدينار : مَالِكٌ وَإِلِدَاعُ التَّعْمِيمِ فِي اسْتِخْرَاجِ  
 الْمَجْهُولَاتِ وَكَشْفِ الْغَوَامِضِ ؛ وَإِنَّمَا أَنْتَ قَاصِرٌ عَلَى اسْتِعْلَامِ الْمَجْهُولَاتِ الْعَدَدِيَّةِ  
 الْمَعْلُومَةِ الْغَوَامِضِ ؛ دُونَ مَا تَزِيدُ عِدَّتَهُ عَلَى الْمَعَادِلَاتِ الْجَبْرِيَّةِ ، فَقَدْ فَاتَكَ حِينِيذِ  
 الدَّعَاوَى الْحَصْرِيَّةِ ؛ لِكَيْفِي أَنَا كَاشِفٌ هَذِهِ الْحَقَائِقِ ، وَمُبَيِّنٌ سُبُلَهَا بِالطَّيْفِ الطَّرَائِقِ ؛  
 فَيُؤْتِي إِلَيْهَا يَتَوَصَّلُ ، وَعَلَى قَوَاعِدِي لِاسْتِخْرَاجِ مَقَاصِدِهَا يُجَمَّلُ وَيُقْصَلُ .

فقال علم حساب الدَّورِ وَالْوَصَايَا : إِنَّ اسْتِخْرَاجَ الْمَجْهُولَاتِ وَإِنْ عَظُمَ نَقْمًا ،  
 وَحَسُنَ وَضْعًا ؛ فَإِنَّا أَعْظَمُ مِنْهُ فَائِدُهُ ، وَأَجَلُّ مِنْهُ عَائِدُهُ ؛ أَيْنَ مِقْدَارُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدَّورِ  
 مِنَ الْوَصَايَا ، حَتَّى يَتَّضِحَ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ ، وَأَقْطَعُ الدَّورَ فَنَعُودُ الْمَسْأَلَةَ مِنْ أَظْهَرِ الْقَضَايَا ،  
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَدَارَ أَوْ تَسَلَّلَ .

فقال علم الفقه : وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا نُبْدَةٌ مِنَ الْوَصَايَا الَّتِي هِيَ بَارِقَةٌ مِنْ بَوَارِقِ ،  
 لَتَمَلُّقُ بَاطِنِي وَتَدْخُلُ تَحْتَ سُرَادِقِي ؛ فِي تَنْمِيزِ مَعَالِمِ الْأَحْكَامِ ، وَبَيِّنِ الْوَأَجِبِ  
 وَالْمَنْدُوبِ وَالْمُبَاحِ وَالْمَكْرُوهِ وَالْحَرَامِ ؛ وَيُتَعَرَّفُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ  
 الْعِبَادَاتِ ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ التَّكْلِيفِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الضَّرُورَاتِ

وتجربى به العادات ؛ فانما إمام العلوم الذى به يُقتدى ، وعميدها الذى عليه يعتمد  
وتجربها الذى به يُستدى ؛ فلولا إرشادى لَضَلَّ سَعَى الْمُكَلِّفِينَ ، ولَأَمْسُوا فِي دِيْعَاءِ  
مُدْهَمَةٍ فَأَصْبَحُوا عَنْ رِكَائِبِ الْخَيْرِ مُخْلِفِينَ .

وناهيك أن من بحلة أفرادى ، وآحاد أعداى : -

علم الفرائض الذى حصَّ الشارع على تعلّمه وتعلّمه ، وأخبر بأنه نصف العلم  
منها على تعظيم شأنه وتفخيمه ؛ وبالغ فى إثبات قواعده وإحكام أسسه ، فقال :  
« ابْنِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ قِسْمَةَ مَوَارِيثِكُمْ بِنِي مَلِكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَحْيٍ مُرْسِلٍ بَلْ تَوَلَّاهَا  
فَقَسَمَهَا بِنَفْسِهِ . »

فقال علم أصول الفقه : إن مقالك أعمال ، وإن جيدك لحال ؛ غير أنى أنا  
المتكفل بتقرير أصولك ، وتوجيه المسائل الواقعة فى خلال أبوابك وفصولك ؛  
بى تُعرف مطالب الأحكام الشرعية العمالية وطرق أسسها ، ومواد حججها  
وأسس استخراجها بدقيق النظر وتحقيق مناطها ؛ فبأصولي فروعك مقرره ، وبحاسني  
أسئدلائي محججك متفحة محرره ؛ قد مهدت طرفك حتى زال عنها الإلباس ، وبيئت  
على أعظم الأصول فروعك فأسندتها للكتاب والسنة والإجماع والقياس .

فقال علم الحدال : قد علمت أن الدليل لا يقوم برأسه ، ولا يستقل بنفسه ؛  
بل لا بُدَّ فى تقريره من النظر فى معرفة كيفية الاستدلال ، والطريق الموصل إلى  
المطلوب على التفصيل والإجمال ؛ وأنا المتكفل بذلك ، والموصل بكشف حقائق  
البحث إلى هذه المدارك ؛ بى تُعرف كيفية تقرير الحجج الشرعية ، وقواعد  
الأدلة وترتيب التكتب الحلافيه ؛ فموضوعك على محمول ، ونظرك بى نظارى بكل  
حال مؤشكول .

فقال علم المنطق : حَقُّضْ عَلَيْكَ ! فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا نَوْعٌ مِنْ قِيَاسَاتِي الْمُنْطِقِيَّةِ  
 أَفَرِدْتِ بِالتَّصْنِيفِ ، وَخُصِّصْتِ بِالْمَبَاحِثِ الدِّينِيَّةِ لِمَا ظَلَمْتَ أَصُولَ الْفِقْهِ فِي التَّالِيفِ ؟ ؛  
 فَانْتِ إِذَا قَرَدْتِ مِنْ أَفْرَادِي ، وَوَأَحَدٌ مِنْ أَعْدَادِي ؛ مَعَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ سِوَاكَ مِنْ  
 الْقِيَاسَاتِ الْبُرْهَانِيَّةِ الْقَاطِعَةِ فِي الْمُنَاطَرَاتِ ، وَالْقِيَاسَاتِ الْخَطَّائِيَّةِ وَالْبَلَاغَاتِ النَّافِعَةِ  
 فِي مَخَاطِبَاتِ الْجُمْهُورِ عَلَى سَبِيلِ الْمُخَاصِمَاتِ وَالْمَسَاوِرَاتِ ؛ وَكَذَلِكَ حَالُ الْقِيَاسَاتِ  
 الشَّعْرِيَّةِ ، وَكَيْفَ يُسْتَعْمَلُ التَّشْبِيهِ الْمُفِيدُ لِلتَّخْيِيلِ الْمَوْجِبِ لِلانْفِعَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ؛  
 كَالإِغْرَاءِ وَالتَّحْذِيرِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّخْفِيرِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ  
 الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي الْمَقْرَدَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ عَامَةٌ كُلُّهَا ، وَتَرْكِيبِ الْمَعَانِي الْمَقْرَدَةِ بِالنِّسْبَةِ  
 إِلَى الْإِيجَابِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ ؛ تَعَصُّمِ مَرَاعَاتِي الْفِكْرَ عَنِ الْخَطَا فَلَاحِظِي ، وَتَهْدِيهِ سِوَاءِ السَّبِيلِ  
 فَلَاحِظِي عَنِ الصَّرَاطِ السَّوِيِّ وَلَا يَضِلُّ ، وَأَسْرِي فِي جَمِيعِ الْمَعْقُولَاتِ فَأَنْصَرِفُ فِيمَا  
 يَنْبَغِي مِنْهَا وَيَجَلُّ .

فقال علم دَارِيَّةِ الْحَدِيثِ : قَدْ عَلِمْتَ بِمَا تَبَيَّنَتْ بِهِ الْأَدِلَّةُ بِالتَّلْوِيحِ وَالتَّصْرِيحِ ،  
 أَنَّهُ لَا تَجَالُ لِلْعَقْلِ فِي تَحْسِينِ وَلَا تَقْيِيحِ ؛ وَحِينَئِذٍ فَلَا بُدَّ مِنْ نَصِّ شَرْعِيٍّ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ،  
 وَتَسْتَنِدُ فِي مُقَدِّمَاتِكَ إِلَيْهِ ؛ وَلَا أَقْوَى مُجْهً ، وَأَوْضَحَ مَحْجَهً ؛ مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الَّذِي لَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى إِذَا تَكَلَّمَ ؛ فَإِذَا اسْتَنْدَتِ إِلَى نُصُوصِهِ ،  
 وَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ فِي عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ ؛ فَقَدْ حَسُنَ مِنْكَ الْمَقْدَمُ وَالتَّالِي ، وَكَانَتْ  
 مُقَدِّمَاتِكَ فِي الْبَحْثِ أَمْضَى مِنَ الْمُرْهَفَاتِ وَتَتَأَجَّلُكَ أَنْفَعُ مِنَ الْعَوَالِي ؛ وَقَدْ تَحَقَّقَتْ  
 أُنِّي إِمَامُ هَذَا الْمَقَامِ ، وَمَالِكُ قِيَادِ هَذَا الزَّمَانِ .

فقال علم رِوَايَةِ الْحَدِيثِ : لَقَدْ ذَكَرْتَ مِنَ الصَّحِيحِ الْمُنْفَعِيِّ عَلَيْهِ بِمَا لَا طَعْنَ  
 فِيهِ لِمُرِيبٍ ، وَتَمَلَّقْتَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ بِأَوْثَقِ سَبَبٍ فَأَتَيْتَ بِكُلِّ لَفْظٍ حَسَنٍ وَمَعْنَى

غريب؛ إلا أن الدراية، موقوفة على الرواية؛ وكيف يقع نظر الناظر في حديث قبل وصوله إليه، أو يتأني العلم بمعناه قبل الوقوف عليه؟ وهل يثبت فرع على غير أصل في مقتضى القياس، أو يرقى من غير سلم أو يبنى على غير أساس؟ فعلى المحدث تقديم العلم بالرواية بشرطها، ومعرفة أقواله صلى الله عليه وسلم بالسماع الموصول وتخريجها وضبطها.

فقال علم التفسير: قد تبين لدى العلماء بالشريعة أن حكم الكتاب والسنة واحد، وإن اختلفت في الأسماء فلم تختلف في المقاصد؛ إلا أنها وإن اختلفت في الدلالة والإرشاد، فقد اختلفت في النقل بالتواتر وجاء أكثر السنة بالأحاد.

فقال علم القراءات: إلا أنه لا ينبغي للفسر أن يقدم على التفسير ما لم يكن بقراءة السبع والشاذ عالماً، وبلغاتها عارفاً وللنظر في معانيها ملازماً؛ مع ما ينتج بذلك من علم قوانين القراءة المتعلقة من المصاحف بخطها، والأشكال والعلامات المتكفلة بتخريجها وضبطها.

فقال علم النواميس: (وهو العلم بمتعلقات النبوة): إنك فرع من فروع الكتاب المبين، وما نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين؛ وإلى النظر في أحوال النبوة وحقيقتها، ومسيس الحاجة إليها في بيان الشريعة وطريقتها؛ وانفراق بين النبوة الحقة، والدعاوى الباطلة غير المحققة؛ ومعرفة المعجزات المختصة بالأنبياء والرسل عليهم السلام، والكرامات الصادرة عن الصديقين الأبرار والأولياء الكرام؛ فإنا المقدم على سائر العلوم الشرعية، وإمام الأصلية منها وانفردية.

فقال علم الإلهي: لقد تحققت أن اللازم المحتم، والواجب تفديمه على كل مقدم؛ العلم بمعرفة الله تعالى والطريق الموصول إليها، وإثبات صفاته المقدسة

وما يجب لها ويستحيل عليها؛ وأنه الواجب الوجود لذاته، وبعث الرسل لإقامة  
الحجة على خلقه بآياته؛ وأنا الزعيم بإقامة الأدلة على ذلك من المعقول والمنقول،  
والمتكفل بتصحيح مقدماته البرهانية بتحرير المقدم والتألي والموضوع والمحمول .

فقال علم أصول الدين : فحينئذ قد فُزْتُ من جمعكما بالشرفين ، وجمع لي  
منكما الفضل بطريقه فصرتُ بكما معلم الطرفين ؛ وميزتُ بين صحيح الاعتقاد وقاسده  
فكان لي منهما أحسن الاختيارين ، وبيئتُ طريق الحق لسالكها فكنتُ سبباً  
للقوم والنجاة في الدارين ؛ فانا المقصود للإنسان بالذات في كمال ذاته ، وكل علم  
يستمد مني في مبادئه ويفتقر إلى في مقدماته .

فقال علم التصوف : لو كُشِفَ الغطاء ما أزددتُ يقيناً ، إذ كان كل أمرئ  
بما عمل مجازئ وبما كسب رهيناً ؛ إنه يجب على كل من كان بمعتقد الحق جازماً ،  
أن يكون عن دار الغرور متجافياً ولأعمال البر ملازماً ؛ فأنما الدنيا مزرعة للآخرة ،  
إن حصلت النجاة فذلك التجارة الرابحة وإن كانت الأخرى فذلك إذا كره خاسره ؛  
فمن لزم طريقتي في الإعراض عن الدنيا والزهد فيها سلم ، ومن أغتر بزخرفها القاني  
فقد خاب في القيامة وتدم .

فلمَا كَثُرَتِ الدَعَاوِي والمُعَارَضَات ، وتَابَعَتِ المُنَاجِحُ والمُنَاقَضَات ؛ نهَضَ  
عِلْمُ السِّيَاسَةِ قائماً ، وقَصَدَ حَسَمُ مَادَّةِ الحَدَالِ وطَلَمَا ؛ وقال : أَنَا جُدَيْلُهَا المُحَكِّمُ  
وعُدَيْقُهَا المُرَجَّبُ ، وسَانِسُهَا الكَافِي وَحَاكِمُهَا المُهَدَّبُ ؛ لقد ذَكَرْتُ كلَّ مَنْكَمٍ مِنْ قَضِيهِ  
مَا يُشَوِّقُ السَّامِعَ ، وأظْهَرَ مِنْ جَلِيلِ قَدْرِهِ مَا تَنْقِطِعُ دُونَهُ المَطَايِعُ ، وَأَتَى مِنْ وَاسِعِ  
كَلَامِهِ بِمَا لَا يُحْتَاجُ فِي إِثْبَاتِهِ إِلَى دَلِيلٍ ظَنِّي وَلَا بُرْهَانَ قَاطِعٍ ؛ غيرَ أَنَّهُ لَا يَلْبِقُ بِالمُنْصِفِ  
أَنْ يَحْتَقِلَ قَدْرَهُ المَحْسُودَ وَلَا يَتَعَدَّى جُزْءَهُ المَقْسُومَ ، وَلِكُلِّ أَحَدٍ حُدٌّ يَقِفُ عِنْدَهُ



وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ؛ فَلَوْ سَلَكَ كُلُّ مِنْكُمْ سَبِيلَ الْمَعْدَلَةِ ، وَأَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ فَوَقَفَ عِنْدَ مَا حُدَّ لَهُ ، لَكَانَ بِهِ الْيَقِينُ . وَلِمَقَامِ الْعِلْمِ أَرْفَقُ .

فَقَالَ عِلْمٌ تَدْبِيرَ الْمُنْتَزِلِ : لَقَدْ تَحَرَّيْتُ الصَّوَابَ ، وَنَطَقْتُ بِالْحِكْمَةِ وَفَصَّلِ الْخَطَابِ ؛ لِكِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ حَبِيرِ عَالِمٍ ، وَإِمَامٍ حَاكِمٍ ، يَكُونُ لِنَسْلِكُمْ جَامِعًا ، وَلِمَوَاقِعِ الشُّكِّ فِي مَحَلِّ التَّفَاضُلِ بَيْنَكُمْ رَافِعًا ؛ مُحِيطٌ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِمَقْصُودِهِ وَمُرَادِهِ ، عَارِفٌ بِمَا تَشْتَمَلُ عَلَيْهِ مَبَادِيهِ مِنْ حَدِّهِ وَمَوْضُوعِهِ وَفَائِدَتِهِ وَأَسْتِمْدَادِهِ ؛ لِيُبَلِّغَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ مُنْتَهَاهَا ، وَيَقِفَ بِهِ مِنَ الشَّرَفِ عِنْدَ حُدِّ لَا يَتَعَدَاهُ ؛ فَلَا يَدَّعِي مُدْجِعَ بغيرِ مُسْتَحَقٍّ ، وَلَا يَطَالِبُ طَالِبٌ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ ؛ إِلَّا أَنْ الْحَيْطُ بِكُلِّكُمْ عَالِمًا ، وَالْقَائِمُ بِجَمِيعِكُمْ فَهَمًّا ؛ أَعَزُّ مِنَ الْجَوْهَرِ الْقَرْدِ وَالْكِبْرِيَةِ الْأَحْمَرِ ، وَأَقْلُّ وَجُودًا مِنْ بَيْضِ الْأَنْوَقِ بِلِ بَيْضِ الْأَنْوَقِ فِي الْوُجُودَانِ أَكْثَرَ .

فَقَالَ عِلْمُ الْفِرَاسَةِ : عَلَى الْخَيْبِرِ سَقَطَتْ ، وَبَيَّنَّ بِجَدَّتِهَا حَطَطَتْ ؛ أَنَا بِذَلِكَ زَعِيمٌ ، وَبِمَقْظَنَتِهِ عِلِيمٌ ؛ فَلِإِلْعَامِ عَرَفَ نَيْمٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَنَلُوحٌ عَلَيْهِ بِوَارِقِهِ وَإِنْ أَكَنَّهُ بَيْنَ جَوَانِيهِ ؛ فَخَامِلُ الْمِسْكِ لَا تَحْفَى رِيحُهُ عَلَى غَيْرِ ذِي زُكَّامٍ ، وَالنَّهَارُ لَا يَحْفَى ضَوْؤُهُ عَلَى ذِي بَصِيرٍ وَإِنْ تَسْتَرَتْ شَمْسُهُ بِأَذْيَالِ الْقَامِ ؛ وَلَقَدْ تَصَفَّحْتُ وَجُوهَ الْعُلَمَاءِ الْكَلَمَةَ ، الَّذِينَ طَلَّوْا بِأَهْلِهِمْ عَلَى أَجْمَلِ الْعُلُومِ مُنْطَوِيَةً وَعَلَى تَفَاصِيلِهَا مُشْتَمَلَةً ؛ وَسَبَرْتُ وَقَسَمْتُ ، وَتَفَرَّسْتُ وَتَوَسَّمْتُ ؛ فَلَمْ أَجِدْ مِنْ يَلِيقُ لِهَذَا الْمَقَامِ ، وَيَصْلُحُ لِقَطْعِ الْإِدَالِ وَالْإِحْصَامِ ؛ وَيَعْرِفُ بِلُغَةِ كُلِّ عِلْمٍ فَجِيْبٌ بِلِسَانِهِ ، وَيَحْكُمُ فَلَا يَنْقُضُ حُكْمَهُ غَيْرُهُ لِأَخْطَاظِهِ عَنِ الْبُلُوغِ مَكَانِهِ ؛ إِلَّا الْبَحْرُ الرَّائِحُ .<sup>(١)</sup> الَّذِي لَا يُعْلَمُ لِفَضْلِهِ أَوَّلٌ وَلَا يَدْرِكُ لِمَدَاهِ آخِرٌ ؛ حَبِيرُ الْأُمَّةِ ، وَعَلَامَةُ الْأَيْمَةِ ؛ وَنَاصِرُ السُّنَّةِ وَحَامِيهَا ، وَقَامِعُ الْبِدْعَةِ وَقَامِيهَا ؛ نَجِلٌ

(١) يراى بالأصل ولغته : تفاضل أو نحوه .

(٢) أصله وقامتها بالخير فحفظه من قاه كمنه قاه .

شيخ الإسلام ، وخلاصة غرر الأيام ، جلال الدين ، بقية المجتهدين ، أبو الفضل عبد الرحمن البلقيني الشافعي ، الناظر في الحكم العزيب بالديار المصرية ، وسائر الممالك الإسلامية وما أُضيف إلى ذلك من الوظائف الدينية ، لازلت فواصل الفصائل معروفة : فهو العالم الذي إذا قال لا يعارض ، والحاكم الذي إذا حكم لا يناقض ، والإمام الذي لا يتخالف آجتهاده خلل ، والمناظر الذي ما حاول قطع خصم إلا كان لسانه أمضى من السيف إذا يقال : « سبق السيف العذل » :

إذا قال بَدَّ القائلين ولم يدع \* لمتميس في القول جِدًّا ولا هزلًا!

إن تكلم في الفقه فكأنما يلسان « الشافعي » تكلم ، و « الربيع » عنه يروي و « المزني » منه يتعلم ، أو خاص في أصول الفقه . قال « النزائي » : هذا هو الإمام بانفاق ، وقطع السيف « الأمدى » بأنه المقدم في هذا الفن على الإطلاق ، أو جرى في التفسير . قال « الواحدي » : هذا هو العالم الأوحده ، وأعطاه « ابن عطية » صفة يده بأن مثله في التفسير لا يوجد ، وأعترف له « صاحب الكشاف » بالكشف عن الغوامض ، وقال الإمام « نضر الدين » : « هذه مقاييس الغيب وأسرار التنزيل » فارتفع الخلاف وأدفع المعارض ، أو أخذ في القراءات والرسم أزدى بأبي عمرو الداني ، وعدا شأو « الشاطبي » في « الرائية » وتقدمه في « حرز الأمانى » ، أو تحدث في الحديث شهده « السفينان » بعلو الرتبة في الرواية ، وأعترف له « ابن معين » بالتبريز والتقدم في الدراية ، وهنق « الخطيب البغدادي » يذكره على المنابر ، وقال « ابن الصلاح » : لمثل هذه الفوائد تتعين الرحلة وفي تحصيلها تتعد المحارب ، أو أبدى في أصول الدين نظرًا تعلق منه « أبو الحسن الأشعري » بأوفى زمام ، وسد باب الكلام على المعتزلة حتى يقول « عمرو بن عبّيد » و « واصل بن

عطاء : لَيْتَنَا لَمْ نَفْتَحْ أَبَا فِي الْكَلَامِ ؛ أَوْ دَقَّقَ النَّظْرَ فِي الْمَنْطِقِ بِهَرِّ « الْأَبْهَرِيِّ »  
 فِي مَنَاطِرِهِ ، وَكَتَبَ « الْكَتَابِيَّ » عَلَى نَفْسِهِ وَثَبَتَهُ بِالْعَجْزِ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ ؛ أَوْ أَلَمَ بِالْجَدَلِ  
 رَمَى « الْأَرْمَوِيَّ » نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ « الْعَمِيدِيَّ » عُمْدَتَهُ فِي آدَابِ الْبَحْثِ  
 عَلَيْهِ ؛ أَوْ بَسَطَ فِي الْفَنَاءِ لِسَانَهُ اعْتَرَفَ لَهُ أَبُو « سَيْدَةَ » بِالسِّيَادَةِ ، وَأَقْرَبَ بِالْعَجْزِ لَدَيْهِ  
 « الْجَوْهَرِيُّ » وَجَلَسَ « أَبُو فَارِسٍ » بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَجْلَسِ الْأَسْتِفَادَةِ ؛ أَوْ نَحَا إِلَى النَّحْوِ  
 وَالتَّصْرِيفِ أُرْبَى فِيهِ عَلَى « سَبْيَوِيَّةٍ » ، وَصَرَفَ « الْكِسَائِيَّ » لَهُ عَزْمَهُ فَسَارَ مِنْ  
 الْبُؤْدِ إِلَيْهِ ؛ أَوْ وَضَعَ أَمْثُودَجًا فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَقَفَّ عِنْدَهُ « الْجُرْجَانِيُّ » ، وَلَمْ يَتَعَدَّ  
 حَدَّهُ « أَبُو أَبِي الْإِصْبَحِ » ، وَلَمْ يُجَاوِزْ وَضْعَهُ « الزُّرْمَانِيُّ » ؛ أَوْ رَوَى أَشْعَارَ الْعَرَبِ أُرْزَى  
 بِ« الْأَصْمَعِيِّ » فِي حِفْظِهِ ، وَفَاقَ « أَبَا عَيْدَةَ » فِي كَثْرَةِ رِوَايَتِهِ وَعِزِّ رِيقِهِ ؛ أَوْ تَمَرَّضَ  
 لِلْعَرُوضِ وَالْقَوَائِي اسْتَحْتَمَهُمَا عَلَى « الْخَلِيلِ » ، وَقَالَ « الْأَخْفَشُ » عَنْهُ : أَخَذْتُ  
 الْمُتَدَارِكَ وَأَعْتَرَفَ « الْجَوْهَرِيُّ » بَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي هَذَا الْفَنِّ مِثِيلٌ ؛ أَوْ أَصَلَ  
 فِي الطَّبِّ أَصْلًا قَالَ « أَبُو سَيْنَا » : هَذَا هُوَ الْقَانُونُ الْمُعْتَبَرُ فِي الْأُصُولِ ، وَأَقْسَمَ  
 « الرَّازِي » بِجُحْيِ الْمَوْتَى بِأَنَّ « يَقْرَاطَ » لَوْ سَمِعَهُ لَمَا صَنَّفَ « الْفُصُولَ » ؛ أَوْ جَنَحَ  
 إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ فَكَأَنَّمَا طُبِعَ عَلَيْهِ ، أَوْ جَذَبَ لَهُ ذَلِكَ الْعِلْمُ بِزِمَامٍ  
 فَأَتَقَادَ إِلَيْهِ ؛ أَوْ سَلَكَ فِي عُلُومِ الْهَنْدَسَةِ طَرِيقًا لِقَالَ « أَوْقَلِيدِسَ » : هَذَا هُوَ الْخَطُّ  
 الْمُسْتَقِيمُ ، وَأَعْرَضَ « أَبُو الْهَيْثَمِ » عَنْ حَلِّ الشُّكُوكِ وَوَلَّى وَهُوَ كَظِيمٌ ، وَحَمَدَ  
 « الْمُؤْتَمِنُ بْنُ هُوْدٍ » عَدَمَ إِسْكَالِ كِتَابِهِ « الْأَسْتِكْمَالُ » وَقَالَ : عَرَفْتُ قَدْرَ نَفْسِي : وَتَوَقَّ  
 كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ ؛ أَوْ عَرَّجَ عَلَى عُلُومِ الْهَيْئَةِ لِاعْتَرَفَ « أَبُو الرِّيحَانِ الْبَيْرُونِيُّ » أَنَّهُ الْأَعْجُوبَةُ  
 النَّادِرَةُ ، وَقَالَ أَبُو الْفَلَّاحِ : هَذَا الْعَالَمُ قُطْبُ هَذِهِ الدَّائِرَةِ ؛ أَوْ صَرَفَ إِلَى عِلْمِ الْحِسَابِ نَظْرَهُ  
 لِقَالَ « السَّمْعَوِيُّ بْنُ يَحْيَى » لَقَدْ أَحْيَا هَذَا الْفَنُّ الدَّرْسَ . وَنَادَى « أَبُو جَعْفَرٍ الْمَوْصِلِيُّ »  
 قَدْ أَنْجَلْتُ عَنْ هَذَا الْعِلْمِ غَيَابَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهِ عَمَّةٌ لِعَامِيهِ وَلَا عَمَّةٌ عَلَى أُمَّارِسٍ .

وقَدْ وَجَدَتْ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ \* فَإِنَّ وَجَدْتَ لِسَانًا قَاتِلًا فَقُلْ !

وكَيْفَ لَا يُتَابَقِي إِلَيْهِ الْعُلُومُ مَقَالِيدَهَا، وَتَصِلُ بِهِ الْفَضَائِلُ أَسَانِيدَهَا، وَهُوَ أَبُو شَيْخِ  
الْإِسْلَامِ وَإِمَامِهِ، وَوَاحِدُ الدَّهْرِ وَعَلَامِهِ، وَجَمَاعِعُ الْعُلُومِ الْمُتَفَرَّدِ، وَمَنْ حَقَّقَ وَجُودَهُ  
فِي أَوَّلِ الْأَعْيَارِ أَنَّ الزَّمَانَ لَا يَخْلُو مِنْ مُجْتَمِدٍ، وَمَنْ لَمْ يَزَلْ مَوْضِعَ الْأَوْضَاعِ الْمَعْتَبَرَةِ  
عَالِيَةً تَحْمُولًا، وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ مُضَاهِيًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى رَأْسِ  
الْمِائَةِ الْأُولَى؛ فَانْتَهَى صِرُّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَوَلَدِهِ تُعْقَدُ، وَلَا غَرَوَّ إِنَّ قَامَ مُنْشِدُهُمَا فَانْتَشِدُ :

إِنَّ الْمِائَةَ الْأُولَى عَلَى رَأْسِهَا أَتَى \* لَهَا عَمْرُ النَّبِيِّ لَذَا الدِّينِ صَانِدُهُ،

وَوَالِي رِجَالٍ بَعْدَ ذَلِكَ كَمِثْلِهِ \* فَهِيَ عُمَرُ وَأَقَى عَلَى رَأْسِ تَامِنَتِهِ

يُظَاهِرُهُ تَجَلُّلٌ سَمِيدٌ غَدَّتْ بِهِ \* مَعَا قُلْ عِلْمٌ فِي ذُرَا الْحَقِّ آمِنَتِهِ .

إِذَا شَيْخُ إِسْلَامٍ أَضَاءَ سِرَّاجَهُ \* رَأَيْتَ جَلَالَ مَنْ سَنَا الْفَضْلَ قَارَنَهُ !

فَلَا يَبْدُمُ الْإِسْلَامُ جَمْعَ عَلَاهُمَا \* وَلَنْ يَبْرَحَا لِلدِّينِ دَابَا مِيَامِنَهُ !

فَقَالَ عِلْمُ الْأَخْلَاقِ : أَصَبَتْ سَوَاءَ الثُّغْرَةَ وَجِئْتَ بِالرَّأْيِ الْأَكْمَلِ، وَعَرَفْتَ مَنْ  
أَبْنُ تُوَكُّلِ الْكَيْفِ فَطَبَّقْتَ الْمِفْصَلَ بِالْمِفْصَلِ؛ إِلَّا أَنَّ مِنْ عَظَائِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَعَالِمِ  
الْإِرْفَاقِ؛ أَنْ تَعُودُوا بِفَضْلِكُمْ، وَتَرْجِعُوا بِمَعْرُوفِكُمْ وَرِثْمِكُمْ؛ إِلَى مَنْ جَرَى بِكُمْ فِي التَّفَانُرِ  
مَجْرَى الْإِنْصَافِ، وَبَسَطَ لِسَانِ كَلِمِهِ بِمَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْكُمْ مِنْ جَمِيلِ الْأَوْصَافِ؛  
ثُمَّ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ وَصَلَ بِالْإِتْقَانِ وَالْإِلْتِنَامِ حَبْلَكُمْ، وَجَمَعَ بِالْحَجَلِ الْكَرِيمِ بَعْدَ التَّبَاعُدِ  
شِبْلَكُمْ؛ وَذَكَرَكُمْ بِجُسْنِ الْمُصَافَاةِ أَصْلَ الْيُودَادِ الْقَدِيمِ، وَتَلَا بِلِسَانِ الْأَلْفَةِ فِيكُمْ :  
( فَإِذَا الَّذِي يَبْنُوكَ وَيَبْنِيهِ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ) . إِنْ يَنْصِبُ كُلُّ مَنْكُمْ لَهُ شَفِيعًا  
إِلَى هَذَا السَّيِّدِ الْجَلِيلِ، وَيَكُونُ لَهُ وَسِيلَةً إِلَى هَذَا الْإِمَامِ الْحَقِيقِ؛ أَنْ يَصْرِفَ إِلَيْهِ  
وَجْهَ الْعِنَايَةِ، وَيَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْإِقْبَالِ وَالرَّعَايَةِ؛ لِيَعْرِضَ فِي النَّاسِ جَانِبَهُ، وَيَطْلُعَ

في أفق السعد بعد الأقول غاربه ، ويبلغ من منتهى أملة ماله جهده ، ويسعد  
بالنظر السعيد جدّه فقد قيل : « من وقع عليه نظر السعيد سعد » .

على أنه - أمتع الله الإسلام ببقائه وبقاء والده ، وجمع بينهما في دار الكرامة  
كما جمع لها بين طاريف الحمد وتالده ؛ - قد فتح له من الترقى أول باب ، ولا شك  
أن نظرة منه إليه بعد ذلك ترقيه إلى السحاب .

فَأَرْزُقُ الْفَجْرِيَّ دُونَ قَبْلِ أبيضه \* وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرُهُمْ يَنْسَكِبُ !

تقال علم التاريخ : أهبطوا مضراً فإن لكم ما سألتهم ، وقرؤا عينا إلى القصد  
الجليل وصلتم ، وعلى غاية الأمل - والله الحمد - حصّلتهم ، فقد بلوت الأوائل والأواخر ،  
وخبرت حال المتقدم والمعاصر ، فلم أرفعن مضي وغبر ، وشاع ذكره وأشتهر ، من  
ذوى المراتب العلية ، والمناصب السنية ، من يساوى هذا السيد الجليل فضلا ،  
أو يدانيه في المعروف قولاً وفعلًا ؛ قد ليس شرقاً لا تطمع الأيام في خلعه ، ولا يتطمع  
الزمان إلى نزعته ، وتتهى إليه الحمد فوقه ، وعرف الكرم مكانه فأنحاز إليه وعطف ؛  
وحلت الرأسة بفنائه فاستغنت به عن السوى ، وأناحت السيادة بأفائه فألقت  
عصاها واستقر بها النوى ، فقصرت عنه خطا من يجاربه ، وضاق عنه باع من  
يتأويه ، واجتمعت الأئسن على تقريره فمدح بكل لسان ، وتوافقت القلوب على  
حبه فكان له بكل قلب مكان :

وَلَمْ يَحُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ لَفْظٌ مَحْمُرٌ ، \* وَلَمْ يَحُلْ مِنْ تَقْرِيطِهِ بَطْنٌ دَقِيرٌ !

فهو الحري بأن يكتب بأفلام الذهب جميل مناقبه ، وأن يرقم على صفحات  
الايام حيد مطايه ، فلا يذهب على ممر الزمان ذكرها ، ولا يزول على توالي  
الدهور تحرها .

ولما تم للعلوم هذا الاجتماع الذى قَارَن السُّعْدُ جَلَالَهٗ ، وَتَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الْفَضْلِ  
 خِلَالَهٗ ؛ أَقْبَلُوا بِوُجُوهِهِمْ عَلَى الشُّعْرُ مُعَاتِبِينَ ، وَمَا يَلْزِمُهُ مِنْ تَقْرِيبِ هَذَا الْحَبْرِ  
 وَمَدْحِهِ مُطَالِبِينَ ، وَقَالُوا : قَدْ آتَى النَّثْرُ مِنْ مَدْحِهِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يُوفَّ بِجَلِيلِ  
 قَدْرِهِ وَرَفِيعِ مَكَانَتِهِ ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُحْتَمِ هَذِهِ الرِّسَالَةُ بِأَيَّاتِ الْمَقَامِ لِانْقِصَانِهِ ، وَمَا نَحْنُ  
 فِيهِ مِنَ الْقَضِيَّةِ الْوَاقِعَةِ مُطَابِقَهُ ؛ فَاتَمَّ مِنْ مَدْحِهِ بِالْوَاجِبِ ، سَالِكَةً مِنْ ذَلِكَ أَحْسَنَ  
 الْمَسَالِكِ وَأَجْمَلَ الْمَذَاهِبِ ؛ لِتُكْمَلْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ نَظْمًا وَنَثْرًا ، وَتَقَنَّ فِي صِنَاعَةِ الْآدَبِ  
 حَتَابَةً وَشِعْرًا ؛ فَقَالَ : سَمِعْنَا وَطَاعَهُ ، وَأَسْتِكَانَةً وَضِرَاعَهُ ؛ ثُمَّ لَمْ يَلَيْتُ أَنْ قَامَ مَجْلِلًا ،  
 وَأَنْشَدَ مَرْجِيلاً :

بُشْرَاكُمْ مَعَاشِرَ الْعُلُومِ أَنْ \* جُمِعْتُمْ بِصَدْرِ حَبْرٍ كَامِلٍ !  
 فُنُونُهُ لَمْ تَجْتَمِعْ لِعَالِمٍ \* وَفَضْلُهُ لَمْ يَكْتَمِلْ لِفَاضِلٍ !  
 يَسْفِي الصُّدُورَ إِنْ غَدَا مُنَاطِرًا ، \* وَبَحْتُهُ فَرِيئَةُ الْحَافِلِ !  
 كَمْ عَمَّرَتْ دُرُوسُهُ مِنْ دَارِسٍ ، \* وَزَيَّنَتْ بِحَلِيهَا مِنْ عَاطِلٍ !  
 وَأَوْصَحَتْ أَقْوَالُهُ مِنْ مُشْكِلٍ \* لَمَّا آتَى بِأَوْضَحِ الدَّلَائِلِ !  
 وَكَمْ غَدَّتْ آرَآؤُهُ حَمِيدَةً ، \* وَنَهَتْ بِجِدِّهَا مِنْ خَامِلٍ ،  
 وَحُكْمُهُ فَكَمَّ أَقَالَ عَثْرَةً \* وَجُودُهُ فَفَوْقَ قَصْدِ الْإَمِيلِ !  
 هَذَا : وَقَدْ فَاقَ الْوَرَى رَأْسَهُ \* مَحْفُوقَةً بِالطَّيْفِ الشَّمَائِلِ !  
 مَنْ ذَا يُرِوْمُ أَنْ يَنَالَ شَأُوهُ ؟ \* أَيْ لِهٖ بِأَمْثَلِ الْأَمَائِلِ ؟  
 مَوْلَى عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ رُتْبَةً \* قَدْ زُيِّنَتْ بِأَفْضَلِ الْفَوَاضِلِ !  
 فَالِهٖ فِي فَضْلِهِ مِنْ مُشِيدٍ ، \* وَمَا لُبَّعِرَ جُودِهِ مِنْ سَاحِلِ !  
 حَاشَى لِرَاجٍ فَضْلَهُ أَنْ يَنْتَبِي \* صَفْرَ الْبَدِينِ أَوْ مُمْنَى الْأَجَلِ !

قلت : ولم أر من تعرض للمفاخرة بين العلوم سوى القاضي الرشيد أبي الحسين  
 ابن الزبير في مقالته المقدم ذكرها على أنها لم تكن جارية على هذا النمط ، ولا مرتبة  
 على هذا الترتيب ، مع الاقتصار فيها على علوم قليلة ، أشار إلى المفاضلة بينها على  
 ما تقدم ذكره . ولكن الله تعالى قد هدنى بفضلِهِ إلى وجوه الترجيح التي يرجح بها  
 كل علم على خصمه ، ويقلح به على غيره ، والمنصف يعرف لذلك حقه . والذي  
 أعانني على ذلك جلاله قدير من صنفت له وعلورتيه ، واتساع فضله ، وكثرة  
 علومه ، وتعداد فتونه ، إذ صفات المدوح تهدي المادح وتُرشدُه .



ومنها المفاخرة بين السيف والقلم ، وقد أكثر الناس منها : فمن عالٍ وهابط ،  
 وصاعد وساقط .

وهذه رسالة في المفاخرة بين السيف والقلم ، أنشأها لقرئ الزينى أبي يزيد الدوادار  
 الظاهري ، في شهر سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، وسميتها : «حلية الفضل وزينة  
 الكرم» في المفاخرة بين السيف والقلم» وهي :

الحمد لله الذي أعز السيف وشرف القلم ، وأقردهما برتب العلياء فقرن لها بين  
 الجهد والكرم ، وساوى بينهما في القسمة فهذا الحكم وهذا الحكم .

أحمد على أن جمع بحير أمير بعد التفريق شملهما ، ووصل بأعز مليك بعد التقاطع  
 حبيلهما ، وأرغب إليه بشكر يكائر النجوم في عديدها ، ويكون للنعمة على ممر الزمان  
 أبا يزيد لها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ياتم الإخلاص  
 بهديهما ، ولا يتجو من سيفها إلا من أجاب داعيتها وأقر بها ، وأن محمدا عبده ورسوله

(١) تذكر هذه المقامة في معنى فعلها سقطت من قبل النسخ .

الذي حُصَّ بأشرف المناقب وأفضل المآثر، وأسائر بالسُودد في الدارين فحاز أُنحَرُ المعالي ونال أعلى المقائير؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ قَامَتْ بِصُحْرَتِهِمْ دولةُ الإسلامِ فَسَمَتْ بِهِمْ عَلَى سائرِ الدُولِ، وَكَرَعَتْ فِي دِمَاءِ الكُفْرِ سِيُوفُهُمْ فَعَادَتْ بِجَلُوقِ النُّصْرِ لِأَجْمَرَةِ الخَمَلِ؛ صَلَاةٌ يَنْقُضِي دُونَ أَنْقِضَائِهَا تَعَاقِبُ الأَيَّامِ، وَتَكَلُّمُ السَّنَةِ الأَقْلَامِ عَنْ وَصْفِهَا وَلَوْ أَنَّ مَافِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ .

وبعدُ، فإنه ما تقارب آثنان في الرتبة إلا تحاسدا، ولا اجتمعما في مقام رفية إلا أزدحما على المعجِدِ وتواردَا؛ ورَامَ كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ هُوَ الفَائِزُ بِالفَيْدِجِ المُعْلَى، وَأَنْ يَكُونَ مَعْرِفُهُ هُوَ المُتَوَجِّعُ وَجِيدُهُ هُوَ المُحْتَلَى؛ وَأَدْعَى كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ جَوَادُهُ هُوَ السَّابِقُ فِي حَابَةِ السَّبَاقِ، وَالفَائِزُ يَقْصِبُ السَّبْقَ بِالأَنْفَاقِ؛ وَأَنْ تَجِبَهُ هُوَ الطَّالِعُ الَّذِي لَا يَأْفَلُ، وَسُؤْدَدُهُ هُوَ الحَاكِمُ الَّذِي لَا يُعْزَلُ؛ وَأَنْ المِسْكَ دُونَ عَيْبِهِ، وَالبَحْرُ لَا يَبْجِي نُقْطَةً فِي عَيْدِهِ؛ وَالدَّرُّ لَا يَصْلُحُ لَهُ صَدْفًا، وَنَيْسَ الجَوْهَرِ لَا يُعَادِلُهُ شَرْفًا؛ وَأَنْ مَنَابِرُ المَعَالِي مَوْقُوفَةٌ عَلَى قَدَمِهِ، وَجَاهِسَ المَقَائِرِ فَاصِحَةٌ بِنَشِيرِ كَرَمِهِ .

ولما كانت السيفُ والقلمُ قد تدانيا في المعجِدِ وتقاربا، وأخذَا بِطَرْفِي الشَّرَفِ وَتَجَادَبَا؛ إِذْ كَانَا قُطْبَيْنِ تَدَوَّرُ عَلَيْهِمَا دَوَائِرُ الكَمَالِ، وَسَعْدَيْنِ يَجْتَمَعَانِ فِي دَائِرَةِ الأَعْتِدَالِ؛ وَتَجَمَّيْنِ يَهْدِيَانِ إِلَى المَعَالِي، وَمِضْبَاحَيْنِ يُسْتَضَاءُ بِهِمَا فِي حَنَادِسِ الأَلْبَانِي؛ وَقَاعِدَتَيْنِ تُنْفِي الدُّوْلَ عَلَى أَرْكَانِهِمَا، وَشَجَرَتَيْنِ يُجْتَنَى العِزُّ مِنْ أَغْصَانِهِمَا؛ جَرَّ كُلُّ مِنْهُمَا نُوبَ انْخِلَافِهِ نَحْرًا فَشِيًّا وَتَجْتَرَّ، وَأَسْبَلَ رِداءَ العُجْبِ رِيحًا فَسَاحِبًا وَلَا تَعَثَّرَ؛ وَأَتَسَّعَ لَهُ المَجَالُ فِي الدَّعْوَى بِهَالِ، وَطَاوَعَتْهُ يَدُ المَقَالِ قِطَالَ؛ وَتَطَرَّقَتْ إِلَيْهِمَا عَقَارِبُ الشُّحْنَاءِ وَدَبَّتْ، وَتَوَقَّدَتْ بَيْنَهُمَا نَارُ المُنَافَسَةِ وَشَبَّتْ؛ وَأَظْهَرَ كُلُّ مِنْهُمَا مَا كَانَ يُخْفِيهِ فَكَتَبَ وَأَمْلَى، وَبَاحَ بِمَا يُكِنُّهُ صَدْرُهُ وَالمُؤْمِنَ لَا يَكُونُ حُلِيًّا؛ وَبَدَأَ القَلَمُ فَكَلَّمَ، وَمَضَى فِي الكَلَامِ بِصِدْقِ عَنَرِهِمْ فَسَا تَوَقَّفَ وَلَا تَلَمَّعَ؛ فَقَالَ :



باسم الله تعالى أَسْتَفْتِحُ ، وَبِحَمْدِهِ أَتَمِّمُنْ وَأَسْتَجِجُ ؛ إِذْ مِنْ شَأْنِي الْكِتَابُ ، وَمِنْ  
 قَتْنِي الْخَطَابَةُ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَجْزَمٌ ، وَكُلُّ كَلَامٍ  
 لَا يَفْتَحُ بِحَمْدِهِ فَاسْمُهُ غَيْرُ مُحْكَمٍ وَرِدَاؤُهُ غَيْرُ مُعَلَّمٍ ، وَالْعَاقِلُ مِنْ أَيْ الْأَمْرِ مَنْ فَصَّهَ ،  
 وَأَخَذَ الْحَدِيثَ بِنَصِّهِ ؛ وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، وَالْبَاطِلُ أَجْدَرُ أَنْ يَتْرَكَ فَلَا يُصْغَرُ إِلَيْهِ  
 وَلَا يَسْتَمَعُ ؛ إِنْ لَأَوَّلُ مَخْلُوقٍ بِالنَّصِّ الثَّابِتِ وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ ، وَالْمُسْتَحَقُّ لِفَضْلِ  
 السَّبْقِ مِنْ غَيْرِ مُنَازَعَةٍ ؛ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِي فِي كِتَابِهِ ، وَشَرَّفَنِي بِالذِّكْرِ فِي كَلَامِهِ لِرَسُولِهِ  
 وَخِطَابِهِ ، فَقَالَ جَلُّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ رَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِبِعِيمَةٍ رَبُّكَ  
 بِحِجَابِ الْجَبِينِ ﴾ . وَقَالَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ : ﴿ إِنْ قَرَأْتَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ  
 مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . فَكَانَ لِي مِنَ الْفَضْلِ وَأَفْرِ الْقِسْمَةِ ، وَخُصِّصْتُ بِكُلِّ الْمَعْرِفَةِ بِجَمْعَتِ  
 شَوَارِدِ الْعُلُومِ وَكُنْتُ قِيمَ الْحِكْمَةِ .

فَقَالَ السَّبْفُ : بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ : ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ . لِكُلِّ بَإِغٍ  
 مَصْرَعٍ ، وَلِلصَّائِلِ بِالْعُدْوَانِ مَهْلِكٌ لَا يَنْجُو مِنْهُ وَلَا يَنْجَعُ ؛ وَفَاتِحُ بَابِ الشَّرِّ يُعَلِّقُ بِهِ ،  
 وَقَادِحُ زَنْدِ الْحَرْبِ يُحْرِقُ بِلَهَبِهِ ؛ أَقُولُ بِمَوْجِبِ أَسْبَدِ لَالِكٍ ، وَأُوجِبُ الْإِعْتِرَاضَ  
 عَلَيْكَ فِي مَقَالِكَ :

نَعَمْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقَلَمِ وَلَسْتُ بِذَلِكَ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ وَلَسْتَ الْمَعْنَى بِمَا  
 هُنَالِكَ ؛ إِنَّ ذَلِكَ لَمَعْنَى بِيكُلِّ قَهْمِكَ عَنْ إِدْرَاكِهِ ، وَيَضِلُّ تَجَمُّكَ أَنْ يَتَّبِعِي فِي أَفْلَاكِهِ ؛  
 وَأَنْتَ وَإِنْ ذُكِرَتْ فِي التَّنْذِيلِ ، وَتَمَسَّكَتِ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾  
 بِشَبْهِهِ التَّفْضِيلِ ؛ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى تَعَلُّمَ خَطِّكَ عَلَى رَسُولِهِ ، وَحَرَّمَكَ مِنْ مَسِّ  
 أُنَامِلِهِ الشَّرِيفَةِ مَا يُؤْسِئُ عَلَى قَوْلِهِ وَيُسَرُّ بِمُحْصُولِهِ ؛ لِكَيْتَى قَدْ نِلْتُ مِنْ هَذِهِ الرِّبَةِ  
 أَسْنَى الْمَقَاصِدِ ، فَتَمَهَّدْتُ مَعَهُ مِنَ الْوَقَائِعِ مَا لَمْ تَشَاهِدْ ؛ وَحَلَّانِي مِنْ كَفِّهِ شَرَفًا لَا يَزُولُ

حَلِيهِ أَبَدًا، وَتُتْ بِنَصْرِهِ فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ : وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا !!! ؛  
 ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ جِنْسِي الَّذِي أَنَا تَوْعَهُ الْأَكْبَرُ ، وَبِهِ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ  
 الْمَنَافِعِ الَّتِي هِيَ مِنَ نَفْعِكَ أَعْمُ وَأَشْهَرُ ، وَمَا اجْتَمَعَ فِيهِ مِنْ عَظِيمِي الشَّدَةِ وَالْبَاسِ ،  
 فَقَالَ تَقَدَّسَتْ عَظْمَتُهُ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ . عَلَى أَنَّكَ  
 لَوْ أَعْتَبَرْتَ جِنْسِي الْقَصَبِ وَالْحَدِيدِ ، وَعَرَفْتَ الْكَيْلَ مِنْهُمَا وَالْحَلِيدَ ، لَتَحَقَّقْتَ  
 تَسَلُّطَ الْحَدِيدِ عَلَيْكَ قَطًّا وَبَرًّا ، وَتَحَكَّمَ فِيكَ أَمْرًا وَنَهْيًا .

فَقَالَ الْقَلَمُ : قَرَّرْتُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَعَدْلِهَا ، وَعَوَّلْتُ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَجَهْلِهَا ، فَانْحَرَتَ  
 بِحَيْفِكَ وَعُدْوَانِكَ ، وَأَعْتَمَدْتُ فِي الْفَضْلِ عَلَى تَعَدُّكِ وَطُغْيَانِكَ ؛ فَمَلَّتْ إِلَى الظُّلْمِ  
 الَّذِي هُوَ إِلَيْكَ أَقْرَبُ ، وَغَلَبَ عَلَيْكَ طَبْعُكَ فِي الْحَوْرِ : وَ « الطَّعْ أَعْطَى » ؛ فَلَا فِتْنَةَ  
 إِلَّا وَأَنْتَ أَسْلَمُهَا ، وَلَا غَارَةَ إِلَّا وَأَنْتَ رَأْسُهَا ، وَلَا شَرًّا إِلَّا وَأَنْتَ فَاتِحُ بَابِهِ ، وَلَا حَرْبَ  
 إِلَّا وَأَنْتَ وَاصِلُ أَسْبَابِهِ ؛ تُوَكَّدُ مَوَاقِعَ الْحَفَاءِ ، وَتُكَدَّرُ أَوْقَاتُ الصَّفَاءِ ؛ وَتُوَثَّرُ  
 الْقَسَاوَهُ ، وَتُوَثَّرُ الْعَدَاوَهُ ؛ أَمَا أَنَا فَالْحَقُّ مَذْهَبِي ، وَالصَّدَقُ مَرْكَبِي ، وَالْعَدْلُ سِمَتِي ،  
 وَحِلَّةُ الْفَضْلِ زِينَتِي ؛ إِنْ حَكَمْتُ أَقْسَطْتُ ، وَإِنْ أَسْتَحْفِظْتُ حَفِظْتُ وَمَا قَرَّطْتُ ؛  
 لَا أَقْبَلُ سِرًّا يَرِيدُ صَاحِبَهُ كَتْمَهُ ، وَلَا أَكْتُمُ عِلْمًا يَتَنَى مُتَعَلِّمَهُ عِلْمَهُ ؛ مَعَ عَمُومِ  
 الْحَاجَةِ إِلَى ، وَالْاِئْتِقَانِ إِلَى عِلْمِي وَالْاِكْتِسَابِ مِمَّا لَدَيْ ، أُدِيرُ فِي الْقُرْطَاسِ كَلِمَاتِ  
 نَحْمَرِي فَأُزْرِي بِالْمَزَامِيرِ وَأَهْزَأُ بِالْمَزَاهِرِ ، وَأَنْفَتُ فِيهِ سِحْرَ بَيَانِي فَالْعَبُّ بِالْأَلْبَابِ  
 وَأَسْتَجْلِبُ الْخَوَاطِرَ ، وَأُنْفِذُ جِيُوشَ سُطُورِي عَلَى بُعْدِ فَأَهْرِمِ الْعَسَاكِرِ :

فَلَكُمُ يَحْيَى الْجَيْشُ وَهُوَ عَرْمَرَمٌ \* وَالْبَيْضُ مَا سَلَّتْ مِنَ الْأَعْمَادِ !

فَقَالَ السَّيْفُ : أَطَلَّتْ الْغَيْبُ ، وَجِثَّتْ بِالْحَيْبِ ؛ وَسَكَتُ أَلْفًا ، وَنَطَقْتُ خَلْفًا .

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ \* فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ

إِنَّ نِجَادِي لِحَلِيَّةٍ لِّلْعَوَاتِقِ ، وَمُصَاحِبِي أَمِنَةٌ مِّنَ الْبَوَاقِ ، مَا تَقَلَّدَنِي عَاتِقُ إِلَّا بَاتَ  
عَزِيزًا ، وَلَا تَوَسَّدَنِي سَاعِدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ حَرًّا حَرِيْرًا ، أَمْرِي الْمَطَاعُ وَقَوْلِي الْمُسْتَمْعُ ،  
وَرَأْيِي الْمَصُوبُ وَحِكْمِي الْمَتَّبَعُ ، لَمْ أَزَلْ لِلنَّصْرِ مَفْتَاخًا ، وَلِلظَّلَامِ مِصْبَاحًا ، وَلِلْعَزِّ قَائِدًا ،  
وَلِلْعُدَاةِ دَائِدًا ، فَأَنَّى لَكَ بِمَسَاجِلِي ، وَمُقَاوِمِي فِي الْفَخْرِ وَمُنَافَرَتِي ؟ ، مَعَ عُرَى جِسْمِي  
وَتَحَافَةِ بَدَنِي ، وَإِسْرَاجِ تَلَاوِيكِ وَقَصْرِ زَمَانِكَ ، وَتَحْسِ أَمْسَانِكَ عَلَى بَعْدِ وَطْنِكَ ،  
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ جَرَى دَمْعِكَ ، وَضَبْقِ دَرْعِكَ ، وَتَفَرُّقِ جَمْعِكَ ، وَقَصْرِ بَاعِكَ ،  
وَقَلَّةِ أَتْبَاعِكَ .

فَقَالَ الْقَلَمُ : مَهَلًا أَيُّهَا الْمَسَاجِلُ ، وَعَلَى رِسْلِكَ أَيُّهَا الْمُغَالِبُ وَالْمُنَاضِلُ ، لَقَدْ  
أَخْفَشْتَ مَقَالًا ، وَتَمَقَّتْ مَحَالًا ، فَمَادَرْتَكِ سُبُلُ الْإِصَابَةِ ، وَخَرَجْتَ عَنِ جَادَةِ الْإِنَابَةِ ،  
وَسُوَّتَ سَمْعًا فَاسَّاتُ جَبِيْهِ ، إِنِّي لِمِسَارِكِ الطَّلَعَةِ وَسَمِيْهَا ، شَرِيفُ النَّفْسِ كَرِيْمُهَا ،  
أَخِذْ بِالْفَضَائِلِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ، مُسْتَوِفٍ لِلْمَادِحِ بِسَائِرِ صِفَاتِهَا ، فَطَائِرِي تَمِيمُونَ ،  
وَعُورِي مَأْمُونٌ ، وَعَطَائِي غَيْرُ مَمْنُونٌ ، أَصِلْ وَتَقَطَّعْ ، وَأَعْطِي وَتَمْنَعْ ، وَتَفَرَّقْ وَأَجْمَعْ ،  
وَإِنْ أَرَادَرَأَكَ بِي مِنَ الْكِبَرِ الْمُنْهِي عَنْهُ ، وَعَضَّكَ عَنِّي مِنَ الْعُجْبِ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ ،  
وَمِنْ حَقَرٍ شَيْئًا قَتَلَهُ ، وَمَنْ أَسْتَهَانَ بِفَاضِلٍ فَضَّلَهُ ، وَإِنِّي وَإِنْ صَغُرَ حِرْمِي فِإِنِّي لَكَبِيرُ  
الْفِعَالِ ، وَإِنْ نُعِفَ بَدَنِي فِإِنِّي لَشَدِيدُ الْبَاسِ عِنْدَ النَّزَالِ ، وَإِنْ عَرِيَ جِسْمِي فَكَمْ  
كَسَوْتُ عَارِيًا ، وَإِنْ جَرَى دَمْعِي فَكَمْ أَرَوَيْتُ ظَامِيًا ، وَإِنْ ضَاقَ ذَرْعِي فِإِنِّي بِسَعَةِ  
الْمَجَالِ مَشْهُورٌ ، وَإِنْ قَصُرَ بَاعِي فَكَمْ أَطَلَقْتُ أُسِيرًا وَأَنَا فِي سِجْنِ الدَّوَاةِ مَأْسُورٌ ، إِذَا  
أَمْتَطَيْتُ طِرْسِي ، وَتَدَرَّعْتُ نَفْسِي ، وَتَقَلَّدْتُ تَحْمِييَ ، وَجَاسْتُ عَلَى الْأَعْدَاءِ نَفْسِي : -  
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَانَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ، ضَنَى وَتَمِيْنًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ !

أَنْسَيْتَ إِذْ أَنْتَ فِي الْمَدْعِينِ تُرَابٌ تُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ ؟ ، وَتَتَدَمَّكُ الرِّيحُ وَتُرْزِي بِكَ  
الْأَيَّامُ ؟ ، ثُمَّ صرْتَ إِنِّي الْقَيْنُ تَفْعُدُ لَكَ السَّنَادِينَ بِالْمَرَّاصِدِ ، وَتَدْمَعُكَ الْمَقَامِعُ وَتَسْطُو

بك المبارد ؛ ثم لولا صقالك لأذهبك الحرب وأتلك الصدى ، مع قلة صبرك على المطر والندى .

فقال السيف : إنا لله ! لقد آستأسدت الثعالب ، وأستنمرت البعاث فسد العصفور نفسه من طير الواجب ؛ وجاء الغراب إلى البازي يهدده ، ورجع ابن آوى على الأسد يشرده ؛ فلو عرمت قدر نفسك ، ولزمت في السكينة طريق أبناء جنسك ؛ ووقفت عند ما حدث لك ، وذكرت عجزك وكسلك ؛ لكان أجدرك ، وأحمد لعاقبتك ، وأليق بأدبك .

إن الملوك لتعدني لمهماتي ، وتستنجدني في ملهماتي ، وتعالى في نسبي ، وتعالى في حسبي ؛ وتنافس في قنيتي وتحماسد ، وتجملي عرصة لايمانها فتعاقد بالخلف على وتعاهد ؛ وتدخري في تحرائنها أدخار الأغلاق ، وتعدي أنفس ذخايرها على الإطلاق ؛ فتكلمي الجواهر ، وتعلمني العقود فأظهر في أحسن المظاهر ؛ أبرز للشجعان حدى الأسيل فأنسيهم الحدود ذوات السوائف ، وأزهو بقدى فأسلبهم هيف القدود مع لين المعاطف ؛ وأوهم الظمان من قروب أن بأنهارى ماء يسيل ، وأخيل للقرور من بعد أنى جدوة نار فيطلبي على المدى الطويل ؛ ويحالي متوقع الغيب برقاً لا يما ، ويظني الجائر في الشرق نجماً طالعا ؛ فالشمس من شعاعى في نخيل ، والليل من صوفى في وجل ، وما أسرع في طلب نار إلا قبيل : « قات ماذبح » و« سبق السيف العدل » .

فقال القلم : برق لمن لاعرفك ، وروج على غير الجوهرى صدقك ؛ فما أنت من بزى ولا عطرى ، ولست بمسار حدك القاطع بقلامه ظفرى ؛ إن برقك خلّب ، وإن ريحك لأزيب ؛ وإن مائك لجامد ، وإن نارك لخاسد ؛ ومن آدعى ما ليس له فقد باء بالفجور ، ومن تشبع بما لم يعط فهو كلابس ثوبى زور .

وَمَنْ قَالَ : إِنَّ النَّجْمَ أَكْبَرُهَا السَّمَى ، بِغَيْرِ دَلِيلٍ كَذَّبَتْهُ ذُكَاةُ !

أنا جُدَيْلُهَا الْمُحْكَمَاتُ ، وَعُدَيْقُهَا الْمَرْجَبُ ، وَكَرِيمُهَا الْمَسْجَلُ وَعَالِمُهَا الْمُهْدَبُ ؛ يَخْتَلِفُ حَالِي فِي الْأَنْعَالِ السَّنِيَةِ بِاخْتِلَافِ الْأَعْرَاضِ ، وَأَمْشِي مَعَ الْمَقَاصِدِ الشَّرِيفَةِ بِحَسَبِ الْأَعْرَاضِ ؛ وَأَتَرِيًّا بِكُلِّ رِيٍّ جَمِيلٍ ، فَأَنْزِلُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَأَسِيرُ فِي كُلِّ قَبِيلٍ ؛ فَتَارَةً أَرَى إِمَامًا عَالِمًا ، وَتَارَةً لُدْرَ الْكَلَامِ نَائِرًا وَأُخْرَى لِمُقُودِ الشَّعْرِ نَائِظًا ؛ وَطَوْرًا تَلْفِينِي جَوَادًا سَابِقًا ، وَمَرَّةً تَجِدُنِي زُهْمًا طَاعِنًا وَسَهْمًا رَاشِقًا ؛ وَأَوْنَةً تَخَالِنِي نَجْمًا مُتَمَرِّقًا ، وَحِينًا تَحْسَبُنِي أَفْعُوًّا مُطْرِقًا ؛ قَدْ فُقْتُ الشَّبَابَةَ فِي الطَّرَبِ ، وَبَرَزْتُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ مَعْنَى وَإِنْ جَمَعَ بَيْنَنَا جِنْسُ الْقَبْصِ ؛ فَكَانَتْ لِلْأَغَانِي ، وَكُنْتُ لِلْمَعَانِي ؛ وَجَاءَتْ بِغَرِيبِ النَّعْمِ ، وَجِئْتُ بِبَيْدِيعِ الْحِكْمِ ؛ وَلَيْبَتْ بِالْأَسْمَاعِ طَرَبًا ، وَوَلَيْمَتْ بِالْأَلْبَابِ فَأُجِئْتُ لِدَهْرِهَا مَا عَرَاهَا نَجْمًا .

فَقَالَ السَّيْفُ : ذَكَرْتَنِي الطَّعْنُ وَكُنْتُ نَائِبًا ، وَطَلَبْتَ الْكُفْرَ فَازْدَدْتَ قَلَّةً وَعُدْتُ حَاسِيًا ؛ فَكَانَتْ كَطَالِبِ الصَّيْدِ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ إِنْ لَقِيَهُ أَهْلُكَ ، وَخَالَفْتَ النَّصْرَ فَالْقَيْتَ بِيَدِكَ إِلَى التَّمْلُوكِ ؛ فَاقْفَعْ مِنَ الْعَدِيْمَةِ بِالْإِيَابِ ، وَعُدَّ الْمَزِيْمَةَ مَعَ السَّلَامَةِ مِنْ أَرْبَعِ الْأَكْسَابِ ؛ فَلَسْتَ مِمَّنْ يَشُقُّ عُبَارِي ، وَلَا يُقَابِلُ فِي الْهَيْجَاءِ ضَرَمِي وَلَا يَصْطَلِي بِنَارِي ؛ فَكَمْ مِنْ بَطَلٍ أَبْطَلْتُ حِرَاكَةَ ، وَكَمْ مِنْ شَجَاحٍ عَجَلْتُ هَلَاكَةَ ؛ وَكَمْ صِنْدِيدٍ أَرَقْتُ دَمَهُ ، وَكَمْ نَائِبٍ الْجُنَاحِ زَلَزَلْتُ قَدَمَهُ .

وَأَرَادَ الْقَلَمُ أَنْ يَأْخُذَ فِي الْكَلَامِ ، وَيَرْجِعَ إِلَى الْجِدَالِ وَالْحِصَامِ ؛ فَغَلَبَ عَلَيْهِ رِقَّةٌ طَبِيعُهُ وَحُسْنُ مَوَارِدِهِ ، وَسَلَامَةُ قِيَادِهِ وَجَمِيلُ مَقَاصِدِهِ ؛ فَسَالَ إِلَى الصُّنْعِ وَجَنَحَ إِلَى السَّلْمِ ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَهْلِ وَتَمَسَّكَ بِالْحِلْمِ ؛ وَأَقْبَلَ عَلَى السَّيْفِ بِقَلْبِ صَافٍ ، وَلِسَانِ رَطْبٍ غَيْرِ جَافٍ ؛ فَقَالَ : قَدْ طَالَتْ بَيْنَنَا الْجَاهِلَةُ ، وَكَثُرَتْ الْمُرَاجَعَةُ وَالْمُقَاوَلَةُ ؛

مع ما بيننا من قرابة الشرف ، وأخذ كل منا من الفضل بطرف ؛ فتحن في الكرم  
 شقيقان ، وفي التجدد رقيقان ؛ لا يستقل أحدا بنفسه ، ولا يأنس بغير صاحبه وإن  
 كان من غير جنسه ؛ وقد حلبت الدهر أشطره ، وعلمت أصفاه وأكثره ؛ وقلبت  
 ظهرا وبطنا ، وجبت قبا فيه سهلا وحزنا ؛ وإن معاداة الرقيق ، ومباينة الشقيق ؛  
 توجب سماتة العدو وتم الصديق ؛ فهل لك أن تعقد للصلح عقدا لا يمتدئ حده ،  
 ولا يحل على طول الزمان عقده ؟ ؛ لتكون أبدا متالفين ، وعلى السراء والضراء  
 متصاحبين ؛ حتى لا يضرب بنديتي جديمة مع أصطحابنا مثل ، ولا يتشبه بنا  
 الفرقدان إلا بآءنا بالقطر .

ولست بمستيق أحبا لا تلمه \* على شعث ، أي الرجال المهذب ؟

فقال السيف : لقد رأيت صوابا ، ورفعت عن وجه المحجة بقايا ؛ وسرت أحسن  
 مسرى وسرت أجهل سير ، وصحبت التوفيق فأشرت بالصلح ؛ والصلح خير .

وقد يجمع الله الشيبين بعدما \* يظنان كل الظن أن لا تلاقيا !

ثم قال : لا بد من حكم يكون الصلح على يديه ، وحاكم يرجع في ذلك إليه ؛  
 لتحظى بزيادة الشرف ، ونظفر من كمال الرقعة بقرع من فوقها عرف ؛ ولتسنا  
 بغائرين بطليتنا ، وضافرين ببغيتنا ؛ إلا لدى السيد الأكل ، والمالك الأفضل ؛  
 المساجد السرى ، والبطل الكبي ؛ والبحرا الخضم ، والنيت الأعم ؛ مولى المعالي ومولى  
 النعم ، وممتطي جواد العز ورافع أعلام الكرم ؛ جامع أشات الفضائل ومالك زمامها ،  
 وضابط أمر الدولة الظاهرية وحافظ نظامها ؛ المقر الكريم ، العالى ، المولوى ،  
 الرضى ، أبى يزيد الدوادار الظاهرى : ضاعف الله تعالى حسناته المتكاثرة ،  
 وزاده رفعة في الدارين ليجمع له الأرتقاء بين منازل الدنيا والآخرة ؛ فهو قطب

الملك الذي عليه تدور، وفارسها الأروع وأسدها المصور، وبطلها السميدع وليثها  
الشهير، وأبو عذرتها حقا من غير نكر، وابن بجديتها الساقطة منه على الخبير، ومعقلها  
الأمع وحرزها الحصين، وعقدتها الأنفس وجوهرها الثمين، وتلاذها العائم  
بأحوالها، والحدير بمعرفة أقوالها وأفعالها، وترجمانها المتكلم بلسانها، وعالمها المتفنن  
في أفنانها، وطبيبها العارف بطنها، ومنجدها الكاشف لكرها .

هذا : وإنه لما لك أمرنا . ورافع قدرنا ؛ والصائل منا بالحدين ، والجامع منا  
بين الصدين ؛ فلوقبه «فارس عيس» لوليا عائسا، أو طرقي جمى «كليب» لبات من  
حماء آيسا ؛ أو قارعه «ربيعه بن مكدّم» لعلا بالسيف مفرقه، أو نازله «نظام»  
لبدد جمعه وقوقه ؛ كما أنه لو قرين خطه بنفيس الجوهر لعلاه قيمه، أو فاسمه  
«ابن مقلّة» في الكتابة لما رضى أن يكون قسيمه ، أو فاتحه «ابن هلال» لرأى  
انه سبقه إلى كل كريمه .

وبالجملة فعزه الظاهر وقضيه الأكل ، وسماكه الراجح وسماك غيره الأعزل ؛  
فلا يسمع الزمان أن يأتي له بنظير، ولا أراد مدح بلوغ شأوه إلا قيل : أتند فقد  
حاولت الأتياض بجناح كبير :

حَيِّبًا بِالْكُرْمَاتِ وَالْعُلَى \* وَحَيِّبًا بِالْفَضْلِ وَالسُّؤْدِ الْمُخِصِّ !

فاخذ لله الذي جمعنا بأكرم محل وأفضل ، وأحسن مقام وأجمل ؛ فهلم إليه بعقد  
بيننا عقد الصلح ، وتبايعه على ملازمة الخدمة والنصح .

ثم لم يلبث أن كتبنا بينهما كتابا بالصلح والمصافاة ، وتعاهدا على الود والمؤافاة ؛  
وأعلن بعقد الصلح منديهما . وحدا يذكر التعاضد والتناصر حاديهما ؛ وراح يُشدد :

حَسَمَ الصُّلْحَ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي ، \* وَأَذَاعَتْهُ السُّنُّ الْحَسَادِ !

وَزَالَتْ عَنْهُمَا الْأَحْقَادُ وَالْإِخْنُ ، وَبَاتَا فِي أَعَزِّ مَكَانٍ وَأَشْرَفِ وَطَنٍ ، وَتَلَّتْ  
فِرَانِهِمَا فَاسْعُدَ ، ثُمَّ قَامَ مُنْشِدُهُمَا فَأَنَسَدَ :

لَا يُبْتَكِرُ الصُّلْحُ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ \* ضَاعِدُ الصُّلْحِ عَلَى الْقَدْرِ وَالْهِمَمِ !  
أَبُو يَزِيدَ نِظَامُ الْمُلْكِ مَا لِكُنَا \* وَوَأَصِلُ الْعِلْمِ فِي عَالِيهِ بِالْعِلْمِ .  
فَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا أَبْدِيهِ مِنْ مِدْحٍ \* وَغَايَةُ الْقَصْدِ مِنْ تَرْيِيبِ ذَا الْكَلِمِ !  
وَإِنْ جَرَى مَدْحُ سَيْفٍ أَوْ عِلَاقِمٍ ، \* فَذَلِكَ وَصْفٌ لِمَا قَدْ حَازَ مِنْ كَرَمِ !

قلتُ : وَسَبَبُ إِنْشَائِي هَذِهِ الرِّسَالَةَ أَنَّ الْأَمِيرَ أَبَا يَزِيدَ الْمَوْضُوعَةَ لَهُ ، تَعَمَّدَهُ اللَّهُ  
تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ ، كَانَ مِنْ جَوْدَةِ انْحِلَاطٍ وَتَحْرِيرِ قَوَاعِدِهِ فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا ،  
وَعَظَمَتِ مَكَاتَتُهُ عِنْدَ سُلْطَانِهِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ «بَرْقُوقٍ» وَعَلَّتْ رُتْبَتُهُ حَتَّى وُلَّاهُ وَطِيفَةَ  
الدَّوَادِيرِيَّةِ بِإِسْرَةٍ تَقْدِيمَةَ الْيَدِ ، وَلَمْ يَزَلْ مُقَدِّمًا عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُتَوَلِّيًا ، وَأَوْلَايَ  
عِنْدَ عَمَلِهَا لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْبِرِّ الْمُتَوَالِي مَا يَقْضُرُ عَنْهُ الْوَصْفُ ، وَيَكِلُ عَنْهُ اللِّسَانُ .

### الصِّنْفُ الْخَامِسُ

( من الرسائل - الأسئلة والأجوبة ، وهي على ضربين )

#### الضرب الأول

( الأسئلة الامتحانية )

قَدْ جَرَتْ عَادَةُ مَشَائِخِ الْأَدَبِ وَقُضَلَاءِ الْكُتُبِ أَنَّهُمْ يَكْتُبُونَ إِلَى الْأَفَاضِلِ  
بِالسُّئَالِ يَسْأَلُونَ عَنْهَا : إِمَّا عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِفْهَامِ وَأَسْتِشَاحَةِ مَا عِنْدَ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ  
فِي ذَلِكَ ، وَإِمَّا عَلَى سَبِيلِ الْإِمْتِحَانِ وَالتَّجْزِيزِ . ثُمَّ تَارَةً يُجَابُ عَنْ تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ بِأَجْوِبَةٍ  
فَتُكْتَبُ ، وَتَارَةً لَا يُجَابُ عَنْهَا ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ .



وهذه رسالة كتبها الشيخ جمال الدين بن تباتة المصري إلى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي صاحب ديوان الإنشاء بالملكمة الشامية ، وقد بلغه أن بعض أهل الديوان نال منه ، وأن الشيخ شهاب الدين المذكور ناضل عنه ودأق ، فكتب إليه يشكره على ذلك ويسأل كُتَّاب الديوان عن أسئلة بعضها يرجع إلى صنعة الإنشاء ، وأكثرها يرجع إلى فن التاريخ . وقد بينت بعضها ونهت عليه في مواضعه في خلال هذا الكتاب ، وهي :

لا يُجْرَجُ الكُوزَةُ مَنَى غَيْرُ نَائِيَةٍ . . . وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْنِي لِيَنِي !

الاستفتاح بـ«لا» . . . تيمُّنٌ بركة الشهادة ، وهي ههنا مقرَّضٌ يقطع من العيب المدَّة ويحسم المادَّة ، حَسَمَ اللهُ عن سيدنا الإمام العلامة القدوة ، شهاب الدين ، مَكَلَّ الآداب ، وَمَلِكِ الشعراء والكُتَّاب ، شَرَّ كُلِّ عَيْنٍ حاسِدٍ ولو أنها عين الشمس ، وحماه عن مدَّ ألسنة ذوى الأعتياب والأزتياب من الهجج والهمس ، وهياً له أسباب الخير حتى يكون يومه فيه مُقَصَّراً عن الغد زائداً على الأمس ، وأستخدم له الأقدار حتى تكون فرائض تقبيل أيامه العشر عندهم كفرائض الخمس ، وجعل ما يردُّ عنه العين من العيب بعد شأنه عن المتناول ووقايته عن اللبس ، حتى يكون المعنى بقول القائل :

وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ عِلَّاهُ . . . إِذَا حَنَّوهُ كَانَ قَدْ جَاوَزَ الْحَدَّ ،

وَلَا عَيْبَ أَيْضًا فِي مَا تَرَى يَتَّسَهُ . . . سِوَى أَنَّهُ تُرَوَّى بِالسِّنَةِ الْأَعْدَا !

وحتى يؤمن عليه القائل :

مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الكَمَالِ إِلَيَّ . . . عَيْبٌ يُوقِيهِ مِنَ العَيْبِ !

(١) هذا الشعر من صناعة ابن تباتة عليه لما يريد وانما هو . لا يُجْرَجُ لِقَسْرٍ مَنَى غَيْرُ مَائِيَةٍ . . . لِقَسْرٍ .

الفهر والمأية مصدر كالخبيبة معناها الإبه . وثبتت من كلمة ندى الإصبع العدواني .

وَيُقْبَلُ مِنَ الْآخِرِ قَوْلُهُ :

شَخَّصَ الْأَنَامَ إِلَى كَلِمِكَ فَاسْتَعَدَّ : مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بَعِيْبٍ وَاحِدٍ !  
 الْعَبْدُ يَخْدُمُ بِسَلَامٍ مَا رَوْضَةَ نَقَطَها الْجَوْ بَدْرٌ سَحَابِيهِ ، وَأَفْرَغَ عَلَيْهَا الْأَفْقُ سَفَطَ  
 كَوَاكِبِهِ ؛ وَأَمْتَدَّ نَوْءَ الدَّرَاعِ لِنُدْسِجِ سَمَائِهَا ، وَتَأْرِيحِ أَرْجَائِهَا ، وَتَحْمِيْشِ مَعَاصِمِ أَنْهَارِهَا  
 الْمُنْشَقَّةِ بِأَفْنَانِهَا ، وَصِقَالَ تَسْمَانِهَا السَّحْرِيَّهِ ، وَمُعَازَلَةَ عِيُونِهَا السَّحْرِيَّهِ ، وَهَوَايَ  
 الْعَالِيَةِ بِفَقْحَاتِهَا الشَّجْرِيَّهِ ؛ تَصْرِفُ دَنَائِرَ أَزْهَارِهَا الصُّرُوفِ ، وَيَسْلُ جَدْوُلَهَا عَلَى  
 الْهَمُومِ السُّيُوفِ ؛ وَتَجْنِبُ حَمَائِمَ الْقُلُوبِ بِالْأَطْوَاقِ ، وَيَتَشَفَّعُ نَوْحُهَا إِلَى النُّوَاطِرِ  
 بِالْأُورَاقِ ؛ فَد تَرَفُّقُ فِي وَجَنَاتِهَا مَاءُ الشَّبَابِ ، وَغَيَّيْ مُطْرِبُ حَمَائِمِهَا وَعَتْرُهُ فِي حَكِ  
 مِنَ الذُّبَابِ ، وَبِحَرَا رَوْقِ السَّيْفِ وَفِي قَلْبِ رَوْضَتِهِ الذُّبَابُ .

فَمَا كُلُّ أَرْضٍ مِثْلَ أَرْضِ هِيَ الْحَيِّ ، \* وَمَا كُلُّ نَبْتٍ مِثْلَ نَبْتِ هُوَ الْبَانُ !  
 يَوْمًا بَأْتِجُ مِنْهُ أَشْوَاقًا ، وَأَطِيبَ مِنْهُ أَتَشَاقًا وَأَتَشَاقًا ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ،  
 وَلِكُلِّ غَيْثٍ نَبَاتٌ ، وَمَا لِذَلِكَ الْغَيْثِ إِلَّا هَذَا النَّبَاتُ .

وَتَعُودُ فَقُولُ : لَا أَدْرِي أَأَتَعْجَبُ :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا \* عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَابٌ !!  
 مِنْ قَوْمٍ هُمْ مَا هُمْ : شَرِبُ مَنَاسِبِ ، وَطِيبُ مَكَاسِبِ ؛ قَدْ أَمَكْنْتَهُمُ الْمَعَالِ ،  
 وَطَاوَعْتَهُمُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي ؛ وَخَدَمْتَهُمْ جَوَارِي السُّعُودِ ، وَتَطَاوَعْتِ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَرَاقِي  
 الصُّعُودِ ، كَابِرِ بَسْكَونِ الْجِلَاشِ مَنْحَدِرِ (؟) وَكَانَتْ قَدْ اسْتَجَدَّيْتُ كَلًّا مِنْهُمْ وَلَكِنْ  
 بِالْمَكَلَامِ ، وَأَسْتَسْقَيْتُ وَلَكِنْ قَطْرَةٌ مِنْ عَمَامِ الْأَقْلَامِ :

وَأَيْسَرُ مَا يُعْطَى الصِّدِّيقُ صَدِيقَهُ \* مِنَ الْهَيْرِ الْمَوْجُودِ أَنْ يَسْكُنَهَا !

(١) العتر الذباب أو صوته . (٢) ذباب السيف حقه أو طرده انظر ف -

”وَلْيُسْعِدِ الذُّمَّاقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْخَالُ“ فَصَّنَّ وَظَنَّ مَا ظَنَّ ، وَأَسْتَعِظَفَ بِسِيمِ الْكَلَامِ  
عُصْنُ يَرَاعِهِ مَا عَطَفَ وَلَا حَنَ ، وَيَجَلُّ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فَإِنَّ الْفَضِيلَةَ مِنَ الرِّزْقِ ،  
وَحَرَمِي لَذَّةُ الْفَاطِمَةِ فَإِنَّمَا آتَى إِذَا أُدْخِلَتْ فِي رِقِّ دَخَلَ حُرُّ الْبَلَاغَةِ تَحْتِ ذَلِكَ الرِّقِّ ،  
وَهَلْ هُوَ الْبَحْرُ فَكَيْفَ تَجَّ بِمَدَّةٍ مِنْ مَدَّةِ ، وَالْفَيْثُ وَلَا أَقُولُ : إِنْ الَّذِي حَبَسَهُ  
إِلَّا مَا قَسَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ الْخَطِّ عِنْدَ عَيْدِهِ :

وَإِذَا الزَّمَانُ جَفَاكَ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى . طَرَأَ فَلَا تَعْتَبِ عَلَى أَوْلَادِهِ !

فَاعَلَى اللَّهِ كَلِمَةَ سَيِّدِنَا الْعَلَامَةِ فِي الدَّارَيْنِ ، وَشَكَرْتُ عَنِّي جُودَ كَرَمِهِ وَكَلِمَةَ الدَّارَيْنِ ،  
[فهو] صَاحِبُ دِيْوَانِهِمْ . وَحُجَّةُ زَمَانِهِمْ ، فَلَقَدْ وَصَفَنِي بِمَا يَزِيدُ عَلَى الْجَوَابِ ، وَشَافَهَنِي  
مِنَ الشُّكْرِ بِمَا لَا يَتَوَارَى مِنَ الرِّزْقِ بِحِجَابِ ، وَأَمَّنِي الْعِزَّ وَالزَّمَانَ حَرْبِ ، وَتَصَرَّفَنِي  
وَالْأَيَّامُ سُيُوفٌ لَتَنْتَوِعَ مِنَ الضَّرْبِ فِي كُلِّ ضَرْبٍ ، وَأَعْطَانِي كَرَمَهُ وَالْمَحَلَّ مَحَلِّ ،  
وَفِي قَلْبِ الزَّمَانِ دَحْلٌ ، وَنَحَلْتِي شُهَدَةَ إِحْسَانِهِ وَالْأَوْقَاتُ كِبَارَ النَّحْلِ ، حَتَّى عَدَدْتَنِي  
فِي حُبِّهِ مَنْ كَانَ مِنَ الْإِلَامِيِّينَ ، وَهَدَيْتُنِي مِنْ نَقْطِهِ وَفَضْلِهِ بِقَمَرَيْنِ لَا يَمِيلُ أَحَدُهُمَا  
وَلَا يَمِينُ ، وَصَلَّتْ مِنْ جَاهِهِ وَمَالِهِ بِيَدَيْنِ إِلَّا أَنْ كَلَّمْتَهُمَا فِي الْإِعْرَاضِ يَمِينِ :

وَيَلُومُنِي فِي حُبِّ عُلُوِّ نِسْوَةٍ . جَعَلَ الْإِلَهَ خُدُودَهُنَّ نِهَاثًا !

وَحَرَسَ اللَّهُ سَيِّدَنَا شِهَابَ زَمَانِهِمْ ، كَمَا حَرَسَ بِهِ سَمَاءَ دِيْوَانِهِمْ ، فَلَقَدْ أَسْمَعُنِي  
مِنَ الشُّكْرِ مَا أَرَبَنِي عَلَى الْأَرَبِ ، وَجَعَلْتَنِي كَحَاجِبٍ حِينَ دَخَلَ عَلَى كَسْرِي وَهُوَ وَاحِدٌ  
مِنَ الْعَرَبِ تَخَرَّجَ وَهُوَ سَيِّدُ الْعَرَبِ ، وَهَدَيْتَنِي أَنْوَارَهُ وَأَنَا أَبْخِيطُ مِنْ لَيْلِ الْقَرِيحَةِ  
فِي عَشْوَاءَ ، وَجَادَتْ عَلَى أَنْوَارِهِ وَأَهْلِكَ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ مِنَ الْأَنْوَاءِ ، وَرَقَعْتَنِي الْفَاطِمَةَ  
وَلَكِنِّي عَلَى السَّمَاءِكَ بِرَيْغِمِ حَسُودِي الْعَوَاءِ ، وَهَذِهِ قَصَائِدُهُ فِي تَنَادُرِهَا أَيْسَنَةُ الْأَقْلَامِ ،  
وَتَكْتَبُ بِأَنْفَاسِ اللَّبَانِ عَلَى صَفْحَاتِ الْإِيَّامِ ، مِنْ كُلِّ بَيْتٍ هُوَ بَيْتٌ مَالٍ لَا يَنْقُصُهُ  
الْإِنْفَاقُ ، وَلَوْلَا التُّقَى لَنَقَلْتُ : إِنَّهُ الْبَيْتُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ نَعَانِي بِحُجَّتِهِ الرَّفَاقِ مِنَ الْإِنْفَاقِ ؛

فَتَى أَنْفَرُحُ لَطَلَبِ مَدْحِهِ ، وَقَدْ شَغَلَنِي بِمَنْحِهِ ؟ ، وَمَتَى أَجَارِيهِ بِأَمْتَدَاحِ وَإِنَّمَا مَدَحِي  
له من فوائد مدحه :

وما هو إلا من نَدَاهُ وَإِنَّمَا \* مَعَالِيهِ تُمَلِّئِي الَّذِي أَنَا كَاتِبُهُ !

أَمْ أَمْتَعَجِبُ مِنْ سَنَيْتِ عِنَانِ الثَّنَاءِ إِلَيْهِ ، وَجَلَوْتُ عَرَائِسَ الْمَدَائِحِ عَلَيْهِ ؛ وَعَادَيْتُ  
فِي تَنْضِيدِ أَوْصَافِهِ الْكِرْوَى ، وَأَنْضَيْتُ بِالْقَلَمِ لَهُ فِي نَهَارِ الطَّرْسِ وَلَيْلِ الثَّقَسِ مِنَ السَّيْرِ  
وَالسَّرَى ؛ وَمَدَحْتُهُ بِلَيْءٍ فِيَّ وَأَجْتَهَدْتُ فِي وَصْفِهِ وَكَانَ سِوَاءَ عَلَيَّ أَنْ أَجْهَدْتُ ،  
فِي وَصْفِهِ أَوْ أَجْتَهَدْتُ ؛ بِفَارَازَانِي مُجَازَاةَ السَّيَّارِ ، وَأَوْقَعَنِي مِنْ عَنَتِ عَنَيْهِ فِي النَّارِ ،  
وَجَعَلَ مَحَاسِنِي الَّتِي أَدْرِي بِهَا ذُنُوبًا فَكَيْفَ يَكُونُ الْإِعْتِذَارُ ؟ :

وَكَانَ كَذَنْبِ السُّوءِ إِذْ قَالَ مَرَّةً : \* لَعْمَرُوسِيَّةٌ وَالذَّنْبُ غَرَّتَانُ مُرْمِلُ :

أَأَنْتِ الَّتِي مِنْ غَيْرِ سُوءٍ شَمَّيْتَنِي ؟ \* فَقَالَتْ : مَتَى ذَا ؟ قَالَ : ذَا عَامٍ أَوَّلُ

فَقَالَتْ : وُلِدْتُ الْآنَ بَلْ رُمْتَ غَدْرَةَ \* فَدُونِكَ كُلِّي لَاهِنًا لَكَ مَا كُلُّ !

وَحَلَّ هَذَا الْمُتَرَجِّمُ ، وَتَحْقِيقُ هَذَا الظَّنِّ الْمُرْتَجِّمِ ؛ أَنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ جَمَاعَةَ مِنَ الَّذِينَ  
اسْتَفْتَيْتُهُمْ اسْتِبْطَاطًا لِقَوَائِدِهِمْ ، وَأَلْفِطَاطًا لِقَرَائِدِهِمْ ؛ لَا تَكْتَلِفُونَا لَهُمْ فِيمَا لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا  
الْأَقْوَى مِنَ الْأَقْوَامِ ، وَلَا يُسْتَنْجَدُ بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا بَارِبَابِ صَفْحَاتِ السُّيُوفِ  
لَا أُرِبَابِ قَصَبَاتِ الْأَقْلَامِ ؛ أَرَادُوا الْقَصَّ مَعِي ، وَفِي الْإِحْسَانِ عَنِّي ؛ وَهَيْهَاتَ !

\* أَنَا أَبُو النُّجَيْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي \*

هَآنَا وَبِضَاعَتِي ، وَهَدِيهِ بَدِي لَا أَلِيَّ أَلْقَيْتُ بِهَا إِلَى السَّلْمِ وَلَكِنْ لِأَعْرِضَ

صِنَاعَتِي : \* هُوَ الْجَمَى وَمَعَانِيهِ مَعَانِيهِ \*

وَإِنِّهِمْ أَجْتَمَعُوا بِالْمِيدَانِ عَلَى حَدِيثِي ، وَذَكَرُوا قَدِيمِي وَحَدِيثِي ؛ وَتَسَابَقُوا فِي الْعَبِيَّةِ  
أَفْرَاسَ رِهَانَ ، وَأَعَجَبَ كَلًّا مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ : هَذِهِ الشُّقْرَاءُ فِي يَدِي وَهَذَا الْمِيدَانُ ؛

وَلَا مَوْأ وَعَدَلُوا، وَهَمُوا بِالسَّبِّ وَقَعَلُوا، وَأَسْتَطَابُوا لَحْمَ أَخِيهِمْ فَسَلَقُوهُ بِاللِّسِنَةِ حِدَادًا  
وَأَكَلُوا؛ حَتَّى تَعْدَى ذَلِكَ إِلَيَّ مِنْ جَادٍ عَلَى بِالْجَوَابِ، وَفَسَلَهُ إِمَّا جَزَاءً لِلدَّجِّ وَإِمَّا  
لِلشَّوَابِ :

فَقُلْتُ لَهَا عَيْشِي جَمَارٌ وَجَرِيرِي « بَلْعِيمٌ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ !

وَمَا كَانَ الْمَلِيحُ أَنْ يُغْرِي بِي مِنْ سَبْقِ مَذْحِهِ إِلَيَّ ، وَمَنْ أَنْصَرَ بَعْرَهُ لِنَفْسِهِ فَمَا  
أَنْصَرَ لَدَيْ « وَهَذَا أَمْرِي جَهْدٌ مِنْ لَأَلَهُ جَهْدٌ » وَمَا تَحْلُو هَذِهِ الْأَفْعَالُ : إِمَّا أَنْ تَكُونَ  
مُجَازَاةً عَلَى مَذْحِهِمْ ، فَإِنَّ الْكِرَامَ وَفَضْلَهُمْ ، وَالْمُنْصِقُونَ وَعَدْلُهُمْ ؟ ، أَوْ ظَنًّا أَنِّي  
عَرَّضْتُ بِهِمْ عَرَّضْتُ ، فَإِنَّ ذِكَاةَ الْأَلْبَاءِ وَأَيْنَ عَقْلُهُمْ ؟ ؛ وَهَلْ تَنْظُنُّ السَّيِّئَةَ  
أَنْ يَدَا تَيَسَّلَ إِلَيْهَا ، وَالنُّجُومُ أَنْ خَلَقْنَا نَحْمُكُ عَلَيْهَا ؟ ؛ وَاللَّذَّهَبُ تَحْرُوسٌ لَا يَصُدُّهَا  
جِرْمُهُ ، وَالْجَوْهَرُ مَعْرُوفٌ لَا يُجْهَلُ حُكْمُهُ ؛ وَمَنْ الَّذِي تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ أَنْ يَجْحَدَ الشَّمْسَ  
فَضْلَهَا الطَّائِلَ ، أَوْ يُحَسِّنَ لَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَقُولَ : سَجَابُنُ وَإِيْلِي كَجَافِلٍ ؟ ؛ ... .. (١)  
أَدْرِكُنِي ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَمَّا أَمْرُقُ ، وَأُنْجِدُنِي بِكُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَمْنِي مِنْ السُّمِّمْ وَأُرْشِقُ ،  
وَأُضْوِّءُ مِنَ النَّجْمِ وَأُشْرِقُ ؛ وَمَا أَعْرِفُ كَيْفَ صَبْرِي عَلَى هَذَا الْحَرْبِ فِي صُورَةِ  
السَّلْمِ ؛ ، وَمَا أَظُنُّهُ أَرَادَ إِلَّا أَنْ يُعَلِّمَ قَلْبِي الَّذِي فِي يَدِهِ الْحُكْمَ ، كَمَا عَلَّمَهُ لِلْقَلَمِ ؛ وَحَيْثُ  
قَضَى الْحَدِيثُ مَا قَضَى ، وَمَضَى الْوَقْتُ وَمَا كَانَ إِلَّا سَيْفًا فِي عَرْضِ الْعَبْدِ مَضَى :

فَكُرْتُ تَبَنِّيهِ فَصَادَقْتُهُ « عَلَى دَمِهِ وَمَصْرَعِهِ السَّبَاعَا

فَأَنَا أُنْشِدُ اللَّهَ تَعَالَى هَؤُلَاءِ السَّادَةَ الْعَالِيِينَ ، أَوْ الْقَوْمَ الْعَالِيِينَ ؛ هَلْ يَعْرِفُونَ أَنَّ  
الَّذِي عَرَّضْتُ بِهِ مِنْهُمْ قَوْمٌ قَدْ أَسْتَوَى عَلَيْهِمُ الْعِيُّ بِجَيْرِ بِيضِهِ ، وَتَزَلَّ فِيهِمُ الْجِهَادُ  
بِقَضِهِ وَقَضِيضِهِ ؛ وَأَصْبَحَ بَابُهُمْ لَمْ كِبْسَانِ بِلَا شِمَارِ ، وَدِيوَانُهُمْ عَلَى رَأْيِ أَبِي الْعَلَاءِ  
كِدْيَوَانَ أَبِي مِهْيَابِ ؛ لَا يُحَسِّنُ أَحَدُهُمْ فِي الْكِتَابَةِ غَيْرَ الْعَامَةِ الْمُدْرَجَةِ ، وَالْعَدْبَةَ الْمُعْوَجَّةَ ،

(١) يباض بالأصل بمقدار كلمة .

وَالْعِبَادَةَ الضَّيْقَةَ وَالْأَنْوَابَ الْمُفْرَجَةَ ؛ وَتَنَاوَلُ السَّلْمَ بِالْيَمِينِ وَتُكَلِّمُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
 بِالسَّمَالِ ، وَمَشَى هَذَا عَلَى هَذَا وَلَكِنْ عَلَى الضَّلَالِ ؛ لَوْ سُئِلَ أَحَدُهُمْ عَنْ «الْبَدِيعِ»  
 فِي الْكِتَابَةِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ السُّؤَالِ غَيْرَ التَّرِيدِ ، وَعَنْ «عَبْدِ الْحَمِيدِ» لَرَادَ فِي الْفِكْرِ وَتَقْصُ :  
 وَعَبْدُ الْحَمِيدِ عَبْدُ الْحَمِيدِ ؛ وَ«الصَّاحِبِ» لَقَالَ : إِنَّهُ تَبَرَّقَعَ بِجَهْلِي ، وَ«الْحَوَارِزْمِيِّ»  
 لَقَالَ : سَرَّحُ قَرَسِي ، «وَالْقَاضِلِ» لَقَالَ : هَا هُوَ فَذَا ذَيْلُ مَلْبَسِي . فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ  
 كَذَلِكَ فَمِمَّ الْمَلَامِ وَالتَّفْنِيدِ :

عَلَّقُوا الْقَهْمَ لِلْبُرَا \* عِةَ عَلَى ذِرْوَيْ حَضَنٍ <sup>(١)</sup>  
 ثُمَّ لَامُوا الْبُرَاةَ أَنْفَ \* قَطَعْتَ نَحْوَهَا الرَّسْنَ ،  
 لَوْ أَرَادُوا صِيَابَتِي \* حَجَّبُوا وَجْهَكَ الْحَسْنَ !

وَالْوَجْهَ الْحَسْنَ هَهُنَا وَجْهَ الْمُنْتَصِبِ وَحِجَابُهُ عَنْ شَيْءٍ تَلِكِ الْآتَارِ ، وَتَفْهِيْمِ تَلِكِ  
 الْأَفْظَاظِ .

وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَسَا مَثَلِي مَعَ مَنْ ذَكَرْتَنِي إِلَّا قَوْلَ الْقَائِلِ :

سَافِرٌ بَطْرَفِكَ حَيْثُ شِئْتُ \* فَلَنْ تَرَى إِلَّا بِحَيْلًا !

فَقِيلَ لَهُ : بَحَلَّتِ النَّاسَ ، فَقَالَ : كَذَّبُونِي بَوَاحِدٍ ، وَهَأَنَذَا فَلَنْ كَذَّبُونِي بَوَاحِدٍ مِمَّنْ  
 عَرَّضْتَ ، وَصَحِيحٌ مِمَّنْ أَمْرَضْتَ ؛ وَلِيَبْرُزَ إِلَى مَضْجِعِهِ ، وَلِيَكُنَّ عَلَى يَقِينٍ مِنْ مَضْرِعِهِ ؛  
 وَلَا يَتْرَكَ شَيْئًا مِنْ أَدْوَاتِهِ ، وَلَا يَأْتِي إِلَّا وَمَعَهُ نَادِيَتُهُ مِنْ حَتَائِمِ هَمَزَاتِهِ .

وَأَنَا أَقْتَرِحُ عَلَيْهِ مِنْ مَسَائِلِ الْكِتَابَةِ بَعْضَ مَا أَقْتَرِحُهُ الْفَضْلَاءَ ، وَبَنَى عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ ؛  
 وَإِلَّا فَا أَنَا أَبُو عُدْرَتِهِ ، وَمَالِكُ إِمْرَتِهِ ؛ وَلَا يَلُومُ إِلَّا الْقَائِلِ :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ \* فَضَحَّحَتْهُ سَوَاهِدُ الْإِمْتِحَانِ !

(١) حَضَنُ جَبَلٍ بِالْعَدْنِ .

فانه الذي نبهني عليه وإن لم أكن سأهيا، ودكرني الطعن وما كنت ناسيا، حتى  
رمته من هذه المسائل، في مجاهل؛ لا يهتدى فيها بغير الذهن الواقد، وأفتحت  
به في محار لا يعصم منها جبل الفكر الحامد؛ على أنها فيما أغفلت كالتميد من البحار،  
واللعة من النهار، ولولا الاختصار، لأتيت منها بالجمع الجم فلنحمد الله والاختصار،  
فأقول :

من كتب في الورق واستنبطه؟ ومن حتم الكتاب بالطين وربطه؟ ومن غير  
طين الكتاب بالنشا وصبطه؟ ومن قال: أما بعد في كتابه؟ ومن جعلها في الخطب  
وأسقطها في آيئائه في المكتبة وجوابه؟ ومن كره الاستشهاد في مكاتبات الملوك  
بالأشعار؟ وكيف تركها على ما فيها من الآثار؟ ومن الذي أراد أن يكتب نثرا  
بفاء شعرا؟ ومن وضع هذه الطرة في التقاليد وأخترعها؟ وما حجتك إذ قدمها على  
أسم الله ورفعها؟ ومن الذي باعد بين السطور ووسمها؟ وكيف ترك بالتعظيم  
في كتبه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسعه من التواضع ما وسعها؟ ومن  
استغنى بكتابة آية من كتاب الله عن الجواب؟ ومن آكثني بيت من الشعر عما  
يجتاج من تطويله الكتاب؟ ومن الذي عاق المترجمات وربها؟ وأخفى ملطقات  
الجوايس وعيها؟ ومن الذي سن البرد وبعثها في الملمات؟ ومن حاك شيئا  
من ملك سليمان فأستخدم الطيور في بعض المهمات؟ وما أوجز مكتبة كتبها  
عن خليفة في معنى؟ وما أبلغ جواب وأجزه أجاب به عن خليفة من لا سمي  
ولا كني؟ ولم أرخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وكيف لم يؤرخ بمولده أو غير  
ذلك من الأيام؟ ومن الذي أمره الخليفة بكتابة معنى فأرّج عليه الكلام وأقنه  
في المنام؟ ومن الذي وصف رسالة طويلة شيئا لم يصفه بنثار ولا نظام؟ وكيف  
جاز للكتب أن يكتب آية من الكتاب في لفظة يحسبها من لا يحفظ أنها من عنده

لامن حِفْظِهِ ؟ ، مثل قوله مع الرسول : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ . وقول الآخر في كتابه : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ . وكثير من هذا ؟ وهل يُؤخَذُ عليه في مثل ذلك كما أُخِذَ على التَّحَايِجِ في أسماء المُسْتَفِيضِينَ به من أهل السَّجَنِ : ﴿ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ ؟ . وما الفرقُ بينهما ؟

وعَلَامَ يُطَوَّلُ الكَاتِبُ بِأَهْلِ البِسْمَلَةِ ؟ ، وَلَا يُثَبِّتُ لِأَقْلِيلًا وَأَوَّ الحِسْبَلَةِ ؟ ، وَلَا يُجَدِّدُ وَلَا يُسَمِّلُ عَلَى مَا أَلْفَ ، وَكَيْفَ يُعَلِّمُ فِي بَعْضِ السَّجَعَاتِ عَلَى الأَسْمَاءِ الْمُقْصُورَةِ بِالْيَاءِ وَالأَصْلُ فِيهَا الأَلْفُ ؟ ، وَأَسْأَلُهُ كَيْفَ يَصِفُ القِرَاطِيسَ وَالأنْفَالِمَ وَيَسْتَدْعِيهَا ؟ ، وَالسَّكِينِ وَالدَّوَاةَ وَيَسْتَهْدِيهَا ، وَكَيْفَ يَكْتُبُ مَلِكٌ طَلَبَ مِنْهُ عَدُوٌّ قَطِيعَةً عَنْ جَيْشِهِ يُعْطِيهَا ؟ ، وَكَيْفَ يَكْتُبُ عَنْ خَلِيفَةِ أَسْتَسْقَى وَلَمْ يُطْرَقْ ؟ ، وَخَلِيفَةَ صَارِعٍ فَضْرَعٍ كَالعَصِيمِ وَكَيْفَ يُعْذِرُ ؟ ، وَمَا الَّذِي يَكْتُبُ فِي نَارٍ وَقَعَتْ فِي حَرَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَمَا الَّذِي يَكْتُبُ عَنِ المَهْزُومِ إِلَى مَنْ هَزَمَهُ فِي مَعْنَى رُكُونِهِ إِلَى الإِهْجَامِ ؟ ، وَكَيْفَ يُنَبِّئُ خَلِيفَةَ خُلُجِ فَرَجِحَ ، وَغُرَبَّ عَنِ السَّجَنِ وَطَلَعَ ؟ ، وَأَسْرَهُ العَدُوِّ ثُمَّ تَخَلَّصَ وَأَسْتَقَامَ بَعْدَ مَا نَهَضَهُ الدَّهْرُ بِمَرَضٍ ، أَوْ تَمَرَّضَ فَانْتَهَضَ ؟ ، وَكَيْفَ يُنَبِّئُ مِنْ زَوْجٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ أُمَّهُ ، وَيُعْزِي وَالِدًا قَتَلَ وَلَدَهُ وَوَلَدًا قَتَلَ وَالِدَهُ وَيُصَوِّبُ حُكْمَهُ ؟ ، وَيَكْتُبُ عَمَّنْ حَاصِرٍ حَصْنًا وَتَرَكَهُ بَعْدَ تَسْبِيلِ المَسَالِكِ ، وَكَيْفَ يَكْتُبُ فِي نَيْبٍ لَمْ يُوفِ لَآ أَحْوَجَ اللهُ لَذَلِكَ ؟ ، وَيُعْزِي كَافِرًا عَنْ بَعْضِ الأَعْرَاءِ الأَنْزَامِ ، وَيُنَبِّئُ عَهْدَ يَهُودِيٍّ بِوِزَارَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ ، وَيَكْتُبُ تَقْلِيدًا لثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةٍ مِنَ الحُكَّامِ ، وَيَسْتَنْجِدُ بِأَمْوَالٍ أَوْ مَسَاكِينِ (؟) مِنْ عَدُوِّ كَافِرٍ عَلَى كَافِرٍ ؟ وَيُبَشِّرُ عَدُوًّا بِأَخْذِ بِلَادِهِ مِنْهُ ، وَيَعْتَذِرُ عَنِ مَلِكٍ أَخَذَتْ شَوَانِيهِ وَحُجِرَتْ عَنْهُ ؟ ، وَيُنَبِّئُ خَصِيًّا بِزَوَاجِهِ ، وَيَعْتَذِرُ عَمَّنْ فَرَّ وَتَرَكَ وَلَدَهُ تَحْتَمُّ الظُّبَا فِي أَوْدَاجِهِ ؟ ،

(١) كذا في الأصول . ولعله في إسائة .



وَيَكْتُبُ لَمَلِكِ بَنِي قَبَائِلٍ فَأَحْتَرَقَتْ أَوْ وَقَعَتْ ، أَوْ أُجْرِي خِيُولَ رَهَانٍ فُسِبَتْ خَيْلُهُ  
وَأَنْقَطَعَتْ ؟ ، أَوْ نَحْرَجَ لَصَيْدٍ فَلَمْ يَجِدْ مَا يُصَادُ ، أَوْ لِبَرْزَةِ بِنْدُقٍ أَحْتَقِلُ فِيهَا وَلَمْ يَصْرَعْ  
شَيْئًا مِنَ الْوَأَجِبِ الْمُعْتَادِ ؟ ، أَوْ رَكِبَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ تَمَّازِكِهِ فَتَقَطَّرَ بِهِ الْجَوَادُ ،  
أَوْ وُضِعَتْ لَهُ أُنْقَى فَضَلَّهَا بِكَلَامٍ عَلَى مَا يَرْجُوهُ مِنْ ذُكُورِ الْأَوْلَادِ .

وَمِنْ هُنَا أَكْتُفُ الْقَلَمِ عَنْ شَوْطِهِ ، وَأَرْفَعُ عَنْهُ مَا وَضَعَهُ اللِّسَانُ مِنْ سَوْطِهِ ،  
خَوْفًا مِنَ الْمَالِ وَالصَّحْبِ ، وَكَتَمْتُ بِالْعُرْفَةِ عَنِ مَعْرِفَةِ النَّهْرِ .

فَإِذَا تَسَيَّرَ هَذَا الْكَاتِبُ مِنْ هَذَا الْعِقَالِ ، وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ هَذَا الْمَقَالِ ، وَنَحْرَجَ  
مِنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنَ الصَّمَقَالِ ؛ أَمْتَدْتُ كَفَّ النَّبْيَا فِي هَذَا النَّسِيَانِ  
بِمَسْحِ جَهَنَّمِ ، وَجَاءَ بِجَوَابِ هَذَا الْمَنْكُثِ كَمَا يُقَالُ : بَرَسَهُ ؛ (٤) وَأَمَّا طَلَامُهَا ،  
وَشَمَّرَ عَنْ أَزْهَارِهَا أَكْثَمَهَا - أَنْقَطَعَتْ الْأَطْرَاعُ دُونَ غَايَتِهِ ، وَبُسِطَتْ أَيْدِي رِسَائِلِي  
الْبُلْفَاءِ لِمُبَايَعَةِ رِسَائِلِهِ ، بَلْ أُنْتَهَى وَحَلَّ قَلَمُهُ عَلَى أَقْلَامِ فُرْسَانِ الْكَلَامِ سَوْدَاءَ رَأْيَتِهِ ،  
وَبَانَ هُنَالِكَ ظَلَمُ الْعَائِبِ وَحَيْفُهُ ، فَكَانَ كَمَنْ سُلَّ لِنَحْرِهِ سَيْفُهُ ، وَعُنْدَرُ عَلَى تَوَالِي  
التَّائِبِ مُؤْتَبَهُ ، وَكَانَ يَوْمُذِلُهُ الْوَيْلُ لِأَمْنِ بُكَذْبِهِ ، وَأَمَّا هَذَا الْفَاضِلُ بِمَا تُحَدِّثُهُ  
هَذِهِ الْوَاقِعَةُ مِنَ الْفَخْرِ وَتَجَنُّبِهِ :

فَعَاجُوا فَاثْتَسُوا بِاللَّيْلِ أَنْتَ أَهْلُهُ . وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْخَقِيبُ !

وَالْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِ سَيِّدِنَا أَنْ يَسُدَّ الْحَلَالَ كَيْفَ مَا وَجَدَهُ ، وَيُصْلِحَ الْخَطَأَ وَالْخَطْلَ  
كَمَا عَوَّدْتُهُ مِنْهُ وَكَمَا عَوَّدَهُ ؛ فَإِنَّهُ أَمِيرُ هَذِهِ الْمَنَاعَةِ وَنَحْنُ الرِّعَايَا ، وَشَيْخُ الْقَصَاحَةِ  
وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ كُنَّا وَجَدْنَا فِي زَوَايَاهُ مِنْهَا خَبَايَا ؛ وَمَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ إِلَّا يَدٌ  
أَمْتَدْتُ تَسْأَلُ مِنَ الْحِلْمِ مَا يَسْتَعْمَلُهَا ، وَهَذِهِ السُّطُورُ إِلَّا حَبَائِلُ تَتَصَيَّدُ مِنْ عَوَائِدِهِ  
مَا يَنْفَعُهَا وَيَرْفَعُهَا :

فَأَرْجُ عَلَيْهَا بَرَمَةً مَعْرُوفَكَ الَّذِي « سَتَرْتَهُ بِهَ قَدَمًا عَلَى عَوَارِي !

والله تعالى العالم أنها وردت عن قلب مدهورٍ عن حُسن الإيقان ، مُعَدِّدٍ عليه  
نوائب الدهر بأنامل الخفقان ، مرميٍ بسهام الأعادي في قيسى الضلوع ، غائصٍ في بحر  
الهم وكلمارُمت أن يلقي إلى دُرِّ الكلام التي درُ الدُموع :

أَيْكِي فَتَجْرِي مُهَجَّتِي فِي عَبْرِي \* وَكَأَنَّ مَا أَبْكَيْتُهُ أَبْكَانِي !

لا يَدْعُ لِي الْفِكْرُ فِي قَلْبِي ... .. الإِخْوَانُ وَقَدْ اسْتَنْطِطَ فِيهِ مَعْنَى ، وَلَا يُفْسِحُ لِي  
التَّعَجُّبُ مِنْ أُنْبَاءِ الزَّمَانِ لِنَقِصِهِمْ أَنْ أَصْحَحَ نَقْدًا وَلَا وَزْنَ ، أَجْتَحَّ لِيَسْمَ الْأَيَّامَ فَكَأَنِّي  
لَحْرِبَهَا جَنَحْتُ ، وَأَقْدَحَ فِكْرِي فِي اسْتِطْفَافِ الزَّمَانِ فَكَأَنِّي فِيهِ قَدْ قَدَحْتُ ، فَلَوْ قَضَى  
اللهُ لِي بِالْمُنِيَّةِ مِنَ الْمُنِيَّةِ لِأَرْحَتِ الزَّمَانَ وَأَسْتَرَحْتُ :

فَالْأَرْضُ تَعْلَمُ أَنِّي مُتَّصِرٌ \* مِنْ فَوْقِهَا وَكَأَنِّي مِنْ تَحْتِهَا !

وَلَا فَرْقَ فِيهَا بَيْنَنَا غَيْرَ أَنَا \* بِمَسِّ الْأَذَى تَدْرِي وَمِنْ مَاتَ لَا يَدْرِي !

ولا بد لي أن أطلق هذه الصناعة طلاقاً قطعياً ، لا طلاقاً رجبياً ، وأجاهرها  
جهازاً حربياً لا جهازاً عينياً ، وأضع صعدة حملها من أدبٍ عن بدني ، وأتولى قوس  
داله مع سهم بالها فما أصبت غير كيدي ، « كَأَنَّ الْقَوْسَ مِنْهَا مَوْضِعَ الْوَتْرِ » ، وَقُلْتُ  
أَذْهَبِي يَا صَبُورِي بِسَلَامٍ « فَإِذَا لَقِيتِ مِنْ آفَاتِهَا ، وَمُنِيَّتِ بِهِ مِنَ الْخَوْفِ فِي عَرَافَاتِهَا ،  
وَمُطِرَتْ لِأَنَّ عَوَارِضَ قَطْرِهَا وَلَكِنْ مِنْ عَوَارِضِ مُرْجَفَاتِهَا :

وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الْقَائِبِ وَالْأَذَى \* إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلِيَتْ الْحُبُّ يَذْهَبُ !

ومع هذا الحديث لم أشك أن أحداً سينتقد على تشبيهي ، وطرقه قديعة في استفتاح  
المكاتبه ، واستنباح المخاطبه ، ويقول : تلك أمة قد حلت ، ودولة فاضلية أدبرت  
مثل ما أقبلت ، فكيف تبعمها وترك طريقة فضلاء عصره ، وأبناء عصره ، فالجواب

(١) بياض بالأصل ولعله : « مصافاة الإخوان » أو نحوه .

ما قاله القاضي السعيد بن سناء الملك رحمه الله تعالى ، فما كان أسعدَ خاطره ! ،  
وأكثرَ ذهبَ لفظه وجواهره !! :

إني رأيتُ الشمسَ ثم رأيتها : ما ذاعَ عليّ إذا عَشِقتُ الأحسَناء !

وذكرت أن الـاس عـدره ونسبت أن الـاس أفعلها<sup>(١)</sup> .

انتهت إني هذا الموضوع ، والديك قد نعى بعيدَ الظلام ، وبلغَ عن الصبحِ السلام ،  
والأزهارُ قد سلبته عينه فقام من كراهِ يَصيح ، ومبدأُ العُصون قد أختببَ بمعنى  
الأطيارِ وشغِبَ الرِّيحُ ؛ ونسُرُ السماءِ قد فرَّ من العسداءِ وبازيها ، والنجومُ قد حُملتُ  
إني ملتحفاً من العُربِ على نُعوشِ دياحيها ، والمجرةُ من الجوزاءِ عاطلةٌ انحصير ،  
وَحَاقانُ الصبحِ قد حملَ على تجاشي الظلامِ رايةَ النصر .

لابرِّحَ سيدنا معصومِ الرؤية والأرتجال ، مسجلاً بشجاعة البراعة والحربُ مجال ،  
محمودِ المواقفِ والمساعي "والنفسُ تَفَعُّ والطُروسُ مجال" ، والسلام .

### الصنف السادس

( من الرسائل ما تكتب به الحوادثُ والمساجريات )

ويختلف الحال فيها باختلاف الوقائع : فإذا وقعت للأديب ما جريه وأراد  
الكتابةَ بها إني بعض إخوانه ، حكى له تلك المساجرية في كتابه مع تنبيح الكلام  
في ذلك ، إما ابتداءً وإما جواباً ، عند مصادقة ورود كتابه إذ ذاك إليه .

وهذه نسخة رسالة أنشأها الإمامُ قاضي قضاة المسلمين محيي الدين ، أبو الفضل  
يحيى ، بن قاضي القضاة الإمامِ محيي الدين أبي المعالي محمد ، بن علي ، بن محمد ،

(١) وردت هذه الجملة في الأصل هكذا ولا معنى لها .

ابن الحسين ، بن علي ، بن عبد العزيز ، بن علي ، بن الحسين ، بن محمد ، بن عبد الرحمن ،  
 ابن القاسم ، بن الوليد ، بن القاسم ، بن عبد الرحمن ، بن أبان ، بن عثمان ، بن عفان  
 رضي الله عنه ، لما ورد إلى القاهرة المحروسة في التاسع من جمادى الأولى من سنة  
 تسع وعشرين وثمانمائة ، وتعرف " برسالة التمس " وهي :

وَرَدْتُ رُقْعَةَ سَيِّدِنَا أَسْعَدَهُ اللهُ بِتَوْفِيقِهِ ، وَأَوْصَحَ فِي آكْتِسَابِ الْخَيْرَاتِ سُبُلَ  
 طَرِيقِهِ ؛ فَوَقَفْتُ عَلَيْهَا وَقُوفَ السَّازِ بُوْرُودَهَا ، الْمُسْتَسْعِدِ بُوْفُودَهَا ، الْمُبْتَهِلِ إِلَى اللهِ  
 فِي إِقْفَاءِ مُهْجَتِهِ الَّتِي يَنْشَرُفُ الْوُجُودُ بِوُجُودِهَا :

وَلَيْسَ بِتَرْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوْنِهِ \* وَلَكِنَّهُ قَدْ مَازَجَ الْعِلْمَ وَالذَّمَّ !

وَفَضَضْتُهَا عَنْ مَنِيْلِ النُّورِ تَفْتَحُهُ الصَّبَا ، وَبُرُودِ الرِّيَاضِ تَسَاهَمَتْ فِي آكْتِسَاءِ  
 وَشِيَا الْأَهْضَابِ وَالزُّبَا ؛ يَكْبُوْ جَوَادُ الْبَلِيغِ فِي مِضْمَارِ وَصْفِهَا ، وَيَأْبُو عَضْبُ لِسَانِهِ  
 عَنْ مِجَارَاتِهَا فِي رَضْفِهَا ؛ يُجْمَلُ مِجْمَاً النَّهَارِ بِيَاضِ طِرْسِهَا ، وَيُوَدُّ اللَّيْلُ لَوْ تَقَضَّتْ عَلَيْهِ  
 صِبْغَةَ نَفْسِهَا ؛ وَتَحْسَدُ الْكَوَاكِبُ رَائِقَ مَعَانِيهَا ، وَتَحْتَمِي لَوْ أُعِيرَتْ فَضْلَ إِشْرَاقِهَا  
 وَتَلَايِهَا ؛ فِي كُلِّ فِقْرَةٍ رَوْضَةٌ وَكُلُّ مَعْنَى كَأْسُ مُدَامِ ، وَكُلُّ أَلْفِ سَاقٍ وَكُلُّ سِينِ  
 طُرَّةٍ غَلَامِ ؛ وَكُلُّ وَأَوْعَظْفَةٌ صُنْدِغٍ وَكُلُّ أُونٍ تَقْوِيْسُ حَاجِبِ ، وَكُلُّ لَامٍ مَشْقَةٌ  
 عِذَارٍ وَكُلُّ صَادٍ حَظَّةٌ شَارِبِ ؛ تُصِيبُ مِنْ سَامِعِهَا أَقْصَى مَا يُرَادُ بِالنَّفْسِ فِي الْعُقْدِ ،  
 وَتَسْتَوِي بِلَفْظِهَا عَلَى لُبِّهِ أَسْتِيلاءَ الْجَوَادِ عَلَى الْأَمْدِ .

فَلَمَّا آجَلْتِ مِنْهَا الْمَعَانِي الْمُسْتَهَبَةَ فِي اللَّفْظِ الْمَوْجِزِ ، وَأَجَلْتِ طَرَفِي مِنْهَا مَا بَيْنَ  
 نَزْمَةِ الْمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةِ الْمُسْتَوْفِزِ ، وَأَسْلَمْتُ قِيَادِي إِلَى سِغْرِهَا الْمُحَلَّلِ وَإِنْ جَنَى قَتَلَ  
 الْعَاشِقِ الْمُتَحَرِّزِ - عَلِمْتُ أَنَّ سَيِّدَنَا أَجْرِي فِي حَلِيَةِ السِّيَاقِ فَحَازَ قَصَبَ سَبْقِهَا ،

وَدَلَّلْتُ لَهُ الْبَلَاغَةَ فَوَعَّلَ فِي شِعَابِهَا وَطُرُقِهَا، وَحُكِّمْتُ يَدَهُ فِي أَعْيُنِ الْفَضَائِلِ فَسَلَّمَتِ الْقَوْسَ إِلَى بَارِيهَا، وَدَرَجَاتِ الْعُلَىٰ إِلَىٰ مُسْتَحَقِّيهَا، فَمَنْ وَائِلٌ؟ وَمَنْ سَحَابٌ؟ ، وَمَنْ عَبْدُ الْحَمِيدِ؟ وَأَبْنُ صُوحَانَ ، وَأَيُّ خَبَرٍ يُقَابِلُ الْعِيَانَ؟ وَمَنْ يُقَاوِمُ مَا هُوَ كَائِنٌ بِمَا كَانَ؟ . فَسَأَلْتُ حَاطِرِي الْجَامِدَ أَنْ يُعَارِضَ بِوَابِلِهِ طَلَّهَا، وَأَنْ يُقَابِلَ بِجُنَّاهِ ظَلَّهَا، وَأَنْ يُجَارِيَهَا فِي حَلْبَةِ الْمُسَاجَلَةِ وَإِنْ دُعِيَ بِالسُّكَيْتِ ، وَلَقَدْ ائْتَمَعَتْ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَكَيْفَ يُنْطِقُ مِنْ مَيْتٍ؟ وَأَيُّ يُطْعَمُ فِي مُجَارَاةِ الْبَحْرِ وَلَا تَحِبُّ لَعَلَّ أَوْلَيْتَ؟ فَوَجَدْتُهُ أَصْلَدَ مِنَ الصَّخْرَةِ مَسَا، وَالنَّيْتُ بِأَقْلًا لَدَيْهِ قَسَا، فَمَا كُلُّ مَنْ طَرِقَ قَرَىٰ، وَلَا مَنْ إِذَا خَلَقَ قَرَىٰ، وَهَذَا الْمَعْبُودُ مِنْ حَاطِرِي إِذَا كَانَ جَامِعًا فَكَيْفَ وَقَدْ نَصَبَ مَائِهِ وَكَدَّرَتِ الْخَوَادِثُ بَحْرَ عِلْمِهِ وَالغَيْرَ، فَمِنْ دُونِ أَنْ تُسْتَخْرَجَ مِنْهُ الدَّرَرُ أَنْ يَلِينُ لِضَرْسِ الْمَاصِغِ الْحَجَرِ، فَبَدَّلَ جُهْدَهُ لِمَا شَعِبَتِ الْمَعْمُومُ مَبْلَهُ ، وَتَقَعَّ بِالْخَلْقِ مَنْ لَا جَادِيدَ لَهُ .

هَذَا مَعَ وَاقِعَةٍ وَقَعَتْ لَهُ فَأَصْبَحَ مُنْشَدَّنَا، وَتَحَىٰ عِنَانَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهَا مُنْقَلَبًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي بَارِحَتِهِ اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ الْقَاتِقُ بِسُلْطَانِهِ، وَأَسْتَلَبَتْ يَدُ الْأَرْقِ كَرَاهٍ مِنْ بَيْنِ أَعْجَانِهِ، كَأَنَّهُ سَاوَرْتَهُ ضَمِيلَةَ سُمِّهَا نَاقِعٌ، أَوْ مَدَّتْ إِلَيْهِ خَطَاطِيفُ حُجْنٍ نَهَا أَيْدِي الْخَطُوبِ تَوَازِعُ :

إِذَا اللَّيْلُ الْبَسِي تَوَبَّه ۞ تَقَلَّبَ فِيهِ فَنِي مُوجِعُ

فَنَارَةٌ فِكْرَتُهُ مُتَوَجِّهَةٌ لِحَوْقَلَةِ حَظِّهِ، وَأَوْنَةٌ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَىٰ مَا يَقْدِفُهُ طَارِفُ لِحْظِهِ، وَإِنْ يَدُ الْخَمُولِ قَدْ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ، وَأَزِمَّةُ الْمَطَالِبِ صِرَقَتْ عَنْهُ وَحَقَّقَهَا أَنْ تُصَرَّفَ إِلَيْهِ، وَالسَّعَادَةُ شَارِدَةٌ عَنْهُ وَمَا أَجْدَرُهَا أَنْ تُطَيَّفَ بِنَابِهِ وَتُسْتَقَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ :  
إِنْ كَانَ أَدْلَىٰ حَائِلٌ فَتَعَدَّرْتُ ۞ عَلَيْهِ وَكَانَتْ رَادَّةً فَتَحَطَّيْتُ،

لَمَّا تَرَكَتْهُ رَغْبَةً عَنِ حِبَالِهِ \* وَلَكِنَّهَا كَانَتْ لَا تَحْرُخُطِ !!

ولقد جهد في سِلمِ الدهر وهو يُجَارِبُهُ، «وكَيْفَ تَوَقُّوا ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ؟» فما شَامَ بَارِقَةَ أَمَلٍ إِلَّا أَخْفَقَتْ وَرَجَعَ بِمَعْنَى حُنَيْنٍ، وَقَرَّتْ أَعْيُنُ أَعَادِيهِ كَمَا سَخَّنتْ مِنْهُ الْعَيْنُ، فَلَقَدْ أَصْبَحَ أَفْرَغَ مِنْ حُجَامٍ سَابَاطٍ وَإِنْ كَانَ «أَشْغَلَ مِنَ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ» .

وكَمَا نَأْمَلُ جَدَّةَ الْعَائِزِ النَّائِكِصِ، وَنَظَرَ رِزْقَهُ النَّائِضِ النَّائِقِصِ؛ وَقَابَلَهُ الدَّهْرُ بِالْوَجْهِ الْعَابِسِ الْكَالِجِ، وَمَتَّى نَفْسَهُ عُنُقِي يَوْمَ صَالِحٍ، رَبَّعَ عَلَيْهَا فَمَنْ لِي بِالسَّائِحِ بِمَدِّ الْبَارِحِ؟؛ وَبَاحَى نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الرَّاكِبِ، وَالْأَضْطِرَابِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَأَنْ يَرَى بِالْجُودِ طَلْعَةَ نَائِرٍ وَبِالْعَرِمِيسِ غُرَّةَ آتِبٍ؛ وَيَصِلُ التَّهْجِيرَ بِالسُّرَى، وَيَبْتَ مِنْ قَيْدِ الْأَوْطَانِ مُوْتَقَاتِ الْعُرَى؛ وَإِنْ كَسَدَتْ فِضِيلَةٌ مِنْ فِضَائِلِهِ، أَوْ رَسَتْ وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِهِ؛ أَلْكَسَبَ بِأَحْرَى مِنْ أَخْوَاتِنَا، وَتَقَّتْ فِي عُنُقِهَا وَمَتَّ بِهَا وَقَالَ: أَنَا ابْنُ بَيْدَتِي؛ فَإِلَامٌ وَعَلَامٌ وَحَتَّى مَتَى؛ أَجَاوِرُ مِنْ أَنَا فِيهِمْ أَضْيَعُ مِنْ قَمَرِ الشَّتَا؟؛ وَحَالِي أَنْظَهُرُ مِنْ أَنْ يَقَامَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، وَ«إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ»:

وَمَا أَنَا كَالْعَبْرِ الْمُقِيمِ بِأَهْلِهِ \* عَلَى الْقَيْدِ فِي بُجُوحَةِ الدَّارِ يَرْبَعُ!

ثُمَّ اسْتَهْوَلَ تَقَحُّمَ الْإِعْوَارِ وَالْإِنْجَادِ، وَأَسْتَفْتَحَ لِقَادِحِ زِنَادِ الْحِظِّ الْإِكْدَاءِ وَالْإِصْلَادِ، وَأَقُولُ: أَخْطَأَ مُسْتَمْعِلُ أَوْكَادٍ؛ فَأَتُوبُ مَتَابٍ مِنْ حَلَبِ الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ، وَأَخَذَ إِذَا أَرْتَفَعَ عَنِ الدُّنْيَةِ مِنْ حَظِّهِ أَيْسَرَهُ، وَبِحَى كَمَا بَحَى سَلْفُهُ وَقَرَّرَ مَا قَرَّرَهُ؛ فَأَقُولُ: أَرِضُ الدُّنْيَةَ وَلَا تُلُوْ عَلَيْهَا، فَتَكُونَ «أَحَقُّ مِنَ الْمَمْهُورَةِ بِأَحَدِي خَدَمَتَيْهَا»، «فَالْحَرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِتَدْيِيهَا»:

وَلَسْنَا بِأَوَّلِ مَنْ قَاتَهُ \* عَلَى رِفْقِهِ بَعْضٌ مَا يَطْلُبُ.

وَقَدْ يُدْرِكُ الْأَمْرَ غَيْرَ الْأَرِيبِ \* وَقَدْ يُصْرَعُ الْحَوْلُ الْقَلْبُ!

ونارة يُحْطَرُ أَنْ لَوْ شَكَّوْتُ حَالِي إِلَى أَصْدِقَائِي مِنْ ذَوِي الْجَاهِ، وَسَأَلْتُهُمْ بِالْحَالِي  
 فِي الْإِسْتِغْنَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَأَحْضَمْتُمْ عَلَى أَنْتِهَارِ فُرُصَةِ الْإِحْسَانِ قَبْلَ الْقَوْتِ،  
 وَأَضْرَبْتُمْ لِي: "أَعْنِ أَحَاكَ وَلَوْ بِالصَّوْتِ" فَلَيْسَ عَلَيَّ مِثْلِي مِنْ يُحْيِيهِ الدَّهْرُ فِي ذَلِكَ  
 مِنْ جُنَاحٍ، "وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ"، ثُمَّ أَرَى أَنَّهُمْ لَوْ فَضَّلَ عَنْهُمْ شَيْءٌ بَلَّغُوا،  
 بَلْ لَوْ رُوبَتْ الْأَرْضُ لَهُمْ لِأَزْدَادُوا، وَلَوْ مُلْكُوا ظَلَّ اللَّهُ لِأَصْبَحَتْ لَدَيْهِمْ ضَاحِيًا،  
 وَمَا حَالِي بِخَافٍ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بُرْعَانَهَا مُتَأَدِيًا، وَقَبْلِي بَعَى عَنِّي الْأَمْرُ فَنَاقَتَهُ وَأَدْرَكَ الْجِدَّ  
 السَّعِيدَ مُعَاوِيَا، وَبَنَى لَكُمْ أَعْلَى تَعْلِيلِ الْمُفْطَمِ بِالْخَضَابِ :

سَمِعْتُ الْعَيْشَ حِينَ رَأَيْتُ دَهْرِي • يُكَلِّفُنِي التَّنَدُّلَ لِلرَّجَالِ !

وَأُخْرَى يُسَلِّي نَفْسَهُ عَنْ مُصَابِيهَا وَمَصَائِبِهَا، وَيَمْتَنِيهَا كَرَّ الْأَيَّامِ بِتَعَاقُفِهَا، وَيَقْصُ  
 عَلَيْهَا تَقَلُّبَ اللَّيَالِي بِالْأَتَمِّ الْمَاضِيَةِ فِي قَوَالِيهَا، وَأَنَّهَا مَا قَدَّمَتْ لِأَحَدٍ سَعَادَةً إِلَّا عَجَبَتْهَا  
 بِتَغْيِيرِهَا، وَمَا سَقَتْ صَفْوَةَ الْأَمَانِيِّ بَشَرًا إِلَّا شَابَتْ كَأَنَّهَا بِتَكْدِيرِهَا، وَأَنَّ سَبِيلَ كُلِّ أَحَدٍ  
 مِنْهَا سَبِيلٌ ذِي الْأَعْوَادِ، وَقُصَارَايَ وَلَوْ آتَمَّحْتُ الْأَرْضَ مَسْكًا وَأَهْلَهَا خَوْلًا سَبِيلُ  
 رَبِّ الْقَصْرِ مِنْ سِنْدَادٍ، وَلَوْ عَمَّرْتُ عُمرُ نُوحٍ كُنْتُ كَأَنِّي وَآدَمَ وَفَتَّ الْوَفَاةِ عَلَى  
 مِعَادٍ، فَإِنْ شِئْتَ فَارْقَعْ عَصَا النَّسِيرِ أَوْضَعْ، فَمَا هُوَ إِلَّا: "حَارِبٌ بِجِدِّ أَوْدَعْ".

فَبَيْنَمَا أَنَا أَعُومُ فِي هَذِهِ الْخَوَاطِرِ مُتَفَكِّرًا، وَأَقْرَعُ سِنَّ النَّدَمِ عَلَى تَقْصِي عُمرِي فِي غَيْرِ  
 مَآرِبِي مُتَحَسِّرًا، وَأَتَسَلَّى بِمَصَارِعِ الْأَوَّلِينَ أُخْرَى مُعْتَبَرًا، وَلَوْ أَنْجَزْتَنِي الْأَيَّامَ مَوَاعِيدَ  
 عُرُقُوبٍ، لَأَفْضَيْتُ بِي إِلَى أَحْسَنِ مِنْ مِيرَاثِ الْعَمَّةِ الرَّقُوبِ، وَلَقَدْ تَقَاعَسَ أَمَلِي حَتَّى  
 قَنِعْتُ بِحَالِي "وَوَسَّرَ مَا أَبْجَاكَ إِلَى عُجَّةِ عُرُقُوبٍ"، ثُمَّ مُحَاطَبُنِي بِحِجَايَ بِأَنَّ تَبَيَّنْتُ وَأَضْرَبْتُ،  
 فَالْتِيْلُ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مُقِمِرٌ، فَسَتَبْلُغُ بِكَ الْأَسْبَابُ، وَيَنْتَهِي بِكَ إِلَى الْمُقَدَّرِ الْبِكْتَابِ،  
 فَلَا تَعْمَلْ بِغُرَى الْمُدَّيِكَاتِ غِلَابَ .

فاستروحت إلى فتح باب كان مرثما ، وأزددت باستجلاء محيا السماء من بعض  
 همي فرجا ، وأنتفتت من نسيم السحير ما وجدت به من ضيق فكري مخرجا ؛  
 ففتحته عن شبائك كتخيط الأوقاق ، أو كرامة شطرنج وضعت بين الرناق ؛  
 أليس من صبغة الليل شعارا ، وأخذ لاستجلاء وجه الغزالة نهارا ؛ جلد على القيام  
 والكبد ، صبور على الخالين في الحر والبرد ؛ يحول جثمان المرء عما واره ، ويبيع  
 إنسان الطرف رعي حماه ؛ يديل من ظلمة الليل ضوء النهار ، وينم بما استودعته  
 من الأسرار ؛ يسرف إلى غيضة قد ألتفت أشجارها ، وتهدلت ثمارها ، ورقصت  
 اغصانها إذ غنت أطيارها ، وأطردت بصافي الزلال أنهارها ، وتمت بعرف العنبر  
 الشحري أزهارها ؛ وقد قامت عرائس النارج على أرجلها ، تتنأل في حلها وحلها ؛  
 قد أليست من أوراقها خلعا خضرا ، وحللت من ثمارها تيرا ؛ ونظم قداحها  
 في جيادها لؤلؤا رطبا ، وزحمتها نسيم السحر فالت محبا ؛ وقد مدت في أرضها  
 من البنفسج مقارش سندس فروزت بالحداول ، كيساط أخضر سلت أيدى القيون  
 عليه صقليات المعاول ؛ وقد حدثت عيون الرقباء من النرجس فائمة على ساق ،  
 ولعبت بها يد النسيم فتأملت كعناق المحبين عند الفراق ، فأجلت محبا وسما تبليج  
 أسرته ، ومنظرا جسيا تروق بهجته ؛ قد مد الساط بساطا أزرقا ، بزهر الكواكب  
 مشرقا ؛ وطرز به الشفق طرازا مذهبا ، وأبدى تحته للأصباح مفرقا أشيا :

ورث قبض الليل حتى كأنه \* سائب بأنفاس الصبا متويع ،

ورقع منه الذيل صبيح كأنه \* وقد لاح شخص أشقر اللون أبلج ،

ولاحت بقبات النجوم كأنها \* على كبد الخضراء نور يفتح !

وجنح البدر للغروب فداعت الكواكب تدمه كوكبا كوكبا ، فكانه ملك أخذ

الحجرة عليه مضربا ؛ وتوج بالثريا إكليل ، وحسنت الكواكب بين يديه توفيرا له



وتجيبلا ؛ وأصطفقت حوله خدماً وجنوداً ، ونشرت من أشعتها ألويةً وبُوداً ؛  
وأخذت مقاماتها في مراكرها بجيوش عبتت للقاء مُناجزها ، ومسايقها أخذت قُرصة  
النصر ومناجزها :

ولاح سهيلٌ من يعيد كأنه ۞ شهابٌ يُبعثه عن الريح قانسُ !

وأبرئ نسيم السحر عيلاً ، وجر على أعطاف الأزهار ذَيْلاً بديلاً ؛ وروى أحاديث  
الرياض بلسان قنبره ، مديعاً لأسرار خزاماه وزهره ؛ وغردت خطباء الطير على منابر  
الأغصان ، واستنبطت من قلوب الحيين دقائِن الأخبجان ؛ وحث داعي الفلاح ،  
طائفة الثقي والصلاح ؛ على أن تؤدى قرضها وتقلها ، وترتق بخصوعها بين يدي  
مولاه دَرجات السعادة التي كانت أحق بها وأهلها ؛ وهتف بشير الشجع بمن أحيا  
ليلته لما تمزق قيص الليل وأقوى : "عند الصباح يمدُّ القوم السرى" .

فينا أنا أفكر في أن جملة ما عاينته سيصبح زائلاً ، وعن تلك الصبغة العجيبة  
حايلاً ، وأتدبر : ( وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا )  
إذ أهدت إلى الأيام إحدى طرفيها وغرائبها ، وكبرى أوايدها وتجايبها ؛ فطرق سمي  
من الشباك نباه ، وتلتها وجبة تبعها وثبه ؛ فاستعدت من كيد الشيطان المريد ،  
وقلت : أسعد أم سعيد ؛ وإذا بشمس قد فارقت وجاره إلى وجرارى ، وأختارنى على  
الصحراء جارا فأرضيته بجرارى ؛ فوَجَّح مُتَّأَسِّبًا ، ومرح بين يدي آفيسا ، وأرايى  
أحد كفيته في الأسترسال ليلى والأخربالتمع شامسا ؛ فمد له الحرص على جوهره حبايل  
مكره وشباك ، ويد العيش تحول دون قنصه وإمساكه ؛ وبقايا الظلام تقضى  
بمنه ، وتصد عن جملة من الوفاق في موضعه ؛ وأنا مُلازمه مُلازمة المُعسر لرب  
الدين ، حتى يتبين الصبح لذي عينين .

فلما خَشِيتُ على صَلَاتِي القَوْتَ عَدَلْتُ إلى تَأْدِيَةِ قَرُصِهَا ، وَتَوَجَّيْتُهَا بَيْنَ يَدَيَّ  
مُوجِبًا وَعَرَضِيًّا ؛ فلما انْقَلَبْتُ من مُصَلَّي ، وَأَنْصَرَفْتُ عن مُنَاجَاةِ مَوْلَاي ؛  
بَرَقَتْ لِي بَارِقَةٌ ، خُيِّلَ إلى أَنَّهَا صَاعِقَةٌ ؛ فَقَالَتْ : أَذْرُقَرُّنُ الغَزَالَهَ ؟ ، وإلا فَلَآتَ  
حِينَ ذُبَابَهَ ؛ فَعِيلٌ : إِنَّ الغَلَامَ نَظَرَ إليه شَرُّرًا ، وَهَزَلَه المِهْنَدُ فَشَقَّ لَهُ من الظُّلُمَاءِ  
بِحُرًّا ، وَأَبْدَى لَهُ وَجْهًا مُكْفَهَرًا ، وَرَامَ أَنْ يُعْطِيَه من المِنْدِيَةِ مَرَّجًا وَعُشْرًا ، كَأَنَّهُ قد لَاقَى  
أَسَدًا هَزَنَرًا ؛ وَاتْرَجَ لَهُ كَأَسَ الحِمَامِ بالوَأَيِّ ، وَرَمَاهُ بِثَالِثَةِ الأَثَابِي ؛ فَعَطَفْتُ عَلَيْهِ  
بِاللَّيْمَةِ مُنْكَرًا لِحَمَلِهِ ، وَهَتَفْتُ بِهِ زَائِرًا عن قُبْحِ فِعْلِهِ ، ثُمَّ عَدَّرْتُهُ : « وَمَنْ لَكَ بِأَخِيكَ  
كُلَّهُ » ؛ وَقُلْتُ لَهُ : مَاذَا تَرَكَ تَصْنَعُ لَوْلَا قَيْتُ أَسَدًا أَضَلًّا ؛ لَقَدْ خَلَّتْ أُنْكَ تَرِيدٌ - وَإِنْ  
كُنْتُ وِلِيدًا - أَشْبِيَا ؛ أَمِنْ هَذَا بَادَرْتُ إلى السَّيْفِ مُحْتَرِطًا ؟ ، « إِنَّكَ لِأَجْبِنٌ من  
المُتْرُوفِ صَرِطًا » لَقَدْ أَظْهَرْتَ من الفَشَلِ مَا جَاوَزَ قَدْرَ الحَسَدِ ، وَوَضَعْتَ المِرَاحَ  
فِي مَحَلِّ الحِدِّ وَقَابَلْتَ الأَثْمَلَ بِالأَشَدِّ ؛ فَسُحِقًا لَكَ وَبُعْدًا ، لَقَدْ قَدَحَ مَرَّجِيكَ  
بِعِدَا زِنَادًا صَلْدًا ، وَأَسْتَنْجِعُ المَاءَ جَلْمَدًا جَلْدًا .

فَصَوَّبَ طَرَفَهَ فِي وَهْتَفٍ مُنَادِيًا ، وَأَظْهَرَ وَفَاءً أَرَى بِالسَّمْوَلِ بنِ عَادِيَا ؛ أُنْجِ  
هَرَبًا وَلَا إِخَالِكَ تَاجِيَا ؛ إِنِّي رُمِيْتُ من الخُطُوبِ بِأُصْعِيهَا ، وَلَا يُبْنِيكَ بِالْحُرُوبِ  
كُجْرِيهَا ، وَالْفَاصُ بِاللُّقْمَةِ أَخْبَرِيهَا ؛ فَلَقْدَ أَوْطَأَني مَا لَا أُسْتَقِيلُ مِنْهُ العَثْرَهَ ، وَمَا لَقَيْتُ  
فِي حَرْبٍ كَهَيْهَةِ المَرَّةِ ، « وَالْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الحِمْرَهَ » ؛ لَقَدْ صَرَّحَ لِي بِالنُّشْرِ ولم يُجِجْ ، وَكَثَّرَ  
عن أَنبِيَاهِ غَيْرِ مُتَمِّمٍ ؛ « وَحَسْبُكَ من شَرِّ سَمَاعِهِ » ، « وَأَسْتُ البَائِنِ أَهْلٌ » ؛ تَالِهَ إِنَّهُ لِأَجْرًا  
من خَاصِي الأَسَدِ ، وَلَئِنْ سَبَرْتَهُ لَتَمَنَّيَ مَا بَيْنَ الذَّنْبِ والنَّقْدِ ؛ وَلَقَدْ رَضِيْتُ نَفْسِي من  
العَنِيْمَةِ أَنْ تَوُوبَ بِذَمَائِهَا ، لَمَّا تَشَبَّهْتُ بِمُخْبِرِي نَخْضِهَا بِذَمَائِهَا ، انْقَلَبْتُ : « أَجْفَلُ عن  
جَنَابِكَ الخَيْرِ وَأَجْلِي » ، « أَصَرِطًا وَأَنْتَ الأَعْلَى » ؛ ثُمَّ نَضَّاحْتُ إليه لَمَّا شَاهَدْتُ  
أَسْتِعْبَارَهَ ، وَأَوَيْتُ لَهُ إِذْ رَأَيْتُ أَسْتِكْبَارَهَ الخُطْبِ وَأَسْتِكْبَارَهَ ؛ وَقُلْتُ : من صَافِ الأَسَدِ

قَرَاهُ أَظْفَارَهُ، وَمِنْ حَرَكِ الدَّهْرِ أَرَاهُ أَفْتِنَارَهُ، وَعَدَلْتُ إِلَى الدَّلُولِ الشَّامِسِ، المُسْتَأْسِدِ  
المُسْتَأْسِسِ، وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهِ فَأَنْقَادَ لَهَا طَائِعًا، وَخَضَعَ لِإِجَابَةِ دَعْوَتِي سَامِعًا.

فَلَمَّا حَازَهُ فِي الفُبْضَةِ الإِسَارَ، وَبَطَلَ الإِقْلَالُ مِنْ ذَلِكَ اللَّفْظِ وَالِإِكْثَارِ، وَقَدْ  
كَانَ أَعَزَّ مِنَ الأَبْلَقِ العَقُوقِ، وَأَبْعَدَ مِنْ بَيِّضِ الأَنْوُقِ، أَسْتَجَلَيْتُ صُورَتَهُ مُتَمَّلاً،  
إِذْ لَمْ يَبْقَ لَهُ سِوَى قَبْضَتِي مَوْئِلاً، فَرَأَيْتُ هَامَةً نَفَمَهُ، وَجِئْتُهُ صَخَمَهُ، وَشِدْقًا أَهْرَتًا  
رَحْبًا، ذَا مِرَّةٍ عَلَى أختِلَافِ الحَوَادِثِ صَعْبًا، وَأَنْبَابًا مُحَدَّدَةً عُضَلًا كَالنِّصَالِ، وَطَرَفًا  
مُحَالِسًا غَيْرَ عَرٍّ بِالمَكْرِ وَالخِتَالِ، كَأَنَّهُ سَهَابٌ يَتَوَقَّدُ، أَوْ شُعْلَةٌ تَارٍ لَمْ تَجِدْ، وَسَامِعَتَيْنِ  
لَتَوْجِدَانِ مَادَارٍ فِي الأَوْهَامِ، وَتَدْرِكَانِ مَا يَنْبَغِي بِهِ المَرءُ نَفْسَهُ وَلَوْ فِي الأَحْلَامِ، قَدْ  
نَيْطَلَتْ بِعُنُقِ صَعْرَتِ هَامَتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، إِنْ أَسْتَدْبَرْتَهُ قَلْتِ : هُوَ مُشْرِفٌ عَلَيْهَا  
أَوْ أَسْتَقْبَلْتَهُ قَلْتِ : هِيَ مُشْرِفَةٌ عَلَيْهِ، يَشْتَمِلُ عَلَى نَحْرِ خَصِيبِ، وَصَدْرِ رَحِيبِ،  
فِيهِ تَزَعْنَا بِيَاضِ كِهْلَالَيْنِ قُرْنَا فِي نَسَقِ، أَوْ تَجَمَّى ذُوَابُهُ ظَهْرًا فِي عَسَقِ، تُسْرِفُ نَفْسُ  
النَّاظِرِ إِلَيْهَا، وَيُعَقَّدُ خَيْصَرَ الأَخْيَارِ فِي حُسْنِ الشِّيَاتِ عَلَيْهَا، أُنْصَلَ ذَلِكَ بِمَنْكَبِ  
عَيْدِ، وَسَاعِدِ شَدِيدِ، وَرُبْنِ شَثْنِ وَمَجْلِبِ حَدِيدِ :

ذَوَاتِ أَشَافٍ رُكِبَتْ فِي أَكْفِهَا \* نَوَافِدَ فِي صَمِّ الصُّخُورِ نَوَاشِبِ،

مُعَقَّفَةِ التَّرْدِيفِ عَوِجَ كَأَنَّهَا \* تَعَقَّرُبُ أَصْدَاحِ الحِمَاَنِ الكَوَاعِبِ !!

قَدْ جَاوَرَ جَوْجُورًا نَهْدًا، وَقَابَلَ كِهْلَالًا مُتَدَدًا، بِكَادِ خَصْرُهُ يَنْعَقِدُ أَضْطِرَارًا،  
وَهِمَّتُهُ تَنْسَعَرُ نَارًا، بِرَجْلَيْنِ تَسْبِقُ فِي الحُضْرِ يَدَيْهِ، وَتَقْسُدُ بِأَظْفَارِهَا أذُنَيْهِ، وَذَنْبِ  
كَالرِّدَاءِ المُسْبِلِ يَجْرُهُ أختِيَالًا وَمَرَحًا، وَبِقَبْضَتِهِ عَجْبًا وَقَرَحًا، إِنْ أَنَسَابَ قَلْتِ : أَنَسَابَ  
أَنْصُرَانِ، أَوْ صَالَ قَلْتِ : أَسَدُ خَفَانِ، أَوْ وَثَبَ سَبَقَ الوَهْمِ فِي أَنْحِطَاطِهِ، أَوْ طَلَبَ  
أَذْرَكَ البَرَقِ مِنْ نَشَاطِهِ، أَوْ طَلَبَ فَاتَ الطَّرْفِ فِي أَنْحِرَاطِهِ، أَنْتُمْ مَسَا مِنْ أَرْبِ،

وأزهي من نعلب؛ قد كساه الظلام خلمته، وقبل الصباح طلعتَه؛ حاز من القديس  
صقاله وبهجتَه، ومن الفلك لينه ونمته؛ أليس رداء الشباب، ونزه عن تزوير  
الحضاب؛ إن أختلس فما تأبط شرا، أو خاتل أزرى بالشفق مكرًا؛ أحد نفسا  
من عمرو بن معدي؛ لا يصيلد قاذح زناد بطيشه ولا يكدي؛ أنزق من أبي عباد،  
وأصول من عترة بن شداد؛ أفك من الحرث بن ظالم، وأنهر فصدا للدم من حاتم؛  
لا يلين ولا يشكو إلى ذي تصيب، "كأنه كوكب في إثر عفرية"؛ يكاد عند  
المخالفة في أشيابه، يفوت الخطر أو يخرج من إهائه؛ إن فارن طيرا أباه مئسرا  
تفسير الأسد، أغلب فيه شفا كأنه عقد ثمانين في المدد؛ فيئنده : الأعم صباحا  
أبها الطلل البالي، فلا يحس له بعين ولا أثر يجيس الليالي، فكان قلوبها رطبا  
وياسا لدى وكزه العناب والحشف البالي؛ أعناد قنص السائح والبارح، فسات  
ورد المية منه غاد ولا رائج؛ طويل القرا مدح الأعظم، له مخالفة سرحان وهمة  
صيم؛ أحن من نقيه(؟)، وأظلم من حيه، أطيش من فراشه، وأسبق إلى الغايات  
من عكاشه؛ أخطف من عقاب، وأشجع من ساكن غاب؛ أسرق من جرد وأنوم  
من قهد، وألين من عين وأخشن من قد؛ بأسه قضا على الطير منزل، وبطشه  
ملك بأجلها مرسل .

فلما تأملت خلقه، وسبرت بحجربة الفراسة خلقه؛ تجملت له حجريا مستحصدا  
ألمرة لوثاقه، وأحكمت شده في حمل خناقه؛ وقلت له : إني مجربك بحبابة هذا  
النهار، "ومن سلك الجدد آمن من العتار"؛ فعل ذي خبرة بمكره، وعلى ثقة من غدريه؛  
فإن اللئيم ذو صولة بمد الخضوع، وقضح التطيع شيمة المطبوع؛ وكيف الثقة به  
وإن استقر ولم يتيسر؟ وأنى الطمأنينة إليه وهو الأزرق المتأسس؟ .

ثم أنصرفت إلى البلد لبعض شأني ، والأجتماع بأخلاقني وأخذاني ، وأستفرقت  
أديم النهار فيما توجهت له ، وقطعتُ عمرَ يومٍ ما كان أطولَه ! .

فلما قضيتُ نَهْجِي ، من نُجُوعِي ، وحانت مع وُجُوبِ الشَّمْسِ رَجْعِي ، أَلْقَيْتُهُ  
عَمْدًا إِلَى الْوَتَاقِ فَقَرَضَهُ ، وَوَفَّاهُ بِالْكَفْلِ الْوَاقِي مَا أَقْرَضَهُ ، وَصَالَ عَلَى شَيْخَةٍ تَسْتَسْعِدُ  
بِدُعَائِهَا ، وَتَفْرَعُ إِنْ دَمَمْنَا هَمٌّ قَبْلَ نِدَاءِ أَوْلَى الْبَطْشِ إِلَى نِدَائِهَا ، ذَاتِ خُلُقٍ عَظِيمٍ ،  
وَمِنْطِقٍ رَخِيمٍ ، وَقَلْبٍ رَحِيمٍ ، وَوَجْهِ ذِي نُضْرَةٍ وَنَعِيمٍ ، إِنْ قَامَتْ أَحْيَتِ اللَّيْلَ بِالسَّهْرِ ،  
أَوْ قَرَأَتْ رَأْيُنَا حَوْلَهَا زُمْرًا بَعْدَ زُمْرٍ ، إِنْ حَادَتْهَا نَطَقَتْ بِالسَّجَرِ مَحَلًّا ، أَوْ تَارَكْتَهَا  
رَأَتْ الصَّمْتِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النُّطْقِ مُفَضَّلًا ، تَسْرُ نَفْسَكَ فِي حَالَةِ الصَّخَبِ ، وَتُرِيكَ  
وَجْهَ الرِّضَا فِي صُورَةِ الغَضَبِ ، فَتَدَّ إِلَيْهَا يَدَ العُدْوَانِ ، وَأَطَاعَ بِأَذَاهَا أَمْرَ الشَّيْطَانِ ؛  
وَلَمْ يَرْقُبْ فِيهَا إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ، وَحَمَلَهَا حَمَلْنَا مِنْ أَذَاهَا عَمَّةً ؛ وَمَرَّقَ قَشِيبَ أَنْوَابِهَا ،  
وَحَكَّمَ مَحَالِيهِ الحَدِيدَةَ فِي إِبْهَامِهَا ، فَعَظُمَ مُصَابٌ مِنْ حَوْتِ دَارِي بِمُصَابِهَا .

فلما وصلتُ رَأْيَهَا بِأَكِيَّةِ ذَاتِ قَلْبٍ مَرِيضٍ ، وَجَنَاحِ مَهِيضٍ ، فَسَلَّيْتُهَا بِأَنَّ  
المَصَابِيحَ تُلْقَاهَا الأَبْرَارُ ، وَتَرْقُقَتْ بِهَا إِلَى أَنْ رَفَأَتْ تِلْكَ الأَذْمَعِ الغِزَارَ ، وَأَوْرَدَتْ :  
«إِنَّ جَرَحَ العَجَّاءِ جُبَارٌ» ، وَقَالَتْ : إِيهَا لَكَ وَأَهَا ، لَقَدْ أَرْتَكَبْتَ خَطِيئَةً مَا أَلْقَاهَا بِمُذْرِكِ  
وَأَوْلَاهَا ! ! ، «فَلَقَدْ أَنْصَفَ القَارَةَ مِنْ رَأْمَاهَا» ثُمَّ آلَيْتُ أَلِيَّةَ بَرِّهِ ، لِأَوْطَانِهِ مِنَ الْوَتَاقِ  
بِحِرَّةٍ ، وَلَا تَقْصُرَنَّ بِهَذِهِ المَرَّةِ تِلْكَ المَرَّةَ ؛ وَأَتَيْتُهُ بِسِلْسِلَةٍ تَنْبُو أَنْبَاهُهُ عَنِ عَجْمِهَا ،  
وَلَا تَثْبُتُ شَيَاطِينُ مَكْرِهِ بِرَحْمِهَا ؛ قَدْ أَبْدَعَ قَيْنُهَا الصَّنْعَةَ بِأَحْكَامِهَا ، وَأَتَى بِالعَجَبِ  
فِي نِظَامِهَا ؛ فَاللهُ هُوَ مَنْ تَحَكَّمَ فِيهَا بِقَطْعِ الجِلْدِ ، بِجَعَلِهِ مِنَ الطَّاقَةِ يُحْمَلُ وَبُعْقَدُ ؛  
فَاسْتَوَدَعْتُ عُنُقَهُ مِنْهَا أَمِينًا لَا يَخْفِرُ وَثِيقَ ذِمَّتِهِ ، وَلَا تَنْطَرِقُ الاوهَامُ إِلَى تِهْمَتِهِ ؛  
مُسْتَحْكَمِ القُوَّةِ فِي الشَّدِّ ، فَتَنْبِطُ تَنْبِطُ الأَسِيرِ عَلَى القَيْدِ ؛ وَنَظَرُ إِلَى بَطْرِفِ حَدِيدٍ ،

وَتَذَلُّ بِعَدِّ بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَبَصْبَسٍ بِذَنبِهِ قَلْتُ : « أَمْرُكَا وَأَنْتَ فِي الْحَدِيدِ » . فَلَمَّا  
أَيْسَ مِنَ الْخَلَّاصِ ، تَلَوْتُ : ( وَلاَتِ حِينَ مَنَاصِ ) .

فلما تم ما ذكرته ، وأبدأته وأعدته ؛ وردت رُفْعَةً سَيِّدَنَا عَلَى عَقَابِيلِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ  
الَّتِي وَقَعَتْ ، وَصَدَّقَتْ عَنِ الْجَوَابِ وَمَنَعَتْ ؛ وَأَقْنَضِي فِي الْحَالِ كَتَبَ هَذِهِ الْخُرَافَةَ  
وَإِنْ تَشَبَّهْتُ بِأَذْيَالِ الْحِدَّةِ ، فَأَخْرَجْتُمَا مَخْرَجَ الْمُرُوِّ وَإِنِّي دَلَّتُ عَلَى حَوَازِ قَصَبَاتِ  
الْحَبْدِ ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ فِي الرُّوَايَا خَبَايَا ، وَإِذَا صَحَّ أَنَّ الْأَصُولَ عَلَيْهَا تَبَتُّ الشَّجَرُ فَاثْنَا أَبْنُ جَلَا  
وَوَطَّلَاغُ النَّبَايَا .

هذا : وَإِنِّي قِرَاعُ الْخَطُوبِ فِي حَدِّي قُلُولا ، « فَالْفَحْلُ يَجِي شَوْلَهُ مَقُولًا » ؛  
وَلَقَدْ تَجَمَّعَتِ الْخَطُوبُ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَوْبُ ، وَطَرَقَتِ الرِّزَايَا جَنَابِي مِنْ كُلِّ  
صَوْبٍ ، وَبَحْرِيْتُ مَعَ الْخَطُوبِ كَقَفْرَسِي الرَّهَانِ ، وَمَا هَمَمْتُ بِعَقِيدِ إِلَّا سَقَطَ بِي  
الْعِشَاءُ عَلَى سِرْحَانٍ ، وَبِكُلِّ حَبْلٍ يَحْتَنِقُ الشَّقِي ، وَلَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي أَمْرُؤُ كَيْفَ يَتَّقِي ؛  
وَاجْلِدْ يَرَى عَوَاقِبَ الْأُمُورِ بِجَهْدٍ عِنْدَ النَّجَاحِ عُنَى السَّيْرِ ، ( وَوَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ  
لَا تَكْتَفَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ) .

تَجُوزُ الْمُصِيْبَاتُ الْفَسَى وَهُوَ عَاجِزٌ \* وَيَلْعَبُ صَرْفُ الدَّهْرِ بِالْحَازِمِ الْجَلِيدِ !

سَطَّرْتُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ إِلَى سَيِّدِنَا لِيُوَافِقَ خَبْرِي عِنْدَ أَصْحَابِهِ خُبْرَهُ ، وَ" مَنْ يَشْتَرِي  
سِنِّي وَهَذَا أَثْرَهُ " وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَيُضْرَبُ بِهَا فِي بَابِهَا الْمَثَلُ ، وَقَدْ " أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ  
مُشْتَمِلٌ " .



وهذه رسالة في الشكر على نزول الغيث ، من إنشاء أبي عبد الله محمد بن أبي  
الحصّال العافقي الأندلسي ، نقلها من خط الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد  
أبن سيد الناس البعمرى المصرى ، وهى :

الحمد لله الذى لا يكشفُ سوءَ سواه ، ولا يدعُو المضطّرَّ إلا إياه ، نُزِلَ فقربنا بِنِجَاهِهِ ،  
ونعوذُ من مُخِطِهِ بِرِضَاهِهِ ، وَتَسْتَغْفِرُهُ مِنْ ذُنُوبِنَا : (وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) .

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له إلهاً علّا فاقْتَدِرْ ، وأوردَ عِبَادَهُ  
وأصدرَ ، وبَسَطَ الرِّزْقَ وَقَدَّرَ ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله الذى بَشَّرَ وَأَنْذَرَ ،  
وَرَعَبَ وَحَدَّرَ ، وَعَلَبَ الْبُشْرَى عَلَى الْإِقْنَانِ ، ودلَّ على الصِّرَاطِ ، وأشار إلى السَّاعَةِ  
بِالْإِشْرَاطِ ، ولم يَأَلُ أَمْتَهُ فِي الذَّبِّ وَالْإِحْتِيَاظِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُرْزَأَةِ الْخُلُقَا ،  
وَالْبَرَّةِ الْأَنْفِيَا ، وَالْإِسْتِدَاءِ الرَّحْمَا ، وَالْأَصْحَابِ الرَّعْمَا ، صَلَاةً تَلَا مَا بَيْنَ الْأَرْضِ  
وَالسَّمَاءِ ، وَتَوَافِيهِمْ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ وَالْآنَا ، وَتَضَعُ الثَّنَاءَ مَوْضِعَ الثَّنَا .

ولما لَفَحَتْ حَرُّ الْجَنْدِ عَنْ حِيَالِ ، وَأَشْفَقَ رَبُّ الصَّيرِيحَةِ وَالْعِيَالِ ، وَتَادَى  
الْحَيْرَانُ لِلتَّفَرُّقِ وَالزِّيَالِ ، وَتَنَاوَحَتْ فِي الْهَيُوبِ رِيحُهَا الْجَنُوبُ وَالشَّمَالُ ، وَتَرَاحَتْ  
عَلَى الْقُلُوبِ رَاحَتَا الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ ، وَأَحْضَرَتْ أَنْفُسَ الْأَغْنِيَاءِ الشَّحَّ ، وَوَدَّوْا أَنْ  
لَا تَنْشَأَ مَرْزَنَةٌ وَلَا تَسِيحَ ، وَتَوْهَمَ حَازِنُ الْبُرِّ ، أَنْ صَاعَهُ يَمِيلُ صَاعَ الدَّرِّ ، وَخَفَّتْ  
الْأَزْوَادُ ، وَمَاجَتْ الْأَرْضُ وَأَنْثَقَتِ الرُّوَادُ ، وَأَنْبَرَعَتِ الْعَازِبُ الْقَيْصَى ، فَالْقَيْتِ الْعَيْصَى ،  
وَصَدَّرَتْ بِحَسْرَاتِهَا ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ حَرَرَاتِهَا ، وَأَصْبَحَتْ كُلُّ فَنَةٍ فِدْعَاءً ، وَهَضْبَةٌ دَرْعَاءً ،  
(صفاها وهما ونقبا وهما) (١) ؛ وَالصَّبِيحُ فِي كُلِّ أَفْقٍ قَطَّرَ أَوْ قَطَعَ ، وَالْأَرْضُ كُلُّهَا سَيْفٌ  
وِنِطْعٌ ، وَالشَّعْرُ يَشْمُرُ ذَيْلَهُ لِلتَّفَاقِ ، وَيُضَمَّرُ حَيْلَهُ لِلسَّبَاقِ ، وَجَاءَ الْجِدُّ وَرَاحَ الْهَزْلُ ،

(١) كذا في الأصل . وواصل إلى حته مع البحث والنقيب .

وقُلْنَا : هذه الشَّدة هذا الأزل ؛ وللمرجفين في المدينة عجاجة ظنوها لا تلبد ،  
 وقبى نحو الغيوب تعطف وتلبد ؛ فما يسقط السائل منهم إلا على ناب يجرى ،  
 وشهاب يترق ؛ حتى إذا عقدوا الأيمان ، وأخذوا بزعمهم الأمان ؛ وقالوا : لا يطمع  
 في القيت ، وزحل في الليث ؛ فإذا فارق الأسد ، لكذ ما أفسد :

تَحْرَصًا وَأَحَادِيثًا مُلْفَقَةً \* لَيْسَتْ بِنَيْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبٍ !

أَنَسَّا اللَّهُ العنان ، وقال له : كُنْ فَكُنْ ؛ فبينما التجوم دَرَارِيهَا الأعلام ، وأغفاها  
 التي لا تُحمد عندهم ولا تُلام ؛ قد اختلط مرعاها بالهمل ، ولم تدر السدة بالحل ؛  
 ولا علم الجدى بالربال ، ولا أحس الثور بالرامي ذى الشمال ؛ إذ غشيتها ظلل الغمام ،  
 وحجبتها أستار كاجحمة الحمام ؛ وأخذت عليها في الطروق ، مصادير الغروب والشروق ؛  
 فما منها إلا مضع بصيف ، أو مزمل في نجاد خصيف ؛ لم تترك له عين تطرف ،  
 ولا ثقبه يطلع منها أو يسرف ؛ فباتت بين دور متداركة السقوط ، ودور متناثرة  
 السموط ، وديم موحلة الخيوط ؛ وجبوش منصور الأعلام ، ثابتة الأقدام ؛ وكنايب  
 صادقة الهجوم ، صائبة الرجوم ، تطلب الحبل ما بين التجوم والنجوم ؛ وما زالت  
 ترميه بأحجاره ، وتحترسه في أحجاره ؛ وتغزوه في عُقر داره ، حتى عفت على آثاره ،  
 وأخذت للحرز والسهل بناه .

فيا أيها المؤمن بالكواكب ، أنظر إلى الديم السواكب ؛ وأسبح في لبحج سيوها ،  
 واربح في ممر ديوبها ؛ وسبح باسم ربك العظيم الذى قذف بالحق على الباطل ، وأعاد  
 الحلل إلى العاطل ؛ وبرود الظواهر محضره ، وتغور الأواهر مفرقه ؛ ومسرات النفوس  
 منتشره ، والذنيا صاحكة مستبشره ؛ وأرواح الأذواج حاملة ؛ وأعطاف الأغصان  
 مائلة ؛ وأوراق الأوراق تفصل ؛ وأجنحة الظلال ترأش وتوصل ؛ وخطباه الطير



تَرَوِي وَتُحْمِرُ ، وَشُيُوخُ الْحَارِبِ نُهْلٌ وَتُكَبِّرُ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُخَضِّعُ لِحَبْرَتِهِ ،  
وَيَنْهَدُ لِمَلَكُوتِهِ ، وَتَلُوْحُ الْحِكْمَةِ مَا بَيْنَ مَنْطِقِهِ وَسُكُوتِهِ .

فَأَمَّا الْخَطَّاطِيُّفُ فَقَدْ سَبَقَ هَا يَهَا ، وَنَطَقَ شَادِيهَا ، وَتَرَاجَعَ شُكْرًا لِهَيْ نَادِيهَا ؛  
فُعْشُ يُرَمُّ ، وَوَيْبَةُ إِلَى أُخْرَى تُرَمُّ ، وَشَعْمَةٌ يُلْمُ ، وَبَدَاةٌ تُوقُ وَتُمُّ ، وَكَأَنَّهَا حَنْتُ  
نَحْوَ الْمَشَاهِدِ ، وَسَابَقَتِ الْمَذَاتِي إِلَى الْمَعَاهِدِ ؛ فَظَلَّتِ اللَّفَاتِي بَعْدَهَا تُرَاعَا ، وَسَقَطَتْ  
عَلَى أَطَامِهَا أَوْزَاعَا ، وَأَجَدَّتْ إِقْطَاعَا ، وَأَجَابَتْ مِنَ الْخِصْبِ أَمْرًا مُطَاعَا ، وَحَارَتْ  
مِنَ الْحِدَائِقِ وَالْبَسَائِنِ إِقْطَاعَا ، وَسُغِرْدٌ فِي رَوْضَتِهِ الْمُكَاءُ ، وَيُضْحِكُكَ هَذَا الْوَابِلُ  
الْبَهَاءُ ، وَرُومُهُ فَلَا تَلْحَظُهُ ذُكَاةٌ ؛ تَحْتَهُ مِنَ الْأَنْثَانِ النَّاعِمَةُ قَلَاصُ ، وَأُحْصَانَتُهُ مِنْ  
الْخِضْرَاءِ الشُّبَيْبَةِ دِلَاصُ ؛ فَالْوَابِلُ لِأَهْلِ الْأَفْوَالِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَالنَّيْلُ لِأَهْلِ الثَّنَاءِ  
وَالنَّحِيرَاتِ ؛ وَالْمَرْعَى وَالسُّعْدَانُ ، وَأَرْضٌ بَكَوًا كَيْبُ النُّورِ تَزْدَانُ ، وَيَقَاعٌ تَدِينُ الْغَيْثَ  
كَأَنَّهَا ؛ أَدْكَرَهَا فَذَكَرَتْ ، وَسَكِرَتْ مِنْ أَحْلَاقِهِ فَسَكَرَتْ ، وَعَصْرُهَا مَا أَنْكَرَتْ ؛  
كَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهَا مِنْ أُمِّ حَارِجَةَ نَسَبَ أَوْ مَلِحَ ، قَالَتْ لَهَا : خِطْبُ فَقَالَ : نَحَجُ ،  
فَقَتَلَتْ الْأَزْهَارَ بِسَيْبِلِهِ ، وَنَبَتَتْ فِي مَسِيلِهِ ، وَنَبَتَتْ كَالْمَنْظَةِ فِي شَطْطِي نَجْمِيهِ .

فِيهِ نَرْجِيهِ تَرْنُو الرُّوَانِي بِأَحْدَاقِهِ ، وَتَسْتَعِيرُ الشَّمْسُ بِهِجَةَ إِسْرَاقِهِ ؛ وَيُودُّ الْمِسْكَ  
نَفْحَةَ أَنْثَشَاقِهِ ، يَحْسُدُ السُّنْدُسُ خُضْرَةَ سَاقِهِ ، وَيَتَمَنَّى الْحَامُ بَدَلًا مِنْ أَطْوَاقِهِ ؛ كُحْلَةٌ  
نَدَى تَعْرِقُ ، أَوْ غُصْنِي بَانَ لَا يَزَالُ يُوْرِقُ .

وَمِنْ عَرَّارٍ تَفْتِي مُطَالِمَهُ عَلَى عَرَّارٍ ، وَكَلَّفَتْ بِهِ السَّوَارِي وَالغَوَادِي كَلْفَ عَمْرٍو  
بِعَرَّارٍ ؛ بَغَاءُ كَسَوَالِفِ الْبَيْدِ تَرِفُ ، وَكُوْمِيضُ الثُّغُورِ يَعْجُبُ وَيَسِفُ .

وَمِنْ أُخْوَانٍ جَرَى عَلَى الثَّنَائِي الْفَرَّ ، وَسُيِّكٌ مِنْ نَاصِحِ الدَّرِّ ؛ يُقْبَلُهُ النَّسِيمُ فَيَعْبِقُ ،  
وَيَصْبِحُ الْجَوْعَا <sup>(١)</sup> وَيَعْرِقُ ، وَيُسْتَقْبَلُهُ نَاطِرُ الشَّمْسِ فَيُشْرِقُ .

(١) يباح بالأصل .

ومن بَتَفْسِجٍ كَأَطْوَاقِ الْوُرُقِ ، أَوْ كَالْيَوَاقِيتِ الزُّرْقِ ؛ تَشْرَفُ بِأَبْدِجِ الْخَلْقِ ،  
وَتَأَلَّفُ مِنَ النَّسَقِ وَالخَلْقِ ؛ تَلْحَظُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْرَاقِهِ نَوَاطِرُ دُجْحٍ بِالْأَجْفَانِ وَقَيْتُ ،  
وَبُدْمُوعِ الْكُحْلِ سُفَيْتُ ؛ نَسِيمُهُ الْيَنْ مِنْ الْحَرِيرِ ، وَنَفْسُهُ أَعْطَرُ مِنَ الْعَيْرِ ؛ يُفَاحِرُهُ  
كَأَنُورُ الْبَرْدِ ، مُفَاحِرَةٌ نَيْسَانَ بِالْوَرْدِ .

وَكُلُّ رَبْوَةٍ قَدْ أَخَذَتْ زُنُوفَهَا وَأَزْيَنْتُ ، وَبَيَّنْتُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَا بَيَّنْتُ ؛ كَمَا تَنُوجُ  
فِي إِيوَانِهِ كَسْرِي ، وَأَسْتَقْبَلْتَهُ وَفُودَهُ تَتْرِي ، وَأَقْبَلْتُ عَنْ حُسْنِ نَادِيهِ النَّوَاطِرُ حَسْرِي ،  
وَكُلُّ تَالِعَةٍ مَذَانِبُ نُصُوفِهَا نَسَلٌ وَمَضَارِبُ فُصُوفِهَا لَانْتِي ؛ وَأَرَايِمُ تَنْسَابِ ، وَحُلَيْنِ  
يُدَابُ وَيُدَابُ ؛ عَلَى حَافَاتِهَا نُجُومٌ مِنَ النُّورِ مُشْتَبِكَةٌ ، وَجُيُوبٌ عَنْ لَبَّاتِ النَّوَارِي  
مُشْتَبِكَةٌ ؛ فَلَوْ أَفْتَحْتِ الظُّهُورُ وَالْبُطُونَ ، وَنَطَقَتِ السُّهُولُ وَالْحُزُونُ ، لَقَالَتْ :  
( قَلَّ الْخَطْرَاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ) .

فَشُكْرًا رَبَّنَا شُكْرًا ، وَتُحْقَاقًا لِلَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ؛ اللَّهُمَّ بَارِي النَّسَمِ ؛  
وَدَارِي الْقَسَمِ ، وَنَاشِرِ الرَّحْمَةِ وَالنِّعَمِ ، وَمُنْزِلِ الدِّيمِ ، وَبَاعِثِ الرَّيْمِ ، وَوَحْيِي الْأَثَمِ ؛  
فَإِنَّا نُوْمِنُ بِقُدْرِكَ ؛ حَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَنَطْوِي غَيْبِكَ عَلَى غَيْرِهِ ، وَلَا تَتَعَرَّضُ لِنَشْرِهِ  
حَتَّى تَأْذَنَ بِنَشْرِهِ ؛ وَنَعْتَقِدُ رُبُوبِيَّتَكَ كُلَّ الْأَعْتِقَادِ ، وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوقِ  
وَالْإِلْحَادِ ؛ وَنَسْتَرِيدُكَ مِنْ مَصَالِحِ الْعِبَادِ وَمَنَافِعِ الْبِلَادِ ؛ رِزْقَنَا لَدَيْكَ ، وَنَوَاصِينَا  
بِيَدَيْكَ ، وَتَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ ، وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ ؛ وَلَا نُشْرِكَ بِكَ فِي غَيْبِكَ أَحَدًا ، وَلَا يَجِدُ عَبْدٌ  
مِنْ دُونِكَ مُتَعَدًّا ؛ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، وَآمَنَّا الْحَيُّ وَأَحْيَيْتَ الْمَيِّتَ ؛ لَا هَادِيَ  
لِمَنْ أَضَلَّتَ وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ ، فَكُنْفَنَا فِيمَنْ كَفَيْتَ ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ،  
إِنَّكَ قَهْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، وَتَقْرَأُ : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ  
الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ) الْآيَةَ .



وهذه نسخة رسالة ، كتبت بها الصاحب نضر الدين عبد الرحمن بن مكائس ،  
تعمده الله برحمته ، إلى الشيخ بدر الدين البشتكي عند ما زاد النيل الزيادة المفرطة ،  
سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، وهي :

ربنا أجملنا في هذا الطوفان من الآمين ، وسلاماً على نوح في العالمين .  
ما تأخير مولانا بحر العلم وشيخه عن رؤية هذا الماء ؟ ، وما قعاده عن زرقه  
هكذا النيل الذي جعل الناس فيه بالتوبة كالملائكة لما غدا هو أيضاً كالهما ؟ ،  
وكيف لم يره هذا الطوفان الذي استحال للزيادة فما أشبه زيادته بالظلم ، فهي كزيادة  
الإصابع الدالة في الكف على نقصه ، وأولى أن نُسَد بيت المثل بنصه :  
طَفَحَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى لَأَنَّهُ \* مِنْ عَظِيمٍ مَا قَدَّ سَرَرِي أَبْكَائِي !

فإنه قارب أن يمتزج بغير المجرة بل وصل وأمتزج ، وأرانا من عجائبه ما حقق أنه  
المعنى [ يقول القائل ] : " حُدِّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ " ، وتجاوز في عشر الثلاثين  
الحد ، وأرانا بالعائنة في كل ساحل منه ما سمعناه عن الجزر والمد ، وأساء في دفعه  
فلم يدفع بالتي هي أحسن ، وأقعده الماشي عن النسب والحركة حتى شكنا إلى الله  
في الحالين جور الزمن ، وسقى الناس من ماء حياته المعهودة كما شربوا من الموت  
أصعب كأس ، وسئل ابن أبي الرِّدَادِ عن قياس الزيادة فقال : زاد بلا قياس ؛  
أمتلاً لليباب ، وهال العباب ، وضاع العد وأختلط الحساب ، كأل فطفف ، وزار  
فاخفف ، غسل الحُسُور ، وأعاد الإملاق بعزمه إلى البحور ، وبرع فكان أولى  
بقول الخليلي من ابن منصور :

بِكَارِمٍ تَذَرُ السَّبَابِ أبحراً ، وعزائم تذر البحار سبياً !

جمع في صموده إلى الجبال بين الحادي والملاح، ودخل الناس إلى أسواق مضر  
 وخصوصاً سوق الرقيق على كل جارية ذات ألواح، وغدا الثيار ينساب في كل يوم  
 كالآيم، وأصبحت هضاب الموج في سماء البحر وكأنها هي قطع الغيم، واستحالت  
 الأفلاك فكل برج مائي، وتغيرت الألوان فكل ما في الأرض سمانى، وحكى ماؤه  
 حكاكة الصندل لما منه شيطان الريح فتحبط، وزاد فاستحال نفعه فتحقق  
 ما ينسب إلى الصندل من الاستحالة إذا أفرط، فلقد حكمت أمواجه ودوايره  
 الأعكان والسرر، وغدا كل شيء ميتاً من زيادته لا كما قال المعري: حياً من بني مطر<sup>(١)</sup>،  
 وتحالى إلى أن أقرف الليون الأخضر، وأحررت عينه على الناس فاذا قههم الموت  
 الآخر، ولقد صعب سلوكه وكيف لا؟ وهو البحر المديد، وأصبح كل جدول منه  
 جعفرًا ويزيد :

فَلَسْتُ أَرَى إِلَّا إفاضة شاخص \* إليه بعين أو مشيراً بأصبع!

فلكم قال الهرم للسارين بأسارية الجليل، وأنشد وقد شمر ساقه للفوض: أنا الغريق  
 فما خوفي من البلل؟ وكم قال أبو الهول: لا هول إلا هول هذا البحر، وقال  
 المسافرون: ما رأينا مثل هذا النيل من هنا إلى ما وراء النهر، وقال المؤرخون: لم تنقل  
 كهذه الزيادة من عهد التبروان وإلى هذا الدهر .

وكيف يسوغ لمولانا في هذه الأيام غير ارتشاف فم الخمر؟ ولم لا يغير منهبه  
 ويطيب على هذه الخلع بالسلسل والدور؟ وكيف وكيف؟! ولم لا يتخذ  
 مولانا حمو النيل وبرده رحلة الشتاء والصيف؟ وهو في المبادرة إلى علو المعالي  
 وعلو المعاني، وانتهاز الفرص في بلاغ الآمال وبلوغ الأماني :

(١) يشير إلى بيت المعري في قوله :

وانت بختت عن الأحياء كلهم \* فأسقى المواطر حياً من بني مطر

انظر مقط الزبد (ج ١ ص ٣٠) .

نَجَّبَ مِنْ نَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَوْعِ فَرْدٍ وَشَكْلِ غَرِيبٍ!

نَعَمْ :

مَنْ قَاسَكُمْ بِسِوَاكُمْ ۖ قَاسَ الْبَحَارَ إِلَى النَّادِ!

أَعْلَى الْأَنَامِ فِي الْعُلُومِ قَدْرًا ، وَإِمَامِ النِّجَاةِ مِنْ عَهْدِ سَيُوبِيهِ وَهَلْمٍ جَرًّا ، وَشَيْخِ  
الْعَرُوضِيِّ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَرًّا وَبِحُرًّا :

وَشَيْخِ سَبْحُونَ وَالتَّيْسِلِ وَالْفُصْرَاتِ وَدِجَلَةَ ،

وَشَيْخِ جَيْحُونَ أَيْضًا ، \* وَشَيْخِ نَهْرِ الْأُبُلَّةِ!

إِى وَأَفَّهُ :

أَقُولُهَا لَوْ بَلَّغْتَ مَا عَسَى : \* الطُّبْلُ لَا يُضْرَبُ تَحْتَ الشُّكْمَا!

لَا تَجِبْ لِعَطْرِ بَدْعُ عُرُوسٍ ، أَنْتِ أَعْوَمٌ فِي بُحُورِ الشُّعْرِ مِنْ أَبِي قَادُوسٍ ، وَأُضْلِحُ  
إِذَا حَدَّثْتَ مِنْ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُوسِ ، وَأَتَمِّهِ إِذَا هَزَلْتَ مِنْ أَبِي حِجَّاجِ إِلَى  
النُّفُوسِ :

وَلَوْ أَنَّ بَحْرَ التَّيْسِلِ جَارَكَ مَا زَحَا . وَحَقَّقَكَ مَا أَسْتَحَلَّ لَهُ النَّاسُ زَائِدًا!

نَسُودُ إِلَى مَا كُفَّا فِيهِ مِنْ وَصْفِ النَّيْلِ ، وَذِكْرِ حَالِهِ الَّذِي أَصْبَحَ كَمَا قَالَ أَبُو  
عَبْدِ الظَّاهِرِ : كَوَجْهِ جَمِيلٍ ؛ فَلَوْ رَأَى مَوْلَانَا وَقَدْ هَجَمَ عَلَى مِصْرَ بِلْخَاسِ خِلَالِ الدِّيَارِ ،  
وَدَخَلَ إِلَى الْمَعْشُوقِ فَتَرَكَ كَالْعَاشِقِ الْمَهْجُورِ لَمْ يَرْمَنْهُ غَيْرُ الْآثَارِ ؛ لَبَكَّى بِعَيْنِي عُرُوهُ ،  
وَأَوَى مِنَ الرِّصْدِ وَقَدْ تَفَجَّرَتْ مِنْ صَلْدِهِ عَيُونَ التَّرِّ إِلَى رَبْوِهِ ؛ أَوْرْنَا لِرُوضِ الْحَزِيرَةِ  
وَقَدْ خَلَعَ حِلَاهُ ، وَتَحَايَلَتْ عَرَائِيسُ أَشْجَارِهِ عَلَى الْخَالِيْنَ بِالْمِيَاهِ . وَالْأَيْخِيلِ وَقَدْ قَتَّاتِ  
مَلَأَتْهَا - حِينَ قَتَكَ - بِالْأَسْفِ ، وَجَفَّ أَحْمَرُ تَمْرِهَا وَأَصْفَرُّهُ فَارَانَا الْعُنَابِ وَالْحَشْفِ .  
وَالْحَيْرَةِ وَقَدْ قَلَّتْ لَهَا : تَبَا لِحَارِكِ النَّيْلِ إِذْ أَفْسَدَكَ صُورَةٌ وَمَعْنَى ، وَسَكَنَ مَعَانِيكَ فَسَقَى

ديارك غير آسئتنا . وقراها القريبة وقد قلت لها حين أوتت إلى أعالي الأرض هرباً من المياه ، واعتصمت بالجبل القريب : لا عاصم اليوم من أمر الله . وكل سفينة وقد علت على وجه الماء ، وأرتقت لأرتقاء البحر إلى أن اختلطت بالسماء ، وقد قالت لها أترأبها عند الفراق : ألا ترجعي ، قلنا لها نحن على سبيل التماؤل : باسماء أهالي ، والنيل تبدو عليه القلوع خافية لبيدها فكانها الخيام بذى طلوع<sup>(١)</sup> ، وجار على الناس بطغيانه فكانما هو أخو فرعون مصر أو ابن طوفان نوح .

فلقد طار النسر مبلول الجناح ، ودنا نهر الحجر من السكارى بالشغائيت إلى أن كاد يدفعه من قام بالراح . ونرجس البساتين وقد أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، وفارق أحبابه من الرياحين ولم يبق له غير القلائس صديق وغير الماء حميم . والورد وقد قيل له : مالك من آس ، وغصن البان وقد قيل له : طوبى لمن عانقك ولا بأس . والأسماك وقد أجهم العرق ، والقلقاس وقد سكا شكوى ابن فلاقس وأينه من العرق . والقصب بالهيرة وقد شرب ماء التز فهو يئس الشراب ، والقصب يولاق لم ينجسه من مشاهدة العرق إلا كونه غاب ، والفارسي بالبساتين وقد ترجل ووقع فأرانا كيف تكبير الأقسام ، وقيل للاس : عاج جيرانك بالبيطان فالناس بالناس ، وبأدر إلى جبر ما كبر فالحاجة تدعو المكسور في الحالين إلى الآس .

هنا وأنا مقيم بالروضة إذ زهت على سائر الرياض ، وسلم جوهر حصانها من أكثر هذه الأعراض ، وإن اعتلت بالاستسقاء فهو عين الصحة كما ينسب السقم إلى العيون المراض ، أو كما قال المملوك قديماً من قصيدة في بعض الأعراض :

وقائل : في لحاظ العيد باقية « من السقام وما صمت حضورهم ،

وفي النَّسِيمِ فقلتُ : الأمرُ مُشْتَدِّهِ \* عَلَيْكَ فَأَلزَمَ فَأَنْتَ الحَادِثُ الفَهِيمُ .

قلتُ الصَّحِيحَ وَلِكِنِّي بِمُوجِبِهِ \* أقولُ : تلكَ دَوَاةٌ بَرُوها السَّمُ !

قد أحاط بها النَّبِيلُ إحاطةَ المَرَّاشِفِ بالآسِ . فأشرفَتُ ضِيَاءَ بَيْنِ زُرْقَتِهِ فَكَأَنَّهَا  
البَدْرُ في كَيْدِ السَّمَا :

بَصَحْنِ حَدِّ لَمْ يَغْضُ مَأْوُهُ \* ولم تَحْضَهُ أَعْيُنُ النَّاسِ !

مُتَعَطِّشٌ مع هذا الطوفانِ رَبَّيَاكَ . مُتَشَوِّفٌ وإن كنتُ مُعَازِلُ النُّجُومِ الأَرْضِيَّةِ  
وَالسَّمَائِيَّةِ يَا بَدْرُ رُؤْيَاكَ ؛ لِكِنِّي يُسَلِّبُنِي أُنَى مَا نَظَرْتُ إلی النَّبِيلِ إلا رَأَيْتُكَ من سائرِ  
الجهاتِ ، ولا لَحَمْتُ بِيوتِ البَحْرِ بل البُحُورِ إلا رَأَيْتُكَ عِمَارَةَ الأبياتِ :

ولا هَمَمْتُ بِشُرْبِ المَاءِ من عَطِيشٍ \* إلا رَأَيْتُ حَيَالًا مِنكَ في المَاءِ !

ولِكنَّ للعِيَانِ نَظِيفٌ مَعْنَى \* له طَلَبَ المُشَاهَدَةَ الكَلِيمُ !

فهلُمَّ إلی التَّمَتُّعِ بِرُؤْيِيَةِ هذا النَّبِيلِ الذي لم تَرَمْتَهُ العُيُونُ ، والنَّظَرِ إلی سائرِ المَخْلُوقَاتِ  
لعمومِهِ وكُلِّ في فَلكِ سَبْحُونٍ ؛ فليس يَطِيبُ لِلتَّامِيذِ رُؤْيِيَةَ هذا البَحْرِ بغيرِ رُؤْيِيَةِ  
شَيْخِهِ ، ولا يَلِدُّ لَهُ التَّمَلُّ بِمُشَاهَدَةِ هذا التَّمَلُّكَ ما لم يُشْرِقْ وَجْهُهُ وَذَهَبَتْ بِيَدِهِ وَمَرَّ بِحَيْهِ ؛  
فأهذا الإهمالُ ؟ ، ولَيْتَ سِعْمَرِي يَا أَدِيبُ تَسَاخَلُكَ بِأَيِّ الأَعْمَالِ ؟ ، أبا لِكْنَابَةَ ؟  
فَتَتَكَنَّ في هذا النَّبِيلِ الذي هو كَالطَّلْحِيَّةِ بغيرِ مِثَالٍ ، أو بِالنَّبْرِّ والنَّظْمِ ؟ ففي هذا البَحْرِ  
الذي منه تُؤَخِّذُ الدَّررَ وفيهِ تُضْرَبُ الأَمْثالُ ؛ ولقد وَدِدْتُ فِيهِ الفِكْرَ لِلتَّمَلُّوكِ ، كَيْفَ  
تَصَادُمُ الأَكْفَاءِ وَقَهْرُ المُلُوكِ لِلْمُلُوكِ ؛ فإنه لم يُسْمَعِ في مُمْلَكَةِ الإسلامِ ، ولا وُورِخَ  
في عامٍ من الأَعْوَامِ ؛ بِمِثْلِ هذه الزيادةِ الزائدةِ ، والجَرِيِ على تَحْرِيقِ العادةِ التي لِأَجْعَلَ

الله بها صلة ولا منها عائدة ، وغاية ما وصل إليه في الماضي من عشرين : قضى  
بسعته المسالك ، وأوجب المهالك ، وتطرق تطرق أهل الجرائم والفساد فقطع  
الطريق على السالك ، وأحوج مرات إلى الاستضاهاء لا أحوج الله لذلك .

ودليل ما شمل به من الفساد ، وما عامل به البلاد وأهل البلاد ، ما قاله أدباء كل  
عصر ، عند ما أبح لسافر في مدّ عرضة القصر .

فمن ذلك ما قاله مولانا القاضي الفاضل ، وما هو رحمه الله إلا بحر طمع دُرّه ،  
فله دُرّه ، من رسالة :

ورود مثاله يتضمّن نبأ سطوره العظيمة أمر طوفان النيل التي كأنها جدّ أوله ،  
وأنه جاد لمؤمله بنفسه التي ليس في يده غيرها فليتّي الله سائله ... ..

ومنها : ولم يزل يهرى مستقره ، ويضمه شيئاً فشيئاً إلى أن أدرك آخره أوله ؛  
حتى إذا تكامل سمو أمواجه حالاً على حال ، وتور أفاصي الأرض من بنية المقاييس  
فأدناها النظر العال ؛ فلم يترك بقعة كانت من قبل فارغة إلا وكلها عند نظره ماق ،  
وليت هواه المعتل كان عدلاً فعمل كل غدير ما أطاق ؛ وطالما جرى بالصفاء ولكن  
كدر صفاه هذا المسعى ، والمرجو من الله أن يتلو ما أفسده هذا الماء ما يُصاحبه  
خروج المرعى .

وما قاله القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، سقى الله تلك الأنفاظ النيلة  
صوب المطر :

ويُنهى إليه أمر النيل الذي سرفى أوائله الأفسس بأفيس بشري ، ويقص عليه  
نبأ العظيم الذي مايرينا من آية إلا هي أشكر من الأخرى ، ويصف له ما ساقه  
إلى الأرض من كل طليعة إذا تنفس الليل تفرق صبوحها وتغرى ؛ فهو وإن كان



خَصَّ اللهُ الْبِلَادَ الْمِصْرِيَّةَ بِوَفْوَرِهِ وَوَفَائِهِ ، وَأَغْنَىٰ بِهٖ قَطْرَهَا عَنِ الْقَطْرِ فَلَمْ يَحْتِجْ إِلَىٰ مَدِّ كَافِهِ وَوَفَائِهِ ، وَتَزَهَّهٖ عَنِ مَيَّةِ الْعَهَامِ الَّذِي هُوَ إِنْ جَادَ فَلَا بُدَّ مِنْ شَهَقَةٍ رَعْدِهِ وَدَفْعَةٍ بُكَائِهِ ؛ فَقَدَّ وَطِئَ بِإِلَادِهَا بِعَسْكَرِهِ الْعَجَاجِ ، وَزَاحَمَ مَاحَتَهَا بِأَفْوَاجِ الْأَمْوَاجِ ؛ فَعَمِلَ فِيهَا بِدِرَاعِهِ ، وَدَارَ عَلَيْهَا بِخَنَاقِهِ وَتَحَلَّلَهَا بِزِرَاعِهِ ، وَحَمَلَهَا عَلَىٰ سَوَارِي الصُّوَارِي تَحْتَ قُلُوعِهِ وَمَا هِيَ إِلَّا عُمْدُ قِلَاعِهِ ؛ وَزَارَ زَرَائِي الدُّوْرِ الْمَبْتُوتَةِ ، وَجَاسَ خِلَالَ الْحَيَايَا كَأَنَّ لَهُ فِيهَا خَبَايَا مُورُوتِهِ ؛ وَمَرَّقَ كَالْمَهْمُ مِنْ قَنَاطِرِهِ الْمُنْكَوسَةِ ، وَعَلَا زَبْدُ حَرَكَتِهِ وَلَوْلَاهُ ظَهَرَتْ فِي بَاطِنِهِ مِنَ الْأَقْمَارِ وَالنُّجُومِ أَشْعَتُهَا الْمَعْكَوسَةَ ؛ وَحَمَلَ عَلَىٰ بِرْكَةِ الْغَيْلِ حَمْلَ الْأَسُودِ عَلَى الْأَبْطَالِ ، وَجَعَلَ الْمَجْنُونَةَ مِنْ تِيَارِهِ الْمُتَحَدِّرِ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَعْلَالِ ؛ وَالْمَرْجُوُّ مِنْ اللَّهِ أَنْ يُزِيلَ أَذَاهُ ، وَيُعِيدَ عَلَيْنَا مِنْهُ مَا عَاهَدَنَا ؛ فَإِنَّ لَهُ الْإِيَابَ الْأَكْبَرَ ، وَفِيهِ الْعَجَائِبُ وَالْعَبْرَ ؛ فَهَا وَجُودُ الْوَفَاءِ ، عِنْدَ عَدَمِ الصَّفَاءِ ؛ وَبُلُوغُ الْمَهْرَمِ ، إِذَا أَحْتَدَمَ وَأَضْطَرَّم ؛ وَأَمِنْ كُلِّ قَرِيبٍ ، إِذَا قَطَعَ الطَّرِيقَ ؛ وَفَرَحَ قُطَانَ الْأَوْطَانِ ، إِذَا كَسَرَ وَهُوَ كَمَا يُقَالُ : سُلْطَانٌ ؛ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ ، وَبَرَائِهِ مَعَ الزِّيَادَةِ مِنْ نَقَائِصِهِ ؛ طَالَمَا فَتَحَ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ بِتَعْلِيْقِهِ ، وَقَازَ كُلَّ أَحَدٍ عِنْدَ رُؤْيَةِ مَائِهِ الْمُعْصَفَرِ بِتَخْلِيْقِهِ .

وما قاله المولى زين الدين عمر الصفدي تيممه الله بعقوه، وجمع له بين حلاوة الكوثر وصفوه :

وَأَمَّا النَّبِيُّ فَقَدْ أَخَذَ الدَّارَ وَالسُّكَّانَ ، وَقَالَ ابْنُ الْخَامَلِ كَمَا قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ : الْأَمَانَ الْأَمَانَ ، وَبَنَى النَّاسَ عِنْدَ مَا رَأَوْهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِمُ بِالطُّوْقَانِ ، وَأَنْسَابَتْ أَرْأَمُ عُذْرَانِهِ فِي الْإِفْلِيمِ فَأَبْتَلَعَتْ عُذْرَانَ أَرْأَمِهِ ، وَمَحَا سَبِيلَهُ الْمَتَدَقُّ مَعَالِمَهُ الْمَجْهُولَةَ فَاسْتَعْمَلَ الْأَفْلَامَ فِي إِثْبَاتِ مَعَالِمِهِ ؛ وَأَحَاطَ بِالْقُرَى كَالْمُحَاصِرِ فَضْرَبَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ بِسُورٍ ، وَأَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَى السَّالِكِينَ فَلَا مَرْكَبَ إِلَّا الْمَرَكَبُ وَلَا عَاصِمَ إِلَّا الْبُحُورُ .

وما قاله السيد ابن كاتب المرح ، نُصْرَةُ الأقباط ، وأحد عميد الشعر المشهورة  
بالفسطاط ، فما أطيب مَدَائِحِهِ النَّبَوِيَّةِ التي جعلها سوراً بينه وبين النار، وما أعجب  
رقاهه : جعل الله قبره بالرحمة كالروض غيب القطار !!! :

يَانَيْلُ يَا مَلِكَ الأَنْهَارِ قَدْ شَرِبْتُ \* مِنْكَ البرايا شَرَاباً طَيِّباً وَغَدَاً ،

وَقَدْ دَخَلْتُ القُرَى تَبْنِي مَتَافِعَهَا \* فَمَعَهَا بَعْدَ قَرِطِ النُّفَعِ مِنْكَ أَدَى .

فَقَالَ : يُذَكِّرُ عَنِّي أَنِّي مَلِكٌ \* وَتَعْتَدِي نَاسِيًا : إِنَّ المُلُوكَ إِذَا !

وما قاله شيخنا الشيعي جمال الدين بن نباتة الذي أطاعته من الآداب جوائع  
نظيها ونثرها ، ونحرت له بحور الشعر فقالت له الآداب : آخرت من درها ، فسبحان  
من يسر له ممتنع الكلام وهونه ، وجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،  
فما أشق دقيق فكره الجليل ، وما أكثر ما يضحك زهر تقاطيعه على زهر مقطعات  
النيل ، فما كان إلا مخصوصاً في الأدب ببحور الهبات ، وكلامه في العذوبة والبلاغة  
يزري بالقرات وأبن القرات ، وإن قيل أي أصدق كلمة قالها شاعر بعد ليد ، يقال  
قول ابن نباتة .

فَلَا تَعْجَبْ لِلْفِطْيِ حِينَ يَحْمَلُو \* فهذا القطر من ذلك النبات ! :

وأما النيل فقد استوى على الأرض فثبتت فيها قدمه ، وأمتد نصل تياره كالسيف  
الصقيل فقتل الإقليم وهذا الأحرار إنما هو دمه :

حُرْمَتُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَا قَتَلَتْ \* وَالدمُ فِي النُّصْلِ شَاهِدٌ تَعْجَبُ !

فلم يترك وعداً بل وعيداً إلا وقاه ، ولا وهداً بل جبلاً إلا أخفاه ؛ أقبل كالأسد  
المصور إذا احتد وأضطرم ، وجاء من سن الجنادل فتحدت وعلا حتى بلغ أقصى  
الحرم ؛ وطأ البلاد بالخيلاء وكيف لا ؟ وهو سلطان جائر أيد بالنصر ، قائلاً :

إِنْ كُنْتُ يُلِيْتُ بِالْأَحْتِرَاقِ فِي أَرْضِكُمْ فَأَنَا أَيْضًا بَانَ أَرْمِي مِنْ بَرُوقِ تِيَّارِي  
بشرد كالفصر .

هذا وطلبًا فآلنا قبلها بوجه جميل ، وسمعنا عنه كل خبر خير ثابت ويزيد كما قال  
جميل ، وكل بديع من آثار جود يصبح الثرى فيخضر بخلاف المشهور عن صبغة  
اللبل ، وطلبًا خصصناه بدعاء فكانت الراحة به كقياسه ذات بسطة ، وتمازيل  
الخصب بقدومه المبارك ذات غبطة ، ومنتحنه بولاء وثناء هذا يدور من الإخلاص  
بفلك وهذا يعذب من البحار بنقطه ؛ ثم ورد إلى البلاد ضيقًا ومعه القرى ، وكم أتى  
مرسلًا بمعجز آيات الخصب إلى أهل القرى ؛ فهو جواد قد خلع الرسن ، ساهر  
في مصالح الخلق وقد ملأ الأمن أجفانهم بالوسن ، جامع لأهل مصر من سقياه  
ومرعاه ووجهه بين الماء والخضرة والوجه الحسن ؛ ثم بات سير مقياسه يشمل  
يظله الغائبين والحاضرين ، وكم رقع على الوفاء راية صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ؛  
وبلغ وبلغ بحرير الثبار سلامه ، وبات الناس بوفائه من حذار الغلاء تحت الستر  
والسلامه ؛ وخلق صدر العمود وكيف لا يخلق بشير العباد والبلاد ، ودعا مصر لأخذ  
زخرفها فسواء قيل : ذات العمود أو ذات العباد ؛ وبسط يده ببركة الماء فقيل :  
سلام لك من أصحاب التمين ، وخصب بنانه وأقسم بحصول الخير فقيل لمخضوب  
البنان يمين ؛ وأشار إلى وصول الممد المتتابع ، وقبض يده المخلقة على الماء فوقت  
وما خابت فروج الأصابع ؛ ونادى رائد الوفاء ولكنكم حياة في الأرض لمن ينادي ،  
وتمت أصابع الزيادة وتمت حتى قال الناس : ما ذى أصابع ذى أيادي .

هذا وقد قرنت زرابي الدور المبثوثة بالتمارق ، وقال المقياس : تغطت منها  
الدرج فنال الرجاء وظهرت الدقائق ؛ فهو جم المنافع ، عذب المنابع ، يُشار في الحقيقة  
والحجاز إليه بالأصابع .

فأعاده الله إلى ذلك النفع المعهود ، وأرانا منه الأمان من الطوفان إلى أن ترد الحوض المورود ، وكفى أهل مضر هذه المصيبة التي إذا أصابهم قالوا : **إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا ابتلاهم بمثل ما ابتلى به قوما جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم فإما يستغشي ثيابه منهم الفقراء في المطر ويجمعل أصابعه في آذانه منهم المؤذنون ؛ اللهم إنك ولي نعمه ، وأولى برحمته خلقك من قبض هذه الرحمة .**

وما قاله صاحبنا الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة الذي كان أغرب من زرقاء اليمامة ، وأعجب إذا ركب بقلته وزروره من أبي دلّامة ، الأديب الذي كان حجة العرب ، والنائر الذي كان ينسبته إلى الطيور محرك المناطق وإلى الشعر صنّاعة الأدب ، والناظم الذي كان إذا أشدّ مقاطيعه في التشبيب فاق على المواويل ذوات الطرب ، والصديق الذي كانت منه عوائد الوفاء مألوفة ، وشيخ الصوفية الذي لا تعجب إذا كانت له المقامات الموصوفة ، أسكنه الله قيسح الحنان ، وخص ذلك الوجه الجميل بالعارض المنان ؛ من مقامه الزعفرانية عن أبي الرياش :

فاعتنقته لدى السلام ، وقلت : ما وراءك يا عصام ، فقد بلغنا أن النيل تزايد دقعه ، وأدى إلى الضرر نفعه ، فقال : **خذ العفو ، ولا تكدر بيدك التل الصفو ؛** فقد امتزج بالمعصرات فجاجه ، وأعني طيب الغيطان علاجه :

وشرق حتى ليس للشرق مشرق \* وغرب حتى ليس للغرب مغرب !

قلت : فإفعل النغير ، بجزيرة الطير ؛ قال : لم يبق بها هاتف يبشر بالصباح ، ولا ساج يسعى برجل ولا طائر يطير بجناح ؛ إلا اتخذ تقفا في الأرض أو سلما في السماء ، أو أوى إلى جبل يعصمه من الماء ؛ فذاق بها الحمام الحمام في المروج ، وترك أرضها

كسبها ملها من فُروج ، وتلا على الحمام : ﴿ أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ ﴾ . وَكَذَلِكَ فِي سَمَاءِ مَائِهَا مِنْ نَسِيرٍ وَاقِعٍ ، وَبُومَةٍ تُصَفِّرُ عَلَى دِيَارِهَا الْبَلَّاقِعِ :

وَمَنْ هَلْ فِيهِ الْغُرَابُ مَيْتٌ ۚ سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَوْمَ وَأَسَقَيْتُ !

قلتُ : فِصْرٌ ؟ قال : زَحَفَ عَلَيْهَا بَعْسُكَرِهِ الْجُرَّارُ ، وَنَفِطَ مَائِهِ الطَّيَّارُ .

قلتُ : فَالْجَلِيَّةُ ؟ قال : طَفَى الْمَاءُ حَتَّى عَلَا عَلَى قَنَاطِرِهَا وَتَجَسَّرَ ، وَوَقَعَ بِهَا الْقَصَبُ مِنْ قَامَتِهِ حِينَ عَلَا عَلَيْهِ الْمَاءُ وَتَكَسَّرَ ، فَأَصْبَحَ بَعْدَ أَخْضِرَارِ رِزْمِهِ شَاحِبَ الْإِهَابِ ، تَأَصَّلَ الْخِضَابُ ، غَارِقًا فِي قَعْرِ بَحْرِ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، وَقَطَعَ طَرِيقَ زَاوِيَتَيْهَا عَلَى مِنْبَهِهَا مِنَ الْمُتَقَطِّعِينَ وَالْفُقَرَاءِ ، وَتَرَكَ الطَّالِحَ كَالصَّالِحِ يَتَمَشَّى عَلَى الْمَاءِ ، فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ، أَلَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ، وَأَذْرَكِهِمُ الْغَرَقُ فَأَسْوَأَ مِنَ الْإِحْلَاصِ ، وَغَشِيَهُمْ مِنَ الرِّيمِ مَا غَشِيَهُمْ وَلَآتَ حِينَ مَنَاصٍ ، وَتَرَ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ فَهَدَّتْ قَوَائِمَهُمْ ، وَأَسْتَغْنَوْا مِنْ كَثْرَةِ الْمَاءِ بِالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

قلتُ : فَالرُّوْضَةُ ؟ قال : أَحَاطَ بِهَا إِحَاطَةُ الْكَيْلِ بِزَهْرِهِ ، وَالكَاسُ بِحُبَابِ تَحْمَرِهِ :

فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَخْضَرٌ ۚ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَارٌ مُذْهَبٌ !

فَلَمْ يَكُنْ لَهَا بَدْفَعُ أَصَابِعِهِ يَدَانِ ، وَكَذَلِكَ أَنْشَدَ حَرْجُهَا حِينَ صَرَخَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ :

أَعْيَى كُفَا عَنْ فُوَادِي فَإِنَّهُ ۝ مِنَ الْبَيْتِ سَعَى اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدٍ !

قلتُ : فَذَاتُ النُّحَاسِ ؟ قال : أُنْحَسَّ حَالُهَا ، وَأَفْسَدَ مَا عَلَيْهَا وَمَا لَهَا ، فَدَخَلَ مِنْ حَامِمِهَا الظُّهْرُ ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ بِالْحَامِعِ الظُّهْرِ ، فَأَلْحَقَ بِجَارِزَابِهِ بِالْحَقِيقَةِ ، وَرَفَى مِنْهُ عَلَى دَرَجَتَيْنِ فِي دَقِيقَةٍ ، كَمَا أَضْرَفَ مَا جَاوَرَهُ مِنَ الْغُرْفِ غَرْفًا ، وَأَطْلَقَ مِنْ مَائِهِ الْأَحْمَرَ النَّارَ بِمُورِدَةِ الْخُلْفَا .

قلت : فالخليج الحارثي ؟ قال : خرج عسكر مويجه بعد الكسر على حربه ،  
وصرق من قسي قناطره مروق السهم من الرية .

قلت : فالمنشاة ؟ قال : أصبحت للبحر مقره ، بعد أن كانت للعيون قره ، وقيل  
لنشتها : أتى يحيى هذه الله بعد موتها قال : يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، قَدْ مَلَ  
عَلَى مَا فِيهَا مِنْ شُونَ الْغِلَالِ كُلِّ الْمَيْلِ ، وَتَرَكَهَا تَتَلَوِّبُفِيهَا الَّذِي شَفَقْنَا مِصْرَاعًا  
بِهَا : ( يَا بَابَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ) .

قلت : بغزيرة أروي ؟ قال : قد أفسد جل ثمارها ، وأتى على مغايبها فلم يدع  
شيئا من رديها وخيارها ، أخلق ديباجة روضها الأنف ، وترك قلقاسها في الجروف  
على شفا جرف :

بعيني رأيت الماء يوماً وقد جرى \* على رأسه من شايقي فتكسرا !

طلما تضرع بأصابعه إلى ربه ، ولطم برؤوسه الحيطان مما جرى من الماء  
على قلبه ، وتمثل بقول الأول :

وإن سألك عن قلبي وما قاسى \* ققل : قاسى ، وققل : قاسى ، وققل : قاسى !!!  
لم يفده تحمسه من ورقه بالدرق والستائر ، ولا حق عليه حين تضرع بأصابعه  
فضح أن الماء سلطان جائر .

قلت : لحكر ابن الأمير ؟ قال : لم يبق منه غير الثلث والثلث كثير ، قد أنحل  
من دوره نمايلها ، وجعل غاليها سافلها ، فكم دار أعدم صاحبها قراره ، ونادى  
في عرصاتها المتداعية : إياك أنصى فاستمى بإجاره ، فأصبحت بعد نفعها قليلة  
الجداء ، مستوية عليها يد الردى ، شبيهة بدار الدنيا لأنها دار متى أصحكت في يومها  
أبتكت غدا .

قلتُ : فبولاق؟ قال : إملأق، قد أَلْتَفَتَ بها من الرُّبْقِ السَّاقِ بالسَّاقِ، فأتى  
 من التَّوتِيَةِ على الصَّغِيرِ والكَبِيرِ، ومن المَرَاكِبِ ومَرَّهَا على النِّقِيرِ والقَطْمِيرِ .  
 هذا بعد أن تَرَكَ جَامِعَ الخَطِيرِيَّ على خَطَرٍ، وَحِيطَانَهُ يَا نِعْمَةَ الثَّمْرِ؛ قد دَنَا قَطَانُهَا،  
 وَحَانَ تَلَاغُهَا؛ فَكَأَنِّي بِهِ وَقَد مَنَعَ رِفْدَهُ، وَتَلَا على مِحْرَابِهِ سُورَةَ السُّجْدَةِ .  
 قلتُ : بغزيرة الفيل؟ قال : أقتلع أشجارها بِمُرُوسِهَا ، وَتَرَكَ سَوَاقِيهَا خَاوِيَةً  
 على عُرُوشِهَا .

قلتُ : فالتاج والسبعة وجوه؟ قال : هَيِّمَ على حُرْمِهَا ، وَعَمَّ الوُجُوهَ من قَرَفِهَا  
 إلى قَدَمِهَا ، فَبَلَّ ثَرَى المَوْتَى في التَّخُومِ ، وَعَسَتِ الوُجُوهُ لِقَى القِيُومِ ؛ قلتُ : فما  
 الحيلة؟ قال : تَرَكَ الحِيلَةَ :

دَعَا سَمَاوِيَةً تَجْرِي على قَدَرٍ \* لَا تُفْسِدُنَا بِرَأْيِ مَنكَ رَاضِي (٤)

طَالَ الكِتَابُ ، وَخَرَجْنَا عن فَصْلِ الخَطَابِ :

وَلَدَيْمًا سَاقُ المُوَحَّدِثِ بَعْضُ مَا « لَيْسَ النِّدَى إِلَيْهِ بِالمُتَحَاجِّ !

وَكأَنَّ بَقَائِلَ يَقُولُ : أليس من الكِبْرَانِ يَسْتَعْدِمُ هذا في رسالته مُلُوكَ الكَلَامِ ،  
 وَمِنَ المُنْتَقَى أَن يَحْتَلِيَ عَمْرَأَيْسَ أَفكارِهِ بما لِلنَّاسِ من حَلِيِّ النِّثَارِ والنِّظَامِ ؛ فأقولُ :  
 مُسَلِّمٌ أَن كلَّ مَا أوردته دُرُورٌ وَجَوَاهِرٌ ، وَعُقُودٌ كَرَاهِرٌ الرِّبِيعِ عِيُونَ وَجُوهِهَا النُّواضِرُ  
 نَوَاطِرٌ ؛ وَلِكِنِّهَا هَاهُنَا أمثلُ ، وَبِجَمْعِ شَبَلِهَا على هَدْيِ العُرُوسِ أجمَلُ :

\* وَفِي عُنُقِ الحَسَنَاءِ يُسْتَحْسِنُ العِقْدُ ! »

وعلى الجُمُلة فيرجع المملوك إلى التواضع وهو الألبق بالأدب، فيقول : لا عيبَ  
 على الفقيرة إذا تجمَّلت بِحُلِيِّ الغَنِيِّه ، ولا عَارَ على الجَوْهَرِيَّةِ إذا نَظَمَ سِلْكَهَا كانتِ  
 دُرُّهُ على الطُّرُقِ مَرْمِيَةً ، وَتَرَجِعُ إلى ما وُلِّدَهُ الفِكرُ من عَجَبِ البَحْرِ ، وما ظهر من دَفْعِ

الملوك لأمنائها عن بحرنا إلى غاياتها بصُور القمر، فأقول : إنما قالت الأدباء ذلك لما جرى من جور النيل على الأرض، ولما عمَّ الناس من الإرجاف بطول أذاه وهرجه فكانت لهم في يوم العرض ؛ وكل ذلك وما وصل إلى هذا الارتفاع ، وربما كان أنقص من هذه الزيادة بقريب الدراع .

وعلى هذا القياس إنما دَفَعَ ضَرَرَهُ، وجمَل في البلاد أثره، وحَسَّن في السماء خَبْرَهُ وفي الأرض مَخْبَرَهُ ، السرى الذي أهتاه بالمعروف معروف ، ومَيْفُ الدين الذي سهر في مصالح الرعايا لما تنام ملء أجفانها السيوف ؛ أتاك العساكر، والمملك الذي هو بالإسلام وله منصور وناصر ؛ حصن سائر الكوى بالحسور، وركز على أفواه البحر والخليج الأمراء كما يركز المجاهدون على الثغور ؛ وقابل البحر من سطواته بما ليس له به قبيل ، وردَّ دَفْعَهُ بكلِّ دَفْعٍ من الرأى والتدبير بغني عن البيض والأسل ؛ وحاربه بجيش عزم إلى أن ولَّى هارباً مع التراع والقناطر، وجاهده بجند ركزهم على جوانبه لما تحقق أن البحر سلطان جائر ؛ وحصره بالتضييق عليه كما تحصر البرك والتراع ، وغلَّ يده عن التصرف فسقاه الموت كما سقى الناس أنواع التراع ؛ لما هو إلا أن تضائل بينان سطواته وأحترق ، ودلَّ خاضعاً وكفى به تضرطاً بالأصابع وتوسلاً باللق ، وأطاع لما لم تبعه مجاهرته من تياره بالسيوف ولا تحصنته من دارائه بالدرق .

على أنه تطاول ليضاهي بأصابعه جود أيديه فقصر، وتصرم فركب خيل خيلته ليحاكي بأسه فوقع من جسور محجه وتقطر، وسمت نفسه كبيراً لأن يبلغ قدره قبيل :  
يا بحر هذا خليفة الله في أرضه والله أكبر ؛ نعم :

رأى البحر الخضم نداء طام \* يفيض على الورى منه حمار،

فصار البحر منطلاً وأضحى \* على الحالين ليس له قرار!



فلوزدت في أيام غيره من الملوك المترفين ، وفيمن يؤثر بالأد نفسه على مصالح المسلمين ؛ كنت أيها الملك بلغت قصدك ، وفعلت في أبناء مصرك جهدك ؛ وكنت من الملوك الذين إذا دخلوا قرية أتعلوا فيها الأهله ، وأفسدوها وجملوا أعزرة أهلها أدله ؛ لكن هب قبولك إديارا ، ولاقت ربحك إعصارا ؛ فليس لك به قبل ، "والسبل أدرى بالجل" ، فالك سبيل إلى بلاده ، ولا طاقه بإياب الخير على عاده ؛ فانه خادم الحرمين ، والمدعو له حتى في مواقف الحرب بين العلمين ؛ حامى السواحل وأنشور ، والتخديم بإحدى السحاب وأصابع البحور ، وإن كنت يا أبا خالد أبا جعفر فاست بمنصور ؛ والرأي أن تقف مستغفرا ، وتقول مُتدرا ؛ : لم أفرط بالزيادة في أيامه ، ولم أفض على طرف الميدان إلا لأفوز بتقيل آثار جواد خيله ومواطي أقدامه ؛ وتبجح توأهيه وتمثيل أوامره ، وتدعو له كالرثايا بطول البقاء في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة .

ونحن نسأل الله كما بلغ بك المنافع ، أن يرينا كوكب نوثك عن قريب راجع ؛ وكأغنى بزيادتك عن الاستسقاء ، لايجوجنا في تقصك إلى الاستسقاء ، إنه سميع مجيب الدعاء ؛ بمنه وكرمه .

## الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة العاشرة

( في قدمات البندق )

جمع قِدْمَةٌ بكسر القاف وسكون الدال المهملة ، وهي زَمَائِلُ تشتمل على حال  
الرجي بالبندق ، وأحوال الرماة ، وأسماء طير الواجب ، وأصطلاح الرماة وشروطهم .  
وهذه نسخة قديمة ، كتب بها شيخنا الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي  
الأديب رحمه الله ، لصالح الدين بن المقر المحبوبي بن فضل الله ، ونصها :

الحمد لله الذي سَدَّدَ لصالح الدين سهام الواجب ، وشيَّدَ بتجاح المطلوب مرام  
الطالب ، وجعل حصول الرزق الشارد بالسعي في المناكب ، وسهل المنتسح على  
القاصدين فما منهم إلا من رجع وهو صائب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا صاحب ، شهادة ترحم  
طير الإشراف بهذه الأشراف من كل جانب ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي  
قربه فكان قاب قوسين أو أدنى وهذه أعلى المراتب ، صلى الله عليه وعلى آله  
وأصحابه الذين رفقوا في العلياء لمرآق لم يسم إليها طير مراقب ، صلاة يسبق بها المصلئ  
إلى يفاع شرف يُشْرِق سناه في المشارق والمغارب ، ويرجع طائرا بالسرور ولا رجوع  
الطائر الشارد إلى المشارب .

وبعد ، فإن الصيْد من أحل الأشياء وأحلاها ، وأجلها وأجلاها ، وأبهرها وأبهاها ،  
وأشهرها وأشهاها ، وانقريها قيمه ، وأغزرها ديمه ، وبورود الطير فيه إلى المناهل  
تذريح الصدور ، وبوقرعه في شرور الشرك يتم السرور ، يُحصَل عند متعاطيه  
نشاط ، ويزيده أنيساطا ، وبشرح خاطره ، ويسرح ناظره ، ويملا عينه قره ،

وَقَلْبَهُ مَسْرَهُ؛ يُشَجِّعُ الْجَبَانَ، وَيُبَيِّتُ الْجَنَانَ، وَيَقْوَى الشُّهُوبَ، وَيُسَوِّى الخَطُوبَ؛  
وَيُسَوِّقُ الظُّفْرَ، وَيُسَوِّقُ النَّظَرَ، وَيُرْوِقُ مِنَ الْوَرْدِ وَالصَّدْرَ، وَيُقَوِّقُ فِيهِ الخُبْرَ عَلَى  
الخُبْرِ. قَالَ بَعْضُ الْحِكَمَاءِ: قَلَمًا يَغْمَشُ نَاطِرُ زَهْرَةٍ، أَوْ يَزِنُ مُرْبِعُ طَرِيدَةٍ، بَعْنَى  
بِذَلِكَ مِنْ أَدْمَنِ الحَرَكَةِ فِي الصَّيْدِ وَنَظَرَ إِلَى البَسَاتِينِ، فَاسْتَمَعَ طَرْفَهُ بِنُضْرَتِهَا،  
وَأَبْنَى مَنَظَرَهَا.

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْكِرُ لَذَّةَ الْأَصْطِيَادِ، وَالطَّرَبَ بِالتَّقْصِصِ عَلَى الْإِطْرَادِ؟ وَنَهْ ذَرَّ القَائِلُ:  
لَوْلَا طِرَادُ الصَّيْدِ لَمْ تَكُ لَذَّةٌ. فَتَطَارِدِي لِي بِالْوَصَالِ قَلِيلًا.  
هَذَا الشَّرَابُ أَخْرَجَ الحَيَاةَ وَمَالَه \* مِنْ لَذَّةٍ حَتَّى يُصِيبَ عَيْلًا!  
يَا حُسَيْنَ مِنْ فِعْلٍ آعْتَلْتُ بِالنِّسْمِ مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ، وَقَاقَتِ أَوَائِلَهُ فِي اللَّدَائِدِ  
أَوَاخِرُهُ؛ وَنَهْ القَائِلُ:

إِنَّمَا الصَّيْدُ هِمَّةٌ وَتَنَاطٌ \* يُعْقِبُ الحِسْمَ صِحَّةً وَصَلَاحًا،

وَرَجَاءٌ يُنَالُ فِيهِ سُرُورٌ \* حِينَ يَلْقَى إِصَابَةً وَتَجَاحًا!

وَمَا أَطْيَبَ الْاِقْتِنَاصَ بَعْدَ الشُّرُودِ، وَكَيْفَ يَرَى مَوْقِعَ الوَصَالِ بَعْدَ الصَّدُودِ:

وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الحُبِّ أَنْ مَنَعْتِ: \* أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعْنَا!

تَقْضِي رِيَاضَاتُ النُّفُوسِ السَّامِيَةَ بِعَاطَاةِ كَاسِهِ، وَمُصَافَاةِ نَاسِهِ؛ لِمَا فِيهِمْ مِنْ  
الْفِتْوَةِ، وَكَيْلِ المُرُوَّةِ؛ وَصِدْقِ اللِّسَانِ، وَثَبَاتِ الْجَنَانِ؛ وَطِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَحِفْظِ  
المِثَاقِ؛ لَا يَمْرُونَ غَيْرَ الصَّدْقِ وَإِنْ كَانُوا يَمِيلُونَ إِلَى المَلَقِ، وَلَا يَبْغُونَ بِصَاحِبِهِمْ  
بَدِيلًا يَعْطِفُونَ عَلَيْهِ عَطْفَ اللِّسِقِ؛ لَا سِيَّمَا تَعَاطَى صَيْدُ طُيُورِ الوَاجِبِ، الَّذِي سَنَّهُ  
الْأَكْبَرُ وَجَعَلُوا أَمْرَهُ مِنَ الوَاجِبِ، وَتَشَرَّفَتْ بِهِ هِمَّتُهُمُ العَالِيَةُ: تَارَةً إِلَى السَّمَاءِ،  
وَأَوْتَةً إِلَى مَشَارِعِ المَاءِ.

لا يَمُّ سرورهم إلا برؤية تم كبدِ السماء، ومصباح الظلام؛ يفر من ظله فرارا،  
ويربك بياض لونه وسواد منقاره شيئا وقارا؛ ولا يداوي هوم لغيبه مثل كى،  
لاجنحته الخوافي في الخافقين نشر وطى؛ ولا تبهج نفوسهم النفيسة إلا بأورده،  
يزدري دلائها بالكاعب المعترة؛ ولا يطرب اشعاعهم غير لغات اللقنة، حين تمتد  
كانها مدامة في الرجاجة مفرغه؛ ولا يؤنسهم إلا الأيصة الأيصة، والذرة النفيسة؛  
ولا يذهب حرهم غير الحبرج الصادح، المستوقف بحسنه كل غاد ورايح؛ تكاد  
قلوبهم تطير بالفرح عند رؤية النسر الطائر، ومجبر خواطرهم بكسر ذلك الكاسر؛  
إذا عينوا عقباناً أعقبهم الفرح، ونزع عنهم القرح؛ وإن كركركي قر عنهم البوس،  
ورأوا على رأسه ذلك التاج الذي لم يعل مثلُه على الرؤوس؛ وإن عرض غرنوق  
غيرقوا في بحار أفكارهم، وجدوا إلى أن يقع يجدول أوتارهم؛ وإن لاح ضوع  
كالذهب المصوغ، ألقوه في الحبال وهو بدمه مصبوغ؛ وإن مر مرزم كالخودة  
الحسنة، ضربوا له الآلة الحذباء؛ وإن مر السيطر أجنحته كالسحاب، جاءت  
المراحي من كل جانب؛ وإن عن عز عمدا إليه، حتى يسقط في يديه؛ قد تعالوا  
في رتبها، وتغالوا في وصف وشيها.

وجعلوا كل آلة صديقه، وربة جمال منيعه، وبعدة الرمي بديعه :-

من كل قوس هي في العين كالحاجب، أو النون التي أجادها الكاتب؛ تدور  
الطائر عند الرمي ويديسه، وتنبأ أينما أولى به من نصيبه. وبندق جبلت طينته  
على صوب الصواب، يستنزِل الطير ولو استتر بذيل السحاب؛ كأنه النجم الثاقب،  
والشهاب الصائب؛ يرى الطير كالسحاب الواكف، فينقض عليه انقضاض البرق  
الخاطف؛ ويرجع النسر من حنقه راتما، ويقدم بعد أن كان طائرا واقما؛ ويصير  
بعد أن كان كاسرا مكسورا، وفي مسوار القسي مأسورا؛ فهناك يلقى الغالب

وهو مغلوب ، والظير الواجب وهو مندوب ، حينئذ تشرح النفوس ، وتطرب ولا تطربها بالكؤوس .

ولما كان بهذه المنزلة العظيمة ، والمرتبة الجسيمة ، تعاطنه الملوك وأبناء الملوك ، ونظموا عقده بحسن السلوك ، وأرناضت به النفوس الطاهرة ، واعتاضت به عن الكؤوس الدائرة ، ورأت به تكميل الأدوات ، وسامت به فعل الواجب وإن قيل : إن ذلك من الحفوات ، فهو تعب تنشأ الراحة عنه ، ولعب لم يكن شئاً أشبه بالخذ منه .

فذلك قصد الجناب الكريم ، العالى ، الصالح ، صلاح الدنيا والدين ، ونجاح الطالبين ، سليل الوزراء ، ونجل الكبراء ، وصدور الرؤساء ، وعين العظماء ، ابن المقر المحبوى بن فضل الله . أدام الله تعالى علاه ، وكبت عداه ، وأعلى معاليه ، وشكر مساعيه ، وأطال حياته ، وأطاب ذاته . أن يسلك تلك المسالك ، ويرى نفسه الكريمة بذلك ، ويتحلى على تحصيل اللذات بالتجول ، عملاً بقول الشاعر :

تتقل فلذات الهوى فى التقل !

وعمد إلى تحصيل آياته ، سائراً كالبدنر فى هالاته ، فسار مع سرايا كالجحوم ، يتقا كهون فى الحديث بالمشور والمنظوم ، ويخاطون جد القول بهزله ، كما خلط لهم طلل الجود بوبله ، وأحدروا فى النيل بجمهم الصحيح ، وقصدوا المرامي العالية ولم يقنعوا من الأيام بالريح ، وظلوا يسكرون فى تلك المراكب ، التى كأنها قطع السحاب .

هذا وهم يشوفون إلى المصايد ، ويشرفون إلى الشوارد ، فيطمعون أحياناً إلى البر متفرجين ، وبطيب ذلك النسيم متارجين :

تَسِيمٌ قَدْ سَرَى فِيهِمْ بَنَشِيرٌ « فَأَذْكَرَهُمْ بِمَسْرَاهِ السَّرِيَا !

كَرَامَتُهُ اسْتَفْرَتْ حِينَ وَاقَى « لَهُ نَفْسٌ يُعِيدُ الْمَيْتَ حَيًّا !

وَيَحْتَنُونَ مِنَ الْقُصْنِ الزَّاهِي قَدَا ، وَيَحْتَلُونَ مِنَ الْوَرْدِ الزَّاهِرِ خَدَا ، وَيَتَأْمَلُونَ  
ضَحْكَ الْأَرْضِ مِنْ يُكَاةِ السَّمَاءِ ، وَتَمَاحِةِ الْقُصْبِ عِنْدَ تَحْرِيرِ الْمَاءِ ، لَا تَذُوقُ أَجْفَانَهُمْ  
طَعْمَ الْكُرَى ، وَلَا يَمِيلُونَ عَنِ السَّيْرِ وَلَا يَمْلُونَ السَّرَى ، مَا مَنَّهُمْ إِلَّا مَنْ إِذَا رَأَى الطَّيْرَ  
جَانَسًا ، عَادَ مِنْ وَقْتِهِ لَهُ حَانَسًا ، بَيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ مُتَفَرِّقِينَ ، حَتَّى إِذَا لَاحَ لَمْ طَيْرٌ  
تَدَاعَوْا إِلَيْهِ غَيْرَ مُقَصِّرِينَ وَالْتَقَوْا مُخْلِقِينَ ، وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ يَتَهَمُونَ الْعَيْشَ ، بِالذُّعَا  
وَالطَّيْشِ ، حَتَّى إِذَا أَقْبَلَ الْيَوْمُ الْمُبَارَكُ التَّامِنُ وَالْعَشْرُونَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ  
تَسْعِ وَثَلَاثِينَ وَسِعْمَانَةَ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي عَزَمَ فِيهِ الْجَنَابُ الصَّلَاحِي عَلَى الْأَصْغِلَادِ ،  
بِالْبِنَادِقِ الْجِنَادِ ، فَتَبَاشَرَتْ بِهِ الطُّيُورُ ، وَسَدَّتْ بِأَجْنِحَتِهَا الثُّغُورَ ، وَسَهَّلَ عِنْدَهَا  
فِيهِ زُؤُلَ الرَّيْسِ ، بِغَادَتِ لَهُ بِالنَّفِيسِ ، وَخَرَجَتْ مِنْ قَشِيرِهَا ، وَسَمَّحَتْ عِنْدَ  
مَدِّ الْقَوْسِ بِعَزِّ تَحْرِيرِهَا ، وَرَغِبَ كُلُّ مَنَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ بِذَلِكَ أَوْفَرُ الْقِسْمِ ، وَتَرَجَّى أَنْ  
يَكُونَ هُوَ الْمَكْتُوبُ لَهُ فِي الْقِدَمِ .

وَمَدَّ يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ ، فَأَصَابَ مِرْزَمًا ، فَيَا لَهْ مِنْ صَيْدٍ فَاقَ بِهِ عَلَى الْأَكْبَارِ الصَّيْدَ !  
وَيَا لَهْ مِنْ يَوْمٍ صَارَ تَحْرِيرَ الطَّيْرِ يَوْمَ الْعِيدِ ! أَقَامَ فِيهِ بِوَأَجِبٍ مَا شَرَعَهُ الرَّمَاءُ مِنَ الشَّرْعِ ،  
وَذَكَرْنَا بِهَذَا الصَّرْعِ يَوْمَ ذَلِكَ الصَّرْعِ ، فَلَا زَالَ سَهْمُهُ مَسَدَدَ الْأَعْرَاضِ ، وَجَوْهَرُهُ  
تَحِيًّا مِنَ الْأَعْرَاضِ ، يَجْرَى بِمُرَادِهِ الْمَقْدُورُ ، وَيُطِيعُهُ فِي سَائِرِ الْأُمُورِ .

وَقَدْ نَظَّمْتُ مُخْتَسِمًا مُشْتَمَلًا عَلَى ذِكْرِ طُيُورِ الْوَأَجِبِ ، وَطَرِّزْتُه بِأَسْمِهِ ، لِأَنَّ هَذِهِ  
الصِّدْمَةَ قَدْ قَدَّمْتُ لَهُ وَجَعَلْتُ بِرَسْمِهِ ، غَيْرَ أَنِّي أَحْتَدِرُ عَنْهَا ، لِغَلَمِّ مَادَّةِ عِنْدِي  
أَسْتَعِدُّ مِنْهَا :

جَلَّ كُؤُوسًا عَظَّلْتُ بِالرَّاحِ ، \* وَلَا تُطْعَمُ فِيهَا كَلَامَ لَاحِي ،  
وَأَشْرَبْتُ هَنِينًا وَأَسْقَيْتُ بِأَصَاحِ ، \* وَأَذْكَرُ زَمَانًا مَرًّا بِالْأَفْرَاحِ ،

\* هَبَّتْ بِهِ فِيمَا مَضَى رِبَاحِي ! \*

أَيَّامَ كُنْتُ أَحْتَبُّ الْأَكَابِرَا ، \* وَأُعْتَدِي مَعَ الرَّمَاةِ سَائِرَا ،  
وَلَا أَزَالُ بِالْبَيْسَارِ غَائِرَا ، \* إِذَا رَأَيْتُ فِي الْمِيَاهِ طَائِرَا ،

\* نَحْوَتُهُ مِنْ سَائِرِ النَّوَاحِي ! \*

فَنَارَةٌ كُنْتُ أَصِيدُ النَّسْرَا ، \* وَبَعْدَهُ الْعُقَابُ يَحْكِي الْجَمْرَا ،  
وَالكَلْبِيُّ وَالْكُرْكِيُّ صَدْتُ جَهْرَا ، \* وَصَدْتُ غِرْنَ نَوْقًا وَعَتْرًا قَهْرَا

\* وَكُنْتُ بِالْإِوَزِّ فِي أَنْشِرَاحِ ! \*

وَنَارَةٌ تَمَّا كَبَدِيرِ السَّمِّ \* تَنْبَعُهُ أَيْبَسَةُ كَالنَّجْمِ ،  
وَلِغَلْغِ اسْوَدُّ مِنْكَ الِهْمُّ ، \* وَجَبْرُجٌ عَنِ الرَّمَاةِ تَحْمِي ،

\* وَالضُّوْعُ مَعَ سَيْطِرِ سِيَّاحِ ! \*

وَكَمْ وَكَمْ قَدْ صَدْتُ يَوْمًا مَرَزَمًا ، \* أَنْزَلْتُهُ بِالْقَوْسِ مِنْ جَوْ السَّمَا ،  
جَنَاحَهُ يَحْكِي طِرَارًا مُعَلَّمَا ، \* عَلَى بِيَاضِ شِيَةِ شَبِيهِ الدَّمَا ،

\* كَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَى صَبَاحِ ! \*

حَيْثُ الصَّبَا تُسْفَعُ بِالْقُبُولِ ، \* وَتَمَلَّنَا يُجْمَعُ بِالسَّمُولِ ،  
فِي تَجْلِيْسِ لَيْسَ بِهِ فُضُولِ ، \* وَجَاءَنَا التَّوْقِيعُ فِي الْوُضُولِ :

\* فَسَادُكُمْ يُفْعَرُ بِالصَّلَاحِ ! \*

السَّيِّدِ الْفَاتِحِ فِي أَعْمَالِهِ ، \* وَالْمُزْدَرِيَّ بِالْبَدْرِ فِي كِتَابِهِ ،

وَالْمُشْتَرِيَّ حُسْنَ التَّنَائُبِ بِعَالِهِ ، \* لَا أَحَدٌ يَجْهَكِيهِ فِي تَوَالِهِ :

\* إِلَّا أَخُوهُ مَعْدِنُ السَّمَاكِ ! \*

مَنْ سَادَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْكُتَابِ ، \* وَصَانَ سِرَّ الْمُلْكِ فِي حِجَابِ ،

عَلَى الْعَالِي عَلَى السَّحَابِ ، \* الْبَاذِلِ الْمَالَ بِلا حِسَابِ !

زاده الله نهما، وأجرى له في الندى يدا وثبت له في العلى قدما، بمنه وكرمه .



وهذه نسخة رسالة في صيد البندق ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين أبي الثناء

محمود بن سلمان الحلبي رحمه الله، وهي :

الرِّيَاضَةُ - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الْجَنَابِ الْفُلَانِيَّ ، وَجَعَلَ حُبَّهُ كَقَلْبِ عُنُقِهِ وَأَجْبَا ، وَسَعَدَهُ

كَوَصِيفِ عَيْدِهِ لِسَارِ جَالِيَا ، وَلِلضَّارِّ حَاجِيَا - تَبِعْتُ النَّفْسَ عَلَى مُجَانِبَةِ الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ ،

وَتَصَوُّفُهَا عَنْ مُشَابَهَةِ الْحَمَائِمِ فِي الرُّكُونِ إِلَى الْوُكُونِ ؛ وَتَحَضُّبُهَا عَلَى أَخْذِ حَظِّهَا مِنْ كُلِّ

فَنٍّ حَسَنٍ ، وَتَحْمُّبُهَا عَلَى إِضَافَةِ الْأَدْوَاتِ الْكَامِلَةِ إِلَى فَصَاحَةِ اللَّسَنِ ؛ وَتَأْخُذُهَا طَوْرًا

فِي الْجِدِّ وَطَوْرًا فِي اللَّعِبِ ، وَتَضْرِبُهَا مِنْ مَلَاذِّ السُّمُوفِ فِي الْمَشَاقِّ الَّتِي يَسْتَرْوِحُ إِلَيْهَا

التَّعَبُ . فَتَارَةً تَحْمِلُ الْأَكَابِرَ وَالْعُظَمَاءَ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّرِيِّ ، وَمُقَاطَعَةِ

الْكُرِيِّ ؛ وَمُهَاجِرَةَ الْأَوْتَارِ ، وَمُهَاجِمَةَ الْأَخْطَارِ ؛ وَمُكَابِدَةَ الْمَوَاجِرِ ، وَمُبَادِرَةَ الْأَوَابِدِ

الَّتِي لَا تُدْرِكُ حَتَّى تَبْلُغَ الْقُلُوبُ الْحَنَابِرَ ؛ وَذَلِكَ مِنْ تَحَامِينَ أَوْصَافِهِمُ الَّتِي يُدْمُ الْمُعْرِضُ

عِنَهَا ، وَإِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ مَيْلِهِمْ جِدَّةَ الْحَرْبِ فَهَذِهِ صُورَةُ لَعِبٍ يُخْرِجُ إِلَيْهَا مِنْهَا .

وَتَارَةً يَدْعُوهُمْ إِلَى الْبُرُوزِ إِلَى الْمَلَقِ ، وَيَحْدُوهُمْ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهَا مَعَ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ

(١) سقطت الشطره الخامسة من قول الناصح .



على ملازمة الصّدق ومجانبة الملق، فيعتسِفون إليها المدجج، إذا سَجى، ويفتحمون في بلوغها حرق النّهار، إذا أنهار، ويتنعمون بوغناء السّفرة، في بلوغ الظّفرة، ويستصغرون ركوب الخطر، في إدراك الوطر، ويؤثرون السّمير على النوم، واللبلة على اليوم، والبندق على السّمَام، والوحدة على الأليثام .

ولما عدنا من الصيّد الذي اتصل به حديثه، وشرح له قديم أمره وحديثه، نقنا إلى أن تشفع صيد السوايح، برمي الصّوادح، وأن تفعل في الطير الجوارح، بأهله القسي .  
تفعل الجوارح، تفضيلاً لملازمة الأرتحال، على الإقامة في الرّحال، وأخذنا بقولهم :

لأبصّلحُ النَّفسَ إذ كانت مُدبّرة ۞ إلا التَّنقُلُ من حالٍ إلى حالٍ !

فبرزنا ونشمس الأصيل تجود بنفسها، ونسير من الأفق الغربي إلى موضع ريسها، وتنازل عيون النور بمقابلة أرمدها، وننظر إلى صفحات الورد نظر المريض إلى وجوه العود، فكانها كتيب أصحى من الفراق على فرق، أو عليل يقضى بين صحبه بقايا مدة الرّمق، وقد أخضت عيون النور لوداعها، وهم الروض بخلج حلتها الموهبة بذهب شعاعها :

والظّل في أعين النوار تحسبه ۞ دمعاً تحير لم يرقاً ولم يكيف :

كلؤلؤ ظلّ عطف العنص منسحاً ۞ يعقده وتبدئ منه في شيف .

يضمّ من سندس الأوراق في صرير ۞ خضير ويحجى من الأزهار في صدق !

والشمس في طفيل الإسماء تنظر من ۞ طرف غدا وهو من خوف الفراق خفي :

كعاشق سار عن أحبابه وهفا ۞ به الهوى قرأهم على شرف .

إلى أن نغى المقرب عن الأفق حتى قلايدها، وعوضه منها من النجوم بحدمها وولائدها، فلينا بعد أداء الفرض لبث الأهل، ومعنا جفوتنا أن ترد النوم

إِلَّا تَجِلُّهُ ، وَنَهَضْنَا وَبُرْدَ اللَّيْلِ مَوْشَعٌ ، وَعِقْدُهُ مُرْصَعٌ ، وَإِكْلِيلُهُ مُجُوهَرٌ ، وَأَدِيمُهُ  
مُعْتَبَرٌ ، وَبَدْرُهُ فِي خِذْرِ سِرَارِهِ مُسْتَكِنٌ ، وَبِقَرِّهِ فِي حَشَا مَطَالِعِهِ مُسْتَجِنٌ ، كَانَ  
أَمْتَرَجَ لَوْنُهُ بِشَفَقِ الْكُوكَبِ خَلِيطًا مِسْكٍ وَصَنْدَلٍ ، وَكَأَنَّ ثُرْيَاءَ لَأَمْتَدَادِهِ مُعَلَّقَةٌ  
بِأَمْرَاسٍ تَكَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ :

وَلَا حَتَّ نَجُومُ اللَّيْلِ زُهْرًا كَأَنَّهَا \* عُقُودٌ عَلَى خَوْدٍ مِنَ الرَّيْحِ تُنْظَمُ ،

مُحَلَّقَةٌ فِي الْجَوِّ وَتُحْسَبُ أَنَّهَا \* [ طُبُورٌ ] عَلَى نَهْرِ الْمَجْرَةِ حَوْمٌ

إِذَا لَاحَ بِأَزَى الصُّبْحِ وَلَّتْ يَوْمَهَا \* إِلَى الْغُرْبِ خَوْفًا مِنْهُ نَسْرًا وَمِرْزَمًا !

إِلَى حَدَائِقِ مُلْتَفَّةٌ ، وَجَدَاوِلَ مُحْتَفَّةٌ ؛ إِذَا تَحَمَّسَ النَّسِيمُ عُصُوبَهَا أَعْتَقَتْ أَعْيُنَاقِ  
الْأَحْبَابِ ، وَإِذَا فَرَّكَ مَرُّ الْمِيَاءِ مُتُونَهَا أَنْسَابَتْ فِي الْجَدَاوِلِ أَنْسِيَابَ الْحُبَابِ ،  
وَرَقَصَتْ فِي الْمَنَابِلِ رَقِصَ الْحَبَابِ ؛ وَإِنْ لَمْ تُعَوِّرْ نُورَهَا حَيْثُ بِأَنْفَاسِ الْمَشُوقِ ،  
وَإِنْ أُنْهَظَ نَوَاعِيسُ وَرُقَيْهَا غَتَّهُ بِالْحُلَيْنِ الْمَشُوقِ ؛ فَتَسِيمُهَا وَإِنْ ، وَشِيمُهَا لَعْرِفَ الْجَنَانِ  
عُنُونًا ، وَوَرْدُهَا مِنْ سَهَرٍ تَرْجِسُهَا غَيْرَانِ :

وَطَلَّهَا فِي خُلُودِ الْوَرْدِ مُنْبَعَثٌ \* طَوْرًا وَفِي طَرْرِ الرَّيْحَانِ حَيْرَانُ !

وَطَائِرُهَا غَيْرِدٌ ، وَمَأْوَاهَا مُطْرِدٌ ؛ وَغُضُّهَا تَارَةٌ يَغْطِفُهَا النَّسِيمُ إِلَيْهِ فَيَنْعَطِفُ ، وَتَارَةٌ  
يُعَلَّلُ تَحْتِ وَرَقَانِهِ فَتُحْسَبُ أَنَّهَا هَزْزَةٌ عَلَى أَلْفٍ ؛ مَعَ مَا فِي تِلْكَ الرِّيَاضِ مِنْ تَوَاقِفِ  
الْحَمَاسِ وَتَبَايُنِ التَّرْتِيبِ ، إِذْ كَلَّمَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ صَمْعَ الْأَرْجِ وَكَلَّمَا خَرَّ الْمَاءُ سَمِخَ الْقَيْصِيبِ :

فَكَأَنَّهَا تِلْكَ الْعُصُوفُ إِذَا تَلَّتْ \* أَعْطَافَهَا رِيحُ الصَّبَا أَحْبَابُ :

فَلَهَا إِذَا أَتَرَقَّتْ مِنْ أَسْتِعْطَافِهَا \* صُلْحٌ وَمِنْ سَمِخِ الْحَمَامِ عِتَابُ .

وَكَأَنَّهَا حَوْلَ الْعُيُونِ مَوَائِيسًا \* شَرِبَتْ وَهَاتَيْكَ الْمِيَاءَ شَرَابُ !

فَقَدِيرُهَا كَأَنَّهَا وَعَدْبُ نَطَافِهَا \* رَاحَ وَأَضْوَاءُ النَّجُومِ حُبَابُ !

يَحِطُّ بِتَلْقَى نِطَاقُهَا صَافٍ، وَظِلَالُ دَوْحِهَا صَافٍ، وَحَصَاهَا لَصَفَاءٍ مَاثِيًا فِي نَفْسِ  
الْأَمْرِ رَاكِدٌ وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ طَافٌ؛ إِذَا دَغَدَغَهَا النَّسِيمُ حَسِبْتَ مَاءَهَا بِتَمَائِلِ الظَّلَالِ  
فِيهِ يَبْرَجُ وَيَمِيلُ، وَإِذَا أَطْرَدَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الصَّبَا ظَنَنْتَ أَفْيَاءَ تِلْكَ الْعُصُورِ تَارَةً  
تَمُوجُ وَتَارَةً تَمِيلُ :

فَكَأَنَّهُ حُبٌّ هَامٌ بِالْعُصُورِ هَوَى فَمَثَلَهَا فِي قَلْبِهِ، وَكَأَنَّ النَّسِيمَ كَلَّفَ بِهَا غَارَ مَنْ  
دُونَهَا إِلَيْهِ فَبِيَلَهَا عَنْ قُرْبِهِ :

وَالشُّورُ مِثْلُ عَمْرَائِسَ \* لُقَّتْ عَلَيْهِنَّ الْمُلَاءُ،

تَمَرْنَ فَضْلَ الْأَزْرِ عَنْ \* سُوقِ خَلَاخِلِهِنَّ مَاءُ،

وَالنَّهْرُ كَالرَّاءِ تَنْظُرُ وَجْهَهَا فِيهِ السَّمَاءُ !!

وَكَأَنَّ صَوَافٍ الطُّيُورِ الْمُتَسِقَةِ بِتِلْكَ الْأَرْضِ خِيَامٍ، أَوْ طِبَاءً بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ قِيَامٍ،  
أَوْ أَبَارِيْقُ فِضَّةٍ رُؤُوسَهَا لَهَا أَنْدَامٌ، وَمَنَاقِبُهَا الْمُحْمَرَّةُ أَوَائِلُ مَا أَنْسَكَبَ مِنَ الْمُدَامِ؛  
وَكَأَنَّ رِقَابَهَا رِمَاحَ اسْتَبْتَأَ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ شُجُوعَ أَسْوَدَ رُؤُوسِهَا مَا أَنْطَفَى وَأَحْمَرَهُ  
مَا أَنْتَهَبَ؛ وَكَأَنَّ الطَّيْرَ الْجَلِيلَ عَدَهُ، وَكَطِرَازِ الْعُمَرِ الْأَوَّلِ جَدَّهُ :

مَنْ كُلُّ أَلْبَجٍ كَالنَّسِيمِ لَطَافَةٌ \* عَفَّ الضَّمِيرُ مُهْدَبِ الْأَخْلَاقِ،

مِثْلُ الْبُدُورِ مَلَاةٌ، وَكُفْرُهَا \* عَدَدًا، وَمِثْلُ الشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ!

وَمَعَهُمْ قِيمَى كَالْعُصُورِ فِي لَطَاقِهَا وَبَيْنِهَا، وَالْأَهْلِيَّةِ فِي تَحَاقُّهَا وَتَكْوِينِهَا، وَالْأَزَاهِرِ  
فِي تَرَاقُّهَا وَتَلْوِينِهَا؛ يُطَوِّنُهَا مُدْبِجَهُ، وَمُتَوِّنُهَا مُدْرِجَهُ؛ كَأَنَّهَا كَوَاكِبُ الشُّوْلِةِ فِي أَنْعَاطِهَا،  
أَوْ أَرْوَاقُ الطُّبَاءِ فِي أَنْفَاقِهَا؛ لِأَوْتَارِهَا عِنْدَ الْفَوَادِمِ أَوْتَارٌ، وَلِبَنَادِقِهَا الْخَوَاصِلُ  
أَوْكَارٌ؛ إِذَا أَنْتَضَيْتْ لَصِيدَ ذَهَبٍ مِنَ الْحَيَاةِ نَصِيْبِهِ، وَإِنْ أَنْتَضَتْ لَرَمِي بَدَأَ لَهَا  
أَنَّهَا أَحَقُّ بِهِ مِنْ بَصِيْبِهِ؛ وَلَعَلَّ ذَلِكَ الصَّوْتُ زَجْرٌ لِبُنْدِيقِهَا أَنْ يُبْطِئَ فِي مَسِيرِهِ،

أَوْ يَتَّقِي النَّرَضَ إِلَى غَيْرِهِ ، أَوْ وَخَشَةَ لِمَفَارِقَةِ أَفْلاذِ كَيْدِهَا ، أَوْ أَسْفَ عَلَى  
خُرُوجِ بَيْنِهَا مِنْ يَدِهَا ؛ عَلَى أَنَّهَا ظَلَمًا نَبَذَتْ بَيْنَهَا بِالْعَرَاءِ ، وَشَفَعَتْ لِنَحْصِمِهَا  
التَّحْذِيرَ بِالْإِغْرَاءِ :

مِثْلُ الْعَقَابِيبِ إِذْ نَابًا مُعَقَّدَةً \* لِمَنْ تَأَمَّلَهَا أَوْ حَقَّقَ النَّظْرَ !  
إِنْ مَدَعَهَا قَرْمِزٍ مِنْهُمْ وَعَايَنَهُ \* مُسَافِرُ الطَّيْرِ فِيهَا أَوْ نَوَى سَفْرًا ،  
فَهُوَ الْمَيْسِيُّ ، أَخْيَارًا إِذْ نَوَى سَفْرًا \* وَقَدْرَ أَيْ طَالِعًا فِي الْمَقْرِبِ الْقَمَرِ !

وَمِنَ الْبِنَادِقِ كُرَاتٌ مُتَفَقَّةُ السَّرْدِ ، مُتَحَدَّةُ الْعَكْسِ وَالطَّرْدِ ، كَأَنَّهَا تُحْرِطُ مِنْ  
الْمُنْدَلِ الرُّطْبِ أَوْ تُحِثُّ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ ؛ تَنْبَرِي كَالشَّمْبِ فِي الظَّلَامِ ، وَتَسْبِقُ إِلَى  
مَقَائِلِ الطَّيْرِ مُسَدَّدَاتِ السَّمَامِ :

مِثْلُ النُّجُومِ إِذَا مَا سَرْنَ فِي أُنْفِ \* عَنِ الْأَيْهَلَةِ لَكِنْ نُوبَهَا رَأَى .  
مَا فَاتَهَا مِنْ نُجُومِ اللَّيْلِ إِنْ رُمِقَتْ \* إِلَّا تَبَاتُ يُرَى فِيهَا وَأَضْوَاءُ ،  
تَسْرَى وَلَا يَشْعُرُ اللَّيْلُ الْبَيْمُ بِهَا \* كَأَنَّهَا فِي جُفُونِ الْأَيْلِ إِعْقَاءُ ،  
وَتَسْمَعُ الطَّيْرُ إِذْ تَهْفُو قَوَادِمَهُ \* خَوَافِقًا فِي الدِّيَابِجِ وَهِيَ صَحَاءُ !! !

يَصُونُهَا جِرَاوَةً كَأَنَّهَا دُرُجُ دُرِّ ، أَوْ دُرُجُ غُرِّ ، أَوْ كَأَنَّهَا تَمْرٌ ، أَوْ كَأَنَّهَا تَبَلٌ ،  
أَوْ عَمَامَةٌ وَبَلٌ ، حَالِكَةُ الْأَيْمِ ، كَأَنَّهَا رُقَّتْ بِالشَّفَقِ حُلَّةٌ لَيْلِهَا الْبَيْمِ :

كَأَنَّهَا فِي وَضْعِهَا مَشْرِقٌ \* تَنْبَتْ مِنْهُ فِي الدَّبْحِ الْأَنْجَمُ ،  
أَوْ دِيمَةٌ قَدْ أَطْلَعَتْ قَوْسَهَا \* مُلُونًا وَأَنْبَشَتْ تَسْجُمُ !

فَاتَّخَذَ كُلُّ لَهُ مَسْرُوكًا ، وَتَفَضَّى مِنَ الْإِصَابَةِ وَعَدَا مُنْجِرًا ، وَضَمَّنَ لَهُ السَّمْعُ أَنْ  
يُصْبِحَ لِوَادِهِ مُحْرَزًا :

كَأَنَّهُمْ فِي يَمِينِ أَعْمَالِهِمْ \* فِي نَظَرِ الْمُتَصِفِ وَالْجَاهِدِ :

قَدْ وُلِدُوا فِي طَالِعٍ وَاحِدٍ ، \* وَأَشْرَفُوا مِنْ مَطْلَعٍ وَاحِدٍ !

فَسَرَتْ عَلَيْنَا مِنَ التَّطْهِيرِ عِصَابَهُ ، أَظَلَّتْنَا مِنْ أَحْجَبَتِهَا سَحَابَهُ ، مِنْ كُلِّ طَائِرٍ أَقْلَعَ  
يُرَادُ صَرَغًا ، فَوَجَدَ وَلَيْكِنَ مَصْرَعًا ، وَأَسْفَ يَبْتَنِي مَاءً جَمًّا فَوَجَدَ وَلَيْكِنَ السَّمَّ مُتَقَعًا ،  
وَحَلَّقَ فِي الْفَضَاءِ يَبْنِي لَعْبًا فَبَاتَ هُوَ وَأَشْيَاعُهُ مُجَدًّا لِحَارِيبِ الْقَيْسِيِّ وَرُكْعًا ، فَتَبَرَّكَا  
بِذَلِكَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ ، وَتَدَارَكَا أَوَائِلَ ذَلِكَ الْقَبِيلِ .

فَاسْتَقْبَلَ أَوْلَانَا نَمَامَ بَدْرِهِ ، وَعَظَمَ فِي نَوْعِهِ وَقَدْرِهِ ، كَأَنَّهُ بَرَقَ كَرَعٍ فِي غَسَقٍ ،  
أَوْ صُبِحَ عَطْفَ عَلَى بَقِيَّةِ الدُّجَى عَطْفَ النَّسَقِ ، تَحْسَبُهُ فِي أَسْدَافِ الْمُنَى غُرَّةً تُنْجِحُ ،  
وَتَحَالُهُ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى طُورَةَ صُبْحٍ ، عَلَيْهِ مِنَ الْبِيَاضِ حُلَّةٌ وَقَارٌ ، وَلَهُ كَدُهْنٌ عَنَبِيرٌ  
فَوْقَ مِثْقَالٍ مِنْ قَارٍ ، لَهُ عُنُقٌ ظَلِيمٌ ، وَالنَّفَاةُ رِيمٌ ، وَسُرَى غَيْمٍ يَصْرَفُهُ نَسِيمٌ :

كَلَوْنِ الْمَيْثِبِ ، وَعَصْرِ الشَّبَابِ ، \* وَوَقْتِ الْوِصَالِ ، وَيَوْمِ الظَّفَرِ !

كَأَنَّ الدُّجَى غَارَ مِنْ لَوْنِهِ \* فَأَمْسَكَ مِثْقَالَهُ ثُمَّ فَتَرَ !

فَارْسَلْ إِلَيْهِ عَنِ الْهَلَالِ تَجْمًا ، فَسَقَطَ مِنْهُ مَا كَبُرَ بِمَا صَغُرَ سِحْمًا ، فَاسْتَبْشَرَ بِجَنَاحِهِ ،  
وَكَبُرَ عِنْدَ صِيَابِهِ ، وَحَصَلَهُ مِنْ وَسَطِ الْمَاءِ بِجَنَاحِهِ .

وَنَلَاهُ كَيْ نَفَى الْبَاسَ ، مُشْتَعِلُ شَيْبِ الرَّاسِ ، كَأَنَّهُ فِي عَرَائِنِ شَيْبِهِ لَا وَبَلَهُ كَبِيرُ  
أَنَاسٍ ، إِنْ أَسْفَ فِي طَيْرَانِهِ نَفَامٌ ، وَإِنْ حَفَقَ بِجَنَاحِهِ فَقَلَعُ لَهُ بَيْدَ النَّسِيمِ زَمَامٌ ،  
ذَوْعِيَّةٌ كَالْحِرَابِ ، وَمِثْقَالٌ كَالْحِرَابِ ، وَلَوْنٌ يَغُرُّ فِي الدُّجَى كَالنَّجْمِ وَيَجْدَعُ فِي الصُّحَى  
كَالسَّرَابِ ، ظَاهِرُ الْهَرَمِ ، كَأَنَّمَا يُخْبِرُ عَنْ عَادٍ وَيُجَدِّثُ عَنْ إِيْرَمِ :

إِنْ عَامَ فِي زُرْقِ الْقَدِيرِ حَسْبَتَهُ \* مَبْيَضُ غَيْمٍ فِي أَيْدِيمِ سَمَاءِ ،

أَوْ طَارَ فِي أُنْفُسِ السَّمَاءِ طَنَنَتَهُ \* فِي الْجَوِّ شَيْخًا عَائِمًا فِي مَاءِ ،

مَتَّقِضِ الْأَوْصَافِ فِيهِ خِفَّةُ الْجُهَالِ تَحْتِ رِزَانَةِ الْعُلَمَاءِ!

فَتَنَى الثَّانِي إِلَيْهِ عِنَانَ بَدْوَيْهِ ، وَتَوَخَّاهُ فِيمَا بَيْنَ رَأْسِهِ وَعُنُقِهِ ، نَفْرًا كَارِدًا أَنْقَضَ عَلَيْهِ تَجَمُّعًا مِنْ أَفْقِهِ ؛ فَتَلَقَّاهُ الْكَبِيرَ بِالتَّكْبِيرِ ، وَأَخْتَطَفَهُ قَبْلَ مَصَافِحَةِ الْمَاءِ مِنْ وَبَعِهِ الْغَدِيرِ .

وَقَارَنَتْهُ إِوْرَةً حَلْبَاءَ دَكَّاهُ ، وَحُلَّتْهَا حَسَنَاءُ ؛ لَهَا فِي الْفَضَاءِ مَجَالٌ ، وَعَلَى طَيْرَانِهَا خِفَّةٌ ذَوَاتِ التَّبْرِجِ وَخَفَرُ رَبَائِتِ الْجَمَالِ ؛ كَأَمَّا عَبَتْ فِي ذَهَبٍ ، أَوْ خَاضَتْ فِي لَهَبٍ ، تَخْتَالُ فِي مَشِيئَتِهَا كَالْكَاعِبِ ، وَتَتَأَنَّى فِي خَطْوِهَا كَاللَّاعِبِ ؛ وَتَمْطِفُ بِمِيدَتِهَا كَالْقَلْبِي الْغَرِيرِ ، وَتَتَدَفَّعُ فِي سَيْرِهَا مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ :

إِذَا أَقْبَلَتْ تَمَشِي نَفْطَرَةَ صَكَاعِبِ \* رَدَّاجٍ ، وَإِنْ صَاحَتْ فَصَوْلَةٌ حَازِمٍ ،  
وَإِنْ أَقْلَمَتْ قَالَتْ لَهَا الرِّيحُ : لَيْتَ لِي \* خَفَا ذِي الْخَوَافِي أَوْ قُوَى ذِي الْقَوَادِمِ .  
فَأَنِيمَ بِهَا فِي الْبُهْدِ زَادُ مَسَافِرِ ، \* وَأَحْسِنُ بِهَا فِي الْقُرْبِ ثَمْفَةً قَادِمِ !  
فَلَوَى الثَّلَاثُ جِدَّهُ إِلَيْهَا ، وَعَطَفَ بِوَجْهِهِ إِقْبَالَهَا عَلَيْهَا ؛ فَلَجَّتْ فِي تَرْفَعِهَا مُعِينَةً ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَى حُكْمِهِ مُدْعِينَةً ؛ فَأَعْجَبَهَا عَنْ أَسْتِكَالِ الْهَبُوطِ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَيْهَا بَعْدَ أَسْتِمْرَارِ الْقُنُوطِ .  
وَحَادَثَهَا لَتَلْعَمَةً تُحْكِي لَوْنَ وَشَيْبَا ، وَتَصِفُ حُسْنَ مَشِيئَتِهَا ؛ وَتُرِي عَلَيْهَا بِنُزَّتِهَا ، وَتَنَافِسُهَا فِي الْمَخَاسِنِ كَضَرَّتِهَا ؛ كَأَنَّهَا مُدَامَةً قَطِيبَتْ بِمَائِنِهَا ، أَوْ عَمَامَةً شَفَّتْ عَنْ بَعْضِ مُجُزْمِ سَمَائِنِهَا :

بُنْسِرَةٌ بِيضَاءَ مَيْمُونَةٍ \* تُشْرِقُ فِي اللَّيْلِ كَبَدْرِ الثَّمَامِ !

وَإِنْ تَبَدَّتْ فِي الضُّحَى إِحْلَتَهَا \* فِي الْحَلَّةِ الدُّكَّاهِ بَرَقَ الثَّمَامِ !

فَتَهَضُّ الرَّابِعُ لِأَسْتِقْبَالِهَا ، وَرَمَاهَا عَنْ فَلَكَ سَمْعِهِ بِتَجَمُّعٍ وَبِأَلْسِنَا ؛ بَخَلَّتْ فِي الْعُلُوقِ مَبْتَدَأَهُ ، وَتَطَّارَدَتْ أَمَامَ بَدْوَيْهِ وَلَوْلَا طِرَادُ الصَّبْدِ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ ؛ وَأَنْقَضَ عَلَيْهَا مِنْ يَدِهِ

شهابُ حَفِيها، وأدركها الأجلُ لِحِفَّةِ طَيْرَانِها من حَلْفِها، فوَقَعَتْ من الأُفُقِ في كَفِّه،  
ونَفَرَ ما في بَقايا صَفِّها عن صَفِّه .

وَأَتَتْ في إِثْرِها أَيْسَهُ أَنَسِه، كَأَنَّها العَدْرَاءُ العَانِسَه، أو الأذْمَاءُ الكَانِسَه، عليها  
خَفَرُ الأَبْكارِ، وَخِفَّةُ ذَوَاتِ الأَوْكارِ، وَحَلَاوَةُ المَعَانِي التي تُجَلُّ على الأَفْكارِ، وهما  
أُنْسُ الرِّيبِ، وإِدْلالُ الحَبيبِ، وَتَلَفُّتُ الزائرِ المُريبِ من خَوْفِ الرِّيبِ؛ ذَاتُ عُنُقِ  
كالإبريقِ، أو الفُضِيِّ الوَرِيقِ، فَذَجَعَ صُفْرَةَ البَهارِ إلى حُمْرَةِ الشَّقِيقِ؛ وَصَدْرَ بَهِيمٍ  
الملبوسِ، سَمِيَّ إلى النَفوسِ، كَأَنَّما رَقِمَ فيه النَهارُ باللَّيلِ أو نُقِشَ فيه العَاجُ بالأَبْنوسِ؛  
وَجَنَاحُ يُعْجِبُها من العَطَبِ، يَحْكِي لونها المُنْتَدِلَ الرُّطْبَ لولا أَنه حَطَبٌ :

مُدْبِجَةُ الصَّدْرِ تَقْوِيْفُهُ . أَضَافَ إلى اللَّيْلِ ضَوْءَ النَّهَارِ!

لَمَّا عُنُقُ خَالَه من رَأاه . شَقَائِقَ قد سُبِجَتْ بالبَهارِ!

فَوَسَبَ الحَامِسُ منها إلى العَنِيَمَه، وَنَظَمَ في سِلْكِ رَمِيهِ تلكَ الدَّرَّةَ اليَئِيمَه، وَحَصَلَ  
بِحَصِيلِها بين الرُّماةِ على الرُّبَّةِ الجَسيِمَه .

وَأَتَى على صَوْتِها حُبْرُجٌ تَسْبِقُ هَمَّتُه جَنَاحَه، وَيَغْلِبُ حَفَقُ قَوادِمِه صِياحَه، مُدْبِجُ  
المِطْأِ، كَأَنَّما خَلَعَ حَلَّةً مَنَكِييَه على القِطْأِ؛ يَنْظُرُ من لَهَبِ، وَيَحْطِطُ على رِجْلَيْهِ من ذَهَبِ:

يَزُورُ الرِّياضَ، وَيَجْفُو الحِياضَ . وَيُشِبُه في اللَوْنِ كُدْرَةَ القِطْأِ،

وَيَغْوِي الرُّرُوعَ وَيَلْهُو بها، . ولا يَرُدُّ المِماءَ إلا حَطْأ!

فَبَدَرَه السادِسُ قَبْلَ أرتِفاعِه، وَأَعانَ قَوَسَه بِامتِدادِ باعِه، نَخَرَ على الأَلَاءِ كِيسَطامِ  
أَبْنِ قَيْسِ، وَأَنقَضَ عليه رَأيِمَه لِحَمَلِه بِحَدَقِ وَحَمَلِه بِكَيْسِ .

(١) بشير إلى قول الشاعر في بسطام :

نَخَرَ على الأَلَاءِ لِحَمَلِهِ بِحَدَقِ . كَأَنَّ بِهِ سَيْفَ مَقِيلِ :

الأَلَاءُ، بوزن الغلامِ، شِعْرٌ والأَلَاءُ، أَخَصُّ منه .

وتستدر على السابح مرأته ، ونبا عن بلوغ الأرب مقامه ، فصعد هو وترب له  
إلى جبل ، وثبت في موقفه من لم يكن له بمراقبتها قبل .

فمن له تسرف فوائم شداد ، ومنايس حداد . كأنه من سُور لقمان بن عاد تحسبه  
في السماء تالت أخويه ، وتحالته في الفضاء قبته المنسوبة إليه ؛ قد خلق كالفقراء  
رأسه ، وجعل مما قصر من الدلوق الدشني لباسه ؛ وأشتمل من الرياش العسلي  
إزارا ، وألف العزلة فلا تجد له إلا في قنن الجبال الشواهي مزارا ؛ قد شابت نواصي  
الليل وهو لم يشب ، ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل أشب :

مليك طيور الأرض شرقاً ومغرباً \* وفي الأفق الأعلى له أخوان !

له حال فسائك ، وحيلة ناسك ، \* وإسراع مقدام ، وفترة وإن !

فدنا من مطاره ، وتوحي ببندقه عنقه فوق في منقاره ؛ فكأما هذ منه صحرا ،  
أو هدم به بناء مشخرا ؛ ونظر إلى رفيقه ، مبشرا له بما آتاه به عن قريبه .

وإذا به قد أظنه عقاب كاسر ، كأما أضلت صيدا أفلت من المنايس ؛ إن  
حطت فسحاب أنكشف ، وإن أقامت فكان قلوب الطير رطباً وبأسها لدى  
وكرها العناب والحشف ، بعيدة ما بين المنارك :

إذا أفلتت بلت علواً كأنما \* مُحاولُ ناراً عند بعض الكواكب !

برى الطير والوحش في كفها \* ومنقارها ذا عظام مزار له .

فلو أمكن الشمس من خوفها \* إذا طلعت ما تسمت غزاله !

فوشب إليها النائم وثبة لث قد وثق من حركاته بتجاجها ، وربما بأول بندقة فما  
أخطأ فادمة جناحها ؛ فأهوت كعود صرع ، أو طود صدع ؛ قد ذهب بأسها ،



وَقَدَّهَبَ بِدَمِهَا نِبَاسُهَا ، وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ يُجَادِعُ الْجَوَّ عَنْ عُنُقَيْهِ ، وَيَسْتَنْزِلُ الْأَعْمَصَ مِنْ  
عُنُقَيْهِ ؛ فَعَمَلُهَا بِجَوَاحِهَا الْمَهِيضُ ، وَرَفَعُهَا بِعَسَدِ التَّرْفَعِ فِي أَوْجِ جَوْهَا مِنَ الْحَضِيضِ ،  
وَنَزَلَ إِلَى الرَّفْقَةِ ، جَدِلاً بِرِيحِ الصَّفْقَةِ .

فوجد التامع قد مر به كركي طويل الشفقار ، سريج النفار ، شهى الفراق ،  
كثير الاعتراب ينسو ويمصر ويصيف بالعراق ؛ لقوامه في الجو حفيف ، ولأديمه  
لون سماء طراً عليها غيم خفيف ؛ تحن إلى صوته الجوارح ، وتعجب من قوته  
الرياح البوارح ؛ له أثر خورة في رأسه كويض بحر تحت رماد ، أو يقية جرج تحت  
ضاد ، أو قص حقيق سفت عنه بقايا ثمد ؛ ذو منقار كسنان ، وصق كسنان ؛  
كأنما يتوس ، على عودين من آبتوس :

إذا بدأ في أفق قلما ، والجو كالماء تفاعله ؛

حسبته في بكية مركبا ، رجلاه في الأفق مجاديه ؛

فصبر له حتى جازه مجليا ، وعطف عليه مصليا ، نحر مضرجا بدمه ، وسقط مشرقا  
على عذمه ؛ وطلبا أفلت لدى الكواسر من أظفار المدون ، وأصابه القدر بحجة من  
حمي مسنون ؛ فكثر التكبير من أجله ، وحمله على وجه السماء برجله .

وحاذاه غرنوق حكاة في زيه وقدره ، وأماز عنه بسواد رأسه وصدره ؛ له  
ريستان ممدودتان من رأسه إلى خلفه ، ممدودتان من أذنيه مكان شفه :

له من الكركي أوصافه \* سوى سواد الصدر والرأس .

إن شال رجلا وأنبرى قائما \* ألقىته هيئة رجاس ؛

فأضغى العاشر له منصتا ، ورماء متلفتا ؛ نحر كأنه صرب الألمان ، أو زريف بنت  
الحنان ؛ فأهوى إلى رجله بيده ، وأقض عليه آقضا ص الكاسر على صيده .

وَنَبَّهَ فِي الْمَطَارِ صُوعٌ ، كَأَنَّهُ مِنَ النَّضَارِ مَصْنُوعٌ ، تَحْسِبُهُ عَاشِقًا قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ ،  
أَوْ بَارِقًا قَدْ بَثَّ لَفْحَتَهُ :

طَوِيلَةٌ رِجْلَاهُ سُودَةٌ \* كَأَنَّ مِثْقَالَهُ خَنْجَرٌ ؛  
مِثْلُ عَجُوزٍ رَأْسُهَا أَشْمَطٌ \* جَاءَتْ فِي رِقَبَتِهَا مِعْجَرًا ؛

فَاسْتَبَلَهُ الْحَادِي عَشْرَ وَوَتَبَ ، وَرَمَاهُ حِينَ سَادَاهُ مِنْ كَتَبَ ، فَسَقَطَ كَقَفَّارٍ تَقَطَّرَ  
عَنْ جَوَادِهِ ، أَوْ وَايِقٍ أُصِيبَتْ حَبَّةُ فُؤَادِهِ ، فَحَمَلَهُ بِسَاقِهِ ، وَعَدَّلَ بِهِ إِلَى رِفَاقِهِ .

وَأَقْتَرَنَ بِهِ مِرْزَمٌ لَهُ فِي السَّمَاءِ نَمِيٌّ مَعْرُوفٌ ، ذُو مِثْقَالٍ كَهْمَدِجٍ مَعْطُوفٍ ، كَأَنَّ  
رِيَّاشَهُ فَلَقَّ أَتَّصَلَ بِهِ شَفَقٌ ، أَوْ مَاءٌ صَافٍ عَلِقَ بِأَطْرَافِهِ عَلَقٌ :

لَهُ جِيسَمٌ مِنَ الثَّلْجِ \* عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ نَارٍ ؛  
إِذَا أَقْلَعَ آيَاقُكُمُ اسْتَبْرَقَ فِي الدُّجَى سَارِي !

فَانْتَعَاهُ الثَّانِي عَشْرَ مِيسَمًا ، وَرَمَاهُ مُصَحَّمًا ، فَأَصَابَهُ فِي زَوْرِهِ ، وَحَصَلَهُ مِنْ قُوْرِهِ ،  
وَحَصَلَ لَهُ مِنَ السَّرْوَرِ مَا نَحْرَجُ بِهِ عَنْ طَوْرِهِ :

وَأَلْتَحَقَ بِهِ سَبِيطَرٌ ، كَأَنَّهُ مِدْبَهُ مَسِيطَرٌ ، يَحْتَطُّ كَالسَّيْلِ ، وَيَكْرَهُ عَلَى الْكَوَايِسِرِ كَالْحَيْلِ ،  
وَيَجْمَعُ مِنْ لَوْنِيهِ بَيْنَ ضِدِّيْنِ يُقْبَلُ مِنْهُمَا بِالنَّهَارِ وَيُدْبَرُ بِاللَّيْلِ ، يَتَلَوَّى فِي مِثْقَارِهِ الْأَيْمِ ،  
تَلَوَّى التَّنْبِيْنَ فِي الْغَيْمِ :

تَرَاهُ فِي الْجَوِّ مُمْتَدًّا وَفِي قَلْبِهِ \* مِنَ الْأَقَاعِي شَجَاعٌ أَرْقَمٌ ذَكْرٌ ؛  
كَأَنَّهُ قَوْسٌ رَأَى عُنُقَهُ يَدُّهَا \* وَرِجْلُهُ رِجْلُهَا وَالْحَيَّةُ الْوَتْرُ !

(١) هو بضم الصاد المعجمة وكسرهما مع فتح الواو - وورد في الجزء الثاني (ص ٢٤) من هذا الكتاب :  
"صُرْعٌ" وأنظر ما كتبناه عليه في الحاشية الثانية هناك .

فصوب الثالث عشر إليه بندقه ، فقطع لحية وعنقه ، فوقع كالصرح المرعد ،  
أو الطراف الممدد .

وأتبعه عتاز أصبح في اللون صده ، وفي الشكل نده ، كأنه تيل صم الصبح إلى  
صدره ، أو أنطوى على حالة بديره :

ترآه في الجو عند الصبح حين بدأ \* مسود أجنحة مبص حيزوم :

كأنه حيشي عام في نهر \* وصم في صدره طفلا من الروم !

فهض تسم القوم إلى التيمه . وأسفرت عن نوح الجماعة تلك الليلة المذممه ،  
وعدا ذلك الطير الواجب واجباً ، وكل العدد به قبل أن تطلع الشمس عينا أو تبرز  
حاجبا ، فيالها ليلة حصرنا بها الصادح في القضاء المتسع ، ولقيت فيها الطير ما طارت به  
من قبل على كل شمل مجتمع ، وأصبحت أشلاؤها على وجه الأرض كقرايد خانها  
النظام ، أو شرب كأن رقابهم من اللين لم يخلق لمن عظام ، وأصبحنا مشين على  
مقامنا ، مننين بالظفر إلى مستقرنا ومقامنا ، داعين لولنا جهدنا ، مدعين له قبلنا  
أو ردنا ، حاملين ما صرنا إلى بين يديه ، عاملين على الشرف بخدمته والانتها إليه :

فأنت الذي لم يلف من لا يوده \* ويدعى له في السر أو يدعى له :

فإن كان رمي ، أنت توضح طرقه ، \* وإن كان جيش ، أنت تحمي قبيله !

وانه تعالى يجعل الآمال منوطه به وقد فعل ، ويعمله كهفا للأولياء وقد جعل ؛

بمنه وكرمه :

## الفصل الرابع

من الباب الأول من المقالة العاشرة

( في الصدقات ، وفيه طرقات )

### الطرف الأول

( في الصدقات الملوكية وما في معناها )

قد جرت العادة أنه إذا تزوج سلطان أو ولده أو بنته أو أحد من الأمراء الأكابر وأعيان الدولة أن تُكتب له خُطبة صدق تكون في الطول والقصر بحسب صاحب العقد، فطال للوك وتقصّر لمن دونهم بحسب الحال .

وهذه نسخة صدق، كُتب به لملك السعيد بركة ، ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، على بنت الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى الأئفى قبل سلطته ، بالقلمة المحروسة ، من إنشاء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر ، وهى :

الحمد لله موفق الآمال لأسعد حركة ، ومصدق القال لمن جعل عنده أعظم بركة ، ومحقق الإقبال لمن أصبح نسيبه سلطانة وصهره ملكة ، الذى جعل للأولياء من لدنه سلطاناً نصيراً ، وميز أقدارهم بأصطفاء تأهله حتى حازوا نعيماً وملاكاً كبيراً ، وأفرد فخارهم بتقريبه حتى أفاد شمس آمالمه ضياءً وزاد قمرها نورا ، وشرف به ووصلتهم حتى أصبح فضل الله عليهم بها عظيماً وإنعامه كثيراً ، مهيب أسباب التوفيق العاجلة والآجلة ، وجاعل رُبوع كل إملاك من الأملاك بالشموس والبُنُور والأهله آهله ، جامع أطراف الفخار لدوى الإيتار حتى حصلت لهم النعمة الشاملة وحلت عندهم البركة الكاملة .

تحمده على أن أحسن عند الأولياء بالنعمة الاستبداع، وأجمل للتأويل الاستطلاع،  
وكل لأخبارهم الأجناس من العز والأناوع، وأتى آمالهم بما لم يكن في حساب  
أحسابهم من الابتداء بالتحويل والابتداع، وأنهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك  
له شهادة حسنة الأوضاع، ملية بتثريف الأئمة وتكريم الأسماع، ونصلى على  
سيدنا محمد الذى أعلى الله به الأقدار، وشرف به الموائى والأصهار، وجعل كرمه  
داراً لهم فى كل دار، وبقره على من استطلعه من المهاجرين والأنصار مشرق الأنوار،  
صلى الله عليه وعليهم صلاة زاهية الأزهار، يأنعة الثمار .

وبعد، فلو كان اتصال كل شىء بحسب المتصل به فى تفضيله، لما استصلح  
البدن شيئاً من المنازل لتزوله، ولا الفيت شيئاً من الرياض لمطوله، ولا الذكر  
الحكيم شيئاً من الأئمة لتزويله، ولا الجوهر الثمين شيئاً من التيجان لحلوله، لكن  
ليتسرف بيت يحل به القمر، وبيت يزوره المطر، وإساق يتعود بالآيات والسور،  
وشار يجمل باللاتى والدرر، ولذلك تجلت برسول الله صلى الله عليه وسلم أضهاره  
وأصحابه، وتشرفت أنسابهم بأنسابه، وتزوج صلى الله عليه وسلم منهم، وتمت لهم  
مزية الفخار حتى رضوا عن الله ورضى عنهم .

والمرتب على هذه القاعدة الفاضلة نور يستمده الوجود، وتفقر أمر يقارن سعد  
الأخيرة منه سعد السعد، وإظهار خطية نقول للثريا لأنظام عقودها: كيف،  
وإبراز وصلة تجمل بتصحيح جوهرها متن السيف الذى يقطعه على إبداع هذا  
الجوهر به كل سيف، وتسج صهارة يتم بها - إن شاء الله - كل أمر سيد،  
ويحقق بها كل توفيق تخلق الأيام وهو جديد، ويختار لها أربك طالع: وكيف لا تكون  
البركة فى ذلك الطالع وهو السعيد؟ .

وذلك بأن المَرايحَ الشريفةَ السلطانيةَ أرادت أن تُحصَنَ المجلسَ الساميَ بالإحسان  
 المُبتكرَ ، وتُفَرِّدَهُ بالمَواهب التي يُرْفَعُ بها الحُدُ المُنتَضَى ، وَيُعْظَمُ الحُدُ المُنتَفَرُ ،  
 وأن تُرْفَعَ من قَدْرِهِ بِالقِصَارَةِ مِثْلَ ما رَفَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قَدْرِ صَاحِبِيهِ :  
 أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، نَخَطَبَ إِلَيْهِ أَسْعَدَ الْبَرِيَّةِ ، وَأَمْتَعَ مِنْ تَحْيِيهِ السُّيُوفَ المُشْرِفِيَةَ ،  
 وَأَعَزَّ مِنْ تُسْبِلَ عَلَيْهَا سُتُورَ الصُّونِ الخَفِيَّةِ ، وَتُضْرَبُ دُونَهَا خُنُورُ الجَلالِ الرُّضِيَّةِ ،  
 وَتُجَمَّلُ بِمَعُونَتِهَا السُّقُودُ : وكيف لا ؟ وَهِيَ الذَّرَّةُ الأَلْفِيَّةُ ؛ فَقالَ وَاللَّهِ هُوَ الأَمِيرُ  
 المَذْكُورُ : هَكَذَا تُرْفَعُ الأَقْدارُ وَتُزَانُ ، وَكذا يَكُونُ قِرانُ السَّعْدِ وَسَعْدُ القِرانِ !! ؛  
 وما أَسْعَدَ رَوْضًا أَصْبَحَتْ هَذِهِ المَرايحُ الشريفةُ السلطانيةُ لَهُ تَحْيِيْلَهُ ! ، وَأَشْرَفَ  
 سَيْفًا غَدَّتْ مِنتَقَةُ بَرُوجِ سَمائِها لَهُ حَيْلَهُ ! ، وما أَعْظَمَها مُعْجِزَةُ آتِيَةِ الأَوْلِياءِ مِنْ  
 لَدُنْها سُلْطانًا ! ، وَزادَتْهم مَعَ إيمانِهِم إيمانًا ! ، وما أَفْرَحَها صِهارَةٌ يَقُولُ التَّوْفِيقُ  
 لِإِبْرَاهِمَ : لَيْتَ ! ، وَأَشْرَفَها عُبُودِيَّةٌ كَرَّمَتْ سَلْمانَها بِأنْ جَعَلَتْهُ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ ! .

وَإِذْ قد حَصَلَتْ الأَسْتِخارةُ فِي رَفْعِ قَدْرِ المَمْلُوكِ ، وَخَصَّصَتْهُ بِهَذِهِ المَزيَّةِ التي  
 تَقاصَرَتْ عَنا آمالُ أَكْبارِ المَمْلُوكِ ؛ فَالأَمْرُ لِلْمَلِكِ البَسيطةِ فِي رَفْعِ دَرَجاتِ عَبيدِهِ كَيفَ  
 يَشَاءُ ، وَالتَّصَدُّقُ بِما يَتَّقُوهُ بِهِ هَذَا الإِنْتِباءُ ؛ وَهُوَ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا يَكَلِّبُ مِبارِكُ تَحاسُدَتْ رِمَاحُ الخَطِّ وَأَقلامُ الخَطِّ عَلى تَحْرِيرِهِ ، وَتَنافَسَتْ  
 مَطالِبُ النُّوارِ وَمَشارِقُ الأَنْوارِ عَلى نَظْمِ سَطُورِهِ ؛ فَأَضَاءَ نُورُهُ بِالجَلالَةِ وَأَشْرَقَ ، وَهَطَّلَ  
 نُورُهُ بِالإِحسانِ فَاعْتَدَى ، وَتَناسَبَتْ فِيهِ أَجناسُ تَحْيِيْسِ لَقِيطِ الفَضْلِ فَقالَ الاعْتِرافُ :  
 هَذَا ما نَصدِّقُ ، وَقَالَ المُرُفُ : هَذَا ما أَصدِّقُ مولانا السُلطانُ : أَصدَقَها ما مَلَأَ حَرايِرَ  
 الأَحْسابِ نِغارًا ، وَحَجَرَةَ الأَنْسابِ مِمارًا ، وَمِشْكاةَ الجَلالَةِ أُنوارًا ، وَأَضَلَفَ لِلنُّ

ذلك ما لولا أدب الشَّرع لكان أقاليم ومدائن وأمصاراً، فبدَّل لها من العينِ المِصرى ما هو باسمِ والدها قد تَشرفَ ، وبنوعيته قد تَعرفَ ، وبين يدي هباته وصداقاته قد تَصرفَ .



وهذه نسخة صدق المقام الشريف المعالي السنيُّ أنوك ، ولد السلطان الشهيد الملك الناصر «محمد بن قلاوون» على بنت المقر المرحوم السيفي «بكنمر الساقى» . وكان العاقِد قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، والقابل السلطان الملك الناصر والِد الزوج ، وهي :

الحمد لله مسير الشمس والقمر ، وميسر حياة كل شيء باتصال الروض بالمطر ، ومبشر المتقين من درارى الدرارى بأسعد كوكب ينظر ، وأحمد عاقبة تهتر لها أعطاف عظمة الملوك على كبر ، وتجاب عن الانجاب كما تنفتح الأكام عن القر ، الذى مد من الشجرة المباركة الملوكة فروعا ألتفت بعضها على بعض ، ورقت على من استظل بها فراقب السماء على الأرض .

نحده على نيمه التى أطابت لنا حتى العروس ، وأطالت منا منى النفوس ، وأطافت بملوكنا حتى مدت لسؤلهم الأيدي وخضعت لأمرهم الرؤوس ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتخذها عظمة نافعته ، ونعمة حسن العاقبة جامعته ، ورحمة تبارك على أممتنا وعلى أبنائهم البُدور الطالعة ، والأنوار الساطعة ، والبروق الأمامية ، والنبوت الهامية ، والسيول الدافعة ، والسيوف القاطعة ، والأسود التى هى عن حرم حضرتها مانعة ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أزان من تمسك له بحسب ، وشرف من أعتري إليه بالقربى أو أعتز منه بصهر أو نسب ،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أرضاهم ورضى عنهم، وكرمهم بصلته الشريفة  
لما زوجهم وزوج منهم؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فإن من عادة الغمام أن يتفقد الأرض بمطره، والبحر أن يسقي الزروع  
بما فاض من نهره؛ والمصاييح أن تمد بانوارها ما يتوقد، والسما أن لا يتخلو أفقها  
من اتصال فرقة بفرقة؛ وإر توقفت القرين على مقاربة كبير، أو مقارنة نظير،  
لما صلحت الأعماد لمضاجع السيوف ولا دنت الكواكب من الشمس والقمر  
المكبر؛ ولا صالحت بين شملا، ولا جاورت جنوب شملا؛ ولا حوت الكنائن  
سهما، ولا جمع السلك للجواهر نظاما؛ ولا طمح طرف إلى غاية، ولا قدر لسان  
إنسان على تلاوة سورة ولا آية؛ وإتسا الصدقات الشريفة الملوكة لها في البر  
عوائد، وفي الخير سجايا يقتدى فيها الولد بالوالد .

ولم يزل من المقام الشريف، الأعظم، العالى، المولوى، السلطاني، المالكى،  
الناصرى، أعز الله سلطانه على من لاذ به تسبيل ذبول الفخار، وتودع في هالات  
أقاريم وذائع الأنوار، وتؤهل أهلهم لأن يكون منها أحد الأبوين لذريته الأطهار،  
وتحطب من حجبهم كل مصونة يغور بها بدر الدجى وتغار منها شمس النهار .

وكان من تمام النعمة الشريفة السلطانية، الناصرية، على من تعرض لسحابها  
الماطر، ووقف للاعتراف من بحسرها الزائر - ما رفعت به ذكره إلى آخر الأبد،  
وأتمت له السعادة إذ كان يعد في جُدود من ينسب إليه من ولد؛ وأكثت له  
بالقرين مزينة مزيد، واستخرجت من بحره جوهرة لا يطمع في التطوق بها كل  
جيد؛ وقالت: نحن أحق بتكبير ما بيننا، وتحويل الخولة من أولينا، وتأهيل من قر  
ينا عيننا وقربنا، وإلينا، وتفضيل غرس نعمة نحن غرسناه وأجنتنا ثمراته بيننا .



فاقتضى حُسن الاختيار الشريف المدعى الناصري، لوئده المقام العالی السیفی؛  
 أحسن الله لما الاختيار، وأجرى بإرادتهما آفتدار الأقدار، أن تُرفَ أتمَّ الشمس إلى  
 سُوره الرفيع، وتُصانَ أكل معاقل العقائل بحُجبه المنيع، وتُحاط أشرف الدرر  
 في مُستودعه، وتُحاط أشرف الدراري بمطنعه، وتُساق إليه الكريمة حَسبًا، العظيمة  
 بأبيه - عظم الله سُلطانه - أبًا، الذي تكلم له في خدمة الدولة القاهرة من مناقب  
 كالنجوم، ومذاهب تشبهها البرق فشبَّت بأذيال الغيوم، ومراتب تقدم فيها على  
 كل نظير قال: وما مِنَّا إلا من له مقام معلوم، من قدره لأسمي ولا يسام، ورأيه  
 لأيرامي ولا يُرام، وسيفه في غير طاعتنا الشريفة لا يُسَم ولا يُسام، وهو «سيف  
 الدولة» لا كما يُسمَى به من استعار هذا اللقب في سالف الأيام، كم له في مراضي  
 سُلطانه من رغبة بذل بها ما كذبه، وسمح فيها بولده وهو أحب شيء إليه، وجاد  
 بروحه أو بما هو أعز عليه، كم تهبَّت بعزائم السيوف من سباتها، كم وهبت من  
 مكارمه الأيام ما يُعسد من حسنتها، كم أتمتت صوارفه نارًا بخرت أنهارًا بخرت  
 من جنابها، كم لسياء الملوك بشيئه من حرس، وبفضليه من قبس، وكم قام وقعد  
 في مصلحة وكان أذنانهم من ملكه مقامًا لما قام وأعلامهم محليًا لما جلس، فسَمِع  
 المقام العالی السيفي وأطاع، وآنهى إلى ما برزت به مراسم والده - أنفذه الله -  
 وأمثل أمره المطاع، وعمل برأيه الشريف وهو ناصر السنة فقدم فيها ما استطاع،  
 وسارع إلى ما أمر الله به من الألفة والاجتماع. وأتبع السنة النبوية في تكثير الأمة  
 بُرية أئمة موكبة كل واحد منها له الأمة أتباع، لعلمه اليقين أنه لو خطب له  
 والده في أقطار الأرض إلى جمع الملوك، لم يجد منهم إلا كل ملك عظيم وهو له  
 عبد مملوك، فأخى سنة شريفة موكبة ما برحت الخلفاء والمثوك تحفظ بها قلوب  
 أوليائها على أمداد المدنى، ويكفى من هذا ميمون فعل «المأمون» لما تروخ

« بُوْرَانَ » من أبيها « أَمِين سَمِيل » وَحَطَب « المَعْتَصِدُ » إلى « أَمِين طُولُون » أَبَتَهُ  
« قَطْر النَّدى » .

ورأى والِدُهَا أَعَزَّهُ اللهُ تَعَالَى قَدْرًا هَالِكًا مَهَابَةً فَسَلَّمَ وَقَالَ : لِلْمَلِكِ التَّصَرُّفُ  
وَلِلدَّيْلِ التَّصْرِيفُ ، وَإِذَا اقْتَضَى حُسْنُ النَّظَرِ الشَّرِيفِ تَشْرِيفَ عَيْدٍ فَيَا حَبْدًا  
الشَّرِيفِ ، وَيَا حَبْدًا السَّبَبُ الَّذِي أَتَصَلَّتْ لَهُ بِالْمَقَامِ الشَّرِيفِ الْأَسْبَابُ ، وَأَحْتَفَلَتْ  
دِيمَ النَّعْمِ وَأَحْتَفَلَتْ لِلْاجْتِمَاعِ عَلَى سُنَّةِ وَرِثَانِ ، فَمَتَحَاسَدَتْ عَلَى إِثْبَانِهِ صُنْفُرُ الْأَصَائِلِ  
وَمُحَرِّ النَّعْمِ ، وَتَنَاقَسَتْ عَلَى رَقَمِ سَطْوَرِهِ صَحَائِفُ السَّحَابِ وَصَفِيحُ الْمَاءِ وَصَلِيلُ  
السَّيْفِ وَصِرِيرُ الْقَلَمِ ، وَتَمَنَّتْ الْكَوَاكِبُ لَوْ اجْتَمَعَتْ مَوَاكِبُ فِي يَوْمِهِ الْمَشْهُودِ ،  
وَالْمَتَنَابُ لَوْ أَنَّهَا حَوَّلَتْ بِمَتَانِبِ حَافِقَةِ الْبُنُودِ ، وَوَدَّتْ تَسْمَاتُ الْأَشْحَارِ لَوْ كَانَتْ هِيَ  
الَّتِي سَمَتْ بِالْإِتْقَانِ ، وَالْحَمَائِمُ لَوْ أُبِيحَ لَهَا أَنْ تُغَرَّدَ وَتَحْلَمَ مَانِي أَعْنَاقِهَا مِنَ الْأَطْوَاقِ ،  
بَلِ السُّيُوفُ لَمَّا رَأَتْ مَقَامَ الْجَلَالَةِ أَعْضَتْ وَأَغْضَتْ الْأَحْدَاقِ ، وَالرَّمَاخُ لَمَّا بَدَأَ لَهَا  
سِرِيرُ الْمَلِكِ مَائِلًا وَقَفَّتْ عَلَى سَاقِ .

فَبَرَزَتْ الْمَرَامِسُ الشَّرِيفَةُ - زَادَهَا اللهُ شَرَفًا - بِتَحْرِيرِ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ ، وَتَضْيِيدِ  
مَا يَصْلُحُ مِنَ الدَّرَرِ لِهَذَا الْعَقْدِ النَّظِيمِ ، وَنَقْدِ الْمَرْسُومِ الْعَالِي الْمَوْلُويِّ السُّلْطَانِيِّ مَا أَمَرَ  
بِهِ وَصَدَّقَ ، وَتَأَدَّبَ إِجْلَالًا لِمَقَامِ أَبِيهِ الشَّرِيفِ فَأَطْرَقَ ، وَتَوَاضَعَ نَبَهُ فَلَمْ يَقُلْ : هَذَا  
مَا تَصَدَّقَ ، بَلِ قَالَ : هَذَا مَا أَصَدَّقَ الْمَقَامُ الْعَالِي السَّيْفِيُّ أُنُوكَ أَمِينُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ  
الْأَعْظَمِ ، مَالِكِ رِقَابِ الْأَيْمِ ، الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، الْعَالِمِ ، الْعَادِلِ ، الْعَازِي ،  
الْمُجَاهِدِ ، الْمُؤَيَّدِ ، الْمُرَابِطِ ، الْمُتَأَخَّرِ ، الْمُتَطَفِّرِ ، الْمُنْصَوِّرِ ، الشَّاهِنشَاهِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا  
وَالدِّينِ ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، مُنْحِي الْعَمْدَلِ فِي الْعَالَمِينَ ، مُنْصِفِ الْمَظْلُومِينَ  
مِنَ الظَّالِمِينَ ، مَلِكِ الْبَيْسِطَةِ ، نَاصِرِ السُّنَّةِ ، رُشَنِ الشَّرِيعَةِ ، ظَلَّ اللهُ فِي أَرْضِهِ ،

القائم بسنته وقرضه ؛ وأرث الملك ، ملك العرب والعجم والترك ، خداوند عالم  
بادشاه بنى آدم ، بهلوان جهان ، شهریار ایران ، اسکندر الزمان ، مملک أصحاب المنار  
والأسرة والتخوت والتيجان ؛ فاتح الأفطار ، وأهيب الممالك والأقاليم والأمنصار ،  
مبيد البغاة والطغاة والكفار ؛ صاحب البحرين ، حامي الحرمين ، خادم القبلتين ؛  
كفيل العباد والعباد ، مقيم شعائر الحج والجهاد ؛ إمام المتقين ، قسيم أمير المؤمنين ،  
أبي المعالي محمد بن السنتان الشهيد الملك المنصور ، السيد ، الأجل ، العالم ، العادل ،  
المجاهد ، المؤيد ، سيف الدين ، والد الملوك والسلاطين ، أبي الفتح «قلاوون» خلد  
الله سلطانه ، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه - : انجساب الكريم ، الرفيع ، المنيع ،  
المصور ، المكنون ، الهمة المكرمة ، المفضمة ، المعظمة ، بنت انجساب الكريم ،  
العالي ، الأميري ، الأجل ، الكبيرى ، العالمى ، العادى ، المهدي ، المشيدى ،  
الرعيى . المقدسى ، القبايى ، القويى ، الذخرى ، الأوحديى ، الظهيرى ، الكافى ،  
السيفى ، ركن الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء والعالمين ، نصير الغزاة والمجاهدين ،  
زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملّة . محمد الدول ، مشيد  
الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين ، بكتمر الساقى الناصرى ،  
ضاعف الله نعمته .

أصدقها ما تلتت به أنسابها إجلالا ، وبلغت به أحسابها جلالا . وطلعت فى سماء  
الملك هلالا ، وليست نغارا ، وقبست أنوارا ، وأوتت إلى حصن حصين ، ووصلت  
إلى مقام أمين ، والى (؟) بأموال وبتين ، مالولا أدب الشرف ، وتجنب الشرف ؛  
والعمل بالشرع فى تعيين معلوم . وتبين مقدار مفهوم ؛ أخرج عن كل وصف  
محدود ، وقدر محدود ؛ ولما قام به موجود . ولكان مما تقل له انمالك  
ولا يستكثر لأجله الوجود .

قَدِّمَ لَهَا مِنَ الذَّهَبِ الْعَيْنِ الْمِصْرِيَّ الْمَسْكُوكَ مَا هُوَ بِنَقْدِ مَمْلُوكِ وَالِدِهِ مَعْرُوفٍ ،  
وَمِنْ حُقُوقِهِ مَقْبُوضٌ فِي هَيَاتِهِ مَصْرُوفٌ ، مَا يُجَدُّ مَالًا ، وَيُتَمَّى مَالًا ، وَيَأْتِي كُلُّ  
دِينَارٍ مِنْهُ وَوَجْهَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَأَمِّهِ أَبِيهِ بِتَلَاَلَا .

أَصَدَّقَهَا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ كَذَا وَكَذَا ، تَجَلَّ لَهَا كَذَا وَكَذَا ، قَبِضَهُ  
وَكَيْلَ وَالِدِهَا مِنْ وَكَيْلِهِ ، قَبِضًا تَامًا كَامِلًا ، وَتَأَخَّرَ بِعَدِّ ذَلِكَ كَذَا وَكَذَا دِينَارًا حَالًا ،  
عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِمْسَاكِ مَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيجِ بِإِحْسَانٍ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ  
اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

وَوَلَّى تَرْوِيحَهَا مِنْهُ عَلَى الصَّدَاقِ الْمَعِينِ بِإِذْنِ وَالِدِهَا - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - الْمَقْدَمِ  
ذِكْرُهُ : - الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، قَاضِي الْقَضَاةِ ، حَاكِمُ الْحُكْمِ ، خَطِيبُ خُطَبَاءِ  
الْمُسْلِمِينَ ، جَلَالُ الدِّينِ ، خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْعَالِي ، مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ  
سَعِيدِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْعَلَامَةِ إِمَامِ الدِّينِ ،  
أَبِي حَفِصِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَرْوِيْنِيَّ الشَّافِعِيَّ ، الْحَاكِمِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا  
وَبِلَادِهَا ، وَجُنْدِهَا وَضَوَّاحِيهَا ، وَسَائِرِ الْمَالِكِ الْمُضَافَةِ إِلَيْهَا ، بِالْوَالَاةِ الشَّرْعِيَّةِ ، أَدَامَ  
اللَّهُ أَيَّامَهُ ، وَأَعَزَّ أَقْضِيَّتَهُ وَأَحْكَامَهُ . فَفِيلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - لَوْلَدِهِ  
الْمُسَمَّى - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - ذَلِكَ مِنْهُ قَبُولًا شَرْعِيًّا ، يَخَاطَبُ عَلَيْهِ شِفَاةَا بِحُضُورِ  
مَنْ تَمَّ الْعَقْدُ بِحُضُورِهِ ، فِي دَارِ الْمُلْكِ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ ، بِقَاعَةِ الْجَبَلِ ، حَرَسَهَا اللَّهُ  
تَعَالَى ، بِبُرْكَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ حَادِي عَشْرِينَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ آثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ .



وهذه نسخةُ صَدَاقِ الْمَقْرَرِ الشَّرِيفِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ السُّلْطَانَ الشَّهِيدِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ  
ابْنِ فُلَاوُونَ ، مِنْ إِنْشَاءِ الْمَقْرَرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، وَهِيَ :

الحمد لله معنى الملوك بالمطافره ، ومكثر زينة الاسماء مجومهم الزاهره ، ومكبر أقدار الأولياء بما تمت النعمة به من شرف المصاهره .

نحمده على نعمه التي شرفت قدرا ، وصرفت أمرا ، وأطلعت من هالة البدر المنير شمسا لا تحصد غير الأفق خذرا ، ولا تفتي الليالي والأيام إلا أن تقلدها من الأشعة ياقوتا ومن الكواكب دُرًا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع من حمة الدين نسبا وصهرا ، وترفع في أنباء الأبناء لها حسبا وذكرا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي عصم به ، وخص صفوة الخلق في المصاهرة باختلاط نسبهم بنسبه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تستوثق بها الأسباب ، وتستوسق الأنساب ، وثبت أنوارها بملك أنباء الملوك كلمة باقية في الأعقاب ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما جمع الله بملوك البيت الشريف المنصوري - كثر الله عددهم - شتات الإسلام ، ومحآ بيوارق جهادهم ما أمسد من ظلام ، حتى انتهت التوبة إلى من أصبحت به الدولة القاهرة وكل أوقاتها أنوار صباح ، ونوار آفاق ، وسماء سماح ، وأسمى نعم لا تعد إلا معاهد تيجان الملوك على كل جبين وضاح ، المقام الشريف العالی المولوى ، السطانى ، الملكى ، الناصرى ، زاد الله شرفه ، وأعلى على شرفات بروج السماء عرفه ، فأحب - لما أجزاه الله به وبمن سلف من ملوك بيته الشريف من تأييد هذه الأمة ، وتأيد ما شملها بفتوحاتهم المدهيات الفتوح من سوانح النعمة - أن يعمل بقول نبيه المشرف بموافقة آسيبه ومتابعة حكمه في الترويح ، وأن تقع مواقع أمطاره على كل أرض حرة فتنبث كل زوج بيسج . وكان من بيته - أدام الله سعودهم - من يطبع في كل أمر أمره العالی أدام الله تمكينه ، ولولا هذا لما رضى سوى أقران الفرسان له قريته ، وكان من نجباتهم إذا

عَدَّتْ الأَوْلَادَ ، وَأَحْبَبَتْهُمْ إِذَا كَانَ كَمَا يُقَالُ : الْوَلَدُ تَمَرَةُ الْفُوَادِ ؛ وَمَنْ هُوَ بِمَجْلَهْتِهِمْ  
بِحَالٍ ، وَلِدَوْلَتِهِمْ دَلَالٌ ، وَلِقَائِهِمْ أَسَدُ الْأَشْبَالِ - مَنْ يَعْتَرِفُ كُلَّ مَنْ عَرَفَهُ بِفَضْلِهِ ،  
وَيُؤْمَلُ فِي أَبْنَائِهِ مَا لِأَبْنَاءِ سَيِّدِهِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَرَكَةِ تَسْلِيهِ .

بَرَزَ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ الْعَالِي ، الْمَوْلِيُّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِيُّ ، أَنْفَذَهُ  
اللَّهُ فِي الْأَقْطَارِ - بَانَ يُعْبَرُ بِمُغْرَسِهِ الْكَرِيمِ ، وَتَسْبِيهِ الصِّمِيمِ ؛ وَصَبَّاحِهِ الْمُشْرِقِ ،  
وَسَمَّاحِهِ الْمُنْدِقِ ، فَبَادَفَ الْإِحْسَانَ مَوْضِعَهُ ، وَأَنْتَخِبَ لَهُ مِنْ مَشْرِقِ الْبَدْرِ التَّمَامِ  
مَطْلَعَهُ ؛ وَمَنْ هُوَ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِالْيَمِينِ ، وَمَنْ هُوَ الْبَحْرُ الرَّائِعُ  
وَمِنْ مَكُونِهِ يُسْتَخْرَجُ أَنْفَرُ الثَّمِينِ ؛ فَبَادَرَ الْخَاطِبُ إِلَيْهِ إِلَى آغْتِنَامِ هَذَا الشَّرَفِ  
الَّذِي لَا يُطَاوَلُ ، وَعَاجَلَ هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي تَوَلَّى فَضْلُ اللَّهِ وَصَدَقَاتُ سُلْطَانِهِ - حَلَّدَ اللَّهُ  
مُلْكَهُ - مَا كَانَتْ مِمَّا تُحَاوَلُ ؛ وَقَالَ : إِنْ رَضِيَتْ تِلْكَ السُّتُورُ بِهَذِهِ الْمُخْطُوبَةِ ،  
أَوْ أَهَلَّتْ تِلْكَ السَّمَاءُ الْعُلْيَاءُ هَذِهِ الْمُتَجَوِّبَةَ ؛ فَهِيَ لِمَا أَهَلَّتْ لَهُ فِي خِدْمَةِ ذَلِكَ الْمَقَامِ  
الْأَمِينِ ، وَهِيَ كَمَا شَاءَ مَا لِكُلِّهَا الْمُتَصَدِّقُ مِنْ ذَوَاتِ الْعِقَّةِ وَإِلَّا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتِ  
الْيَمِينِ ؛ فَاتَّيَمَّتِ الصَّدَقَةُ الشَّرِيفَةُ عَوَارِفَهَا بِمَا هُوَ أَشْرَفُ مَقَامًا ، وَأَعْظَمُ لَهَا فِي رَتْبَةِ  
الْفَخَّارِ فَهِيَ تَسْمُو بِهَذَا وَلَا تُسَامَى ؛ وَشَرَّفَتْهُ بِمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ عِنْدَ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ  
مِنَ الْمَقَامِ الْكَرِيمِ ، وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا مِنْ ذَوَاتِ الْعُقُودِ وَلَا كَيْدِ وَلَا كِرَامَةِ لِمَا يَجْعَلِي بِهِ  
الْلَيْلُ الْبَيْمِ ، وَلَا لِمَا يَجْعَلِي فِي جِيدِ الْجُوزَاءِ مِنْ عَقْدِ دُرِّهَا النَّظِيمِ ؛ وَلَوْلَا إِجْلَالُ  
الْمَقَامِ عَنِ التَّطْوِيلِ لِمَا آخْتَصَرَ الْقَائِلُ فَقَالَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أصدق .....

## الطرف الثاني

( في صدقات الرؤساء والأعيان وأولادهم )

وهي على نحو من الصدقات الملوكة في الترتيب، إلا أنها أخصر، ومن الألقاب بحسب أحوال أصحابها من أرباب السيوف والأقلام .

(١) وهذه نسخة صدق جمال الدين عبد الله [بن سيف الدين أبي سعيد أمير حاجب] على بنت بيدمر العمري، من إنشاء المقتز التتاي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله مبلغ كل أمل ما يرجوه، ورأعي ذم من لم ينسوا عهدته ولم يخلفوه،  
ومكلى انغير لكل ذى <sup>(١)</sup> يصد من يخفوه، ومجيب كل منيب يدعو قائما  
وقاعدا : (ولما قام عبد الله يدعو) .

نحمده حمدا نكرر فضله وتلوه . ونحل معضله ونحلوه؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتظافر عليها الأمر المسلم وبنوه، وتبيض بها وجوه الأوداء، وتسود وجوه الأعداء . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي سجد به ذووه، وصعد قدر صهره وجوهه، وشرف نسبها ما ألقى فيه على سفاج هو ولا أولوه؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال بها الروض الأريج يقوه، والسحر يبلغها ولو سكت وختم بالبرق فوه؛ وسلم تسليما .

وبعد؛ فإن أزهي زهر طاب مجتنوه، وطال باعاً في الفخار مجتنوه؛ زهر كرامة جرت عنها لامة نبي، وأبرزتها سنة الإسلام من حجاب ذى أنف حمي؛ وطلعت من أفق بدرى طالما سح مجتنوه، وحي سيف أين في كلكه بكلامه مجتنوه .

(١) يباض بالأصوات والتصحیح من الصفحة الثانية .

وكان الجنب الجمالي عبد الله بن المرحوم سيف الدين أبي سعيد أمير حاجب،  
أدام الله تعالى علاه، ورحم أباه، هو ولد ذلك الوالد، وطارف ذلك التاد، وتوسو  
هذه الدولة الشريفة الكاملية التي أخذ منها حظها بالتمام والكمال، وأصبحت به  
كالقادة الحسناء ذات الحسنيين والجمال، ولم يمض أبوه في أيام سلطتها - خلد الله  
ملكه - حتى قرئت به عينه، وسأواه في الإمرة لولا تفاوت العدة وقدم المدة بينه  
وبينه، وجاء منه ولد نجيب، وابن شاع وذاع سرايه ومحمد وهذا عجيب!!! .  
ولما انتقل والده رحمه الله تعالى إلى رحمة ربه، وشرب بالكأس الذي لا بد لكل  
حى من شربه - تطلب مثل ذلك الأب ولم يزل يبحث حتى وجد، وظفر بوالده إن  
لم يكن ولده حقيقة فإنه عنده مثل الولد، وهو المقربيدمر، وهو الولد الذي لم يفقد  
معه من والده ذره، والأب الذي هو أرف من كل أم به، والنير البدي الذي  
سعد قرانا، وصعد وداس بقدمه أقرانا، وقسم دهره شطرين: نهاره للضيوف قري  
وليله لله قرانا .

هذا إلى أنه طابا طيب لركاة أمواله وتمرها، وزين في أعماله بمدرسة عمرها،  
وقيد شوارد حسانه وتلقها، مع أنه شيد المالك وسدد أمورها، وسدد ثغورها،  
وحى بيض سيوفه السوداء الأعظم، ورعى بصواب سهامه الثواب ولم تستعظم،  
ولم تزل نوب الأيام تجرب منه مسوريا، ومجرد حرا كريما جاء في أول السنة صفرا  
بديريا، فكان من تمام به بمن سلف إجابة ولده، وإجالة الرأي فيما يكون سببا  
لصيانته عزيمته وذات يده، فانم له بعقيلته المنعمه، وربيتته التي غدت الشمس منها  
سافرة مفعمه، وقال: على الخير والخيرة، وابن أيج كريم وجدع الحلال أنف الغيرة،  
وما أسنى عقدا يكون متوليه، ومنشئه إحسانا منه ومسنيه، موتى به نظمت عقود  
اللاتى، ورقت بعلبه أعلام الأيام ودواب الليالي، وسأمت القضايا به إلى منقذ



أحكامها، وميسل الفضل حُكَّامها، البحر الزاخر، والنجم الذي سَمَّ ترك الأول منه  
للأخبر، والتمام إلا أنه قَضَتْ صَوَاعِقُهُ على الخُصُوم، والإمام الذي أجمعت عليه  
السنة ولم تُنكر الشيعة أنه الإمام الممصر، والعالم الذي ما برحت بروقه نُشَام، وحقوقه  
على أهل مصر والشَّام، والذي ولي الظلم منذُ ولي، وآتت ذُوو الفضل والفضل  
في القضاء أن أنفاهم تقي الدين وأقضاهم :

فأضى القضاء أبو الحسن • ببقائه يحل الحزن ،  
[ هو ] الذي في حكمه • يجري على أقوى [ سنن ] !  
طود إذا وأزنته • بالطود في حكم وزن !  
والبحر طي ردائه • قلد العقود بلا ثمن !

فأضاهم الخليل به وبال حاضرين ، وقام شعار الدين حتى قال القائل : هذه سيوف  
المجاهدين وهذا سيف المناظرين ، وقيل : هذا وقت جود قد حضر ، وموضع  
سرور ينبغي أن يعجل منه ما ينظر ، فابتدأ السعد بحياه الوسيم ، وأفتح فقال :  
بسم الله الرحمن الرحيم هذا .....



وهذه نسخة صدق ناصر الدين محمد بن الخطيرى ، من إنشاء المقتز الشهابى بن  
فضل الله ، وهى :

الحمد لله الذى زاد الأصول الطيبة قريبا ، وزان الأنساب الطاهرة بصلية نساك  
حبا ، وصان كرائم البيوت القديمة التحار بن يناضل عن حسيه ذبا ، ويناطر العلية  
فلم بين إلا بين منازل النجوم بيوتا ولم يسئل سوى السمر شمر القنا حبا .

(١) يناضل بالأصول ، والتصحيح من القام .

(٢) بمعنى جمع .

نَعُدُّهُ حَدِّدًا مِنْ دَعَايِهِ قَبْلَ بَيْتِ النَّسِيمِ فَلَيْتَى ، وَأَسْتَدْعَاهُ لِأَخْذِ الْعَهْدِ عَلَيْهِ أَمَامَ  
تَفْرِيقِ الْقِسَمِ فَمَا تَأْتِي ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَسْتَنْطِقُ  
الْإِسْنَةَ وَتَشْكُرُ قَلْبًا ، وَتَسْتَفِيدُ أَنْوَاءَ السُّرُورِ فَتُضِيءُ الْبَشَائِرَ بَرُوقًا وَتُمِطِرُ الرَّحْمَةَ سَحَابًا ،  
وَتَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي قَامَ فِي تَكْثِيرِ الْأُمَّةِ حَتَّى زَادَ عَدَدُهَا عَلَى مَوَاقِعِ  
الْقَطْرِ وَأَرْبَابِهَا ، وَقَالَ مَا أَمَرَ بِهِ : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعَلَى أَقْرَبَاتِهِ صَلَاةً تَضُمُّ آلًا وَصَحْبًا ، مَا سَارَتْ الشُّهْبُ  
تَقَطُّعِ الْآفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا أَشْتَبَكَ وَشَبَّحَهُ ، وَأَشْتَبَهُ فِي مَنَابِتِ الْأَيْكِ بَهَبَهُ ، وَأَتَبَّهُ  
فِي أَرَائِكِ الْخَمَائِلِ أَرِيحَهُ ، وَأَنْتَدِبُ لِإِتْيَانِهِ الْأَفُقُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَبِ الْعِشَاءِ تَمْوِيحُهُ  
وَمِنْ لَمَعِ الصُّبْحِ تَدْيِيحُهُ - مَا أَتَيْتُ فِيهِ الشَّرِيعَةَ الْمَطْهُرَةَ حَيْثُ لَا تَخْتَلِفُ الْأُمَّةُ ،  
وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى مَنْ سَنَاهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فِيمَا تَأْتَلَفُ بِهِ الْبُعْدَاءُ وَتَكْتُمُ  
لِمَبَاهَاتِهِ الْأُمَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَذِهِ الْأُمَّةُ ، وَتَدْنُو بِهِ الْأَجَانِبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَيَجْعَلُ  
بَيْنَهُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، وَتُعْتَدُّ بِهِ أَيَادِي بَعْضِهِمْ لِتُحْصَرَ وَيُجَلَّدُ بِهِ فِي الْعَاقِبَةِ شَرَفُ الذِّكْرِ  
وَيُتَجَمَّلُ بِهِ شَرَفُ النِّعَمَةِ ، وَهُوَ النَّكَاحُ الَّذِي تُسْتَدُّ بِهِ الْأَوَاصِرُ ، وَتَعْتَدُّ بِهِ الْمَوَارِدُ  
لِتَمْتِيلَ أَكْثَرَ الصُّورِ مِنْ أَرْزَاقِ الْعَنَاصِرِ ، وَتَمْتَدُّ بِهِ هِمُّ الْأَبْطَالِ لِمَا يَسْتَخْرِجُهُ بِجَهْدِهِ  
أَنْسَانَهُ مِنْ أُمَّةٍ قَوِيَّةٍ وَنَاصِرٍ . وَأَشْكَلُهُ مَا تَعَانَلَتْ فِي أَشْرَفِ الْبُيُوتِ الْعَرِيفَةِ وَجُوهُ  
نَفَارِهِ ، وَتَقَابَلَتْ فِي مَطَالِعِ السُّعُودِ - حَيْثُ الْبَسْدُ الْمُنِيرُ وَالشَّرْفُ الْخَطِيرُ - مَشَارِقُ  
شُجُوهِهِ وَمَطَالِعُ أَفْقَارِهِ .

وَكَانَ الْأَبْوَانُ فِي أَهْلِ الْقَهَّارِ مِنْ جُرُومِهِ بَسَقًا ، وَأَرْوَمِهِ تَفَرَّقَتْ فُرُوعُهَا  
ثُمَّ تَلَاقَتْ مِنْهَا غُصْنَانُ وَأَعْتَقْنَا ، مِنْ بَيْتِ مَا حُجِّبُهُ إِلَّا مَوَاضِي الصَّفَاحِ ، وَلَا شُبُهَهُ

إلا طلائع الأسنّة في رؤوس الرّماح، ولا مُجُبه إلا ما يفيض على جنتائه من النفوس  
 أو يفيض من السّماح، ولا مُجُبه إلا المتساقب لولا أن الثّرياً جاذبت ما يعرض  
 في السماء أثناء الوشاح، وكان هو الرّاضب إلى عمّه، الخاطب إليه ما لم يكن مُجُباً  
 إلا لسمعه، الطّامح بنظره إلى عقيلة الفخار في عُرفها، الطّامح بغطية الشّمس شمّس  
 النّهار إلا أنها في بيت شرفها، المُتوقّع من كرم عمّه الإجابة التي خطّها بأمله، وأولية  
 يد كريمة لا يعتدل الزمان إلا إذا حلت شمّمها في بيت حمّله، توقّعاً لنسب لا يزال به  
 شرف هذا البيت الكريم موجوداً، ونسب إذا عدّ ولد منه الآباء عدّ جدّين سيّدين  
 هذا معبوداً وهذا محموداً، فتلق قصده بأكرام بواه أكتاف الشّرف، وأوطأه  
 فرش الكرامة متعاً بنعيم التّرف، ابتدأاً للكرم المألوف، وأتباعاً للسّنة الشّريفة  
 إذ كان الأقربون أولى بالمعروف .

فبارياً جوداً سارع كلُّ منهما في أداء حقّه إلى الواجب، وتجارياً إليه لينحفا  
 شاو أويهما وكلُّ منهما يعلم أنه العين والعين لا ترتفع على الحاجب، وأتمّ الختاب  
 الشّرف محمود - أدام الله نعمته يُعْمِن إجابته، ويؤمن رغبته في أهل عصبته، وأهل  
 جنوده إلى أن ساروا إلى المهجاء تحت عصايته - بأن فوض هذا الأمر إلى أخيه  
 الكبير والد الخاطب، وسكّت وقال : هو في التّصرف وعنى الخاطب، وله الأمر  
 ولولا الشّرف بنسبة الأخوة إليه لما قلنا : إلا أننا منك يده، وإذا كان العم صنو  
 الأب فأى فرق بين ولدي وولده؟ : ولئن آخضت في نسبة هذه الرّوجة في يومه هذا  
 فإن أولادها لا تُعرف إلا به في غده، فكل هذا العقْد، وأشرق به السّعد الطّالع  
 أضواً مما قدّم وأخّر من النّقد، وكان من تمام التّكريم، أن قال قائله :

بسم الله الرحمن الرحيم .....



وهذه نسخة صدق القاضى نقي الدين، وهى :

الحمد لله الذى رَفَعَ إلى المَنَازِلِ العَلِيَّةِ من كان نَقِيًّا ، وجمَعَ شَمْلَ من لم يبرح لَسَنَينِ  
السَّنَنِ نَاطِقًا وبها حَفِيًّا ، وَخَلَعَ أَثوابَ الثَّوابِ على من سَرَحَ طَرَفَ طَرَفِهِ فى رَوْضِ  
النَّاهِلِ وجعلهُ وَضِيًّا .

بِحَمْدِهِ على نِعَمِهِ التى من هُنَّ جَذَعُ نَحْلِها تَساقَطَ عليه رُطْبًا جَنِيًّا ، وَتَشكَّرُهُ على  
فَضْلِهِ الذى تَمَّ أجْرَى لِقَاصِدِهِ من بَحْرِهِ المَعروفِ سَرِيًّا ، وَنَشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ  
وحدَهُ لا شريكَ له شهادَةً تَمُنحُ قائلِها فى عُرفِ الجَنَّةِ مكانًا عَليًّا ، وَنَشهَدُ أن سيدنا مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذى آتاه اللهُ الكِتابَ وجعلهُ نَبِيًّا ، الأَمْرَ أَمَّتَهُ بِالنِّكاحِ لِبُكَائِرِهِمُ الأُمَّمِ  
يَوْمَ يُقَرَّبُهُ اللهُ نَبِيًّا ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذين كان يُعْمَلُ منهم فى حَالي  
الكَرَمِ والكَراماتِ وَلِيًّا ، ما أَطْلَعَ التوفيقُ فى آفاقِ الأَنْصالِ مِنَ الأَنْسابِ الكَرِيمَةِ  
كَوَجْها دُرِّيًّا ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فإن أوَّلَى السَّنَنِ بِالأَتِباعِ سُنَّةُ النِّكاحِ ، التى أَخْفَى نُورُ مُصباحِها شَمْسَ  
الصُّباحِ ، وَخَفَّتْ على مَعالِمِها أعلامُ النِّجاةِ والنِّجاحِ ، وَحَمَدُ المَسيرِ إلى رُبوعِها الأِهْلَةِ  
بأهْلَةِ العِصْمَةِ فى العُدُوِّ والرَّواحِ ، يالها سُنَّةٌ وَجْهها جَمِيلَةٌ ، وَأَصابعُ نَيْلِها  
بِلِ أَيْدِيهِ جَزِيلَةٌ ، بِها تُحْمَى أشجارُ النَّسَبِ وَيَطيبُ جَنّاها ، وَتَبْلُغُ النَفوسُ مِنَ الصِّبْيانَةِ  
أَقصى مُناها ، وَيظفَرُ أوْلُو الرُّغْبَةِ نِها أَعْلَى اللهُ بِمَطْلُوبِهِم ، وَتُؤَلَّفُ بَيْنَ مَنْ لَوْ أَنْفَقَتْ  
ما فى الأَرْضِ جَمِيعًا ما أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِم ، وهى الوَسيلَةُ التى تُكثِّرُ سَوادَ هذه الأُمَّةِ ،  
والدَّرِيسَةُ إلى [بِقَاءِ] النُّوعِ الذى أَظْهَرَ اللهُ فى سَماءِ التُّكْرِمِ نَجْمَهُ ، وإليها الإِشارةُ  
فى قولِهِ تعالى : ( وَمِنَ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ  
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) .

ولما كان كذلك رَغِبَ في أَقْنَاءِ آثَارِهَا ، وَأَهْتَدَى بِالصُّوَرِ اللَّامِعِ مِنْ أَفْئَادِهَا ؛ مَنْ  
يَتَشَرَّفُ الْمَكَانَ بِذِكْرِ وَصْفِهِ ، وَيَتَعَطَّرُ مَا أَتَشْتَرِي فِي طَيْبِهِ مِنْ طَيْبِ عَرَفِهِ ؛ مَا جَدُّ  
عَمْرُ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ بِدَوَامِ دِيْنِهِ ، وَجَوَادِ مَا جَاوَرَهُ الْبَحْرُ إِلَّا لِيَقْتَبِسَ مِنْ كَرَمِهِ ؛  
وَرَبِيسُ أَمْتِطَى ذِرْوَةَ الْعِلْيَاءِ بِحُسْنِ السُّلُوكِ ، وَارْتِيحِي لَوْ لَمْ يَكُنْ صَدْرًا لِمَا أُودِعَ سِرُّ  
الْمُلُوكِ ؛ إِنْ تَكَلَّمَ أَبْرَزْنَاكَ الْجَوْهَرَ الْمَصُونِ ، وَإِنْ كَتَبَ صَحَّحْتَ لِبُكَاءِ قَلْبِهِ نُغُورُ  
التُّغُورِ وَالْحُصُونِ ؛ لِلَّهِ نَسَبُهُ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْأَكْبَارِ الْأَعْيَانِ ، وَبَيْتُهُ الْمَعْمُورُ بِالْعَيْنِ  
الْمَرْفُوعِ خَبْرُهَا إِلَى فِتْيَانِ ؛ نَخَطِبُ مِنْ عِلَّا قَدْرُهَا ، وَأَشْتَهَرُ بِالْحُسْنِ الْجَمِيلِ ذِكْرُهَا ؛  
وَجَلَّتْ عَنِ أَنْ تَرَى الْعُيُونُ لَهَا فِي الصُّونِ شَيْبًا ، وَعَمَّتِ الْبِقَاعُ سَحْبَ بَرَكَةِ أَبِيهَا ؛  
أَكْرَمَ بِهِ عَالِمًا عَامِلًا ، وَإِمَامًا لَمْ يَزَلْ يُبْدِي فَضْلًا وَيُسْدِي نَائِلًا ؛ كَمَلَهُ مِنْ آثَارِ  
مَشْهُورِهِ ، وَمَتَابَعِ مَأْتُورِهِ ، وَصَدَقَاتِ مَبْرُورِهِ ، وَمَوَاطِنِ بِذِكْرِ اللَّهِ مَعْمُورِهِ .

فَقُوِيلَ بِالْبِشْرِ قَوْلُ رَسُولِهِ ، وَرَدَّ رَائِدُهُ مُخْبِرًا بِبُلُوغِ سُؤْلِهِ ؛ وَقِيلَ لَهُ بِلِسَانِ الْحَالِ ، :  
هَذَا مَا كَانَتْ تَنْتَظِرُ الْأَمَالَ ؛ يَا لَهُ عَقْدًا غَلَّتْ جَوَاهِرُ عُقُودِهِ ، وَأُنَارَتْ فِي آفَاقِ  
الْأَنْتَاقِ أُنْجُمُ سُعُودِهِ ؛ وَمَتَايَلَتْ قُدُودُ أَغْصَانِ الْأَفْرَاحِ ، وَزَهَّتْ مَجَالِسُ السُّرُورِ  
بِالْأَنْشِرَاحِ ؛ وَهَبَّتْ قُبُولُ الْإِقْبَالَ ، وَقَامَ الْقَلَمُ حَاطِبًا عَلَى مِنْبَرِ الطَّرْسِ فَقَالَ :

هَذَا مَا أَصْدَقُ ... .. .



وهذه نسخةٌ صدَّقَ مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ صِلَاحِ الدِّينِ الصَّفَّيْدِيِّ ، لِلْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ  
حَطِيبِ بَيْتِ الْأَنْوَارِ ، عَلَى بَيْتِ شَمْسِ الدِّينِ الْحَطِيبِ مِنْ بَيْتِ الْأَنْوَارِ ، تُسَمَّى  
سُؤْلِي ، فِي مُسْتَهْلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فِي مَجْلِسِ مَوْلَانَا  
قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي الدِّينِ السُّبُكِيِّ الشَّافِعِيِّ ، أَدَامَ اللَّهُ أَيْامَهُ ، وَهِيَ :

الحمد لله الذي زين سماء المعالي ببدرها ، وأثبت في رياض السعادة يانع زهرها ،  
وألهم ذوي الهِمَم أن يبذلوا في الكرامات غوالي مهورها .

نحمده على نعمه التي حلت ما ضفا من لباسها ، وسوغت ما صفا من رُضاب  
كاسها ، وخصنا بما عمت به من أنواع أجناسها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له ، أعلنا في الإيمان نصها بالأداء ، وبنى أسمها على الفتح كما فتح  
المضائق في النداء ، ورفق خبرها : إما على رأي الرواة للشهرة وإما على رأى النحاة  
بالابتداء ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي شرع التكاح لهذه الأمة ،  
ومنع السفاح فلم يكن أمرنا علينا محمداً ، ونهج الصواب فما ظنك بالصبايح إذا أبتلع  
عقيب الليلة المذلِّمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تلقوا أوامره بالطاعة ،  
وأجتنبوا نواهيه حتى بلغوا جهد الاستطاعة ، وفهموا مراده بمكاثرة الأئم فكان  
البضاع عندهم خير بضاعة ، صلاة رضوانها يضيء إضاءة الكواكب في أبراجها ،  
وغفرانها يكائر البحار في أعداد موجها ، ما اتصل بسبب بالنكاح ، وانفصل بسبب  
بالسفاح ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن التكاح من محاسن هذا الدين القيم ، وفصائل هذا الشرع الذي  
لا زال شرفه بدرًا بين مشرقات النجوم وهو محم ، به يحفظ النسب الشرود ، ويرعى  
عهد القرينة الولود الودود .

وكان فلان ممن أشبه أباه ، وأبين ما أودعه من نفائس العلوم وحباه ، تصدّر  
في المجالس ، ودرس في المدارس ، وأورد ما عنده من النفائس ، كيف لا ؟ وهو  
يسبط شيخ الإسلام وإمام المسلمين ، وقاضي قضاة الشافعية وأوحد المجتهدين ،  
وقد أراد الآن إحصاء فرجه ، وأن تنزل الزهرة مع بدره في برجه .

فلذلك رَغِبَ إلى التَّجَاسِ العَالِي (المسمى) وَخَطَبَ الجِهَةَ المَصُونَةَ المَحَجَّجَةَ ،  
التَّقِيَّةَ ، التَّقِيَّةَ ، العَفِيفَةَ ، الخَاتُونَ ، غُضِنَ الإسلامَ ، شَرَفَ الخَلَوَاتِينَ ، جَمَالَ ذَوَاتِ  
السُّتُورِ ، قُوَّةَ عَيْنِ المَلُوكِ والسُّلَاطِينَ ، السَّيِّدَةَ "سُؤلى" بِنْتِ فُلَانِ ، صَافِ الله  
حِجَابَهَا . فَأَكْرَمَ مَوَارِدَ قَصيدِهِ . وَحَبَّاهُ أَنْفَسَ دُرَّةٍ فِي عِقْدِهِ .

فلذلك قامَ خَطِيبٌ هَذَا الخَطِيلِ الكَرِيمِ ، والنَّجْمِ البَدِيِّ لَمْ يَزَلْ تَجَمُّهُ بِالطَّالِعِ المُسْتَقِيمِ ،  
وقال :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .....



قُلْتُ : وَهَذِهِ نَسْخَةُ صِدَاقِ زَيْنِ الدِّينِ صَدَقَةِ السَّيْفِيِّ - أَزْدَمِرَ ، عَلِيَّ بِنْتِ أميرِ  
المُؤْمِنِينَ «المُتَوَكَّلِ عَلَى الله» . أَنشأتهُ لَهُ فِي خِلافةِ أُخِيهَا المَسْتَعِينِ باللهِ العَبَّاسِيِّ ، وَهِيَ :  
الحَمْدُ لله مُسْتَخْرِجِ الدَّوْحَةِ المَاشِيَةِ مِنَ أَطْيَبِ العَنَاصِرِ ، وَمُقَرِّعِ النَّبْعَةِ العَبَّاسِيَّةِ  
مَنْ أَكْرَمَ صِنُوقِ العَقْدَتِ عَلَى فَضْلِهِ الخَلِيفَةِ ، وَمُخَصِّصِ بَيْتِ الخِلافةِ مِنْهَا بِأَعزِّ  
جَانِبِ ذَلَّتْ لِعِزِّهِ عُظْمَاءُ المَلُوكِ مَا بَيْنَ مُتَقَدِّمِ وَمُعَاصِرِ .

نَعُدُّهُ عَلَى أَنْ صَانَ عَقَائِلَ الخُلَفَاءِ بِمَعَاوِلِ الحَسَبِ ، وَحَصَرَ كِفَائِمَهَا فِي العِلْمِ وَالدِّينِ  
حَيْثُ لَمْ يَكْفَأَ بِمِجْرَفَةٍ وَلَا نَسَبٍ ، وَنَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي  
سَنَّ النِّكَاحَ وَشَرَعَهُ ، وَأَرْغَمَ بِالْحِلِّ أَنْفَ الفِئْرَةِ لَدَى الإِبَاءِ وَقَمَعَهُ بِشَهَادَةٍ يُسْتَشَقُّ  
مِنْ رِيَاءِ عِبْرِهِا كُلِّ شَيْءٍ أَرِيحُ ، وَتُجَنِّي إِيمَارَتَيْهَا بِشَرِيفِ النَّجَاحِ مِنْ كُلِّ زَوِجٍ  
بِهَيْجٍ ، وَنَشَهُدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيٍّ وَفَرَّقَ فِي القَضَلِ سَهْمَهُ حَتَّى لَمْ  
يُسَامَهُمْ ، وَأَكْرَمَ رُسُولِ رَحْصِ فِي تَزْوِيجِ بَنَاتِهِ مِنْ صَحَابِهِ وَإِلَّا فَايْنُ كُفِّ رُسُولِ اللهِ  
مِنْ العَالَمِ ؟ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ شَرَّفَهُمْ بِقُرْبِهِ ، وَقَرَنَ الصَّهْرَ

بالنسب فيهم نخص مصاهرته أخصهم به ؛ صلاة تصل سبب قائلها بسببه ،  
وتجعل الفخار بها كلمة باقية في عقبه ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما أطل في المطيل ، وشيخ في وصفه الذهن الكليل ، ورقبت  
محاسن ذكره على صفة النهار بذائب ذهب الأصيل - ما توأمت به الأنساب ،  
وتوصل بواسطته في دراري الدراري إلى شرف الأحساب ؛ وتوفرت عليه الدواعي  
فأشندت به الأواصر ، وحسنت في طريق قصده المساعي فأكدت به المودة  
في البواطن والظواهر . وهو النكاح الذي تدب الله تعالى إلى معاطاته ، وحض  
على التحلي بجله حتى أحقه بالعبادة في بعض حالاته ؛ طلباً للتخصيص الكافل بسؤالك  
نهج الاستقامة ، ورغبة في تكثير النسل الواقع [به] مكارمة الأئمة يوم القيامة .

هذا وكرائم بيت الخلافة ، وربائب محند المجيد والإتافه ؛ في حيز لو طلب مناو  
مكافاتها لطلب معوزاً ، أو رام مقاوم مضاهاتها في علو الرتبة لرام معجزاً ؛ لما  
أختصت به من السيادة التي لا يرقى إلى منزلتها ، والمعالي التي لا تسمو النفوس  
وإن تنمخت إلى رتبته ؛ إذ كان النظر لشرف أرومتها ممتنعاً ، والنقبض بما ثبت من  
طيب جزئويتها مرتفعاً ؛ فبرق معاليها في التطاول لا يسام ، وجوهراً نفاها في المآثر  
لا يسام ولا يسام ؛ فعز بذلك في الوجود مكافها ، وأمتنع - خوف الهجوم بالاختطاب -  
موافيها ؛ إلا أن الواقف الشريفة المقدسة المتوكلة - زاد الله تعالى في شرفها ،  
وأدام رعايتها بحجة الملوك وحمايتها وكفها - مع ما أفردت به من العز الشايع الذي  
لا يساوى ، والشرف الباذخ الذي لا يساوى ؛ قد رغب تفضلها في أهل الفضل قال  
إيهم ، وأختص بأقباله أهل الدين فأقبل بكلية عليهم ؛ محلاً لهم من شريف مقامه  
العلى محل الأصطفاء ، ومقدماً لهم في المصاهرة على أبناء الملوك والخلفاء ؛ فوافق



في الفضل شئ طبَّقه ، وحاول سائر النعم منها خيرَ حَاطِبٍ فُلُقِيَّ بِقَبُولِ : إن الله  
تَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ بِصَدَقَتِهِ ؛ فعند ذلك أَبْتَدَرَ الْقَلَمُ مِثْرَ الطَّرْسِ نَحَطَبَ ، وَخَطَبَ بِالْحَامِدِ  
لِسَانَهُ اللَّسِنُ فَكَتَبَ :

هذا ما أَصْدَقَ الْعَبْدَ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، الْحَنَابُ الْعَالِي ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ،  
الشَّيْخِيُّ ، الْإِمَامِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْعَابِدِيُّ ، الْخَاشِعِيُّ ، النَّاسِكِيُّ ، الْبَلِيغِيُّ ،  
الْمَوْجُوهِيُّ ، الصَّدْرِيُّ ، الرَّبِيعِيُّ ، الْأَصِيلِيُّ ، الْعَرِيفِيُّ ، الرَّزِينِيُّ ، أَبُو الْمَعَالِي صَدَقَةٌ -  
إِلْهَمَةُ الشَّرِيفَةِ الْعَالِيَةِ ، الْكَبْرِيَّ ، الْمَعْظَمَةَ ، الْمُحَجَّجَةَ ، الْمَصُونَةَ ، سَلِيلَةَ الْخِلَافَةِ ، فَرَعَ  
الشَّجَرَةَ الرَّكِيَّةَ ، جَلِيلَةَ الْمَصُونَاتِ ، حَمِيلَةَ الْمُحَجَّجَاتِ ، سَارَةَ ، الْبِكْرَ الْبَالِغَ ، أبنَةَ سَيِّدِنَا  
ومولانا الْمَقَامِ الْأَشْرَفِ ، الْمُقَدَّسِ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ، السَّيِّدِيِّ ، الْإِمَامِيِّ ، النَّبَوِيِّ ،  
الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ "أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ" أمير المؤمنين . أبن الْمَقَامِ الْأَشْرَفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ،  
الْإِمَامِيِّ ، الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ "أَبِي الْفَتْحِ أَبِي بَكْرٍ" بن الْإِمَامِ الْمُسْتَكْفِيِّ بِاللَّهِ "أَبِي الرَّبِيعِ  
سَلْيَانَ" أبن الْإِمَامِ الْخَالِكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ "أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ" لازال شَرَفُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعِزَّتُهُ  
الشَّرِيفُ شَامِحًا ، وَذِكْرُ مَنَاقِبِهِ الْعَالِيَةِ لِكُلِّ مَنْقِبَةٍ نَائِمًا - صَدَاقًا بِحَمَلَتِهِ كَذَا وَكَذَا ،  
رَوَّجَهَا مِنْهُ بِذَلِكَ فَلَانٌ ، وَقَبِيلَهُ فَلَانٌ ، وَتَمَّ عَلَى بَرَكَاتِهِ اللَّهُ تَعَالَى وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ، كَامِلَةٌ  
شُرُوطُهُ وَلَوْ أَوَزَمَهُ ، مُبَارَكَةٌ عَوْدُهُ وَتَمَسُّعُهُ ، مُمَيَّنَةٌ فَوَائِحُهُ وَخَوَائِعُهُ ؛ مُفْتَتِحَةٌ بِطَيْبِ  
الْعَبَسِ أَزَاهِرُهُ مُقْتَرَةٌ عَنْ [نُورِهِ] إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَلَامُهُ .

## الفصل الخامس

### من الباب الأول من المقالة العاشرة

(فيما يكتب عن العلماء وأهل الأدب مما جرت العادة بمراعاة النثر المسجوع فيه ،  
ومحاولة الفصاحة والبلاغة ، وفيه طرفان )

### الطرف الأول

( فيما يكتب عن العلماء وأهل الأدب ، ثم هو على صنفين )

### الصنف الأول

( الإجازات بالفتيا والتدريس والرواية وعروضات الكتب ونحوها )

أما الإجازة بالفتيا ، فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس -  
أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرس ، ويكتب له بذلك ، ويجرت العادة أن يكون  
ما يكتب في الغالب في قطع عريض ، إما في قرحة الشامي أو نحوها من البلدي ،  
وتكون الكتابة بقلم الرقاع أسطرًا متوالية ، بين كل سطرين نحو أصبع عريض .

وهذه نسخة إجازة بالفتيا والتدريس على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه  
وأرضاه ، كتبت لي حين أجازني شيخنا العلامة سراج الدين أبو حفص عمر بن  
أبي الحسن الشهير بابن الملقن ، سقى الله تعالى عهده ، عند قدومه نجر الإسكندرية ،  
وأنا مقيم به في شهر سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وكتب لي بذلك القاضي تاج  
الدين بن غنوم موقع الحكم العزيز بالإسكندرية في درج وري شامي في قطع الشامي  
الكامل ، وسنى يومئذ إحدى وعشرون سنة ، فضلًا من الله ونعمة .

وَسُخِّتْهَا بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ الشَّرِيفَةِ :

أَخْدُتْهُ الَّذِي رَفَعَ لِلْعُلَمَاءِ مِقْدَارًا ، وَأَجْرَلِ نِعْمَهُ عَلَيْهِمْ إِذْ أَعْلَى لَهُمْ مَنَارًا ، وَوَقَّقَ  
بِسَوَاءِ الطَّرِيقِ مَنْ أَفْتَدَى بِهِمْ زِيَادًا ، وَأَصْدَارًا ، أَثْبَرَعَتْ هِمْمُهُمُ الْعَلِيَّةُ فِي حَابَةِ  
السَّبَاقِ فَهِيَ لَا تُجَارَى ، وَتَحَلَّلُوا بِالْمَقَانِرِ جَهْرًا وَقَدْ تَعَجَزَ غَيْرُهُمْ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا إِسْرَارًا ،  
أُبْرُزَ بِهِمْ فِي هَالَاتِ الْمَقَانِرِ أَفْسَارًا ، وَأَزَالَ بِضِيَاءِ عُلُومِهِمْ رَيْبَ الشُّكِّ حَتَّى عَادَ لَيْلُ  
الْجَهْلَةِ نَهَارًا ، جَعَنَهُمْ لِدَيْهِ أَنْصَارًا ، وَصَيَّرَهُمْ نُحْبَةَ أَصْفِيَانِهِ إِذْ أَوْدَعَهُمْ مِنَ الْمَعَارِفِ  
إِسْرَارًا ، وَأَخْتَصَّهُمْ بِكُونِهِمْ وَرَثَةَ أَنْبِيَائِهِ : وَنَاهَيْكَ بِهَا نَحَارًا .

أَحْمَدُهُ حَمْدٌ مِنْ هُدَى إِلَى الْحَقِّ بِجَعْلِهِ شِعَارًا ، وَأَسْتَضَاءُ بِنُورِ الْهُدَى فَلَجًّا إِلَى  
مَوْلَاهُ فِي حَالَتِي بِرَمِّهِ وَجَهْرِهِ أَفْقَارًا ، وَتَعَجَزَ عَنِ شُكْرٍ مَا أَسْدَى إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ لَمَّا تَوَلَّى  
عَلَيْهِ وَبَلَّهَا مِثْرَارًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَصَدِيقًا وَإِقْرَارًا ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَالْأَصْنَامُ قَدْ عُدَّتْ جِهَارًا ، وَالْكَفَّارُ قَدْ أَعْرَضُوا  
عَنِ الْحَقِّ اسْتِجَارًا ، فَمَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْصَارًا ، وَقَهَرَ مِنَ أَعْرَاضِ عَنِ اللَّهِ أَغْتِرَارًا ،  
وَأَتَمَّ بِضِيَاءِ نُورِهِ الْبَاطِلَ وَأَهْدَرَهُ إِهْدَارًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً  
تَزِيدُنَا فِي دِينِنَا اسْتِيفَارًا ، وَتَحُطُّ عَنَّا مِنْ نَقْلِ الذُّنُوبِ أَوْزَارًا ، وَتَبَوُّؤُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
تَعَالَى فِي دَارِ الْخُلُودِ قَرَارًا .

أَمَا بَعْدُ ، فَقَدْ وَصَّحَ لِدَوَى الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ ، وَأَتَّصَحَّ عِنْدَ ذَوَى الْأَسْرَارِ وَالسَّرَائِرِ ؛  
وَأَسْتَفَرَّ عِنْدَ ذَوَى الْقُلُوبِ السَّائِمَةِ ، وَالْعُقُولِ الرَّابِحَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ ؛ أَنْ مِثْرَةَ عِلْمِ  
الشَّرِيعَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، وَفَضْلُهُ أَفْضَلُ الْمَنَازِلِ وَأَثَرُ الْفَضَائِلِ ؛ وَخُصُوصًا  
مَعْرِفَةُ تَفَاصِيلِ أَحْكَامِ أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ بِالشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، الَّتِي مَنْ عَلِمَهَا وَعَمَلَهَا  
وَعَلَّمَهَا فَقَدْ سَعَدَ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ، إِذْ هِيَ الشَّرِيعَةُ الْجَامِعَةُ لِصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،

النَّاسِغَةُ لِمَا خَالَفَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ الْغَايِرَةِ ، الْبَاقِيَةُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ وَعَيْدُ اللَّهِ وَكُلُّ شَرِيحَةٍ سِوَاهَا دَائِرَةٌ ، فَقَدْ أَعْظَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ حَفِظَهَا عَلَى عِبَادِهِ الْمُنَّةَ ، إِذْ جَعَلَهُ وَقَايَةً لِمَنْ مِنْ مَهَالِكِ الْجَهْلِ وَجُنَّةً ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَنْزِلَ فِي أَعْلَى مَنَازِلِ الْجَنَّةِ ، لِمَا شَهِدَتْ بِهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ . فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ أَقْوَى سَبَابِ الْعِبَادَةِ ، إِذْ خَصَّهُ بِهِ وَحَضَّهُ عَلَى أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ الزِّيَادَةَ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ . فَتَنَى بِذِكْرِهِمْ بَعْدَهُ ، لِكُونِهِمْ أَفْضَلَ الْخَلَائِقِ عِنْدَهُ . وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ ، وَتَقَدَّسَ عِلْمُهُ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . فَأَوْضَحَ بِذَلِكَ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ خَلْقِهِ الْعُلَمَاءُ ، إِذْ وَصَفَهُمْ وَخَصَّهُمْ بِأَنْهُمْ الْخَائِفُونَ مِنَ الْإِنْفِيَاءِ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . وَقَالَ أَيْضًا : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ » . وَقَالَ أَيْضًا : « أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَاعُونَةٌ مَاعُونَةٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا وَالَاهُ ، وَعَلَّمَ وَمُتَعَلَّمٌ » .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى تَسْذِيدَهُ وَتَوْفِيقَهُ ، وَيَسَّرَ إِلَى الْخَيْرَاتِ طَرِيقَهُ - مِمَّنْ سَبَّ وَتَسَاءً فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْفَضِيلَةِ ، وَتَحَلَّقَ بِالْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ الْجَمِيلَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَصَحِبَ السَّادَةَ مِنَ الْمَشَائِخِ وَالْفُقَهَاءِ ، وَالْقَادَةَ مِنَ الْأَكْبَارِ وَالْفُضَّلَاءِ ، وَاشْتَغَلَ عَلَيْهِمُ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ أَشْتَغَالًا يُرِضِي ، وَإِلَى نَيْلِ السَّعَادَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - يُفِضِي -

أَسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى سَيِّدُنَا وَشَيْخَنَا وَبَرَكَتُنَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامُ ، الْخَبْرُ الْقَهَّامُ ؛ فَرِيدُ دَهْرِهِ ، وَتَسْبِيحُ وَحْدِهِ ، جَمَالُ الْعُلَمَاءِ ، أَوْحَدُ الْفُضَّلَاءِ ، حَمْدَةُ الْفُقَهَاءِ وَالصَّلَاحَاءِ ؛ سِرَاجُ الدِّينِ ، مُقْنَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ؛ أَبُو حَقِيقِصْ عَمْرُ بْنُ سَيِّدِنَا الْعَبْدِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، الشَّيْخُ الْإِمَامِ الْعَالِمِ ، الْعَامِلِ ، الْأَوْحَدِ ، الْكَامِلِ ، الْقُدْوَةُ ، الْمَرْحُومُ نُورِ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ ، ابْنِ سَيِّدِنَا الْعَبْدِ الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،

الشيخ الصالح، الزاهد، العابد، الخاشع، الناسك، القدوة، المرحوم شهاب الدين،  
بركة الصالحين، أبي العباس أحمد، ابن سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى، الشيخ  
الصالح، القدوة، العارف، المرحوم، شمس الدين، أبي عبد الله محمد الأنصاري  
الشافعي، أدام الله تعالى النفع به وبركته، وأشركنا والمسلمين في صالح أدينته،  
بمحمد وآله وصحبه وعترته .

وَأَذِنَ وَأَجَازَ لِفُلَانِ الْمَسْمُوعِ فِيهِ ، أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى مَعَالِيَهُ ، أَنْتَ يُدْرَسُ مَذْهَبَ  
الإمام المجتهد المطلق العالم الرباني - أبي عبد الله محمد بن إدريس المظلي، الشافعي،  
رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مقبله ومثواه، وأن يقرأ ما شاء من الكتب  
المصنفة فيه، وأن يفيد ذلك لطالبه، حيث حل وأقام، كيف ما شاء متى شاء  
وأي شاء . وأن يقني من قصد استفتاءه خطأ ولفظاً، على مقتضى مذهبه الشريف  
المشار إليه : ليأتم بديانته وأمانته، ومعرفة ودرأيته، وأهليته لذلك وكفايته .

فَلْيَتَّقِ نَيْدَ اللَّهِ تَعَالَى هَذِهِ الْحُلَّةَ الشَّرِيفَةَ . وَلْيَتَّقِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِرْوَةَ هَذِهِ  
المرتبة النبيقة، وليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه، وأسدنى من الإحسان الوافر إليه،  
وليراقبه مراقبة من يعلم أطلّاعه على خاتمة الأعين وما تخفي الصدور، وليعامله معاملة  
من يتحقق أنه يعلم ما يخفيه العبد وما يبديه في الوجود والصدور، ولا يستكف  
أن يقول فيما لا يعلم : لا أعلم : فذلك قول سعيد قائله . وقد جاء : "جنة العالم لا أدري  
فإن أخطأها أصيبت مقالبته" فانه تعالى يرزقنا وإياه التوفيق والتحقيق، ويسلك بنا  
وبه أقرب طريق، ويهدينا إلى سواء السبيل، فهو حسبنا ونعم الوكيل .

وكتب في تاريخ كذا .

وكتب شيخنا الشيخ سراج الدين المشار إليه تحت ذلك بعد حمد الله تعالى  
ما صورته :

ما تُسبب إلى في هذه الإجازة المباركة من الإذن لفلان - أدام الله تعالى النفع به ، وأجزتني كل خير بسببه ؛ بتدريس مذهب الإمام المظلي ، محمد بن إدريس الشافعي ، قدس الله روحه ، وتورّضه بجمته ؛ والإفتاء به لفظاً وخطاً صحيحاً . فإنه ممن فاق أقران عصره بذكائه ، وبرع عليهم بالاستحضار وتحرير المنقول ووفائه .

وقد اعتنى وفقه الله تعالى وإيأى من جملة محفوظاته بـ "مختصر الجوامع" لشيخنا العلامة كمال الدين النشائي نعمه الله تعالى بقراءته ، فاستحضر بمحضرة مواضع منه جمه ، وأزال يديع فصاحته جملة مدغمه ؛ وأظهر من مشكلاته ما يعجز عنه اللبيب ، ومن أغاربه ما يقف عنده البارح الأريب .

فليتق الله حينئذ فيما يديه ، وليتجر الصواب في لفظه وخطه وإيراقب الله فيه ؛ فإنه موقع عن الله تعالى فليحذر الزلل ، ومحاولة الخطأ والخطل ؛ ويستحضر ما اشتملت عليه من الجلالة ، فإن الله تعالى تولّاها بنفسه حيث قال : ﴿سَتَفْتُونَكَ قُلُوبُ اللَّهِ يَفْتِكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ .

وأجزت له مع ذلك أن يروي عنّي ما لي من التأليف ، ومنها "جامع الجوامع" أعان الله على إكمالها ، وكذا شرح "صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري" . ومنها "البدز المنير" ، في تخرّيج الأحاديث والآثار الواقعية في الشرح الكبير" للإمام أبي القاسم الرافعي . وبه تكمل معرفة الفقيه ويصير محدثاً فقيهاً .

وأجزت له مع ذلك ما جاز لي وعنّي روايته بشرطه عند أهله ، زاده الله وإيأى من فضله . ومنها الكتب الستة : "البخاري" و"مسلم" و"أبو داود" و"الترمذي" و"النسائي" و"ابن ماجه" . والمسائيد : "مسند أحمد" و"مسند الشافعي" وغير ذلك .

وكان ذلك في تاريخ كذا . وكتب عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ،  
غفر الله لهم : حامدا ومصليا ومُسَلِّما ، وأشهد عليه جماعة من أهل العلم بآخره .

قلت : وتكون ألقاب المجاز على قدر رتبته ، مثل أن يكتب له : «الفقيه إلى الله  
تعالى ، الشيخ ، الإمام ، العالم ، العامل ، الأوحى ، الفاضل ، المفيد ، البارِع ، علم  
المفيدين ، رحمة القاصدين ، فلان الدين ، أبو فلان فلان بن فلان» ( بحسب رتب  
آبائه ) . وإنما أهملت ذكر الألقاب في هذه الإجازة ، من حيث إنه لا يليق بأحد  
أن يذكر ألقاب نفسه في مُصنّف له ، لأنه يصير كأنه أمضى على نفسه .

وأما الإجازة بعراضة الكتب ، فقد جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتابا  
في الفقه ، أو أصول الفقه ، أو النحو ، أو غير ذلك من الفنون ، يعرضه على مشايخ  
العصر ، فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب ، ويفتح منه أبوابا ومواضع ،  
يستقرمه إياها من أى مكان أتفق ، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم ، استدل  
بحفظه تلك المواضع على حفظه لجميع الكتاب ، وكتب له بذلك كل من عرض  
عليه ، في ورقٍ مربع صغير ، يأتي كل منهم بقدر ما عنده من الملكة في الإنشاء ،  
وما يناسب ذلك المقام من براعة الاستهلال ونحوها : فمن عال ، ومن هابط ، وربما  
خفف بعضهم فكتب : «وكذلك عرض على فلان» ، أو : «عرض على وكتبه  
فلان» . إما رياسة وتابيا عن شغل فكره وكذا نفسه فيما يكتبه ، وإما معجرا عن  
مضاهاة من يكتب معه .

وقد اخترت أن أضع في هذا المحل ما وافق الصنعة ، وجرى على أسلوب البلاغة .  
فمن ذلك ما كتب به الشيخ الإمام العلامة ، لسان العرب ، ومجبة الأدب ، بدر  
الدين محمد بن أبي بكر الخزومي المالكى ، للنجيل النبيل الذى تنهى الألقاب ولا نهاية

لمناقبه، شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن سيدنا الفقير إلى الله تعالى، ذي الأوصاف التي تكفل شياً الألسن عن حدها، شمس الدين أبي عبد الله محمد العمري الشافعي، حين عرض عليه "عمدة الأحكام" لحافظ عبد الغني، و"شذور الذهب" للشيخ جمال الدين بن هشام، في رمضان سنة سبع عشرة وثمانمائة، وهو :

أما بعد حمد الله على كرمه الذي هو محمدتنا في النجاة يوم العرض ونأهيك بها عمده، وسندنا الذي لا يزال لسان الذوق يروي حديث حلاوته عن صفوان بن عسال من طريق شهده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أحيا بروح سنته الشريفة كل من جاء ومن ذهب، وأعربت كلماته النفيسة عن عقود الجواهر و"شذور الذهب" وعلى آله وصحبه الذين أحسنوا الرواية والدراية، وبنوا الأمر على أساس التقوى وأعرضوا عن طرُق الهداية؛ ما أنهل من أفق الكرم المحمدي كل عارض صيب، وتخلت الأسماع والأفواه من أخباره بنفائس الشذور البديعة وحلاوة الكلم الطيب - فقد عرض على الجناب العالي البارعي، الأوحدي، الأئمني، اللوذعي، الشهابي، شهاب الدين، ثنية التجباء، أوجد الألباء، نجل السادة العظام، سلالة الأعيان العلماء، أبو العباس أحمد ابن سيدنا المقر الكريم العالي، المولوي، العالمي، الفاضل، البليغي، المفيدي، الفريدي، المقوي، الشمسي، العمري، أطاب الله حديثه، وجمع له بالإعراب عن علو الهمة قديم الفضل وحديثه - طائفة متفرقة من "عمدة الأحكام" لحافظ عبد الغني المقدسي، و"شذور الذهب" للعلامة جمال الدين بن هشام رحمة الله عليهما - عرضاً قصرت دونه القرائح على طول جهدها، وكانت الألفاظ الموردة فيه لامة حرب الغنة الباغية عليه فأحسن عند العرض في سردها؛ وزين أبقاه الله تلك الأما كن بطيب لحنه وإعراب لفظه، وأذن أمتيانه فيها بأن جواهر الكائين قد حصلت مجموعها في خزنة حفظه .



حَبَدًا هُوَ مِنْ حَافِظٍ رَوَى حَدِيثَ فَضْلِهِ عَالِيًا، وَتَلَا عَلَى الْأَسْمَاعِ مَا أَقْنَضِي  
تَقْدِيمَهُ عَلَى الْأَقْرَانِ فِيهِ دَرَّةٌ مَقْدَمًا وَتَالِيًا ؛ وَسَارَ فِي حُكْمِ الْعَرَضِ عَلَى أَعْدَلِ طَرِيقٍ  
وَنَاهَيْكَ بِالسَّيْرِ الْعُمَرِيَّةِ ، وَصَانَ مَنَظْمَتَهُ عَنِ خَالِ الْمَعَانِي وَكَيْفَ لَا ؟ وَقَدْ تَمَسَّكَ  
بِطَرِيقَةِ وَالِدِهِ وَهِيَ "الْمَقْدَمَةُ الشَّمْسِيَّةُ" ؛ وَسَابَقَ أَقْرَانُهُ فَكَانَتْ لَهُ زُبْدَةُ التَّفْضِيلِ  
فِي حَابَةِ السَّبَاقِ ، وَطَائِقَ بَيْنَ رَفِيعِ شَأْنِهِ وَخَدِضِ شَأْنِيهِ وَلَا يُتَكْرَمُنَ هُوَ مِنْ هَذَا  
الْبَيْتِ حُسْنُ الطَّبَاقِ ؛ وَأَشْتَغَلَ فَلَمْ يَقَعِ التَّنَازُعُ فِي حُسْنِ دُخُولِهِ مِنْ بَابِ  
الْإِسْتِغَالِ ، وَنَصَبَ فِكْرَهُ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَتَعَيَّنَ تَمِيْزُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ وَتَوَقَّدَتْ نَارُ ذَهَبِهِ  
فَتَلَطَّى حَاسِدُهُ بِالْإِلْتِهَابِ ، وَرُوِيَتْ أَحَادِيثُهُ بِالْعَمَّةِ فِي الْعُلُوِّ إِلَى سَمَاءِ الْفَضْلِ وَلَا يَدَعُ  
إِذَا رُوِيَتْ أَحَادِيثُ الشَّهَابِ ؛ وَانْتَجَرَ مِنَ وَالِدِهِ بِالْقَاضِي الَّذِي أَرْتَفَعَ فِي دِيْوَانِ  
الْإِنْسَاءِ خَبْرَهُ ؛ وَهَزَّ الْمَعَاطِفَ بِتَوْقِيْعِهِ الَّذِي لَا يَزَالُ يُجَرِّدُهُ وَيُجَبِّرُهُ ؛ وَوَسَّى الْمَهَارِقَ  
فَكَأَنَّهَا هِيَ رِيَاضٌ قَدْ غَرَّدَ فِيهَا بِسَجْعِهِ . وَتَحَاوَا بِإِنْسَانِهِ الَّذِي هُوَ عَمْدَةُ الْمُتَادِبِينَ  
فَلَا عَجَبَ فِي رَفِيعِهِ ؛ وَنَظَّمَ بَدَائِهِ نَفَائِسَ الدَّرَرِ فَقَدَّتْهَا بِالْعَيْنِ "صِيْحَاحُ الْجَوْهَرِيِّ" ؛  
وَفَجَّ بِحَيْشِ بَلَاعَتِهِ مَعَاوِلَ الْمَعَانِي الْمُتَمَنِّعَةِ وَحَسَبَكَ بِالْفَتْحِ الْعُمَرِيَّ :

بَيَانُهُ السَّجْحُ قَدْ أَخْفَى مَعَايِدَهُ \* لَكِنْ أَرَانَا لِسِرِّ الْفَضْلِ إِتْيَاءُ  
إِذَا أَرَادَ أَذَارَ الرَّاحِ مَنَظْمَتَهُ \* نَظْمًا وَيُطْرَبْنَا بِالشَّرِّ إِنْ شَاءَ !

وَإِنَّهُ تَعَانَى يُبْهِجُ نَفْسَهُ بِمَا يُصْبِحُ بِهِ الْحَاسِدُ وَهُوَ مُكَمَّدٌ ، وَيُقَرِّعُنِي بِهِذَا الْوَلَا  
الْتِجَابِ حَتَّى لَا يَبْرَحَ يَقُولُ : أَشْكُرُ اللَّهَ وَأَحْمَدُ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ .



وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ ، لَوْلَدِي نُجْمِ الدِّينِ  
أَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدَ ، حِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ "الْمِنَاجُ" فِي الْفِقْهِ لِلنَّوَوِيِّ - فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ  
وَمِائَتًا ، وَهُوَ :

الحمد لله الذي أَوْضَعَ نَجْمَ الدِّينِ مِنْهَاجَ الفِقهِ وَأَنَارَهُ ، وَأَفْضَحَ لِسَانَهُ بِكَلَامٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَارَهُ ، فَتَطَعَتْ أَنْوَارُ شِهَابِهِ لِمَنْ أَسْتَنْبَطَهُ وَأَنَارَهُ ، مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَيَرْفَعْ مَنَارَهُ ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْصِصِ بِمُصَوِّمِ الرِّسَالَةِ ، وَالْمُنْصَوِّصِ فَضْلَهُ بِمَجْمَعِ أَنْوَاعِ الدَّلَالَةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ نَجْمِ المُنْجِدِ ، وَنُصَيْبِ النَّاسِقِ وَالْأَقْبِدِ :

وبعد ، فقد عَرَضَ عَلَى الفَقِيهِ الفَاضِلِ تَجَلُّ الأَفْضَالِ ، وَسَلِيلِ الأَمَانِ ، ذُو الهِمَّةِ العَلِيَّةِ ، وَالْفِطْنَةِ الدِّكِيَّةِ ، وَالْفِطْرَةِ الزَّرِيكِيَّةِ ، نَجْمِ الدِّينِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَانٍ : نَفَعَ اللَّهُ بِهِ كَمَا نَفَعَ بِوَالِدِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ طَارِفِ العِلْمِ وَتَالِيهِ - مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ "المِنْهَاجِ" فِي فِقهِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ المُطَّلِبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنَّا بِهِ ، تَأَلِيفِ الحَبِيبِ العَلَامَةِ وَلِيِّ اللَّهِ أَبِي زَكَرِيَّا بْنِ شَرْفِ بْنِ مَرْيَمِ النُّوَوِيِّ ، سَقَى اللَّهُ تَعَالَى نَرَاهُ ، وَجَعَلَ الحَنَّةَ مَاوَاهُ ، دَلَّ حِفْظُهُهَا عَلَى حِفْظِ الكِتَابِ ، كَمَا فَحَّحَ اللَّهُ لَهُ مَنَاجِحَ الخَيْرِ دَقَّةً وَجِلَّةً ، وَكَانَ العَرَضُ فِي يَوْمِ كَذَا .



وكتب علامة العصر الشيخ عز الدين بن جماعة ما صورته :

كذلك عَرَضَ عَلَى المَذْكُورِ بِاطْنِهَا عَرَضًا حَسَنًا ، مَحْرَرًا مُهْدَبًا مُجَادًّا مُتَقِنًا ، عَرَضَ مِنْ أَمْتِنَ حِفْظُهُ ، وَرُؤْيُ بَحْسَنِ الأَدَاءِ لَفْظُهُ ، وَأَجْرَالُ لَهُ مِنْ عَيْنِ العِنَايَةِ حَفْظُهُ ، مَرَّ فِيهِ مُرُورُ الهِمْلَاجِ الوَسَّاعِ ، فِي قَيْسِيحِ ذِي السَّبَاعِ . وَقَدْ دَلَّنِي ذَلِكَ مِنْهُ - نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَفَعَ بِهِ ، وَوَصَلَ أسبابَ الخَيْرِ بِسَبَبِهِ ، عَلَى عُلُوِّ هِمَّتِهِ ، وَوُفُورِ أَرْبَابِيَّتِهِ ، وَتَوَقُّدِ فِكْرِهِ ، وَأَنْقَادِ فِطْنَتِهِ ، وَأَصْلُهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَرِيقٌ :

سَجِيَّةٌ نِلَّكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّعَةٍ \* إِنَّ الخَلَائِقَ - فاعلم - شَرُّهَا البِدْعُ !

وقد أدت له أن يروي عنى الكتاب المذكور، وجميع ما يجوز لي وعنى روايته من مصنفاتي وغيرها من منظوم ومثور، ومنقول ومقول، وأثور، بشرطه المعتبر، عند أهلي الأثر. وكتب فلان في تاريخ كذا .



ومن ذلك ما كتبه لمن اسمه «محمد» ولقبه «شمس الدين» من أبناء بعض الإخوان :  
وقد عرض على «الأربعين حديثاً» للشيخ محي الدين النووي - رحمه الله، و«الورقات» في الأصول لإمام الحرمين، و«اللمحة البدرية» في النحو للشيخ أبيه الدين أبي حيان دفعة واحدة، وهو لدون عشرين سنين، وهو :

الحمد لله الذي أطع من دراري الأفاضل في أفق النجاة شمسا، وأظهر من أفاضل الدراري ما يعرض به المخالف طرفاً ويرفع به المخالف رأساً، وألحق بالأصل الكريم قرعته في النجاة قطاب جني وأعرق أصلاً وزكاً غرساً، وأبرز من ذوى الفطر السليمة من فاق بكائه الأقران فأدرك العريضة في لمح، وسما بفهمه التاق على الأمثال فأسمى وفهم «الورقات» لديه كالصفحة، ونحرق بكرم بدايته العادة بفاز الأربعين لدون العشر وأتى على ذلك بما يشهد له بالصحة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي عمّت بركة اسمه الشريف سميته ففاز منها بأوفر نصيب، وخص بإلهام التسمية به أولو الفضل والنهى، فما سمي به إلا كريم ولا سمي به إلا نجيب، وعلى آله وصحبه الذين أئمت بهم روضة العلم وأزهرت، وأورقت شجرة المعارف وأثمرت .

وبعد، فقد عرض على فلان مواضع من كتاب كذا وكتاب كذا، فمز فيها ضرور الصبا، وجرى في ميدانها جرى الجواد فما حاد عن ستر الطريق ولا تكأ .

وأما الإجازة بالمرويات على الاستدعات : -

فمن ذلك ما كتب به الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله على استدعاء كتب له به القاضي شهاب الدين أحمد الحنبلي خطيب بنت الآلهة ، وكانت الدست بالشام ، يطلب منه فيه الإجازة لنفسه ، وهو :

الحمد لله الذي إذا دُعِيَ أجاب ، وإذا أُنمَّ على الأديب بدوق أتى في نظمه ونثره بالعباب ، وإذا وهب البليغ فطرة سائمة لم يكن على حجة حجاب .

نحمده على نعمه التي منها البلاغة ، وإتقان ما لصناعة الإنشاء من حُسن الصياغة ، وصيد أرايد المعاني التي من أحمل فكره في اقتناصها أو روى [أمن] رواغته ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة فطر الصمير على إخلاصها ، وجبل الفكر على اقتناء أدلتها الفاطمة واقتناصها ، وجعلت وقاية لقائلها يوم يضيق على الخلاق فيسبح عمراصها ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفصح من نطق بهذا اللسان ، وجاء من هذه اللغة العربية بالنكت الحسان ، وحث على الخير وحض على الإحسان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين رَوَوْا أقواله ، وبلغوا لمن لم يره سُننه وأفعاله ، وعلموا أن هذه الشريعة المطهرة أذخرها الله تعالى له فلم تكن تصلح إلا له ، صلاة هامية الغفران ، نامية الرضوان ، ما أجاب محيب لمن استدعى ، وعملت إن في المبتدأ نصبا ولم تغير على الخبر رفعا ، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن [علم] الرواية من محاسن الإسلام ، وخصائص الفضلاء الذين تحقق لهم ذوائب الطروس وتنتصب رماح الأعلام ، ولم تزل رغبة السلف لتوفر عليه ، وتشير أنامل إرشادهم للانام بالحث إليه . قيل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما تشتهي ؟ فقال : سند عال ، وبيت خال . وما برح الأئمة الكبار يرثعون إلى أفاضى

الأقاليم في طلبه، ويحملون المشاق والمتاعب فيه ويحجمون بسببه؛ فقد ارتحل الإمام الشافعي رضي الله عنه وغيره إلى عهد الرزاق باليمن، وكان فيمن أخذ عنه ممن هو أحق بالفضل عليه قمن؛ ولكنه فن يحتاج إلى ذوق يعاضد من لا يعانده، وأمر لا يصبر عنه من ألفه وما يعلم الشوق إلا من يكابده؛ فما عند من طلب الرواية أجل من أبناء جنسه؛ ولا عند المفيد المفيد أحلى من قوله: حَدَّثَنَا فُلَانٌ أَوْ أُنْسَدْنَا فُلَانٌ لِنَفْسِهِ، ولكن:

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِيَ نَافِذًا \* فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ حُجُولًا!

ولما كان الشيخ الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ ... ممن نظم فَوَدَّتْ الدُّرَرُ فِي أَفْلَاكِهِ لَوْ أُنْسَدَتْ، وَكَتَبَ فَرَقَمَ الطُّرُوسَ وَوَشَّاهَا، وَعَشَّاهَا مِنْ زَهْرَاتِ الرِّيَاضِ مَا عَشَّاهَا، وَحَلَّ الْمَتْرَجِمَ فَسَحَرَ عَقْلَ كُلِّ لَيْسٍ وَخَابَ لُبُّهُ، وَوَقَعَ عَلَى الْقَصْدِ فِيهِ فَكَانَتْهُ شَيْءٌ، مِنَ الْغَيْبِ حَصَّ اللَّهُ بِهِ قَلْبَهُ، وَأَتَى فِيهِ بِيَدَائِعَ مَا تَسَاوَى ابْنُ الصَّيْرِفِيِّ وَلَا ابْنَ <sup>(١)</sup> عِنْدَهَا بِحَبِّهِ، وَخَطَبَ فَصَدَعَ الْقُلُوبَ، وَأَجْرَى ذُنُوبَ الْمَدَامِيعِ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ، وَحَدَّرَ فَكَانَتْ أَسْبَاجُهُ كَالْحَيَّانِ إِتْحَاقٍ وَسَامِعُهُ يَبْكِي بِأَجْفَانٍ يَعْقُوبُ، كَأَنَّهَا هِيَ فِي حُلَّةِ الْخَطَابَةِ بَدْرٌ فِي عَمَامَةٍ، أَوْ مَنبَرُهُ غُضْنٌ وَهُوَ فَوْقَهُ حَامَةٌ، أَوْ بَحْرٌ وَفَضَائِلُهُ مِثْلُ أَمْوَاجِهِ وَدُرُّهُ يَحْكِي كَلَامَهُ، لَوْ رَأَاهُ "ابْنُ بُنَابَةَ" مَا أُرْقَتْ بِالْفَصَاحَةِ أَعْوَادُهُ، أَوْ "ابْنُ الْمُتَيْرِ" مَا رُقِمَتْ بِالْبَلَاغَةِ أَبْرَادُهُ، أَوْ "ابْنُ تَيْمِيَّةَ" مَا حَطِيبَتْ بِالْحُسُودِ أَجْدَادُهُ؛ فَارَادَ أَنْ يُسَرِّفَ قَسْدِرِي، وَيُعَرِّفَ نَكْرِي؛ فَطَلَبَ الْإِجَازَةَ مِنِّي وَأَنَا أَحَقُّ بِالْأَخْذِ عَنْهُ، وَأَسْتَدْعِي ذَلِكَ مِنِّي: وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ.

(١) بياض بالأصول ونغمه: ولا ابن نياته.

فَتَمَّ قَدْ اسْتَحَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَجْرْتُ لَهُ مَا يَجُوزُ لِي تَسْمِيْعُهُ ، وَذَكَرْتُ هُنَا شَيْئًا  
مِنْ مَرْوِيَّاتِي وَأَشْيَاخِي رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَذَكَرْتُ مُصَنَّفَاتِي :

إِجَازَةٌ فَاحِيرٌ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ \* يَسِيرٌ مِنَ الرَّوَايَةِ فِي مَقَاَرِهِ :  
لَمَنْ مَلَكَ الْقَضَائِلَ وَأَقْتَنَاهَا \* وَجَازَ مَدَى الْعُلَى سَبَقًا وَحَازَهُ !



وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّائِغِ عَلِيَّ اسْتِدْعَاءً  
لِبَعْضٍ مِنْ سَأَلِهِ الْإِجَازَةَ .

أَقُولُ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُغَيِّبُ مَنْ اسْتَجَدَّ كَرَمَهُ ، وَلَا يَجْئِبُ مَنْ اسْتَدْعَى  
رِعْمَهُ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَخَدَمِهِ وَمَا أَسْوَدَ مَدْمَهُ : (؟)

أَثَرْتُ الْجَوَائِيَّ إِذْ أَرَدْتَ جَوَائِي \* وَعَظَّمْتَ خَطِيئِي إِذْ قَصَدْتَ خَطَائِي :  
وَمَنْ أَنَا فِي الدُّنْيَا أُجِيبُ وَمَنْ أَنَا ! \* أُجِيزُ؟ مَضَى الْأَشْيَاخُ تَحْتَ تُرَابِ !  
عَجِيبٌ لَطْلَابٌ لَدَيْنَا تَخَلَّفُوا \* وَكَمْ قَدْ أَنَا دَهْرُنَا بِعُجَابِ !  
نَحْنُ إِلَى الْمَوْلَمَةِ أَمْرُنَاي \* عَرَبِنَاهُ بِالْعَذِيبِ عَذَابِ (١)

يَا أَخَانَا : إِنَّ بِيضَاءَنَا فِي الْعِلْمِ مُرْجَاهُ ، وَصِنَاءَنَا فِي الْوَقْتِ مُرْجَاهُ ، وَتَسْمِيْعُ أَخْبَارِهِ  
عَلِيلٌ ، وَأَدَبُ إِخْبَارِهِ قَلِيلٌ ، وَتَصَانِيْفِي وَجُوهٌ أَكْثَرُهَا مُسَوَّدَةٌ ، وَأَمَانِي فِي تَبْيِيضِهَا  
لِقِصْرِ الْهَيْمِ مَمْتَدَةٌ ، سُئِلْتُ قَدِيمًا مِنْ بَعْضِ الْفَضَلَاءِ أَنْ أُعِدَّهَا ، فَكَتَبْتُ فِيهَا رِسَالَةً  
لَأَعْرِفَ لَصَقْلَ الْأَذْهَانِ حَدَّهَا ، وَمَنْ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِتَصَانِيْفِ أَنْعَرٍ ، وَمَقَاطِعِ إِنْ لَمْ  
تَكُنْ كَالزُّهْرِ فَهِيَ كَالزُّهْرِ ، ثُمَّ عَدَّدْتُ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ مُصَنَّفًا ، مِنْهَا "تَجْمَعُ الْفَرَائِدُ"  
فِي سِتِّ عَشْرَةَ مَجْلَدًا . ثُمَّ أَنْشُدُ فِي آخِرِ ذَلِكَ :

(١) كَذَا فِي الْأَمَلِ ، وَبِهِ نَهْدٌ إِلَيْهِ مَعَ دَفْعِ الْبَحْثِ .

(٢) فِي كَشْفِ الْعُلُونِ : تِسْعَةٌ عَشْرَ مَجْلَدًا .

وَلَقَدْ شَرَفَتْ قَدْرِي . بِنَفْسٍ مِنْ هَدَايَا :  
 بِنِقَامِ شَنْفِ السُّمِّ : عَ يَدْرُ كَالْتُنَابَا .  
 فَارْوَمِي وَأَرْوَعِي . وَأَعْنِ عَنْ شَدِّ الْمَطَايَا ،  
 وَأَتْنِقِ الْفَضْلَ وَحَصِّلِ ، وَأَحْظِ مِنِّي بِمَزَايَا ،  
 وَتَحَرَّ الصَّدْقَ وَأَعْلَمْ \* أَنَّهُ خَيْرُ الْوَصَايَا !!!

أَجَزْتُ نَكَ أَنْ تَرَوِي هَذِهِ وَغَيْرَهَا عَنِّي ، وَلَنْ الْفَضْلُ فِي قَبُولِ ذَلِكَ مِنِّي .

### الصنف الثاني

( التقریضات التي تكتب على المصنفات المصنفة والقصائد المنظومة )

قد بَحَثَ العَادَةُ أَنَّهُ إِذَا صُنِفَ فِي فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ أَوْ نَظَّمَ شَاعِرٌ قَصِيدَةً فَأَجَادَ فِيهَا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، أَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ عَلَى كِتَابِهِ أَوْ قَصِيدَتِهِ بِالتَّقْرِیضِ وَالْمَدْحِ ، وَيَأْتِي كُلُّ مِنْهُمْ بِمَا فِي وَسْعِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي ذَلِكَ .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ الشَّيْخُ صِلَاحُ الدِّينِ الصَّفَّادِيُّ عَلَى مُصَنَّفِ وَضَعَهُ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ الدَّرْهَمِ الْمُوَصِّلِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي الْأَسْتِدْلَالِ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ مِنْ أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ . وَهِيَ :

وَقَفْتُ عَلَى هَذَا التَّصْنِيفِ الَّذِي وَضَعَهُ هَذَا السَّلَامَةُ ، وَتَسْرِبُهُ فِي الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَعْلَامُهُ ، وَأَصْبَحَ وَنَسَبَتْهُ إِلَيْهِ أَشْبَهُ عِلْمٍ وَأَبْهَرُ عِلْمَةٍ ، فَأَقْسِمُ مَا سَامَ الرُّوضُنُ حَدَائِقَهُ ، وَلَا شَامَ أَبُو شَامَةَ بَوَارِقَهُ ، كُلُّ الْأُئِمَّةِ تَعْتَرِفُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَدِلَّةِ ، وَكُلُّ التَّصَانِيفِ تَقُولُ أَمَامَهُ : بِسْمِ اللَّهِ ، ثُمَّ فِيهِ مِنْ دَلِيلٍ لِأُبْعَارِضُ بِمَا يَنْقُضُهُ ، وَتَمَّ فِيهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكْفِي كُلَّهَا الْخُصْمُ لِأَنَّ عَقْلَهُ عَلَى حَكِّ التَّقْدِيرِ يُعْرِضُهُ ، قَدْ أُيِّدَ مَا ادَّعَاهُ بِالْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، وَنَقَلَ مَذْهَبَ كُلِّ إِمَامٍ سَبَقَ وَمَا عَثَرَ . لَقَدْ سُرَّ الشَّافِعِيُّ بِبَعْضِ

قوله الذي هدّيه ، وجعل أعلام مذهبه مذهبه ؛ وأتى فيه بِنَكْتِ تُطْرِبُ من أسرار الحَرْفِ ، وفوائد عُرِفَ بها ما بين ابن الدُرْهَمِ وبين البُوَيْنِي من البَوْنِ في تفاوتِ الصَّرْفِ :

أَكْرِمَ بِهِ مُصَنَّفًا \* فَاقَ تَصَانِيفَ الْوَرَى !  
 لَيْلُ الْمِدَادِ فِيهِ بِالْمَعْنَى الْمُنِيرِ أَقْرَأَ !  
 تَمَّ فِيهِ بَرْدُ حُجَّةٍ \* قَدْ حَاكَهُ مُحَرَّرًا ،  
 وَكَمْ دَلِيلَ مَسِيفَةٍ \* إِذَا آتَى خَصْمًا فَرَى .  
 فَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهِ \* مُخَالَفَ قَطِّ يَرَى !!



ومن ذلك ما كتب به المقرّ الشهابي بن فضّل الله على قصيدة بيمية ، للشيخ غرس الدين خليل الصفدي المعروف بالصلاح الصفدي ، مدح بها الأمير سيف الدين أبلحاي الدوادار الناصري ، في شهر سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وهي :

وقفت على هذه القصيدة التي أشرقت معانيها فكادت تُرى ، وتمكّنت قوا فيها فاستمسك بها الأدب لما كانت الميمات فيها كالعرا ، فوجدتها مشتملة من البلاغة بوزنها على البحر المحيط ، لطيفة لا تقاس بأمثالها من الكلام المركب لأنها من البسيط ؛ فنظرت إليها مكتسباً من بيانها سحر الحدق ، متعجباً من منيئها لغرس يسرع الإثمار في الورق ؛ ثم فطنت إلى أنّ المدوح بها أعزّه الله تعالى تحمت ديمه فروضت الطروس ، وبرحت مناقبه بما كان مصوناً في أخية النفوس ؛ وقد استوجب هذا المادح عطف الله تعالى قلبه عليه من مناقبه حظاً جزيلاً ، وحياً يقول به لمن قصد المساواة به : لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذتُ فلاناً خليلاً :



مَدَّرَ الْمُلْكِ لَهُ : عَلَى الْعُلَى مَقَاعِدُ ،  
تَهْوِي إِلَى جَنَابِهِ الْقُصَادُ وَالْقَصَائِدُ !



قلتُ : وكتبتُ على قَصِيدَةٍ نظمها شَرَفُ الدِّينِ عَيْسَى بنِ حَمَّاجِ الشَّاعِرِ المعروفِ  
بِالْعَالِيَةِ ، مَدَّحَ بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَمَّنَهَا أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ ، صَاهَى بِهَا بِدِيعَةَ  
الصَّفِيِّ الْحَلِيِّ ، فِي شَهْرِ سَنَةِ آتْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، مَا صُوِّرَتْهُ :

أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِي أَحَلَّ سِحْرَ الْبَيَانِ ، وَأَقْدَرَ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ مِنْ بَدِيعِ التَّخْيِيلِ عَلَى  
مَا يَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ الْعَيَانَ ؛ وَذَلَّلَ بِرَأْيِضِ أَفْكَارِهِمْ صِعَابَ الْأَنْفَاطِيزِ فَأَمْتَلَوْا مِنْ مُنُونِ  
احْسَانِيهَا الْجِيَادِ ، وَأَوْضَحَ لَهْمِ طُرُقِ الْفَصَاحَةِ فَغَدَّتْ لَدَيْهِمْ - بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى - سَهْلَةٌ  
الْقِيَادِ ؛ وَأَحْيَى مَيِّتَ الْأَدَبِ بِرُوحِ الْأَنْفَاسِ الْعَيْسَوِيَّةِ وَعَمَّرَ بِأَنْسَابِهَا رُبُوعَهُ الْخَالِيَةَ ،  
وَحَمَى نَفْسَ الْفَضْلِ فِي رُقْعَةِ الْمُسَاجَلَةِ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا فِرَازِنَةُ الدَّعَاوِي وَلا غَرَّ وَأَنَّ  
حَامَهَا الْعَالِيَةَ ؛ وَالصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْصَحَ مِنْ تَلَقُّقِ الْبُضَادِ ،  
وَأَوْتَى جَوَامِيعَ الْكَلِمِ فَلَنْ تَحْضُرَ مَعَانِي كَلَامِهِ الْأَعْدَادُ - فإِنِّي وَقَفْتُ عَلَى الْبَدِيعِيَّةِ  
الْبَدِيعَةِ الَّتِي نَظَمَهَا الْفَاضِلُ الْأَرْفَعُ ، وَاللُّوْدَعِيُّ الْمِصْقَعُ ؛ أَيْدِيبُ الزَّمَانِ ، وَشَاعِرُ  
الْأَوَانِ ؛ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الرُّوحِ عَيْسَى الْعَالِيَةُ - أَعْلَى اللهُ تَعَالَى مَنَارَ أَدَبِهِ وَرَفَعَهُ عَلَى  
مُأْوِيهِ ، وَبَلَغَ بِهِ مِنْ قَصَبِ السُّبْحِيِّ مَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرَاهُ عَلَى الْبُعْدِ مُضَاهِيهِ - فَأَلْقَيْتُهَا  
الدَّرَّةَ الثَّمِينَةَ غَيْرَ أَنَّهَا لِأَسْهَامِ ، وَالْجَرِيدَةَ الْمُخَدَّرَةَ إِلَّا أَنَّهَا لَا يَلِيْقُ بِهَا الْأَحْسِنَامُ :

رُومٌ أَحْسِنَامًا سَتَرًا لِأَلَاءِ وَجْهِهَا ! - وَمَنْ ذَا لِيذَاتِ الْحُسَيْنِ يُحْنِي وَيَسْتُرُّ !

قد أَحْتَدَّتْ مِنَ الْأَحْسِنَامِ مَعْقِلًا وَحِصْنًا لَا يُقْتَمَى ، وَأَتَّبَعْتُ مِنْ حُسَادِهَا مَكَانًا  
قَصِيًّا فَلَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْتَشَى :

وَلَمْ أَدِرْ - طَالَ لِقَاطُهَا مِنْهَا شَرِيفَةً - \* إِلَى الْبَدْرِ تَسْمُو أُمُّ إِلَى الشَّمْسِ تَرْتَقِي؟!  
أراد المذمى بلوغ شأوها الجرى في مضارها فقبل: كلاً، ورأى المأخذ في آياتها  
الغص منها عناداً فأبى الله إلا:

مَا إِنَّ لَهَا فِي الْفَضْلِ مِثْلَ كَثِيرٍ! \* وَبَيَّانُهَا أَحْيَى الْبَيَّانِ وَأَمْثَلُ!  
فَأَسَوْا فِي مُعَارَضَتِهَا غَيْرَ طَامِعِينَ، وَتَلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ بِلَاغَتِهَا: (فَقَالَتْ أَعْنَابُهُمْ  
لَهَا خَاضِعِينَ):

كَمْ جَدَلَتْ يَوْمَ الْوَعْدَى مِنْ جَنَدِلٍ \* صَاحَتْ بِهِ فَمَا أَطَاقَ تَصَبُّرًا!  
وكيف لا تخضع لها الأعناق، وتبدل لها رقب الشعراء على الإطلاق؛ وهي  
البيمة التي أعمت الأفهام عن مثلها، والفريدة التي أعترف كل طویل النجاد  
بالقصور عن وصلها:

زَادَتْ عَلَيَّ، مَنْ ذَا يُطِيقُ وَصَالَهَا؟ \* وَعَجَّلَهَا مِنْهُ الثَّرِيًّا أَقْرَبًا!  
وأبى بذلك وقد أخذت من الحاسن بزمامها، وأحاطت من الطلاوة بكامها،  
وأحدثت رياض الأدب بحداثتها، وأقتطفت من أفنان الفنون نمار معان تلذ  
لناظرها وتحمولذائقها؟:

وَلَا تُعْرِغْ غَيْرَهَا تَمَعًا وَلَا تَنْظُرَا \* فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ!  
وتصرفت في جميع المعلوم وإن كانت على البديع مقصورة، وشرفت بشرف  
متعلقها فأصبحت بالشرف مشهورة:

أَهَانَتِ الدَّرْحَقُ مَالَهُ تَمَرٌ، \* وَأَرْخَصَتِ قِيَمَةَ الْأَمْثَالِ وَالْخَطْبَاءِ!  
لاجرم أصححت أم القصاصد وكعبة القصاصد، ومحط الرجال ومنهل الورد؛ فأربرت  
في الشهرة على "المثل السائر"، وأعترف بفضيلها جزالة الهادي وسهولة الحاضر:

فَلِلْأَفَاصِلِ فِي عَلَيَّهَا سَمْرٌ \* إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْعَلِيَاءِ أَسْمَارُ !  
 فَأَعْجِبْ بِهَا مِنْ بَادِرَةٍ جَمَعَتْ بَيْنَ مُتَضَادِّينِ سَمْرٍ وَسَمَرٍ ، وَقَرَنْتَ بَيْنَ مُتَبَاعِدَيْنِ زُهَيْرٍ  
 وَزَهْرٍ ، وَجَادَتْ بِمُسْتَزْهِينِ رَوْضٍ وَنَهْرٍ ، وَتَقَنَّتْ فِي أَسَالِيبِ الْكَلَامِ وَجَالَتْ ،  
 وَطَاوَعَتْهَا يَدُ الْمَقَالِ قَالَتْ وَطَالَتْ ، وَدَعَتْ فُرْسَانَ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى الْمُبَارَاةِ فَتَكَسَّوْا ،  
 وَتَحَقَّقَ الْمُفْلِحُونَ الْمَجْزَى عَنْ مُوَاجَهَاتِهَا وَلَوْ حَرَّصُوا :

فَأَعْرَبَ عَنْ كُلِّ الْمَعَانِي فَيَصِحُّهَا \* بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ نِزَارٌ وَيَعْرُبُ !  
 إِنَّ ذِكْرَتِ الْفَاعِظَةِ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوِرِ؟ أَوْ جَلِيَّتِ مَعَانِيهَا أَنْجَلِيَّتِ الرُّوضِ الْمُنْصَوِرِ؟  
 أَوْ أَعْتَبِرَ تَحْرِيرُ وَرِزْنِهَا فَاقَ الذَّهَبِ تَحْمِيرُهَا ، أَوْ قُوْلَاتِ قَوَائِمِهَا بِتَبْيِهَا زَكَّتْ تَوْفِيرُهَا وَسَمَتْ  
 تَوْفِيرُهَا ، أَوْ تَعَزَّلَتْ أَسَكَّتِ الْوَرِقَ فِي الْأَعْصَانِ ، أَوْ أَمْتَدَحَتْ قَفَّتْ بِإِثْرِ «كَعْبٍ»  
 وَسَلَكَتْ سَبِيلَ «حَسَّانٍ» ، فَأُطْنَبُهَا - لَفَصَّاحَتِهَا - لَا يُعَدُّ إِطْنَابًا ، وَإِيْجَازُهَا  
 - بِبَلَاغَتِهَا - يُعَدُّ عَلَى الْمَعَانِي مِنْ حُسْنِ السَّبْكِ أُطْنَابًا :

أَبْنُ فِي مَعْرَاةِهَا أَحَا الْفَهْمِ بِهَا \* إِلَى الْفَضْلِ تُعْزَى أَوْ إِلَى التَّجْدِ تُنَسَّبُ  
 هَذَا وَبِرَاعَةِ مَطْلَعِهَا تَحْتُ عَلَى سَمَاعِ بَاقِيهَا شَعْفَا ، وَبِدْبَعِ مَخْلَصِهَا يَسْتَرِيقُ الْأَسْمَاعُ  
 لَطَافَةً وَيَسْتَرِيقُ الْقُلُوبَ كَلْفَا ، وَحُسْنِ اخْتِنَامِهَا تَكَادُ الْفُؤُوسُ لِحَالَاةٍ مَقْطَعِهِ تَدُوبُ  
 عَلَيْهَا أَسْفَا :

لَهَا مِنْ بَرَاهِينِ الْبَيِّنَاتِ شَوَاهِدُ \* إِذِ الْفَضْلُ وَرَدُّ وَالْمَعَالَى مَوَارِدُ !  
 وَبِالْجَمَلَةِ فَمَا تَرَاهَا انْجِمِلَةَ لِانْحِصَى ، وَجَمَائِلُهَا الْمَانُورَةَ لِانْتَعَدُّ وَلَا تُسْتَقْصَى ؛ فَكَأَنَّهَا  
 « قُسٌّ بِنَ سَاعِدَةٍ » بِأَنَّهَا بِفَصَّاحَتِهَا ، وَ « أَبْنُ الْمُقَفَّعِ » بِتَهْدِي بِهَدْيِهَا وَيُؤَيُّ عَنْ  
 بِبَلَاغَتِهَا ؛ وَ « أَمْرُؤُ الْقَيْسِ » بِقَيْسٍ مِنْ صَنِيعَةِ شِعْرِهَا ، وَ « الْأَعْشَى » بِسَيْسَى  
 بِطَلْعَةِ بَدْرِهَا ؛ فَلَوْ رَأَاهَا « بَحْرِيرٌ » لَرَأَى أَنَّ نَظْمَهُ بِحَرِيرَةٍ أَفْتَرَفَهَا ، أَوْ سَمِعَهَا « الْفَرَزْدَقُ »

لعرف فضلها وتحقق شرفها ، أو بصريها « حبيب بن أوس » لأحب أن يكون من روايتها ، أو أطلع عليها « المتني » لتخبرين جميل ذاتها وحسن أدواتها :  
 فللبصائر هادي من فضائلها \* يهدي أولي الفضل إن صلوا وإن حاروا!  
 ولا تطيل فبلغ القول فيما أن آيتها المحكمة ناسخة لما قبلها ، وبرهانها القاطع قاض  
 بأن لا تسمع قريحة أن تنسج على منوالها ولا تطعم شاعر أن يسلك سبيلها :  
 وآيتها الكبرى التي دلل فضائلها \* على أن من لم يشهد الفضل جاحدا!

### الطرف الثاني

(فيما يكتب عن القضاة، وهو على أربعة أصناف)

#### الصنف الأول

(التقاليد الحكيمة ، وهي على مرتبتين)

#### المرتبة الأولى

( أن تفتتح بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» )

ثم يقال : «أما بعد» ثم يقال : «ولما علمنا من حال فلان الفلاني كذا وكذا ،  
 استخرنا الله تعالى وفوضنا إليه كذا وكذا ، فليأمر ذلك» ويوص بما يناسب .  
 ثم يقال : «هذا عهدنا إليك ، وحمينا عند الله عليك ، فأعلم هذا وأعمل به ، وكتب  
 ذلك عن الإذن الفلاني» .

وهذه نسخة تقليد :

الحمد لله الولي الحميد ، القائل لما يريد ، نحمده على ما أولانا من إحسانه فهو  
 المولى ونحن العبيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توصلنا إلى

جَنَّةٍ نَعِيمًا مُّصِيبًا ، وَتَقِينَا مِنْ نَارِ عَذَابِهَا شَدِيدًا أَلِيمًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ  
النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمُسْتَمْلِينَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْقَلْبِ السَّلِيمِ ،  
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد ، فإنَّ مَرْتَبَةَ الْحُكْمِ لَا تُعْطَى إِلَّا لِأَهْلِهَا ، وَالْأَقْضَى لَا يَنْتَصِبُ لَهَا إِلَّا مَنْ  
هُوَ كُفٌّ لَهَا ، وَمَنْ هُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْأَمَانَةِ وَالصَّيَانَةِ ، وَالْعِفَّةِ وَالذِّيَابَةِ ، فَمَنْ  
هَذِهِ صِفَتُهُ اسْتَحَقَّ أَنْ يُوجَّهَ وَيُسْتَعْدَمَ ، وَيَتَرَقَّى وَيَتَقَدَّمَ .

وَلَمَّا عَلِمْنَا مِنْ حَالِ فَلَانِ الْفَلَانِيِّ الْأَوْصَافَ الْحَمِيدَةَ ، وَالْأَفْعَالَ السَّيِّدَةَ ، فَإِنَّهُ  
قَدْ حَوَى الْمَعْرِفَةَ وَالْعُلُومَ ، وَالْأَصْطِلَاحَ وَالرُّسُومَ ، وَجُمِعَتْ فِيهِ خِصَالٌ حَمَلْنَا عَلَى  
أَسْتِنَابَتِهِ ، وَقَوَّيْنَا عَلَى نِيَابَتِهِ ؛ - اسْتَحْرْنَا اللَّهُ تَعَالَى وَقَوَّضْنَا إِلَيْهِ كَذَا وَكَذَا .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مُتَمَسِّكًا بِحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ ، (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُحْسِنِينَ ) وَيُجَاهِدْ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَقَضَائِ الْحَصُومَاتِ ، وَفِي النَّظَرِ فِي ذَوِي الْعَدَالَاتِ  
وَالْتَّنَبُّسِ بِالشَّهَادَاتِ وَإِقَامَةِ الْبَيِّنَاتِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَدَالَةِ تَرَاهَا ، وَإِلَى الْحَقِّ  
مُتَوَجِّهًا ، فَالْبِرَاعَةَ وَيُقَدِّمُهُ عَلَى الْفِرَاقِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ خِلَافَ ذَلِكَ فَلْيَقْضِهِ وَيُطَالِعْنَا  
بِحَالِهِ . وَلْيَنْظُرْ فِي أَمْرِ الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ وَيَفْعَلْ فِي ذَلِكَ الْأَفْعَالَ الْمَرْضِيَّةَ ، وَفِي أَمْوَالِ  
الْأَيْتَامِ يَصْرِفُ مِنْهَا الْوَأَزِمَ الشَّرْعِيَّ ، فَمَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ رَشِيدًا اسْلَمَ إِلَيْهِ مَا عَسَاهُ يَفْضُلُ  
لَهُ مِنْهَا ، وَيَقْرَرُ التُّرُوضَ ، وَيُرَوِّجُ الْخَالِيَاتِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْعِدَدِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، مِنْ  
الْأَزْوَاجِ الْأَكْفَاءِ ، وَيَسْتَدْبُ لِدَلِكِ مِنْ يَلْمُ دِيَانَتَهُ ، وَيَحْتَقِقُ أَمَانَتَهُ ، وَيَخْتَارُ لِكِتَابَةِ  
الصُّكُوكِ مِنْ لَابِرَتَابِ بَصَحْتِهِ ، وَلَا يَشْكُ فِي دِيَانَتِهِ وَخَيْرَتِهِ ؛ وَيَنْظُرُ فِي أَمْرِ الْمُتَصَرِّفِينَ ،  
وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْتَعْدِمِينَ ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْحَمِيدَةِ فَلْيَجْرِهْ عَلَى عَادَتِهِ ،  
وَلْيُقِمْهُ عَلَى خِدْمَتِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَلْيَسْتَبْدِلْ بِهِ وَلْيَقْضِهِ .

هذا عهدى إليك ، ومجيتي غدا عند الله عليك ، فاعلم هذا وأعمل به .  
 وكتب ذلك عن الإذن الكريم الفلاني وهو في عمل ولايته وحكمه وقضائه ،  
 وهو نافذ القضاء والحكم ماضيهما ، في التاريخ الفلاني . ( ثم يكتب الحاكم علامته  
 والتاريخ ) وحسبنا الله ونعم الوكيل .



وهذه نسخة تقليد :

الحمد لله الحكيم العدل الهادي عباده صراطا مستقيما ، الحاكم الذي لا يتظلم مثقال  
 ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ، المتعيب من قدم له  
 الطاعة من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق ، الرقيب على ما تصدر من أفعالهم  
 فلا يغير ما يقرم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم  
 من دونه من وال .

أحمد على نعمه التي تثنى السحاب النقال ، وأستعيذه من يقمه التي يرسلها  
 فيصيب بها من يشاء من عباده وهو شديد الحال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده  
 لا شريك له شهادة تفيده المخلص بها في الإقرار النجاة يوم المال ، وأشهد أن محمدا عبده  
 ورسوله الذي نمته بأكرم الشيم وأشرف الحصال ، وعرفه بما يجب من عبوديته فقال :  
 ﴿ وَاللَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ .  
 صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أتبعوه في الأقوال والأفعال ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن من حسنت سيرته ، وحمدت سيرته ، وعرف بوجع وشعر بعفاف ،  
 وديانة وخير وإنصاف ، وأصغى نزه النفس عن الأمور الدنيئة ، فقيها دريا بالأحكام  
 الشرعية ، عارفا بالأوضاع المرضية - استحق أن يوجه ويستفهم ، ويرقى ويتقدم ،

ولمّا علمنا من حال فلانِ الفلانيّ من الأوصافِ الحَمِيدَةِ، والأفعالِ المَبِيدَةِ -  
 اسْتَحْرَضْنَا اللهَ تَعَالَى وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ كَذَا وَكَذَا .

قَلْبِكُمْ مَمْسُوكًا مَعْتَصِمًا بِحَبْلِ اللهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهُ  
 لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلْيَأْيِسِرْ مَا قَلَدْنَاهُ أَعَانَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَرَبَّاعِ حُقُوقِ  
 اللهُ تَعَالَى فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ : فَإِنَّهُ مُعِينٌ مِنْ أَسْتَعَانَ بِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَهَادِيٌ مِنْ  
 أَسْتَشَدَّهُ وَفَوَّضَ أُمُورَهُ إِلَيْهِ .

وَلْيُجْتَهِدْ فِي فَصْلِ الْأَحْكَامِ بَيْنَ الْمُنَازِعِينَ، وَالْمُسَاوَاةِ فِي الْعَدْلِ بَيْنَ الْمُتَحَاكِمِينَ؛  
 قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ .

وَأَنْ يَثْبُتَ فِي الْخُصُومَاتِ، وَيَفْرِقَ بَيْنَ الْحَقَائِقِ وَالشُّبُهَاتِ ؛ وَيُنِصِفَ كُلَّ ظَالِمٍ  
 مِنْ ظَالِمِهِ بِالشَّرِيعَةِ الْحَمِيدَةِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ؛ وَيَنْظُرَ فِي أَمْرِ  
 الشُّهُودِ : فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ زَهَّاءً، وَإِنِ الْحَقُّ مُتَوَجِّهًا، فَلْيُرَاعِهِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ غَيْرُ  
 ذَلِكَ طَالَعْنَا بِحَالِهِ . وَيَنْظُرَ فِي أَمْرِ الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ قَوْلَ اللهِ الْعَزِيزِ  
 الْغَايِرِ : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

وَيَنْظُرَ فِي أَمْرِ الْأَيْتَامِ . وَيَتَحَاطَّ عَلَى مَالِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَيَفْعَلْ فِي ذَلِكَ عَلَى  
 جَارِي عَادَةِ أُمَّتِهِ مِنَ الْحُكْمِ ؛ مِنْ نَفَقَةٍ وَكُفُورَةٍ وَلِوَأَزْمِ شَرْعِيَّتِهِ، فَمَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ  
 رَشِيدًا اسْلَمَ إِلَيْهِ مَا فَضَّلَ مِنْ مَالِهِ بِالْبَيْئَةِ الْمَرْضِيَّةِ؛ وَيَقْرُرَ الْفُرُوضَ عَلَى مَقْتَضَى قَوْلِ  
 اللهُ تَعَالَى : ﴿عَلَى الْمُؤَسِّعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِّ قَدْرُهُ﴾ . وَيُزَوِّجُ النِّسْوَةَ الْخَالِيَةَ مِنَ الْعِدَدِ  
 وَالْأَوْلِيَاءَ ، مِمَّنْ رَغِبَ فِيهِنَّ مِنَ الْأَكْفَاءِ ، وَيَسُدُّبُ لِدَلِكِ مَنْ يَعْلَمُ أَمَانَتَهُ وَخَيْرَتَهُ ،  
 وَيَنْظُرَ فِي أَمْرِ الْمُتَصَرِّفِينَ : فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَأْثُورَةِ أَجْرًا عَلَى عَادَتِهِ ،

وأبقاه على حُكْمِهِ وَخِدْمَتِهِ ، ومن كان منهم خِلافَ ذلك يُعِدُّهُ وَفُصِيحِهِ ، وَيَسْتَبْدِلُ  
به غيره لِيَبْقَى مَكَانَهُ وَفِي تَصَرُّفِهِ .

هَذَا عَهْدِي إِلَيْكَ ، وَحُجَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، فَتَعَلَّمْ ذَلِكَ وَتَعَمَّلْ بِهِ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ( وَيُؤَرِّخُ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بَحْطَ الْحَاكِمِ ) وَيَكْتُبُ : « وَحَسَبْنَا اللَّهُ  
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » وَيُتَوَجَّهُ بِعَلَامَتِهِ الْكَرِيمَةِ .



وهذه نسخة تقليد :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالسَّخَاءِ ، وَاللُّطْفِ فِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ ، الَّذِي مِنْ تَوَاضَعٍ إِلَيْهِ  
رَفَعَهُ ، وَمِنْ أَطَاعَةٍ نَفَعَهُ ، وَمِنْ أَخْلَاصٍ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ أَمَالَ عَنْهُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَدَفَعَهُ ،  
الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ ، وَأَسْتَوَتْ عِنْدَهُ أحوَالُ الْأَوَائِلِ وَالْآخِرِ ،  
وَأَطَّلَعَ عَلَى ضَمَائِرِ النُّفُوسِ وَلَا يَنْبَغِي لغيره أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى الضَّمَائِرِ ، الْخَافِضِ الرَّافِعِ ،  
وَالْمُنْعِطِ الْمَسَانِعِ ، فَإِلَيْهِ الْأَمْرُ وَالتَّذْوِيرُ ، الْمُقْسِطِ الْجَامِعِ : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ  
بُصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بغيرِ فَوْهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

أحمد هذا يقضي للسعادة بالتيسير، وأشكره شكراً يسبيل من المأرب العسير،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له سبحانه نعم المولى ونعم النصير، وأشهد  
أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله بالهدى والكتاب المبين، وجعله للأمة خير بشير  
وتذير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه شهادته يحمل المخلصون بها جنة ( يحملون فيها )  
من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير .

أما بعد، فإن من كان عارفاً بأحكام الشريعة، مُتَهَيِّئاً لِنَيْلِ دَرَجَاتِهَا الرَّيْعَةِ ، مُسْتَعِدّاً  
إِلَى بَيْتِ مَشْكُورٍ ، وَقَدِيرٍ مَوْفُورٍ ، قُلَّدَ الْأَحْكَامَ الدِّينِيَّةَ ، لِيَعْمَلَ فِيهَا بِالشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ .



وَلَسَّا عَلِمْنَا فَلَانَ بْنِ فَلَانَ بْنِ فَلَانَ الْفُلَانِي ، قَلْدَنَا كَذَا وَكَذَا .

فَيَا شَرَّ أَعَانِكَ اللَّهُ : مُحَافِظًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ . وَأَسْتَشِيرُ خِيفَةَ اللَّهِ وَأَجْعَلُهَا نُصَبَ عَيْنِكَ ، وَتَمَسَّكُ بِالْحَقِّ وَأَجْعَلُهُ حِجَابًا بَيْنَ النَّارِ وَبَيْنَكَ ؛ وَأَتَّصِبُ لِنَفْيِذِ الْأَحْكَامِ أَنْتِصَابَ مَنْ يُرَاقِبُ اللَّهَ وَيَحْشَاهُ ، وَحَاسِبِ نَفْسِكَ مُحَاسَبَةً مَنْ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ وَيَرَاهُ ؛ وَأَبْذُلُ فِي إِنْصَافِ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَسُعْتِكَ ، وَرَحَبَ لِلتَّحَاكُمِينَ ذَرْعَكَ ؛ وَأَنْظُرُ فِي أَمْرِ التَّهْمُودِ وَحَدِّرُهُمْ أَنْ يَزُوعُوا عَنِ الْحَقِّ ، وَحَاسِبِهِمْ فِيمَا جَلَّ وَدَقَّ . وَلَا تُرَخِّصْهُمْ ، وَأَلْزِمِهِمْ أَنْ يَتَّخِذُوا الصَّدَقَ مَبْطَقَهُمْ ؛ وَأَنْتَهُمْ عَنِ التَّسْمُحِ فِيهَا ، وَعَرِّفُهُمُ التَّحَرُّزَ عَمَّا يُوَدِّي مِنَ التَّهْمَةِ وَالتَّطَرُّقَ إِلَيْهَا ؛ وَأَنْظُرْ فِي أَمْرِ الْمُتَصَرِّفِينَ بِيَابِ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ نَظْرًا يُوَدِّي إِلَى صِلَاحِهِمْ ، وَلَا تُعَوَّلْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ إِلَّا عَلَى مَنْ تَخْتَارُهُ وَتَرْتَضِيهِ ، وَلَا تُعَرِّجْ إِلَى مَنْ هُوَ مُسْتَنَدٌ إِلَى غَايَةٍ وَلَا تَجْمَلْ إِلَيْهِ ؛ وَأَنْظُرْ فِي أَمْرِ الْأَحْبَاسِ نَظْرًا يَحْفَظُ أَصُولَهَا ، وَلَا تُرَاجِعْ فِي اسْتِخْلَاصِ مَا يَسْتَعِينُ لَهَا كَبِيرًا وَلَا صَغِيرًا ، وَلَا تُعَامِلْ فِيهَا إِلَّا ذَوِي الْوَفَاءِ وَالْيَسَارِ ، وَأَرْفُضْ مَعَامَلَةَ مَنْ يَسْتَقِنْدُ إِلَى الْعُدْمِ وَالْإِعْسَارِ ، وَأَفْعَلْ مَا يَفْعَلُهُ مِثْلُكَ مِنَ الْحُكْمِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الْعَدَالَةِ وَالْقَسْخِ وَالْإِنْكَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ قَلْدْنَاكَ هَذِهِ الْأَحْكَامَ ؛ فَإِنْ عَمِلْتَ فِيهَا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ يُعِينُكَ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِنْ عَمِلْتَ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَنْتَ وَاللَّهُ هَالِكٌ ثُمَّ هَالِكٌ ؛ وَأَسْتَعِجْ نَصِيحَتِي ، وَأَفْعَلْ مَا تُبَرِّدُ بِهِ جِلْدَتَكَ وَجِلْدَتِي ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : <sup>(١)</sup> وَرُبَّمَا كُتِبَ اتِّقْلِيدُ بَصِيغَةِ كِتَابٍ ، مِثْلُ أَنْ يُكْتَبَ إِلَى الَّذِي يَتَوَلَّى عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبَتِهِ ، مِنْ : « صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ » أَوْ : « هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ » ثُمَّ يُقَالُ :

(١) هذه هي الترتيب الثانية وإن لم يأت لها بعنوان في الأصل .

«تَتَضَمَّنُ إِعْلَامَهُ أَنَّ الْجُلُوسَ الْفُلَانِيَّ» بَلَقِيهِ، وَيُدْعَى لَهُ: «لَمَّا عَلِمْنَا مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا - أَسْتَحْرْنَا اللَّهُ تَعَالَى وَفَوَضْنَا إِلَيْهِ الْحُكْمَ وَالْقَضَاءَ بِمَكَانِ كَذَا، فَلْيَبْدَأْ بِذَلِكَ» عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ فِي التَّقْلِيدِ الَّذِي قَبْلَهُ .

## الصنف الثاني

### (إسجالاتُ العَدَالَةِ)

قَدْ بَعَثَتِ الْعَادَةُ أَنَّ أَبْنَاءَ الْعُلَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ تَثَبَّتْ عَدَالَتُهُمْ عَلَى الْحُكْمِ، وَيُسَجَّلُ لَهُمْ بِذَلِكَ، وَيَحْكُمُ الْحَاكِمُ بَعْدَالَةِ مَنْ تَثَبَّتْ عَدَالَتُهُ لَدَيْهِ، وَيُشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَيَكْتُبُ لَهُ بِذَلِكَ فِي دَرَجِ عَرِيضٍ، إِمَّا فِي قِطْعِ فَرَحَةِ الشَّامِيِّ الْكَامِلَةِ، وَإِمَّا فِي نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْوَرَقِ الْبَلَدِيِّ، وَتَكُونُ كِتَابَتُهُ بِقَلَمِ الرَّفَاعِ وَأَسْطُرُهُ مُتَوَالِيَةً، بَيْنَ كُلِّ سَطْرٍ تَقْدِيرَ عَرَضٍ أَصْبَعٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

قُلْتُ: وَهَذِهِ نُسْخَةٌ سَجَّلْتُ أَنْشَأْتَهُ، كُتِبَ بِهِ لَوْلَدِي نَجْمِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدٍ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عِنْدَ ثُبُوتِ عَدَالَتِهِ، عَلَى الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ وَلِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ، ابْنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ زَيْنِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْعِرَاقِيِّ، خَلِيفَةِ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَتَيْنِ، فِي شَهْرِ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَثَمَانِمِائَةَ، وَهِيَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطَّلَعَ نَجْمَ الْعَدَالَةِ مِنْ سَمَاءِ الْفَضَائِلِ فِي أَفْقِ مَعَالِيهَا، وَأَنَارَ بَدْرَإِيَّ الْعُلَمَاءِ مِنْ حَتَائِدِ الْجَهَالَةِ مُدْطِمًا لِيَالِيهَا، وَكَلَّ عُقُودَ النِّجَابَةِ مِنْ نُجَبَاءِ الْأَبْنَاءِ بِأَعْلَى جَوَاهِرِهَا وَأَنْفُسَ لآلِيهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُرَقِّقُ قَائِلُهَا إِلَى أَرْفَعِ الدُّرَى، وَيَمْتَطِي مُتَعَطِلَهَا صَهْوَةَ الثَّرْيَاءِ: وَإِنَّا لَتَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَخْصُوصُ بِمَحَاسِنِ الشَّيْمِ، وَالْمَوْصُوفُ بِكَرَمِ الْمَأْتِرِ وَمَأْتِرِ الْكَرَمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَسَكَّوْا مِنْ عَمَرَا الدِّينِ بِالسَّبَبِ

الأقوى. وسلكوا جادة الهداية لخصلوا من أقصى مقبأها على الغاية القصى،  
وسلم تسلماً كثيراً .

وبعد، فلما كانت المداللة هي أس الشريعة وعمادها، وركنها الأعظم في الاستناد  
إلى الصواب وسنادها، لا تقبل دونها شهادة ولا رواية، ولا يصح مع عدمها إسناد  
أمر ولا ولاية - فقد بنيت الشريعة المطهرة على أركانها، واعتمدت الرواة في صحة  
الأخبار على أصولها وتعلقت الحكام في قبول الشهادة بأخصانها، إذ هي الملكة  
الحاملة على ملازمة التقوى، والحفيظة المسانعة من الوقوع في هوة البدع المتمسك  
بسيما الأقوى، والحكمة الثابتة عن الجماع إلى ارتكاب الكبائر، والعنان الصارف  
عن الجنوح إلى الإصرار على الصغائر، والزمام القائد إلى صلاح أعمال الظواهر  
وسلامة عقائد الضمائر .

ولما كان مجلس القاضي الأجل، الفقيه، الفاضل، المشتغل، المحصل،  
الأصيل، نجم الدين، سليل العلماء، أبو الفتح محمد بن فلان القلقشندى الغزاري،  
الشافعي، خليفة الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة واليه، والحاكم بالعمل الفلاني  
ومامهما: أيد الله تعالى أحكامه. وأقر عينه بولده - هو الذي وُلد على فراش الديانة،  
وظهرت عليه في الطفولة آثارها، ونشأ في أحيا الصيانة، فرويت عنه بالسند  
الصحيح أخبارها، وأرتضع تدي العلم حين بزوغ نجمه، وغذيه مع لبان أمه فامتزج  
بدمه ونجمه وعظيمه، وأعلن منادى نشأته بجمل الله شكر فأغنى فيه عن الاستخبار،  
ولاحت عليه لوائح النجابة ففضى له بالكمال قبل أن يبلغ فر عمره زمن الإبدار،  
فلم يرد منهل التكليف إلا وقد ترين من محاسن الفضائل بكل زين، ولم يبلغ مبلغ  
العلم حتى صار لوالده - والله الحمد - قرة عين - رفعت قصة مخرجة عن حاله فيها من  
مضمون السؤال طلب الإذن الكريم بمباحة ينسب المذكور، وكتابة بسجالي بعدائه،

فَسَمِلَهَا الخَطُّ الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْلِيُّ ، الفاضِلِيُّ ، الإِمَامِيُّ ، العَالِمِيُّ ، العَامِلِيُّ ،  
 العَلَامِيُّ ، الشَّيْخِيُّ ، المَحَدِّثِيُّ ، الخَافِظِيُّ ، الحَبْرِيُّ ، المَجْتَهِدِيُّ ، المَحَقِّقِيُّ ، المَدَقِّقِيُّ ،  
 الوَحِيدِيُّ ، القَرِيدِيُّ ، المَجْبِيُّ ، المَجْبِيُّ ، المَطْبِيُّ ، البَيْهِيُّ ، الخَاسِمِيُّ ، الخَلَالِيُّ ،  
 الكَنَانِيُّ ، البُلْفِينِيُّ ، الشَّافِعِيُّ ، شَيْخُ الإِسْلَامِ ، النَاطِرِيُّ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالدِّيَارِ  
 المِصْرِيَّةِ ، وَالمَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ : أَدَامَ اللهُ تَعَالَى أَيْمَانَهُ ، وَأَعَزَّ أَحْكَامَهُ ،  
 وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَأَسْبَغَ نِعْمَتَهُ فِي الدَّارَيْنِ عَلَيْهِ . لَسَيِّدِنَا العَبْدِ الفَقِيرِ إِلَى اللهُ تَعَالَى ،  
 الشَّيْخِ الإِمَامِ العَالِمِ ، الحَافِظِ ، وَلِيِّ الدِّينِ ، شَرِيفِ العُلَمَاءِ ، أَوْحِدِ القُضَلَاءِ ،  
 مُفْتِيِ المُسْلِمِينَ ، أَبِي زُرْعَةَ أَحْمَدَ ابْنَ سَيِّدِنَا العَبْدِ الفَقِيرِ إِلَى اللهُ تَعَالَى زَيْنِ الدِّينِ ،  
 شَيْخِ الإِسْلَامِ ، قَاضِيِ المُسْلِمِينَ ، أَبِي الفَضْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، ابْنَ سَيِّدِنَا العَبْدِ الفَقِيرِ  
 إِلَى اللهُ تَعَالَى بَدْرِ الدِّينِ ، شَرِيفِ العُلَمَاءِ ، أَوْحِدِ القُضَلَاءِ ، مُفْتِيِ المُسْلِمِينَ ،  
 أَبِي عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنِ العِرَاقِيِّ الشَّافِعِيِّ ، خَلِيفَةِ الحُكْمِ العَزِيزِ بِالقَاهِرَةِ وَمِصْرَ  
 المَحْرُوسَتَيْنِ ، وَالحَاكِمِ بِالأَعْمَالِ المُتَوَفِّيقِ ، وَمُفْتِيِ دَارِ العَدْلِ الشَّرِيفِ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ :  
 أَيْدِ اللهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ بِالنَّظَرِ فِي ذَلِكَ عَلَى الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ .

فَخِثْذَ سَمِعَ سَيِّدِنَا العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللهُ تَعَالَى الشَّيْخَ الإِمَامَ ، العَالِمَ ، الحَافِظَ ،  
 وَلِيَّ الدِّينِ ، الحَاكِمَ المُشَارُّ إِلَى اللهِ : أَحْسَنَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ - البَيْتَةَ بِتَرْكِيئَتِهِ ، وَصَرَّحَتْ  
 لَهُ بِالشَّهَادَةِ بِعَدَالَتِهِ ، وَقَبِلَهَا القَبُولَ الشَّرْعِيَّ السَّائِعَ فِي مِثْلِهِ .

ثُمَّ أَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ مَنْ حَضَرَ بِمَجْلِسِ حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ ، وَهُوَ نَافِذُ القَضَاءِ  
 وَالحُكْمِ مَاضِيَهُمَا ، وَذَلِكَ فِي اليَوْمِ المَبَارِكِ يَوْمِ الأَرْبَعَاءِ التَّامِينَ وَالعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ  
 رَجَبِ القُرْدِ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَتَمَانِمِائَةٍ - أَنَّهُ تَبَّتْ عِنْدَهُ وَحَمَّ لَدَيْهِ : أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ -  
 عَلَى الوَضْعِ المَعْتَبَرِ الشَّرْعِيِّ ، وَالقَانُونِ المُحَرَّرِ المَرْعِيِّ ، بِالبَيْتَةِ العَادِلَةِ المَرْضِيَّةِ ، الَّتِي

تثبت بها الحقوق الشرعية - عدالة القاضي الأجل ، العدل ، الرضى ، نحم الدين محمد المسمى أعلاه : زاده الله تعالى توفيقا ، وسهل له إلى الخير طريقا ، وما أشتمل عليه من صفاتها ، وتحلى به من أدواتها ؛ شيئا صحيحا معتبرا ، مستوفى الشرائط محررا .  
 وأنه - أيد الله تعالى أحكامه ، وسدد نفضه وإبرامه - حكم بعدائه . وقبول شهادته ؛ حكما تاما وجرمه ، وقضى فيه قضاء أبرمه ؛ وأذن له - أيد الله تعالى أحكامه - في تحمیل الشهادة وأدائها ، وبسط قلمه في سائر أئديتها وأرجائها ؛ وأجراه - أجرى الله تعالى الخيرات على يديه - مجرى أمثاله من العُدُول . ونظمه في سلك الشهداء أهل القبول ؛ ونصبه بين الناس شاهدا عدلا ، إذ كان صالحا لذلك وأهلا .  
 فليستُ بالشهادة قلمه . وليؤلف على شروط أدائها كلمه ؛ وليحمد الله تعالى على ما منحه من ملايسها الجميله ، وأتاله من الترقى لرتبتها الجليله ؛ وليتق الله تعالى في موارده ومصاديره ، وليسلك مسالك التقوى في أول أمره وآخره ؛ وليعلم أن من سلك الحق نجا ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا . أوزعه الله تعالى شكر هذه الرتبة العلية ، والمترلة السنية .

وتقدم أمر سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام . العالم . الحافظ ، ولي الدين ، الحاكم المذكور ، وقاه الله تعالى كل محذور ؛ بكتابة هذا الإجمال ، فكتب عن إذنه الكريم ، متضمنا لذلك مسؤولا فيه ، مستوفيا شرائطه الشرعية .  
 وأشهد على نفسه الكريمة بذلك في التاريخ المقدم ذكره بأعليه ، المكتوب بخطه الكريم - شرفه الله تعالى ، حسبا الله ونعم الوكيل .

قلت : والعادة أن يعلم فيه الحاكم علامة تلو البسملة ، ويكتب التاريخ في الوسط ، والحسبة في الآخر ، كل ذلك بخطه ، ويشهد عليه فيه من يشهد عليه من كتاب الحكم وغيرهم ، كما في سائر الإجمالات الحكيمية .

## الصفحة الثالث

( الكُتُبُ إِلَى التَّوَابِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا )

وَأَعْلَمُ أَنَّ الكُتُبَ الَّتِي تُكْتَبُ عَنِ القَضَاةِ أَلْفَاطُهَا مُرْسَلَةٌ ، لِأَجْنُوحِ فِيهَا إِلَى فَنِّ  
الْبَلَاغَةِ وَالسَّجْعِ إِلَّا فِي القَلِيلِ النَّادِرِ .

وهذه نسخة كتاب كُتِبَ بِهِ عَنْ قَاضِي القَضَاةِ تَغْرَ الدِّينِ الشَّافِعِيِّ ، إِلَى الحُكَّامِ  
بِالمَلِكَةِ ، وَهُوَ :

أَدَامَ اللهُ فِضَائِلَ الجَنَابَاتِ العَالِيَةِ والمَجَالِسِ العَالِيَةِ ، وَجَعَلَهُمْ قَادَةً يُقْتَدَى بِهِمْ  
فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ ، وَوِ  
الْأَحْتِفَالِ مِنْ بَعْتَى بِأَمْرِهِ وَيُحْتَفَلُ ، وَلَا سِيَّامَا  
مِنْ سَارَتْ طَرِيقَةُ فَضْلِهِ المَثَلِيَّ فِي الآفَاقِ سَيْرِ المَثَلِ ؛ وَلَا زَالَ عَرُفٌ مَعْرُوفِهِمْ عَلَى  
تَوَيِّ الفِضَائِلِ يُفُوحُ ، وَجِيَادِ جُودِهِمْ تَعْدُو فِي مَيْدَانِ الإِحْسَانِ وَتُرُوحُ ، وَنَيْلُ نَيْلِهِمْ  
يَسِيرِي إِلَى القُصَادِ فَيُحْمَدُ سُرَاهُ عِنْدَ القُبُوقِ كَمَا يُحْمَدُ سُرَاهُ عِنْدَ الصُّبُوحِ .

هذه المكاتبة إليهم تُقْرِئُهُمْ سَلامًا أَلْفَافًا مِنَ النِّسِيمِ ، وَتُهْدِي إِلَيْهِمْ شَاءَ مِرْآجِ  
كاتبه مِنْ تَسْنِيمِ ؛ وَتُسَبِّحِي لِعُلُومِهِمُ الكَرِيمَةَ أَنَّ الجَنَابَ الكَرِيمَ ، العَالِيَّ ، الشَّيْخِيَّ ،  
الإِمَامِيَّ ، الفَاضِلِيَّ ، البَارِعِيَّ ، الأَوْحَدِيَّ ، الأَشْجَلِيَّ ، البَلِيغِيَّ ، المَقْدِمِيَّ ، الخَطِيبِيَّ ،  
البَهَائِيَّ ، أَوْحَدَ الفِضَلَاءِ ، تَغْرَ العُلَمَاءِ ، زَيْنَ الخَطَبَاءِ ، قِبْلَةَ الأَدْبَاءِ ، قُدُوةَ البُلْغَاءِ ،  
صَفْوَةَ المُلُوكِ والسَّلَاطِينِ ، خَطِيبَ المَوْصِلِ - أَدَامَ اللهُ المَسْرَةَ بِهِ ، وَوَصَلَ الخَيْرَ  
بِسَبِّهِ ؛ وَنَفَعَ بِفَوَائِدِ فَضْلِهِ وَأَدْبِهِ - وَرَدَّ عَلَيْنَا بِطَرَابُلسِ المَحْرُوسَةِ ، فَخَصَلَتِ المَسْرَةُ  
بِذَلِكَ الوُرُودِ ، وَتَجَدَّدَ بِخِدْمَتِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ وَثِيقِ العُهُودِ ؛ وَأَبْدَى لَنَا مِنْ نَظَرِهِ الفَائِقِ  
الرِّفِيقِ ، وَإِنْشَائِهِ المَغْنِيَّ عَنِ نَسْوَةِ الرِّحِيقِ ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي هِيَ السَّحْرُ الحَلَالُ عَلَى

التَّحْقِيقُ ؛ مَا زَهَّ الْأَبْصَارَ وَشَفَّ الْأَسْمَاعَ ، وَقَطَعَ مِنْ فُرْسَانِ الْأَدَبِ أَسْبَابَ  
الْأَطْرَاعِ ؛ فَازَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْكَبِيبَ فِكْرًا ، وَأَحْجَلَ مِنَ الرَّوْضِ الْأَبْيَقِ زَهْرًا ،  
وَأَحْمَلَ مِنَ الْمِسْكِ السَّحِيقِ عِطْرًا ، وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ النَّفِيسُ الَّذِي جُمِعَ فِيهِ قَدِيمُ  
الْأَدَبِ وَحَدِيثُهُ ، وَالْجَلِيسُ الَّذِي لَا يُسَامُ كَلَامُهُ وَلَا يَمَلُّ حَدِيثُهُ ؛ يَا لَيْسَ أَيْبَا لَيْسَ فِيهَا  
يُبْدِيهِ مِنَ الْأَدَبِ تَحْرِيفٌ وَلَا غَلَطٌ ، وَفَاضِلًا لَوْلَمْ يَكُنْ بَحْرًا لِمَا كَانَ الدَّرُّ مِنْ فِيهِ  
يُلْتَقَطُ ؛ يَمِينُهُ وَقِطْنَتُهُ الْكَرِيمَتَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ، فَهَذِهِ إِنْ رَقَمْتَ طَرَسًا فُرُوحَ وَزَيْجَانٍ ،  
أَوْ بَدَلْتِ بِرَأْفَعِيَانِ تَجْرِيَانِ ، وَهَذِهِ إِنْ نَظَمْتِ شِعْرًا فَيَا قُوَّتُ وَمَرْجَانِ ، أَوْ نَثَرْتِ  
تَبْرًا فَنَمِينِ الدَّرِّ الْوَانِ ؛ مَا بَرِحَ الْفَضْلَاءُ إِنْ لِقَانِهِ يُسَارِعُونَ ، وَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يُسَارِعُوا  
وَمِنْ أَبْوَابِ مَعْرُوفِهِ يَفْتَتِسُونَ ، وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الشَّهَابُ السَّاطِعُ ، وَالْجَلِيلُ  
الَّذِي لَمْ تَزَلْ تُسِيرُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ ، وَالنَّيْلُ الَّذِي تَجْرِي لِفِرَاقِهِ مِنْ عُيُونِ اللَّيْلِ  
الْمَدَامِيعُ ، وَالنَّزِيلُ الَّذِي يُنْشِدُهُ الْعَارِفُ عِنْدَ وِدَاعِهِ :

\* بِعَيْشِكَ خَبَرْتَنِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ \*

بَعْرِفُ الْمُحْسِنُ إِحْسَانَهُ فَيَنْشُرُهُ مِنَ النَّوَاءِ لَوَاءً ، وَيُجِئُ فِي مَدْحِ صِفَاتِهِ  
وَعُيُوتِهِ الْإِنْشَاءَ إِنْ شَاءَ ، وَيُجِئُ فِي ذَمِّ مَسْنُوحِ الدَّمِّ مِنْهُ الْهَجَاءَ ؛ فَأَكْرَمُ بِهِ مَدْحًا  
وَأَعْظَمُ بِهِ هَجَاءً ؛ الْعُلَمَاءُ لِحُضُورِهِ يَتَقَرَّبُونَ ، وَإِلَيْهِ يَتَقَرَّبُونَ ؛ وَالْفَضْلَاءُ بِفَضْلِهِ  
يَعْتَرِفُونَ ، وَمَنْ بَحْرَهُ يَعْتَرِفُونَ ؛ وَالْأَدَبَاءُ إِلَيْهِ يَسْتَدِقُّونَ ، وَمَنْهَ يَفْتَتِسُونَ ؛ وَالطَّلَبَةُ  
بِأَذْيَالِ فَضْلِهِ يَتَمَسَّكُونَ ، وَبِنَشْرِ أَثْبَتِهِ يَتَمَسَّكُونَ ؛ وَإِخْوَانُهُ فِي اللَّهِ بِوُجُودِهِ  
يَفْتَحِرُونَ ، وَإِنْ جُودِهِ يَفْتَقِرُونَ ؛ كُلُّمَا عَرَّضْتَ لَهُمْ حَاجَةً تَسْكُوا بِإِيْنَارِهِ ، وَكُلُّمَا  
عَانَدَهُمُ الدَّهْرُ سَأَلُوهُ الْإِمْدَادَ بِأَنْصَارِهِ ؛ فَيُجِئُ فِي خِدْمَتِهِمْ بَيَانُ بَنَائِهِ ، وَيُجِئُ  
فِي نُصْرَتِهِمْ سَيْفُ لِسَانِهِ .

ثم من قبل أن نبلغ منه الوطر، ومن دون أن يكتفى منه السمع والبصر، عرفنا أنه قصد التوجه إلى البلاد الساحلية، والأعمال الطرابضية، ليحلى على أهلها من فضائل الباهرة الباسقة، وألفاظه التي هي كالدرر المتناسقة، ويحليهم عرائس الأفكار من أفكاره، ويحنيهم عرائس الأثمار من أشجار عليه، ويريمهم اليدوية البديعة، والتوقى الحبيبة المطيعة.

فليتقدم الجماعة - أيهم الله تعالى - بإكرامه إكرام الأهل والأصحاب، وتلقاه بالبشر والطلاقة والرحاب، وإحلاله من الإحسان عملاً سامياً، وإنزاله من الإفضال منزلاً عالياً، والاعتناء الوافر بأمره، واستجلاب بث حمده وشكره، وألفاظ درر فوائده، واكتساب غرر فرائده، والإصغاء إلى المنتور والمنظوم من أقواله، والتعجب من حسن بدايته وسرعة أرتجاله.

ويحتفل كل يوم بخدمته غاية الإحتمال، ويعتن بأمره اعتناء لا يساركه تقصير ولا إهمال، ويرع له حق الضيف الجليل، والقادم الذي إذا رحل عن بلده أبى له بها الذكر الجليل، ويساعد على ما توجه بصدده كل ساعة يعود نفعها عليه، وينفق مما آتاه الله ويحسن كما أحسن الله إليه.

ونحن نؤكد على الجماعة - أيهم الله - في ذلك كل التأكيد، ونبالغ فيه مبالغة ما عليها من مزيد، ونحذرهم من الإهمال والتسوية والتقصير، ومن مقابلة جنابه الكريم بالترير الحقيق والقدير اليسير، فإكرام هذا الرجل ليس كإكرام من لم يسر بسيره، وما هو إلا لعلمه وقضله وخيره، وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «وليس من يكرم لنفسه كالذي يكرم لغيره».

فلتظنموه كل العظيم وتزروه منزلة تليق بأهل الفضل والإفضال، وترفعوا له المقام وتحمطوا له المقال، ليعود محقق الآمال مبلغ المقاصد، ناشراً أوية النباء.



والمحمّد ، مَشْمُولًا بِجَبِيلِ الصَّلَاةِ وَالْعَائِدِ ؛ وَتَحْنُ مَشْظُرُونَ مَا يَرِدُ عَنْهُ مِنْ مَكَاتِبَاتِهِ  
الْكَرِيمَةِ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ ... .. الْحَسَنَةِ .

وَفِيهِمْ الْعَلِيَّةُ ، وَمَكَارِمُهُمُ السَّيِّئَةُ ، مَا يُقْنِي عَنِ التَّأَكِيدِ بِسَبَبِهِ وَالْوَصِيَّةِ ؛  
وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ عَلَيْهِمْ سَائِعَ الْإِنْفِصَالِ وَالْإِنْعَامِ ، وَيَجْمَلُ بِوُجُودِهِمْ وَجُودَهُمُ الْأَحْكَامَ  
وَالْحُكْمَ ، بِحَمْنِهِ وَكَرَمِهِ .

### الصفحة الرابع

( ما يُكْتَبُ فِي أَفْتَاتِحَاتِ الْكُتُبِ )

فَمِنْ ذَلِكَ مَا يُكْتَبُ فِي أَوَائِلِ كُتُبِ الْأَوْقَافِ .

وهذه نسخة خطبة في آبتداء كتاب وقف على مسجد، وهي :

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه إنه لا يخلف الميعاد ، وناصر الدين المحمدي  
بنينا صلى الله عليه وسلم وعلى آله الكرام الأئمة ، ومشرّف هذه الأمة بالأئمة والجمعة  
والجماعات من أهل الرّشاد ، وجاعل من أرناضاه من أرباب سنة نبيه المختار من  
عباده العباد ، وميسر القرّيات إليه لأهل السّداد ، ومريد الأعمال الصالحات  
ممن أخلاصه بالطاعات ومريد الإرّاد ، ومفضل الأوقاف على أفضل وجوه البرّ  
من جعله لخير أهلنا بالنفع المتعدّي وكثرة الأمداد ، ومُعظم الأجر لمن بنى بيتا لله  
بنية خلية من الرّياء والعناد ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ بَنَى  
مَسْجِدًا لِلَّهِ وَأَوْكَفَّحَصِ قِطَاعًا بِحَيِّ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِهِ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ» وَرَجُوْ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ  
الْأَزْدِيَادِ .

(١) يبيض بالأصفر ولعله : من المنازل الحسنة الخ أو ما أشبهه .

أحمدُه على مَوَادِّ نِعَمِهِ التي جَلَّتْ عن التَّعْدَادِ ، وأشكُرُه شُكْرًا وافيًا وافرًا نجعله  
 دَخِيرَةً ليومِ التَّنَادِ ، وأسْتَمِدُّ من اللُّطْفِ لَوَازِمِ الفَضْلِ الخَفِيِّ وهو الكَرِيمُ الجَوَادُ ،  
 وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له وأنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسوله الخاتِمُ الحاتِمُ على  
 حَوْضِهِ الوُرَادِ ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه ما أَصْنَعِي إلى الذِّكْرِ وأُجِيبَ كُلَّ دَاعٍ  
 من حاضِرٍ أو بَادِ .

وبعدُ ، فلَمَّا كَانَتِ المَثُوبَاتُ مَضمُونَةً الأَجْرِ عندَ الكَرِيمِ ، والأَعْمَالُ مَتَعَدَّةً  
 في التَّقْدِيمِ ، وكانَ بُيَانُ المَسَاجِدِ وافرًا أجْرًا ، لمن أقامَ بواجِبِ تَيَانِ الظَّنِّ الجَمِيلِ  
 وسَدَّدَ إلى الخَيْرَاتِ سَبِيلًا ، وقد قالَ تعالى : « أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عِبْدِي بِى قَلِيظُنَّ  
 بِي خَيْرًا » . ورَأَى المَعْلَى أَنَّ الأَوْقَافَ على المَسَاجِدِ والجَوَامِعِ من أنْفِسِ قَوَاعِدِ  
 الدِّينِ وأَعْلَى - فلذلكَ قيلَ في هذا الإِسْتِجَالِ المُبَارَكِ :

هذا ما وَقَفَهُ وَحَبَسَهُ ، وَسَبَّلَهُ وَأَبَدَهُ فلان . وَقَفَ وَحَبَسَ رَغْبَةً في مَزِيدِ التَّوَابِ ،  
 وَرَجَاءَ في تَهْوُنِ تَهْوِيلِ يَوْمِ الحِسابِ ، وَأَغْنَيْنَا ما للأَجْرِ الجَزِيلِ من الكَرِيمِ الوَهَّابِ ؛  
 لقولِ اللهُ تعالى في الآياتِ المَبْرُورَةِ : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ  
 أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ . وَقَفَ بِنِيَّةِ حَالِصِهِ ، وَعِزِيمَةِ صَالِحِهِ ، وَنِيَّةِ صَادِقِهِ ، ما هوَ له  
 وفي مِلْكِهِ ، وَحَوْزِهِ وَيَدِهِ وَتَصَرِّفِهِ ، من غيرِ مُنَاطِرٍ له في ذلكَ ولا شَرِيكَ ،  
 (ثم يَذْكُرُ الوَقْفَ) .

## الفصل السادس

### في العُمَرَاتِ الَّتِي تَكْتُبُ لِلْحَاجِّ

وهذه نسخةُ عُمَرَةٍ اعتمَرها أبو بكر بن محمد الأنصاري الخزرجي ، عند مُجَاوَزَتِهِ  
بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ ، وَسَنَةِ ثَمَانٍ ، وَسَنَةِ تِسْعٍ ، وَسَنَةِ عَشْرٍ وَسَبْعِينَ ، لِلسُّلْطَانِ  
الْمَلِكِ النَّاصِرِ «مُحَمَّدِ بْنِ قِلَابُونَ» ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَأَمَّنَ مَنْ فِيهِ بِالْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَمَنْ  
هُوَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ نَاصِرٍ ، وَجَعَلَهُ بَيْكَةً مُبَارَكًا ، وَوَضَعَ الْإِصْرَ بِمَنْ كَثُرَتْ مِنْهُ  
وَمَنْ سَلَفَهُ الْكَرِيمِ عَلَى الطَّائِفِينَ وَالْمَاكِفِينَ الْأَوَاصِرِ ، وَعَقَدَ لِيَوَاءِ الْمَلِكِ بِخَيْرِ مَلِكٍ  
وَهُوَ وَاحِدٌ فِي الْجُودِ أَلْفٌ فِي الْوَعْدَى : فَمَنْ حَالَتِيهِ تُعَقَّدُ عَلَيْهِ الْفَخَائِرُ ، وَأَطَابَ الْمَقَامَ  
فِي حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَرَمِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ السُّلْطَنَةَ  
بِذَاتِهِ الشَّرِيفَةَ وَشَرَفَ الْعَاصِرِ ، وَسَهَّلَ الطَّرِيقَ ، إِلَى حَجِّ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ ، مِنَ الْمَشَارِقِ  
وَالْمَغَارِبِ فِي دَوْلَةٍ مِنْ أُمَّمَتِ الْقُلُوبِ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَوَرِثِ الْمَلِكِ كَارِبًا عَنْ كَارِبٍ ،  
وَأَنْطَقَ الْأَلْسِنَةَ بِالِدَعَاءِ لَهُ مِنْ كُلِّ وَاقِدٍ إِلَى بَيْتِهِ الْحَرَامِ عَلَى اخْتِلَافِ لُغَاتِهِمْ وَأَهْتَرَتْ  
لِوَصْفِ مَنَاقِبِهِ الْمَنَارِ .

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا بَلَغَ مِنْ جَزِيلِ بِنْعَامِهِ ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا اسْتَرِيدُ بِهِ مِنْ فَضْلِهِ وَنَوَالِهِ  
وَإِكْرَامِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ نِعْمَ الدَّخِيرَةُ لِصَاحِبِهَا يَوْمَ لِقَائِهِ  
وَعِنْدَ قِيَامِهِ ، وَأَقُولُهَا خَالِصًا مُخْلِصًا وَيَافُوزَ مَنْ كَانَتْ أَيْعَرَ كَلَامِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفَ مَبْعُوثٍ إِلَى الْحَقِّ دُعَى بِنِجَاءِ بِأَشْرَفِ مِائَةٍ ، فَتَمَالَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «عُمَرَةُ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّه» ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ جَمِيعِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ

خُصُوصًا عَلَى خَلِيفَتِهِ فِي أُمَّتِهِ الْمُخْتَصِصِينَ بِالسَّبْقِ وَالْمُؤَاذَرَةِ وَالتَّصَدِيقِ ، مَوْلَانَا  
 أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ؛ وَعَلَى مُظْهِرِ الْأَذَانِ وَمُصَدِّقِ الْخُطَابِ ، مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ وَعَلَى مَنْ جَمَعَ عَلَى الْأُمَّةِ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ؛ وَعَلَى أَبِي عَمْرٍ ، وَارِثِ عَلَيْهِ ؛ الْجَامِعِ لِجَمِيعِ الْمَأَثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ،  
 مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ وَعَلَى بَقِيَّةِ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ ، سَادَاتِ  
 الدُّنْيَا وَمُلُوكِ الْآخِرَةِ ؛ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَالِكُ الْمَلِكِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْخَيْرُ بِيَدِهِ يُفِيضُهُ  
 عَلَى خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ ؛ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَهُ خَيْرًا نَصَرَ نَاصِرَهُمَ وَرَفَعَ  
 عَنْهُمْ الْعَلَا ، وَدَفَعَ عَنْهُمْ الْعِدَا ، وَوَفَّى عَلَيْهِمْ خِيَارَهُمْ ؛ فَيُقِيمُهُ مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ  
 لِلنَّاسِ ، لِيُذْهِبَ عَنْهُمْ الضَّرَرَ وَيُرِيْلَ عَنْهُمْ الْبَاسَ ؛ وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ  
 الْمُنْكَرِ ، وَيُنِصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ وَيَقِيمُ مَنَارَ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ .

وَلَمَّا كَانَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ ، وَالشَّاهِنشَاهُ الْمُعْظَمُ ، الْمَلِكُ النَّاصِرُ - خَلَدَ اللَّهُ  
 سُلْطَانَهُ - فَدَجَمَ فِي الْمَخِيدِ بَيْنَ طَارِيفِ وَتَالِدِ ، وَوَرِثَ الْمُلْكَ عَنْ أَشْرَفِ أَيْحٍ وَأَعْظَمِ  
 وَالِدٍ ؛ وَقَامَتْ عَلَى أَسْتِحْقَاقِهِ لِسُلْطَنَةِ الدَّلَائِلِ ، وَأَلْفِهِ سِرِّرِ الْمُلْكِ وَعَرَفَ فِيهِ مِنْ  
 وَالِدِهِ وَمَنْ أَحْيَاهُ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى - الشَّمَائِلُ ؛ فَهُوَ الْمَالِكُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ الْمُلْكُ بِهِ  
 آهَلًا وَلَمْ يَزَلْ لَهُ أَهْلًا ، وَالسَّيِّدُ الَّذِي لَيْسَ حُلَّةَ الْفَخَّارِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ فِي السُّؤْدُودِ وَالْفَخَّارِ  
 مِثْلًا ، وَالْمَلِكُ الَّذِي مَا بَدَأَ لِرَأْيِهِ إِلَّا قَيْسِلُ : بَحْرُ طَعْمَى أَوْ بَدْرُ تَجَلَّى ؛ وَالْمُؤَيَّدُ الَّذِي  
 حَصَّه اللَّهُ تَعَالَى بِعُلُوشَانِهِ وَأَرْزِقَانِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ مَرَاقِدَ الْقَرَاقِدِ لِعَلْيَانِهِ ؛ وَالكَرِيمُ الَّذِي  
 سَادَ الْأَوَائِلَ وَالْآوَائِرَ ، وَأَضْفَيْتَ عَلَيْهِ حُلُلُ الْمَفَاحِرِ ؛ وَالْمَنْصُورُ الَّذِي أُعْطِيَ عَلَى  
 الْأَعْدَاءِ قُوَّةَ وَنَصْرًا ، وَالنَّاصِرُ الَّذِي أَسْعَجَ بِجَالِ نَصْرِهِ فَأَخَذَ الْكُفَّارَ حَضْرًا ، وَحَكَمَتْ  
 سَيُوفُهُ الْقَوَاضِبُ فَوَضَعَتْ عَنِ الْأَوْلِيَاءِ إِصْرًا ؛ فَدَحَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَزِّ وَالنُّصْرَةِ كَرَّةً

بعد كرهه، وفضله على سائر ملوك الإسلام بالحجّ وزيارته النبي صلى الله عليه وسلم  
مرة بعد مره، ومرة أخرى إن شاء الله تعالى ومرة ومرة!!! كم سلك سنن  
وأبديه وأخيه - رحمهما الله تعالى - بالقرابة فكان له كل مشهد مذكور، وعرف  
تقدمه وإقدامه فكان أعظم ناصر وأشرف منصور، يحمده الله تعالى والناس عن  
جميل ذبه عن الإسلام وحميد فعله، وأستقل الجزيل فينبئ الجميل لمن أم أبوابه  
الشريفة فلا يستكثر هذا من مثله، ما حملت رأياته الشريفة كتيبة إلا نصرت،  
ولا وقف بوجهه الكريم في دفع طائفة الكفر إلا كسرت، ولا جهز عساكره  
المنصورة إلى قلعة إلا نزل أهلها من صياصيمهم، ولا حاصروا قرا للكفار إلا أخذوا  
بنواصيمهم، ولا سير سريّة لمواجهة محارب إلا نزل على رعيه، ولا نطق لسان الحمد  
لجاهد أو مآر الشاهد إلا وقف الحمد على قوله وأسمه، فاختره الله تعالى على عليم على  
المالين، وأجنتاه للندب عن الإسلام والمسلمين، وجعله لسطانة وأرنا، وفي الملك  
مأكنا، ولقمرين نالنا، ولأموره سدادا، ولثغور بلاد الإسلام سدادا، وقوص إليه  
القيام بمصالح الإسلام، والنظر في مصالح الخالص والعام، وعدق به أمور الممالك  
والأملاك، وأطلع بسعادته أئمة البروج في أنبت الأفلاك، وحمى الإسلام  
والمسلمين من كل جانب شرقا وغربا، وملا بمهاضيه البلاد والعباد رعبا وحببا،  
وبسط في البسيطة حكمه وعدله، ونشر على الخلائق حكمه وفضله، وفرض طاعته  
على جميع الأمم، وجعله سيّدا للملوك العرب والعجم، وأمن بمهاضيه كل حاضير وباد،  
ونوم سكان الحرمين الشريفين من كنفه في أوطا مهاد، وسكن خواطر المجاورين  
من جيع الخافوف، وصان بالمقام في مكة الطائف والعاكف، فد حسن مع الله  
تعالى سيرة وسيرا، ودلت أيامه الشريفة أنه خير ملك أراد الله تعالى برعيته خيرا،  
وزاعى الله فيما رعى، وسعى في مصالح الإسلام عاليا أن ليس للإنسان إلا ما سعى.

قد ملأ أعين الرعايا بالطمأنينة والمُجُوع، وأمتهم في أيامه الشريفة بالرِّخاء من الخوف والجوع، وجمع لهم بين سعادة الدنيا والأخرى، وسهل لهم الدخول إلى بيته الحرام براً وبحراً؛ وفتح الله تعالى على يديه - خلد الله تعالى سلطانه - جميع الأمصار، وملأ من مهاتبه جميع الأنظار :

فسارت ميسر الشمس في كل بلدة \* وهبت هبوب الريح في القرب والبعد!

فوجب على العالمين أن يدعوا لدولته الشريفة المباركة بطول البقاء، و[دوام] العلو والارتفاع؛ ووجب على كل من الواصلين إلى بيته الحرام وحضرة قدسه، أن يتنهل بالدعاء له قبل أن يدعو لنفسه؛ فكيف من هو مملوكه وابن مملوكه ووارث عبوديته، ومن لم يرل هو ووالده وإخوته في صدقات والده الشهيد - رحمه الله تعالى - وعميم نعمته؛ العبد الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن محمد بن المكرم الأنصاري الخرزجي، فإنه لم يرل مدة أيامه مبتهلاً بصالح دعواته، متوسلاً إلى الله تعالى بدوام نصره وطول حياته؛ طائفاً عند مقامه الشريف حول بيته الحرام، والمشاعر العظام .

وأحب أن يُحْفَهِ بأشرف العبادة فلم يجد أجلاً مقداراً ولا أعظم أجراً، من عمرة يعتمرها عنه ويهدي ثوابها لصحافته الشريفة ويزيد بذلك فخراً؛ فقام عنه بعمرتين شريفتين أعتمرهما عنه في رمضان، مكملتين بإحراميهما وتليتهما، وطوافيهما وسعيهما؛ يتقرب بذلك إلى أبوابه الشريفة، ويسأل الله تعالى ويسأل صدقاته الشريفة أن ينعم عليه ينصف معلوم صدقة عليه، وينصفه لأولاده؛ ليقضى بقية عمره في الثلاثة المساجد، ويخصه بجزيل الدعاء من كل رايح وساجد؛ وأن يكون ذلك مستمراً عليه مدة حياته، وعلى ذريته ونسله وعقبه بعد وفاته؛ لتشمل صدقات مولانا السلطان - خلد الله تعالى ملكه - الأحياء والأموات، ويطلب لغلمانه

في أيامه الشريفة الممات ، جعل الله تعالى مولانا السلطان وارث الأعمار ،  
وأجرى بدوام أيامه الشريفة المقدار ، وجعل كلمة الملك باقية في عقبه ، وبلغه  
من النصر والظفر والأجر غاية أرويه ، وجعل أيامه كلها مساراً وبنائراً ، ودولته تسر  
النواظر ، وسعادته ليس لها آخر ، ويهنئه بما قد آتمه الله له من ملك والده الشهيد  
رحمه الله تعالى :

[أُهَيْبَكَ بِالْمُلْكِ يَاخَيْرَ مَنْ : أَجَارَ الْبِرِّيَّاءَ وَمَنْ مَارَهَا ،  
وَمَنْ لَيْسَ لِلْأَرْضِ مَلِكٌ سِوَاهُ \* تُمِيلُ لَهُ الْخَلْقُ أَبْصَارَهَا !  
وَأَنْتَ الَّذِي تَمْلِكُ الْخَلَاقِينَ \* <sup>(١)</sup> وَإِعْصَارَهَا ،  
وَتَمْلِكُ سَيِّبَ تَكْفُورِهَا \* وَتَرْكَبُ بِالْحَيْشِ أَوْعَارَهَا ،  
وَتَحْكُمُ فِي الْمَرْءِ حُكْمَ الْمُلُوكِ \* وَتُنشِدُ فِي النَّحْتِ أَشْعَارَهَا ،  
وَتَفْتَحُ بِنَدَادِ دَارِ السَّلَامِ \* وَتُنْفِي بِمُلْكِكَ أَكْذَارَهَا ،  
وَتَأْخُذُ بِالْعَسْكَرِ النَّاصِرِيِّ \* فَصُورُ الْخِلَافَةِ أَوْتَارَهَا ،  
وَيَأْمَنُ فِي ذَلِكَ الْعَالَمُونَ \* وَتَحْيِي الْأُسُودَ وَأَوْكَارَهَا ،  
وَتَسْقِي إِلَى أَنْ تَعَمَّ الْبِلَادَ \* بِنُعْمَى تَتَابِعُ إِدْرَارَهَا ،  
وَيَبْلُغُ مُلْكُكَ أَقْصَى الْبِلَادِ \* وَتُجْرِي الْعِبَادَ وَأَوْطَارَهَا ،  
وَيَنْظُمُ سِيرَتَكَ النَّظَامُونَ \* وَتُعْبِي مَعَارِيكَ سُمَارَهَا ،

[ والله يُقْبِيهِ <sup>(١)</sup> ] بعدها دائما ناصر الدنيا والإسلام والمسلمين ، كما سماه والده  
ناصر الدنيا والدين ؛ إنه على ما نشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

## الباب الثاني

من المقالة العاشرة في الهزليات<sup>(١)</sup>

أعلم أنه ربما أعنتت الملوك ببعضه، فاقترحت على كتابها إنشاء شيء من الأمور الهزلية، فيحتاجون إلى الإتيان بها على وفق غرض ذلك الملك. كما وقع لمعين الدولة ابن بويه الديلمي في اقتراحه على أبي إسحق الصائبي كتابة عهد بالتطفل، لرُجُل كان عنده اسمه عليك، ينسب إلى التطفل، ويسخر منه السلطان بسبب ذلك.

وهذه نسخة عهد بالتطفل، التي أنشأها أبو إسحق الصائبي لعليكا المذكور:

هذا ما عهد علي بن أحمد المعروف بعليكا إلى علي بن عرس الموصل، حين استخلفه على إحياء سنته، وأستتابه في حفظ رؤومه، من التطفل على أهل مدينة السلام وما يتصل بها من أرباضها وأكافها، ويحرمي معها في سوادها وأطرافها، لما توهمه فيه من قلة الحياء، وشدة اللقاء، وكثرة اللقم، وجودة الهضم، وراه أهلا له من سد مكانه، والرقاعة المهملة التي قطن لها، والرقاعة المطرحة التي آهتدى إليها، والنعم العائدة على لا يسبها بملاد الطموم، وخصب الحسوم، وردا على من أتسعت حاله، وأقدره الله على غرائب الماكولات، وأخفقه ببدايع الطيبات، آخذاً من ذلك كله بنصيب الشريك المناصف، وضارياً فيه بنهم الخليلط المناووس، ومستعملاً للدخل اللطيف عليه، والمتوَجِّع العجيب إليه، والأشباب التي ستشرح في مواضعها من أوامر هذا الكتاب، وتُسْتَوْقِ الدلالة على ما فيها من رشاد وصواب، وبالله التوفيق وعليه التعويل، وهو حسبتنا ونعم الوكيل.

(١) ذكر المؤلف في بيان محتويات الكتاب في الجزء الأول (ص ٣٢) أن الباب الثاني في الهزليات

يسمى على فصلين: الفصل الأول فيما أعنتت الملوك ببعضه. الفصل الثاني في سائر أنواع المزول، ولكنه

لم يذكرها الفصل الثاني، فلينبه.



أمره بتقوى الله التي هي الجانب العزيز، والحيز الحريز، والركن المنيع، والطود  
الرفيع، والعصمة الكائنة، والحنة الواقية، والزاد النافع يوم المعاد، وحبث الأمثلة  
من الأزواد؛ وأن يستشعر خيافته في سره وجهده، ويراقبه في قوله وفعله؛ ويعمل  
رضاه مطلبه، وتوابعه مكتسبه، والقرابة منه آربه، والزلفى لديه غرضه؛ ولا يتخالفه  
في مسعاة قدم، ولا يتعرض عنده لهاقبة ندم؛ ولا يقدم على ما كرهه وأنكره.  
ولا يتقاعس عما أحب وأمره .

وأمره أن يتأدب بآدبه فيما يأتي ويذر . ويقف على حدوده فيما أباح وحظر .  
فإنه إذا كان ذلك هجيراً وديئته، وجرى عليه منهاجه وسنته؛ تكفل الله له بالنجاح  
والصلاح، وأفضى به إلى الرشاد والقلاح؛ وأظفره بكل بعينه، وأوصله إلى كل  
مشيه؛ ولم يخله من الفوز بما يرصد، والحوز بما يقصد؛ بذلك وعد، وكذلك  
يفعل، وما توفيقنا إلا بالله، ولا مرجعنا إلا إليه .

وأمره أن يتأمل اسم التطفيل ومعناه، ويعرف مفزاه ومنحاه؛ ويتصفحه تصفح  
الباحث عن حظه بمحموده، غير القائل فيه بتسليمه وتقايده؛ فإن كثيراً من الناس  
قد استنقبحه ممن فعله، وكرهه لمن استعمله؛ ونسبه فيه إلى الشره والنهم، وحمله  
منه على التقه والقرم؛ ففهم من غلط في استدلاله، فأساء في مقاله؛ ومنهم من شح  
على ماله، فدافع عنه بأحتياله؛ وكل الفرقتين مذموم، وحميهما مأموم؛ لا يتلفان  
بغير واضح، ولا بغير بيان من لباس فاضح؛ ومنهم الطائفة التي ترى فيها شركة العنان؛  
فهي تتدل إذا كان لها، وتتدل عليه إذا كان لغيرها؛ وترى أن المنة في المطعم للهاجم  
الآكل، وفي المشرب للوارد الواعل؛ وهي أحق بالحرية، وأحق بالخيرية؛ وأحرى  
بالمرؤه، وأولى بالفتوة؛ وقد عرفت بالتطفيل، ولا عار فيه عند ذوي التحصيل،

لأنه مُسْتَقٌّ من الطَّفَلِ وهو وقت المساء، وأوانُ العشاء، فلما كَثُرَ اسْتَعْمِلَ في صدرِ  
النَّهارِ وَحِجْزِهِ ، وأوله وأخره ، كما قبيل للشمس والقمر : قمران وأحدهما القمر،  
ولأبي بكرٍ وعمر : العمران وأحدهما عمر، وقد سبق إيماننا ببيان رحمة الله عليه إلى  
هذا الأمر سبقاً أوجب له خلود الذكر، فهو باقٍ بقَاءِ الدهر، ومتجددٌ في كُلِّ  
عصر، وما نعرف أحداً نال من الدنيا حظاً من حُطْوِهَا فَبَقِيَ له منه أثرٌ يخالفه ،  
وصيبتٌ يَسْتَبِدُّ به إلا هو وحده . فبيانُ رضوانِ الله عليه يذكُرُ بتطْفِيلِهِ كما تذكُرُ  
الملوكُ بسيرِها ، فمن بلغ إلى نهايته . أوجرئ إلى غايته ، سَعِدَ بِعَصَارَةِ عَيْشِهِ  
في يومه ، ونَبَاهَةَ ذِكْرِهِ في غده ، جعلنا الله جميعاً من السابقين إلى مَدَاهِ ، والمذكورين  
كذلكَ .

وأمره أن يَتَمَيِّدَ مَوَائِدَ الكِبَرَاءِ والمُعْطَاءِ بَغْزَايَاهُ ، ومُحْطَ الأَمْرَاءِ والوُزَرَاءِ بِسَرَايَاهُ ؛  
فإنه يَطْفَرُ منها بِالغَنِيمَةِ البَارِدَةِ ، وَيَصِلُ عليها إلى القَرِيْبَةِ النَّادِرَةِ ، وإذا اسْتَقْرَأَهَا  
وَجَدَ فيها من طَرَائِفِ الأَلْوَانِ ، المُلْدَةِ للسانِ ، وبَدَائِعِ الطُّعُومِ ، السَّائِمَةِ في الحُلُقُومِ ؛  
مَالاً يَجِدُهُ عندَ غيرهم ، ولا يَنَالُهُ إلا لَدَيْهِمْ ؛ لِحُنُقِ صِنَاعَتِهِمْ ، وجَوْدَةِ أَدْوَاتِهِمْ ،  
وَأَثْرِيَاغِ عِلْمِهِمْ ، وكَثْرَةِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ؛ واللهُ يُوفِّرُ من ذلك حَظَّنَا ، وَيُسَدِّدُ نَحْوَهُ حَظَّنَا ؛  
ويُوضِّحُ عليه دَلِيلَنَا ، وَيُسَهِّلُ إِلَيْهِ سَبِيلَنَا .

وأمره أن يَتَّبِعَ ما بَعْرَضَ لِمُوسِرِي التُّجَّارِ ، ومُجَهِّزِي الأَمْصَارِ ؛ من وَكْرَةِ الدَّارِ ،  
والعُرْسِ والإعْذارِ ؛ فإنهم يُوسِّعونَ على نفوسهم في النِّوَابِ ، بِحَسَبِ تَضْيِيقِهِمْ عليها  
في الرِّابِ ؛ ورُبَّمَا صَبَرُوا على تَطْفِيلِ المُتَطَفِّلِينَ ، وَأَغْضَوْا على تَهْجَمِ الوَاغِلِينَ ؛  
لِيَتَعَدَّوْا بذلك في حَمَاقِلِهِم الرَّذْلَةَ ، وَيَعُدُّوهُ في مَكَارِمِ أخْلَاقِهِم النُّنْلَةَ ؛ وَيَقُولُ قائلُهُم  
البَاحِجُ بِاتِّسَاعِ طَعَامِهِ ، المَبَاهِي بِكَثْرَةِ حُطَامِهِ ؛ : إِنِّي كُنْتُ أَرَى الوُجُوهَ الغَرِيْبَةَ  
فَأَطْعَمُهَا ، والأَبْدِيَّ المُتَعَدِّةَ فَأَمْلُؤُهَا . وهذه طائفةٌ لم تُرَدِّ بِمَا فَعَلْتَهُ الكَرَمُ والسَّعَةُ ؛

وإنما أرادت المن والسَّمْعَة ؛ فإذا آهتدى الأريب إلى طرائقها وصل إلى بُغْتة من إعلان قَصِيَّتِها . وفاز بمراده من ذخائر حَسَّتِها ، إن شاء الله .

وأمره أن يُصادق قَهَّارِمَةَ الدُّورِ ومُدَبِّرِها ، ورُفَاقِ وكُلَّاءِ المَطَّايِحِ وحَمَّالِها ، فإنهم يملكون من أصحابهم أزيمة مطاعمهم ومشاربهم ، ويضعونها بحيث يُبحون من أهل موداتهم ومعارفهم ؛ وإذا عَدَّتْ هذه الطائفةُ أحداً من الناس خَلِيلاً من خَلائِها ، وأخذته أختاً من إخوانها ، سجدت بِرُكُفَّتِها ، ووصلت إلى محابة من جهاتِها ، ومآربه في جنابِها .

وأمره أن يتعهد أسواق المَسوقين ، ومواسم المتبايعين ؛ فإذا رأى وظيفَةً قد زيد فيها ، وأطعمَةً قد أخصد مشترئها ، أتبعها إلى المقصد بها ، وشيئها إلى المتزل الخاوي فس ؛ وأستعلم ميقات الدغوه ، ومن يحضرها من أهل النسيان والمُروء ؛ فإنه لا يخلو فيهم من عارف به برأى وقت مَصيرِه إليها ليتبعه ، ويكن له ليصحبه ويدخل معه ؛ وإن خلا من ذلك اختلط بزمير الداخلين ، وعصب الراحلين ؛ فإلا أن يجاوز عتب الأبواب ، ويخرج من سلطان البوايين والمجباب ؛ حتى يحصل حصولاً قل ما حصل [عليه] أحد قبله فأنصرف عنه إلا ضليعاً من الطعام . برهاً من المُدَّام ؛ إن شاء الله .

وأمره أن ينصب الأرصاد على منازل المعنيات والمُغْنين ، ومواطن الأبلات (؟) والمُحْتنين ؛ فإذا أتاه خبر يجمع بضمهم ، وماديه تهمهم ؛ ضرب إليها أعناق إبائِه ، وأنضى نحوها مطايا خيلِه ؛ وحمل عليها حملة الحوت المُتَّيم ، والتعبان المُتَّيم ؛ واللَّيت الهاسِر ، والعقاب الكاسِر ؛ إن شاء الله .

وأمره أن يتجنب جماع العوام المقلين ، ومحافل الرعاع المُقْتيرين ؛ وأن لا يتقل إليها قدواً ، ولا يُعفّر لها كليلها فس ؛ ولا يلق في عتب دورها كيساناً ، ولا بعد الرجل

منها إنسانا ، فإنها عصابةٌ يجمع لها ضيقُ النفوس والأحلام ، وقلةُ الأحكام والأموال ؛  
وفي التطفيل عليها إخفافٌ بها يؤسم ، وإزرائؤه بمروءة المتطفل يؤصم ، والتجنبُّ لها  
أحرى ، والأزورار عنها أحجى ، إن شاء الله .

وأمره أن يحزِرَ الخوانَ إذا وُضع ، والطعامَ إذا نُقل ، حتى يعرف بالحدس  
والتقريب ، والبحث والتفتيح ، عددَ الألوان في الكثرة والفله ، وأفتانها في الطيب  
واللذة ؛ فيقدر لنفسه أن يشبع مع آحريها ، ويتتبي منها عند آتهاها ؛ ولا يقوته  
النصيبُ من كثيرها وقليلها ، ولا يحطئه الحظُّ من دقيقتها وجليلها ، ومتى أحس بقلة  
الطعام ، وعجزه عن الأقوام ؛ أمتن في أوله إيمانَ الكئيس في سعيته ، الرشيد في أمره ،  
المالئ لبطنه ؛ من كلِّ حارٍّ وبارد ، وخبيثٍ وطيب ، فإنه إذا فعل ذلك سلم من  
عواقب الأعمار الذين يكفون تطرفا ، ويقلون تادبا ؛ ويقنون أن المأذة تبلغهم  
في آخر أمرهم ، وتنتهي بهم إلى غاية سعيمهم ؛ فلا يلبثوا أن يتجملوا تجملَةَ الوائق ،  
ويتقبلوا بحسرة الخائب ؛ أعادنا الله من مثل مقامهم ، وحصنا من شقاء جدودهم ؛  
إن شاء الله .

وأمره أن يروض نفسه ، ويغالط حسه ؛ ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحا ،  
ويطوي دونه كشحا ، ويستحسن الصمم عن الفحشا ؛ وإن آتته اللكرة في حلقه ،  
صبر عابيا في الوصول إلى حقه ؛ وإن وقعت به الصفعة في رأسه ، صبر عليها لموقع  
أضراره ؛ وإن لقيه لاقٍ بالحقاء ، قابله باللطف والصفاء ؛ إذ كان قد ولى الأبواب ،  
وخالط الأسباب ؛ وجلس مع الحضور ، وأمتزج بالجمهور ؛ فلا بد أن يلقاه المنكر  
لأمره ، ويمر به المستغرب لوجهه ؛ فإن كان حرا حيا أمسك وتدّم ، وإن كان قظا  
غليظا همهم وتكلم ؛ وتجنب عند ذلك الخاشنة ، واستعمل مع الخاطب له الملائنة ؛  
ليبرد غيظه ، ويقل حده ؛ ويكف غربه ، ويأمن شغبه ؛ ثم إذا طال المدى

تكررت الاحتاط عليه فُعرف ، وأُنسيت النفوس به فأُلف ، ونال من المحالِّ المجتَمع عليها ، منال من حُشم وسئل الذَّهاب إليها .

وقد بلغنا أن رجلاً من العصابة كان ذا فهمٍ ودراية ، وعقلٍ وحصافة ، طُفِّلَ على ولديه ، لرجلٍ ذى حالٍ عظيمه ، فرمقته فيها من القوم العيون ، وصُرفت بهم فيه الطُّنون ، فقال له قائلٌ منهم : من تكون أعزك الله ؟ فقال : أنا أوَّل من دُعي إلى هذا الحق . قيل له : وكيف ذلك ونحن لا نعرفك ؟ فقال : إذا رأيت صاحب الدارِ عرَفني وعرفته نَفسي . فحُيَّ به إليه ، فلما رآه بدأه بأن قال له : هل قلت لطباخت : أن يصنع طعامك زائداً على عدد الحاضرين ، ومقدار حاجة المدعوين ؟ قال : نعم ! قال : فإتاك تلك الزيادة نى ولأمتائى ، وبها يُستظهر لمن جرى مجراى ، وهى رِزقٌ لنا أنزله الله على يدك وبك ، فقال له : كرامةٌ ورُحبا ، وأهلا وقربا ، والله لا جالسٌ إلا مع عِية الناس ووجوه الجلُساء ، إذ أُطرفت فى قولك . وتَقننت فى فمك . فليكن ذلك الرجلُ إماماً يُقتدى به ، ويُقتنى طريقه ، إن شاء الله .

وأمره بأن يُكثر من تعاهد الجوارِ شِئات المُتقدِّة للسُدِّد ، المقوية للمعدى ، المشبهة للطعام ، المشبهة لسبيل الأبرصام ، فإنها عمادُ أمره وقوامه ، وبها أنظامة وألتامه ، إذ كانت تُعين على عملي الدُّعوتين ، وتُنهض فى اليوم الواحد الأكتلين ، وهو يتناولها كذا كالكتاب الذى يَقُطُّ أقلامه ، والجُندى الذى يَقْبَلُ حُسامه ، والصَّايح الذى يُحدِّد آتته ، والمَهِير الذى يُصليح أَدواته ، إن شاء الله .

هذا عهد عليك بن أحمد إليك ، وُحجتك لك وعليك ، لم يالك فيه إرشادا وتوقيفا ، وتهديبا وتثقيفا ، وبعثا وتبصيرا ، وحننا وتذكيرا ، فكن بأوامره مؤثرا ، وبزواجره مُزْدجرا ، ولسومه مُتبعيا ، وبمحفظها مُصطليعا ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

## الخاتمة

في ذكرِ أمورٍ تتعلق بديوان الانشاء غير أمور الكتابة،  
وفيها أربعة أبواب

## الباب الأول

في الكلام على البريد، وفيه فصلان

## الفصل الأول

في مقدمات يحتاج الكاتب إلى معرفتها، ويتعلق الغرض  
من ذلك بثلاثة أمور

## الأمر الأول

(معرفة معنى لفظ البريد لغةً وأصطلاحاً).

أما معناه لغةً، فالمراد منه مسافة معلومة مقدَّرةُ بأمتي عشر ميلًا، واحتجَّ له  
الجوهري بقول مُرَرِّدٍ يمدح عرابة الأوسى :

فَدَنَّتْكَ عَرَابَ الْيَوْمِ أُمِّي وَخَالَتِي ، « وَنَاقِي النَّاحِي إِلَيْكَ بَرِيدُهَا !

يُرِيدُ سَيْرَهَا فِي الْبَرِيدِ . وَقَدْ قَدَّرَهُ الْفُقَهَاءُ وَعُلَمَاءُ الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ بِأَنَّهُ أَرْبَعَةُ  
فَرَاسِحَ ، وَالْفَرَاسِخُ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ ، وَالْمِيلُ ثَلَاثَةُ أَلْفِ ذِرَاعٍ بِالْهَاشِمِيِّ ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ  
وَعِشْرُونَ أَصْبُعًا ، كُلُّ أَصْبُعٍ سِتُّ شَعِيرَاتٍ مُعْتَرِضَاتٍ ، ظَهَرَ إِحْدَاهَا لِبَطْنِ الْأَشْعِيِّ ،  
وَالشَّعِيرَةُ سَبْعُ شَعْرَاتٍ مُعْتَرِضَاتٍ مِنْ ذَنْبٍ بَغْلِيٍّ أَوْ يَرْدُونِ .

قال الجوهري : ويقال أيضا على البريد : المُرْتَبُ ، يقال : حِيلَ فلانٌ على البريد .  
قال : ويُطلق أيضا على الرسولِ بريدٌ .

ثم اختلف فيه فقيل : إنه عربيٌّ . وعلى هذا ذهب الخليل إلى أنه مشتق من  
بردت الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه . وقيل : من أبردته إذا أرسلته . وقيل : من برد  
إذا ثبت ، لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار ، يقال : « اليوم يوم بارد مومنه »  
أي ثابت .

وذهب آخرون إلى أنه فارسيٌّ معربٌ . قال أبو السعادات بن الأثير في كتابه  
« النهاية في غريب الحديث » : وأصله بالفارسية بريد دم ، ومعناه مقصوص  
الذئب . وذلك أن ملوك الفرس كانت من عادتهم أنهم إذا أقاموا بغلا في البريد قصوا  
ذنبه ، ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد . وأنشد الجوهري لأمرئ القيس :  
على كل مقصوص الذئابي معاويد . بريد السرى بالليل من خيل بربرا .

## الأمر الثاني

( أول من وضع البريد وما آل إليه أمره إلى الآن )

أما في الجاهلية ، فقد ذكر في « التعريف » : أن البريد كان موجودا في عهد  
الأكاسرة من ملوك الفرس ، والقباصرة ملوك الروم ، قال : ولكن لا أعرف هل  
كان على البريد المحرر أو كانت مقاديرُه متفاوتة كما هو الآن ؟ . ثم قال : ولا أعلمه  
إلا على القدر المحرر ، إذ كانت حكمتهم تأتي إلا ذلك .

وأما في الإسلام فقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه « الأوائل » : أن أول من  
وضعه في الإسلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما . قال في « التعريف » :

وذلك حين استقرت له الخلافة، ومات أمير المؤمنين على رضى الله عنه، وسلم له ابنه الحسن عليه السلام، وخلا من المنازع، فوضع البريد لتسريح إليه أخيار بلاده من جميع أطرافها، فأمر بإحضار رجال من دهاقين الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم ما يريد، فوضعوا له البريد. قال: وقيل: إنما قيل ذلك زمن عبد الملك ابن مروان حين خلا وجوسه من الخوارج عليه: كهمرو بن سعيد الأشدق، وعبد الله بن الزبير، ومصعب بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد.

والذى ذكره العسكرى: أن عبد الملك إنما أحكمه. وذكّر عنه أنه قال لابن الدغيدغة: ولتيتك ما حصر أبى إلا أربعة: المؤذن، فإنه داعى الله تعالى فلا حجاب عليه. وطارق الليل، فشر ما أتى به ولو وجد خيراً لنام. والبريد، فتى جاء من أيل أو نهار فلا تحجبه، فربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة. والطعام إذا أدرك، فأفتح الباب وأرفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول. ثم قال: ويذكر هذا الكلام عن زياد أيضا.

قال في "التعريف": وكان الوليد بن عبد الملك يحمل عليه الفيسفاء وهى الفص المذهب من السططيينية إلى دمشق، حتى صفع منه حيطان المسجد الجامع بها، ومساجد مكة والمدينة والقدس.

قال: ثم لم يرزل البريد قائما، والعمل عليه دائما، حتى آن لبناء الدولة المروانية أن يتقص، ولحليها أن يتكث، فأقطع ما بين نراسان والعراق، لأنصرف الوجوه إلى الشيعة القائمة بالدولة العباسية. ودام الأمر على ذلك حتى انقضت أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وملك السفاح، ثم المنصور، ثم المهدي، والبريد لا يسد له سرج، ولا تلجم له دابة. ثم إن المهدي أغزى ابنه هرون الرشيد الروم، وأحب أن لا يزال على علم قريب من خبره، فرتب فيما بينه وبين



مُسْكِرَ آبِنِهِ بُرْدًا كَانَتْ تَأْتِيهِ بِأَخْبَارِهِ ، وَتُرِيهِ مُتَجَدِّدَاتِ أَيَّامِهِ . فَلَمَّا قَفَلَ الرَّشِيدُ قَطَعَ الْمَهْدِيُّ تِلْكَ الْبُرْدَ ، وَدَامَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا بِأَقْي مُدَّتِهِ وَمُدَّةِ خِلَافَةِ مُوسَى الْهَادِي بَعْدَهُ . فَلَمَّا كَانَتْ خِلَافَةُ هُرُونَ الرَّشِيدِ ، ذَكَرَ يَوْمًا حُسْنَ صَبِيحِ أَبِيهِ فِي الْبُرْدِ الَّتِي جَعَلَهَا بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : لَوْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِإِحْرَاءِ الْبَرِيدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، كَانَ صَلَاحًا لِلْمَلِكِ . فَأَمَرَهُ بِهِ فَفَرَّهَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ، وَرَبَّهَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَجَعَلَ الْبَغَالُ فِي الْمَرَكَزِ ، وَكَانَ لَا يُجَهِّزُ عَلَيْهِ إِلَّا الْخَلِيفَةُ أَوْ صَاحِبُ الْخَيْبَرِ ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا . فَلَمَّا دَخَلَ الْمَأمُونُ بِلَادَ الرُّومِ وَنَزَلَ عَلَى نَهْرِ الْبَرْدُونَ وَكَانَ الزَّمَانُ حَرًّا ، وَالْفَصْلُ صَيْفًا ، فَعَدَّ عَلَى النَّهْرِ وَدَثَّى رِجْلَيْهِ فِيهِ وَشَرِبَ مَاءَهُ ، فَأَسْتَعْدَبَهُ وَأَسْتَبْرَدَهُ وَأَسْتَطَابَهُ ، وَقَالَ لِمَنْ كَانَ مَعَهُ : مَا أَطْيَبُ مَا شَرِبَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَاءُ ؟ ، فَقَالَ كُلُّ رَجُلٍ بِرَأْيِهِ . فَقَالَ هُوَ : أَطْيَبُ مَا شَرِبَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَاءُ رُطْبُ إِزَازٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَعِيشُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَأْتِيَ الْعِرَاقَ وَيَأْكُلُ مِنْ رُطْبِهَا الْإِزَازَ ، فَمَا اسْتَمْتَمُوا كَلَامَهُمْ حَتَّى أَقْبَلَتْ بِغَالِ الْبَرِيدِ تَحْمِلُ أَلْطَافًا فِيهَا رُطْبُ إِزَازٍ ، فَأَتَى الْمَأمُونُ بِهَا فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَمْعَنَ وَشَرِبَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ . فَكَثُرَ تَعَجُّبُ الْحَاضِرِينَ مِنْهُ لِسَعَادَتِهِ فِي أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ مِنْ مَقَامِهِ حَتَّى يَلْغُ أُمْنِيَّتَهُ ، عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ مِنْ تَعَدُّرِهَا . فَلَمْ يَقُمْ الْمَأمُونُ مِنْ مَقَامِهِ حَتَّى حُمِّي حَادَّةً كَانَتْ فِيهَا مَيِّتَةٌ .

ثم قطع بنو بويه البريد حين علوا على الخلافة وغلبوا عليها ، ليخفوا على الخليفة ما يكون من أخبارهم وحركاتهم أحياناً قصدهم بغداد ، وكان الخليفة لا يزال يأخذهم على بقتة .

ثم جاءت ملوك السلاجقة على هذا ، وأهم ملوك الإسلام اختلاف ذات بينهم وتنازعهم ، فلم يكن بينهم إلا الرسل على الخيل والبغال ، في كل أرض بحسبها .

فلما جاءت الدولة الزنكية أقامت لذلك النجاة ، وأعدت له النجيب المنتخب .  
 ودام ذلك مدة زمانها ثم زمان نبي أيوب إلى أقراض دولتهم . وتبعها على ذلك  
 أوائل الدولة التركية ، حتى صار الملك إلى المملد الظاهر بيبرس رحمه الله ، واجتمع له  
 ملك مصر والشام وحلب إلى العراق ، وأراد تجهيز دولته إلى دمشق فعين لها نائبا ،  
 ووزيرا ، وقاضيا ، وكاتبا للأشياء .

قال : وكان عمي الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله هو كاتب  
 الإنشاء ، فلما مثل إليه ليودعه ، أوصاه وصايا كثيرة ، أكدها مواصلته بالأخبار  
 وما يتجدد من أخبار التتار والفرنج ، وقال له : إن قدرت أن لا تبينني كل ليلة إلا على  
 خبر [ ولا تصبني إلا على خير ] فافعل ، فعرض له بما كان عليه البريد في الزمان  
 الأول وأيام الخلفاء ، وعرضه عليه لحسن موقعه منه وأمر به . قال عمي : فكنت أنا  
 المقرر له قدامه وبين يديه . ثم ذكر أنه لم يزل باقيا على ذلك إلى أيامه . ثم قال :  
 وهو جناح الإسلام الذي لا يخصص ، وطرف قديمته التي لا تنقص .

قلت : ولم يزل البريد بعد ذلك مستقرا بالديار المصرية والممالك الشامية إلى أن  
 غشي البلاد الشامية تمرلنك صاحب ما وراء النهر ، وفتح دمشق ونحرها وحرقها  
 في سنة أربع وثمانمائة ، فكان ذلك سببا لحصن جناح البريد وبطلانه من سائر  
 الممالك الشامية . ثم سرى هذا السم إلى الديار المصرية فألحقها بالهمل ، ورماها  
 بعد الحلي بالعقل ، فذهبت معالم البريد من مصر والشام ، وعقدت آثاره ، وصار إذا  
 عرض أمر من الأمور السلطانية في بعض نواحي الديار المصرية أو الممالك الشامية ،  
 ركب البريد على فرس له ، يسيرها الهونينا سير المسافر إلى المكان الذي يريد ،  
 ثم يعود على هذه الصورة ، فيحصل بواسطة ذلك الإبطاء في الذهاب والإياب .

## الأمر الثالث

(بيان معالم البريد)

إعلم أنه كان فيما تقدم في زمن الخلفاء للبريد شخص مخصوص يتولى أمره بتنفيذ ما يصدر وتلقى ما يرد، يُعبر عنه بـ «صاحب البريد». ومن تعترض إلى ذلك أبو جعفر النعمان في كتابه «صناعة الكتاب» في الكلام على أرباب الوظائف، وأشتقاق أمتائهم. وقد أشار إليه الجوهري في صحاحه أيضا فقال: ويقال أريد صاحب البريد إلى الأمير فهو مريد يعني أرسل إليه البريد.

ثم قد تقدم في مقدمة الكتاب في الكلام على صاحب ديوان الإنشاء وماله التحدث عليه - أن صاحب ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية هو المتولى لأمر البريد وتنفيذ أموره في الإيراد والإصدار. وكان للبريد ألواح من فضة مخلدة بديوان الإنشاء تحت أمر كاتب السر بالأبواب السلطانية، مَنقوش على وجهي اللوح نقشا مزدوجا ماصورته: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأوكره المشركون». ضرب بالقاهرة المحروسة. وعلى الوجه الآخر ماصورته: «عز مولانا السلطان الملك الفلاني: فلان الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين. فلان: ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الفلاني فلان، خلد الله ملكه». وفي ذلك اللوح نقب معلق به شربة من حريير أصفر ذات بتدين، يجعلها البريدي في عنقه، بإدخاله رأسه بين البتدين، ويصير اللوح أمامه تحت ثيابه. والشربة خلفه من فوق ثيابه. فإذا خرج بريدي إلى جهة من الجهات، أعطى لوحا من تلك الألواح، يُعلقه في عنقه، على ما تقدم ذكره، ويذهب إلى جهة قصده، فكل من رأى تلك الشربة خلف ظهره علم أنه بريدي. وبواسطة

ذلك تُذْعَنُ لَهُ أَرْبَابُ الْمَرَآكِرِ بِتَسْلِيمِ خَيْلِ الْبَرِيدِ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَذْهَبَ  
وَيَعُودَ ، فَيُعِيدُ ذَلِكَ اللَّوْحَ إِلَىٰ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ .

وكذلك الحُكْمُ فِي دَوَابِّ الْإِنْشَاءِ بِدِمَشْقَ وَعَلَبَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ ،  
لَا يَخْتَلِفُ الْحُكْمُ فِي ذَلِكَ إِلَّا فِي الْكِتَابَةِ بِحَلِّ ضَرْبِ اللَّوْحِ . فَإِنْ كَانَ بِدِمَشْقَ  
كُتِبَ : «ضُرِبَ بِالشَّامِ» . وَإِنْ كَانَ بِعَلَبَ كُتِبَ : «ضُرِبَ بِعَلَبَ الْمَحْرُومَةِ»  
وكذلك باقى الممالك .

## الفصل الثانى

من الباب الأول من الخاتمة فى ذكر مرآكِرِ البريد

وهى الأماكِرُ التى تَقِفُ فيها خَيْلُ الْبَرِيدِ لِتَغْيِرَ خَيْلَ الْبَرِيدِيَّةِ فِيهَا فَرَسًا بَعْدَ  
فَرَسٍ ، قَالَ فِي «التعريف» : وَلَيْسَتْ عَلَى الْمَقْدَارِ الْمُقَدَّرِ فِي الْبَرِيدِ الْمُحَرَّرِ ، بَلْ هِيَ  
مُتَّفَاوِئَةٌ الْأَبْعَادِ ، إِذْ أَبْجَلَّتِ الضَّرُورَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ : تَارَةً لُبْعُدِ مَاءٍ ، وَتَارَةً لِلأُنَيْسِ بِقَرْيَةٍ ،  
حَتَّىٰ إِنَّكَ لَتَرَىٰ فِي [ هَذِهِ ] الْمَرَآكِرِ الْبَرِيدِ الْوَاحِدَ بِقَدْرِ بَرِيدَيْنِ . وَلَوْ كَانَتْ عَلَى  
التَّحْرِيرِ [ الذى عَلَيْهِ الْأَعْمَالُ ] لَمَا كَانَ تَفَاوُتٌ . وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنِ  
فَضْلِ اللَّهِ وَرَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التعريف» مَا أُرْبَىٰ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَقْصُودِ وَزَادَ ، وَهُوَ بِذَلِكَ  
أَدْرَىٰ وَأَدْرَبُ . وَهَؤُنَا أَذْكَرُ مَا ذَكَرَهُ ، مَوْضَعًا لِمَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى التَّوَضُّيْحِ ، مَعَ  
الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ وَتَقْرِيْبِ التَّرْتِيْبِ .

وَيَشْتَمَلُ عَلَى سِتَّةِ مَقَاصِدَ :

## المقصود الأول

(في مَرَاكِرِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ المحروسة بالديار المصرية التي هي قَاعِدَةُ الْمَلِكِ ، وما يتفرع عنه من المَرَاكِرِ ، وما تنهى إليه مَرَاكِرُ كُلِّ جِهَةٍ )

إعلم أن الذي يتفرع عن مَرَاكِرِ القلعة ويتشعب منه أربع جهات ، وهي : جِهَةُ قُوصٍ من الوجه القبلي وما يتصل بذلك من أسوان وما يليها من بلاد النوبة ، وعيذاب وما بينها من سواكن . وجِهَةُ الإسكندرية من الوجه البحري . وجِهَةُ دِمياط من الوجه البحري أيضا ، وما يتفرع عنها من جِهَةِ غَزَّةَ من البلاد الشامية .

فأما مَرَاكِرُ قُوصٍ وما يليها : فن مَرَاكِرِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ المحروسة ، ومنها إلى مَدِينَةِ الْحِيزَةِ ، وهي قَاعِدَةُ الْأَعْمَالِ الْحِيزِيَّةِ ، وقد تقدم الكلام عليها في الكلام على بلاد المملكة في المقالة الثانية . ثم منها إلى زَاوِيَةِ أُمِّ حُسَيْنٍ ، وهي قرية من عمل الجيزة . قال في "التعريف" : والمَرَاكِرُ الآن مَبْنِيَّةُ الْقَائِدِ وهي على القرب من زاوية أُمِّ حُسَيْنِ المذكورة ، ثم منها إلى ونا وهي بَلَدَةٌ من عمل الْبَهْتَسِيِّ ، ثم منها إلى دَهْرُوطِ وهي بَلَدَةٌ من عمل الْبَهْتَسِيِّ أيضا . ثم منها إلى أفلوسنا ، وهي بَلَدَةٌ من عمل الْأَشْمُونِيِّينَ . ثم منها إلى مَبْنِيَّةِ بَنِي حَصِيبٍ ، وهي مَدِينَةٌ من عمل الْأَشْمُونِيِّينَ ، وقد تقدم الكلام عليها في المقالة الثانية . ثم منها إلى مَدِينَةِ الْأَشْمُونِيِّينَ ، وهي قَاعِدَةُ بِلَادِهَا ، وقد تقدم الكلام عليها في المقالة الثانية . ثم منها إلى ذِرْوَةِ سِرْبَامٍ وهي بَلَدَةٌ من عمل الْأَشْمُونِيِّينَ على قِمِّ الْخَلِيجِ الْيُوسُفِيِّ الْوَأَصِلُ مِنَ النَّبْلِ إِلَى الْفَيْوَمِ ، وتعرف بِذِرْوَةِ الشَّرِيفِ ، إضافة إلى الشَّرِيفِ تَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ تَغْلِبِ الَّذِي كَانَ عَصَى بِهَا فِي زَمَنِ الظَّاهِرِيِّينَ ، وسمت نفسه إلى الْمَلِكِ حَتَّى كَادَهُ الظَّاهِرُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَسَنَقَهُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وبها

(١) في معجم البلدان لياقوت : قُوصَنَا .

ديارُهُ وقصُوره والجامعُ الذي أنشأه بها إلى الآن . ثم منها إلى مدينة متفلوط ، وهي قاعدة الأعمال المتفلوطية التي هي أجلُّ خاصَّ السلطان . ثم منها إلى مدينة أُسيوط ، وهي قاعدة الأعمال الأسيوطية ، ومقرُّ نائب الوجه القبلي الآن ، وقد تقدم ذكرها في المقالة الثانية . ثم منها إلى طما ، وهي قريةٌ من عمل أُسيوط المقدمه الذكر على صفة النيل ، ثم منها إلى المراغة ، وهي بلدةٌ من عمل إنحيم . قال في "التعريف" : ورُبما سُميت المرائغ . ثم منها إلى بلسبورة وهي بلدةٌ من عمل إنحيم أيضا . قال في "التعريف" : ورُبما قيل بلبزورة بإبدال السين زايًا . ثم منها إلى جرجا ، وهي بلدةٌ من العمل المذكور ، ثم منها إلى البلينة ، وهي بلدةٌ من عمل قوص ، ويقال فيها البلينا بإبدال الهاء ألفًا . ثم منها إلى هو ، وهي بلدةٌ من عمل قوص أيضا ، قال في "التعريف" : ويلها الكوم الأحمر ، وهما من خاصَّ السلطان ، وعندهما ينقطع الريف في البرّ الغربي ، ويكون الرمل المتصل بدندري ويسمى حان دندري ، وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى في المقالة الثانية . ومنها إلى مدينة قوص قاعدة الأعمال القوصية ، وقد تقدم الكلام عليها في المقالة الثانية .

ثم من قوص تنقطع مراكز البريد ، ويتشعب الطريق إلى جهة أسوان وبلاد النوبة ، ووجه عيذاب وسواكن .

فمن أراد المسير إلى جهة أسوان ركب الهجن من قوص إلى أسوان ، ثم منها إلى بلاد النوبة .

ومن أراد المسير إلى عيذاب سار من قوص إلى كيان قفط على القرب من قوص .

قلت : ثم يسير في قفار وجبال ، من كيان قفط إلى ماء يسمى ليطه على مرحلة من الكيان ، به عين تتبع وليست جارية ، ثم منها إلى ماء يسمى السريع على القرب

من معدن الزمرد ، به عين صغيرة يُسْتَقَى منها من الماء ما شاء الله ، وهي لا تزيد ولا تنقص . ثم منها إلى حُمَيْثَرَة حيث قبر سيدي أبي الحسن الشاذلي ، وهناك عين ماء يُسْتَقَى منها . ثم منها إلى عَيْذَاب ، وهي قرية صغيرة على ضفة بحر القلزم في الشمال إلى الغرب ، وعلى القرب منها عين يُسْتَقَى منها .

وتقدير جميع المسافة من الكيمان إلى عَيْذَاب نحو عشرة أيام يسير الأتقال . على أنه في "مسالك الأبحار" قد ذكر أن الطريق إلى عَيْذَاب من شُعبَة على القرب من أسوان ، ثم يسير منها في بلاد عَرَبِ بُسْمُونِ بنِ عاصِمٍ إلى سَوَاكِن ، وهي قرية حاضرة البحر صاحبها من العرب ، وكُتِبَ السلطان انتهى إليه . على ما تقدم ذكره في الكلام على المكاتبات .



وأما الإسكندرية فالمرآة الموصلة بها في طريقين :

الطريق الأولى : الآخذة على الجبل الغربي ويسمى طريق الحاجر . والمسير فيها من مركز القلعة المتقدم ذكره إلى مدينة البحيرة . ثم منها إلى جزيرة القط ، وهي قرية من آخر عمل البحيرة من الجهة البحرية . ثم منها إلى وردان ، وهي قرية من عمل البحيرة . [ثم منها إلى الطرائف<sup>(١)</sup> . ثم منها إلى طيلاس وهي بلدة من عمل البحيرة أيضا وتعرف بزواية مبارك . قال في "التعريف" : وأهل تلك البلاد يقولون : آنبارك . ثم منها إلى مدينة دمنهور وتعرف بدمهور الوحش ، وهي قاعدة أعمال البحيرة ، ومحل مقام نائب السلطنة بالوجه البحري ، وقد تقدم الكلام عليها في المقالة الثانية . ثم منها إلى لوفين وهي قرية من عمل البحيرة . ثم منها إلى الإسكندرية .

الطريق الثانية : الآخذة في وسط العمران ، وتعرف بالوسطى .

(١) الزيادة من التعريف (ص ١٨٩) .

وهي من مركز القلعة إلى مدينة قُليوب قاعدة الأعمال القُليوبية ، وقد تقدم الكلام عليها في المقالة الثانية . ثم منها إلى مدينة منوف العليا ، وهي قاعدة الأعمال المنوفية ، وقد تقدم الكلام عليها في المقالة الثانية . ثم منها إلى مدينة المحلة المعروفة بالمحلة الكُبرى ، وهي قاعدة الأعمال الغربية ، وقد تقدم الكلام عليها في المقالة الثانية . وقد وهم في " التعريف " فساها محلة المرحوم بلدة من بلاد الغربية غيرها . ثم منها إلى النجيرية ، وهي مدينة من عمل الغربية . ثم منها إلى الإسكندرية .



وأما الطريق إلى دِمياط وعرزة ، فن مركز القلعة إلى سرباقوس ، وهي بلدة من ضواحي القاهرة ، وليس المركز في نفس البلد ، بل بالقرية المستجدة بجوار انحطاقه الناصرية التي أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على القرب من سرباقوس . قال في " التعريف " : وكان قبل هذا بالعش ، وكان طويل المدى في مكان مُقطع ، وكانت البريدية لا تزال تُشكى منه ، فصَلح بقله ، وحصل به الرفق لأموار لولم يكن منها إلا قُربة من الأسواق المجاورة لانحطاقه الناصرية وما يوجد فيها ، وأُنه بما حوّلها [ لكفى ] . ثم منها إلى بئر البيضاء ، وهي مركز بريد منفرد ليس حوله ساكنون . ثم منها إلى مدينة بُلبيس قاعدة الأعمال الشرقية ، وقد تقدم الكلام عليها في المقالة الثانية . قال في " التعريف " : وهي آخر المراكز السلطانية ، وهي التي تُسترى خيؤها من الأموال السلطانية ويقام لها السواس وتصرف لها العُوفات . ثم منها إلى السعيدية . ثم من السعيدية إلى أشموم الرمان قاعدة بلاد الدقهلية والمرتاحية ، وقد تقدم ذكرها في المقالة الثانية . ومنها إلى دِمياط ومن أراد عرزة . وقد تقدم أن مدينة بُلبيس هي آخر المراكز السلطانية . ثم السعيدية وما بعدها



إلى الخروبة تُعرف بالشهارة، خَيْلُ الْبَرِيدِ بِهَا مَقْرُورَةٌ عَلَى عُرْبَانِ دَوَى إِفْطَاعَاتٍ،  
 نَلِيهِمْ خَيْولٌ مُوظَّفَةٌ يَحْضُرُهَا أَرْبَابُهَا عِنْدَ هِلَالِ كُلِّ شَهْرٍ إِلَى الْمَرَكَزِ، وَتَسْتَعِيدُهَا  
 فِي آخِرِ الشَّهْرِ وَيَأْتِي غَيْرَهَا، وَمِنْ هُنَاكَ سُمِّيَتْ الشَّهَارَةُ . قَالَ فِي "التعريف" :  
 وَعَلَيْهِمْ وَالْ مَنْ قَبْلَ السُّلْطَانِ يَسْتَعْرِضُ فِي رَأْسِ كُلِّ شَهْرٍ خَيْالَ أَصْحَابِ النَّوْبَةِ  
 وَيُدَوِّغُهَا بِالْدَّاعِجِ السُّلْطَانِي . قَالَ : وَمَا دَامَتْ تَسْتَجِدُّ نَهْيَ قَائِمَةٍ ، وَمَتَى أَكْثَرَى  
 أَهْلُ نَوْبَةٍ مِمَّنْ قَبْلَهُمْ فَسَدَّتِ الْمَرَكَزَ ، لِأَنَّ الشَّهْرَ لَا يَمِيلُ وَفِي خَيْلِ الْمُنْسَلِخِ قُوَّةٌ ،  
 لَا سِيَّامًا وَالْعَرَبُ قَلِيلَةٌ الْعَلْفُ .

وأول هذه المراكز السعيدية المقدم ذكرها ، ثم منها إلى الخطارة ، ثم منها إلى قبر  
 الوايلي . قَالَ فِي "التعريف" : وَقَدْ اسْتَجِدَّ بِهِ أُنْبِيَّةٌ وَأَسَاقِئٌ وَبَسَائِينُ حَتَّى صَارَ  
 كَأَنَّهُ قَرْيَةٌ . ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الصَّالِحِيَّةِ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ لَطِيفَةٌ . قَالَ فِي "التعريف" : وَهِيَ  
 آخِرُ مَعْمُورِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى بئر عَفْرَى ، وَإِلَى هَذَا الْمَرْكَزِ يَجْلِبُ الْمَاءُ  
 مِنْ بئرِ وِراءِهِ . وَمِنْهَا إِلَى الْقُصَيْرِ . قَالَ فِي "التعريف" : وَقَدْ كَانَ كَرِيمُ الدِّينِ وَكَيْلُ  
 الْخَاصِّ يَجِيءُ بِهَا خَانًا وَمَسْجِدًا وَمِثْدَنَةً ، وَعَمِلَ سَاقِيَةً ، فَتَهْتَمُّ ذَلِكَ كُلُّهُ ، وَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ  
 مِنْ يَجْدَدِهِ ، وَيَقْبِيتِ الْمِثْدَنَةَ خَاصَّةً ، وَرَتَّبَ بِهَا زَيْتًا لِلتَّنْوِيرِ . قَالَ : وَهَذَا الْقُصَيْرُ  
 يَقَارِبُ الْمَرْكَزَ الْقَدِيمَ الْمَعْرُوفَ بِالْعَاقُولَةِ الْمُقَارِبِ لِقَنْطَرَةِ الْحَمِيرِ الْحَارِي نَحْتَهَا فَوَاضِلُ  
 مَاءِ النَّيْلِ أَوْ أَنَّ زِيَادَتَهُ إِذَا نَجَرَ إِلَى الرَّمْلِ . ثُمَّ مِنْهَا إِلَى حَبْوَةَ . قَالَ فِي "التعريف" :  
 وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ وَلَا بِنَاءٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ مَوْقِفٌ يَقِفُ بِهِ خَيْلُ الْعَرَبِ الشَّهَارَةَ ، وَيُجْلِبُ  
 الْمَاءَ إِلَيْهَا مِنْ بئرِ وِراءِهَا . ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الْغَرَابِيِّ . ثُمَّ مِنْهَا إِلَى قَطِيَا ، وَهِيَ قَرْيَةٌ  
 صَغِيرَةٌ بِهَا تُؤْخَذُ الْمُرْتَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ مِنَ التُّجَّارِ الْوَارِدِينَ إِلَى مِصْرَ وَالصَّادِرِينَ عَنْهَا ،

وهناك رمل بالطريق يُنم في الليل ويحفظ ما حوله بالعربان ، حتى لا يمر أحدٌ ليلًا . فيكون من القاهرة إلى قطيا اثنا عشر بريرًا . ثم منها إلى صبيحة نخلة معن . قال في " التعريف " : ومن الناس من يقتصر على إحدى هذه الكلمات في تسميتها . ثم منها إلى المطيب ، ثم منها إلى السوادة . قال في " التعريف " : وقد حوّلت عن مكانها فصار المسافر لا يحتاج إلى تعريج إليها . ثم منها إلى الورداء ، قال في " التعريف " : وهي قرية صغيرة بها مسجدٌ على قارعة الطريق ، بناه الملك الأشرف « خليل » بن المنصور قلاوون بعمده الله برحمته ، حصل به الرقّ بميت السفارة به . قال : وقد كان نخر الدين كاتب الممالك جى إلى جانيه خاناً فيبع بعده . ثم منها إلى ير القاضى . قال في " التعريف " : والمدى بينهما بعيدٌ جداً يملّه السالك . ومنها إلى العريش . قال في " التعريف " : وقد أحسن كريم الدين رحمه الله بعمل ساقيةٍ سييل به وبناء حانٍ حصين فيه يأوى إليه من أجهاء المساء ، وينام فيه آمنًا من طوارق الفرج . ثم منها إلى الخروبة ، وبها ساقيةٌ وحنانٌ ، بناهما نخر الدين كاتب الممالك ، حصل به من الرقّ والأمن ما بالعريش . قال في " التعريف " : وهذا آخر مراكز العرب الشهارة . ثم مما يليها خيل السلطان دوات الإصطبلات والتقدم تُسرى بمال السلطان وتُلق منه ، وأولها الزعقة ، ثم منها إلى رفق ، ثم منها إلى السلقة . قال في " التعريف " : وكان قبل هذا المرسكر بيتر طرفنطاي حيث الخميز ويسمى سطر . قال : وكانت في نقله إلى السلقة المصلحة . ثم منها إلى الداروم ، ثم منها إلى غزة . يكون من قطيا إلى غزة أحد عشر مرسكرًا .

## المقصد الثاني

( في مَرَاكِزِ غَزَّةَ وما يتفرَّع عنه من البلاد الشامية )

والذى يتفرَّع عنه مَرَاكِزُ ثَلَاثِ جِهَاتٍ ، وهى : الكركُ ، ودمشقُ ، وصيدُ .

فأما الطريق إلى الكرك : فمن غَزَّةَ إلى مَلَاكس وهو مَرَكزُ بَرِيدٍ ، ثم منها إلى بَلَدِ الحليل عليه السلام ، ثم منها إلى جنبا ، ثم منها إلى الصافية ، ثم منها إلى الكرك .

وأما مَرَاكِزُ دِمَشقُ : فمن غَزَّةَ إلى الحنينين ، وهو مَرَكزُ بَرِيدٍ ، ومنها إلى بَيْتِ دَارِسٍ ، والناس يقولون : تدارس ، وبها خانُ بَنَاهُ نَاصِرُ الدِّينِ خَزندار تنكر . قال في "التعريف" : وكان قديماً بياسور ، وكان قريب المدى نُقِلَ وكانت المصلحةُ في نقله ، ثم منها إلى قطرى . قال في "التعريف" : وهو مَرَكزُ مُسْتَجِدِّ كان المُشِيرُ به طاجار الدوادار الناصرى ، وبه بُرُ سَبِيلٍ وَأَنَارٌ له . قال : وقد حصل به رِفَقٌ عَظِيمٌ بعد ما بين [لُدُو بَيْتِ دَارِسٍ] أو ياسور ، ثم منها إلى لُدٍّ ، ثم منها إلى العوجاء . قال في "التعريف" : وهى زوراء عن الطريق ، ولو نُقِلَتْ منه لكان أرفق ، ثم منها إلى الطيرة . قال في "التعريف" : وبها خانٌ كان قد شَرَعَ في بِنَائِهِ نَاصِرُ الدِّينِ دَوادار تنكر ثم كُتِلَ بِيَدِ غَيْرِهِ . ثم منها إلى قاقون ، ثم منها إلى حَمَّةَ [ثم منها إلى جيبين] . قال في "التعريف" : وهى على صَفَدٍ ، يعنى القيام به ، وبه خانٌ لَطَّاجار الدَّوادار ، حَسَنُ البِنَاءِ جَلِيلُ النَّمْعِ ، ليس على الطريق أَحْصَنُ منه ولا أَحْصَنُ ، ولا أَزِيدُ نَمْعاً منه ولا أَزِينُ .

(١) ياض بأصنه وانصحح من التعريف (ص ١٩١) .

ومن أراد دِمَشْقَ وما يليها سَارَ من جِيبِينَ إلى دَرَعِينَ . قال في "التعريف" :  
 ومنها ينزل على عَيْنِ جَالُوتَ ، وهو مَرْكَزٌ مُسْتَجِدٌّ حصل به أعظم الرِّفْقِ والرَّاحَةِ من  
 العَقَبَةِ التي كان [يُسَلِّكُ] <sup>(١)</sup> عليها بين جِيبِينَ وبيسَانَ مع طُولِ المَدَى . ثم منها إلى  
 بَيْسَانَ ، ثم منها إلى المَجَامِعِ . قال في "التعريف" : وهو مَرْكَزٌ مُسْتَجِدٌّ عِنْدَ جَبْرِ  
 سَامَةَ ، كُنْتُ أنا المشير به في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وحصل به الرِّفْقُ لبعْدِ  
 ما كان بين بَيْسَانَ وزحر . قال : وقد كان الطريق قَدِيمًا من بَيْسَانَ على طَبِيبَةِ آسَمِ ،  
 ثم إلى أَرَبَدَ ، وكانت غَايَةَ في المَشَقَّةِ ، إذ كان المسافرُ ما بين بَيْسَانَ وطَبِيبَةِ آسَمِ يحتاج  
 إلى خَوْضِ الشَّرِيعَةِ ، وبها معدية للفَارِسِ دون الفَرَسِ ، وإنما يعبرُ فيها الفَرَسُ  
 سِبَاحَةً ، وكان في هذا من المَشَقَّةِ ما لا يوصف ، لا سيما أيامَ زيادة الشَّرِيعَةِ وكَلْبِ  
 البَرْدِ : لقطع المَاءِ ومُعَانَاةِ العِقَابِ التي لا يُسْقِئُهَا جَنَاحُ العُقَابِ . ولكن الأمير  
 الطنبغا كَافِلُ الشَّامِ رحمه الله ثَقَلَ هذه الطَّرِيقَ وجعلها على القُصَيْرِ حيثُ هي اليوم ،  
 ونقل المَرْكَزَ من الطَّبِيبَةِ إلى زحر حين غَرِقَ بمَضِّ البَرِيدَةِ الجَلِيلِينَ بالشَّرِيعَةِ . ثم من  
 المَجَامِعِ المذكورة إلى زحر ، ثم منها إلى أَرَبَدَ ، ثم منها إلى طَفَسَ ، ثم منها إلى الجَامِعِ .  
 قال في "التعريف" : وكان قَدِيمًا في المكان المسمى برأس المَاءِ ، فلما تَلَكَّهُ الأميرُ  
 الكبيرُ تَكَرَّرَ كَافِلُ الشَّامِ رحمه الله ثَقَلَ المَرْكَزَ منه إلى هذا الجَامِعِ ، فقَرَّبَ به المَدَى  
 فيما بينه وبين طَفَسَ ، وكان بَعِيدًا فما جاء إلا حَسَنًا . ثم منها إلى الصَّمَمِينَ ، ثم منها  
 إلى عُبَايِبَ ، ثم منها إلى الكُوسَةِ ، ثم منها إلى دِمَشْقَ المحروسة .

وأما الطريق المُوَصَّلَةَ إلى صَفَدَ : فمن جِيبِينَ المَقْدَمِ ذِكْرُهَا إلى تَيْبِينَ ، ثم منها  
 إلى [حِطَّينَ] <sup>(١)</sup> وبها قبر شُعَيْبٍ عليه السلام ، ثم منها إلى صَفَدَ .

(١) يفاض بالأصل والتصحيح من التعريف (ص ١٩٢) .

## المقصود الثالث

( في ذكر مركزِ دِمَشْقَ وما يتفرعُ عنه من المراكزِ الموصلة  
إلى حِمَصَ وحمّاةَ وحلبَ ، وإلى الرّحبةِ ، وإلى طرَابُلُسَ ، وإلى جَعْبَرَ ، ومِصْيَافَ  
ويُزْرَةَ وصَيْدَا وبَعْلَبَكَّ والكركِ وأذْرِعَاتِ )

أما طريق حلب : فقال في "التعريف" : من دِمَشْقَ إلى القُصَيْرِ . والذي  
رأيتُه في بعض الدساتير أنه من دِمَشْقَ إلى خَانَ لَاجِبِينَ ، ثم إلى القُصَيْرِ . قال  
في "التعريف" : ثم من القُصَيْرِ إلى القَطِيفَةِ ، ثم منها إلى القَسَطَلِ . ورأيتُ  
في الدُستور المذكور أن من القُصَيْرِ إلى خَانَ الوَالِي ، ثم إلى خَانَ العُرُوسِ . ثم إلى  
القَسَطَلِ ، ثم منها إلى قَارَا ، ثم منها إلى بَرِيحِ العَطَشِ ويقال فيه البريخ أيضا .  
قال في "التعريف" : وقد كان مَقْطَعُ طَرِيقِ ، ومَوْضِعُ خَوْفَ ، فَبَيَّ به قاضي  
القضاء نعيم الدين أبو العباس أحمد بن حصرى رحمه الله مسجداً وبركةً ، وأجرى  
النَّاءَ إلى البركة من ملك كان له هناك وَقَفَهُ على هذا السَّيْلِ ، فَبَدَّلَ الخَوْفَ أُمَّنَاءَ ،  
وَالوَحْشَةَ أُمَّنَاءَ ، أَنَابَهُ الله على ذلك . ثم منها إلى العَسُولَةِ ، ثم منها إلى شَمْبِينَ ،  
ثم منها إلى حِمَصَ ، ثم منها إلى الرُّسْتَيْنِ ، ثم منها إلى حمّاةَ ، ثم منها إلى أَطْمِينِ ،  
ثم منها إلى طرَابُلُسَ . ثم منها إلى المَعْرَةَ ، ثم منها إلى أنقرانا ، ثم منها إلى إيادِ ، ثم منها  
إلى قَنَمِيرِينَ ، ثم منها إلى حلب .

وأما طريق الرّحبةِ : فمن القَطِيفَةِ المَقْدَمَةِ الذَّكْرَ إلى العَطْنَةِ . قال في "التعريف" :  
وليس بها مَرْكَزٌ ، وإنما بها خَانٌ تُفَرَّقُ به صَدَقَةٌ من الخُبْزِ والأَحْدِيَةِ ونَعَالِ الدَّوَابِّ  
إلى جُلَيْجِلَ ، ثم منها إلى المَصْنَعِ . ثم منها إلى القَرِيَّتَيْنِ ، ثم منها إلى الحُسْبِرِ ، ثم منها  
إلى البَيْضَاءِ ، ثم منها إلى تَدْمُرَ ، ثم منها إلى أَرْدِكِ ، ثم منها إلى السُّخْنَةِ ، ثم منها إلى

قُبَابِقْ، ثم منها إلى كَوَائِلَ . قال في "التعريف" : وهو اليوم عُظْل . ثم منها إلى الرُّحْبَة وهي حَمْدُ هذه المملكة .

وأما طريق طَرَابُلُسَ : فنِ الْعَسْوَلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرُ [ إلى القصب ، ثم منها إلى قَدَس ] إلى أفسار، ثم منها إلى الشَّعْرَاءِ، ثم منها إلى عرقاء، ثم منها إلى طَرَابُلُسَ .

وأما طريق جَعْبَرٍ وما يليها : فنِ حِمَصِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرُ إلى سَلْمِيَّةَ ، ثم منها إلى بُغْيَدِيدَ، ثم منها إلى سُورِيَا، ثم منها إلى الحص ، ثم منها إلى جَعْبَرِ، إلى عَيْنِ بَدَالِ، ثم منها إلى صِهْلَانَ، ثم منها إلى الخَلَابُورِ، ثم منها إلى رَأْسِ عَيْنِ .

وأما طريق مِصْيَافَ : فنِ حِمَصِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرُ إلى مِصْيَافَ .

وأما طريق صَفَدَ : فنِ دِمَشْقِ إلى بَرِيحِ الفلوس ، ومنه إلى أُرَيْفِيَّةَ ، ومنها إلى لغران ، ومنها إلى صَفَدَ .

وأما طريق بَيْرُوتَ : فنِ دِمَشْقِ إلى حَانَ مِيسَلُونَ ، ومنها إلى زُبْدَانَ، ومنها إلى الحُصَيْنِ ، ومنها إلى بَيْرُوتَ .

وأما طريق صَيْدَاءَ : فنِ دِمَشْقِ إلى حَانَ مِيسَلُونَ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ ، إلى جَرِيرَةَ صَيْدَاءَ ، إلى نَكْرَكِ نُوحَ ، ثم منه إلى بَعْلَبَكِ . قال في "التعريف" : وأعلم أن من صَيْدَاءَ إلى بَيْرُوتَ قَدْرُ مَرَكْرَكِ .

وأما بَعْلَبَكِ ، فلها طريقان : إحداهما من حَانَ مِيسَلُونَ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ إلى نَكْرَكِ نُوحَ إلى بَعْلَبَكِ . والثانية من دِمَشْقِ إلى الزُّبْدَانِيَّ إلى بَعْلَبَكِ .

ومن أراد من بَعْلَبَكِ حِمَصَ ، توجّه منها إلى القَصَبِ ، ثم إلى الْعَسْوَلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، وبعدها شَمْسِينَ ، ثم حِمَصُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وأما طريق الكرك : فمن دمشق - في المراكز المذكورة في الوصول من غزرة إلى دمشق - على عكس ما تقدم ، إلى طفس ، ومنها إلى القنينة ، ومنها إلى البرج الأبيض ، ومنها إلى حبات ، ومنها إلى [ ديباج ]<sup>(١)</sup> ومنها إلى [ اكرية ]<sup>(٢)</sup> ومنها إلى الكرك .

وأما طريق أدرعات ، مقرر ولاية الولاية بالصغمة القليلة : فمن طفس المقدمة المذكور إلى أدرعات . قال في " التعريف " : فهذه جملة مراكز دمشق إلى كل جهة .

قال : فأما مقدار الولايات ، فمن كل واحدة إلى ما يليها ، حتى يتوصل المسافر على البريد إلى حيث أراد .

### المقصد الرابع

( في مركز حلب وما يتفرع عنه من المراكز الواصلة إلى البيرة وبهسنى وما يليها ، وقلعة المسلمين المعروفة بقاعة الروم ، وآياس مدينة الفتوحات الجاهلية ، وجعبر )

فأما الطريق الموصلة إلى البيرة : فمن حلب إلى الباب ، ثم منها إلى الساجور ، ثم منها إلى كلناس<sup>(٢)</sup> ، ثم منها إلى البيرة ، وهي في البر الشرقي من القرات . قال في " التعريف " : وهي أجل تغورها<sup>(٣)</sup> .

(١) يرض بالأصل ، والتصحيح من التعريف (ص ١٩٤) .

(٢) لم يذكرها التعريف .

(٣) عبارة التعريف : « والبيرة أجل فلاء الاسلام ، وغقاتل المعافل التي لم تنفرع على طول الأيام »

ظعن ما هذا رواية عن نسخة أخرى وقعت بيد المؤلف (انظر ص ١٩٣) .

وأما طريق بهسني وما يليها : فمن حلب إلى السحوقه ، ثم منها إلى مستدرا ،<sup>(١)</sup>  
 [ ثم منها إلى بيت الفار ]<sup>(٢)</sup> ثم منها إلى عيقتاب ، ثم منها إلى بهسني .

ثم منها يُدخَل إلى جهة قيسارية والبلاد المعروفة الآن ببلاد الروم وهي بلاد  
 الدروب . قال في "التعريف" : وقد استَضَفْنَا نَحْنُ (بمعنى أهل هذه المملكة)  
 في هذا الحيز القريب إلينا منها : قيسارية ودرندة ، وإنما المستقر المعروف أنَّ  
 آخر حد المسالك الإسلامية من هذه الجهة - بهسني .

وأما طريق قلعة المسلمين وما يليها : فمن عيقتاب المقدمة المذكور إليها ، وهي وسط  
 العرات ، وهو خُلجان دائرة عايبا . ثم من قلعة المسلمين إلى جسر الحجر ، ثم إلى  
 الكفتا ، وهي آخر الحد من الطرف الآخر .

وأما طريق آياس : فمن حلب إلى أرتاب ، ثم منها إلى تيزين ، ثم منها إلى يفرأ ،  
 ثم منها إلى بفراس ، قال في "التعريف" : وهي كانت آخر الحد مما يلي بلاد  
 الأرمن . قال : وقد استَضَفْنَا نَحْنُ في هذا الحيز ما استَضَفْنَا ، فصار من بفراس  
 إلى باياتس ، وهي أول جبل الأرمن ، ثم من باياتس إلى آياس .

وأما طريق جعبر : فمن حلب إلى الجبول ، ثم منها إلى باليس ، ثم منها إلى جعبر .  
 قال في "التعريف" : هذه جملة مراكز حلب . أما بقايا القلاع ومقار الولايات ،  
 فمن شعب هذه الطرق ، أو من واحدة إلى أخرى .

(١) في التعريف مستدرا .

(٢) الزيادة من التعريف (ص ١٩٥) .



## المقصود الخامس

(في مركز طرابلس وما يتفرع عنه من المراكز الموصلة إلى جهاتها)

فأما طريق اللاذقية : فمن طرابلس إلى سرقية ، ثم منها إلى بليانس ، ثم منها إلى اللاذقية ، ثم منها إلى صهيون ، وهي قلعة جليلة كانت دار ملك . ثم منها إلى بلاطنس ، قال في "التعريف" : ومن شاء فمن صهيون إلى برزيه ، وهو حصن شمي باسم من عموره أو عرف بملكه ، ومن شاء فمن بلاطنس إلى العليقة أول قلاع الدعوة مما يلي بلاطنس ، ثم منها إلى الكهف ، ثم منها إلى القدموس ، ثم منها إلى الخواي ، ثم منها إلى الرصافة ، ثم منها إلى مصياف . قال في "التعريف" : فهذه جملة مراكز طرابلس . فأما مقار الولايات فمن واحدة إلى أخرى ، ثم ذكر جميع مراكز البريد بالملك المحروسة .

قال : فأما من أطراف ممالكا إلى حضرة الأردو ، حيث هو ملك بني هولوكو ، فلهم مراكز تسمى خيل الأوقاق وخيل الأيام يجعل عليها ، لا تشتري بمال السلطان ولا يكلف تمتمها ، وإنما هي على أهل تلك الأرض ، نحو مراكز العرب في رمل مصر ونحو ذلك .

## المقصود السادس

(في معرفة مراحل الحجاز الموصلة إلى مكة المشرفة والمدينة النبوية على ساكنها)

سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ، إذ كانت من

تمة الطرق الموصلة إلى بعض أقطار المملكة

وكما ضبطت تلك بالمراكز فقد ضبطت هذه بالمرجل . وعادة الحجاج أنهم يقطعون في كل يوم وليلة منها مرحلتين بسير الأثقال ، وديب الأقدام ، [ويقطعونها

كلها] في شهر، بما فيه من أيام الإقامة بالعقبة والينبع نحو ستة أيام . أما من يُسافر على النجيب مُحفًا مع الحدِّ في السير فإنه يقطعها في نحو أحد عشر .

ثم أول مصيرهم من القاهرة إلى البركة المعروفة ببركة الحاج، ثم منها إلى الوبي، ثم منها إلى الطليحات، ثم منها إلى المنفرح، ثم منها إلى مرا كع موسى، ثم منها إلى مجرود، وبها بُرِّمَ مَضَعُ ماءٍ مُتَّسِعٌ يَمْلَأُ مِنْهَا . ثم منها إلى المنصرف، ثم منها إلى وادي القباب، وهو كثير الرمل . ثم منها إلى أول تيه بنى إسرائيل، وهو وادٍ أَفِيحٌ مُتَّسِعٌ . ثم منها إلى العنق، ثم منها إلى نخيل، وبها ماء طيب . ثم منها إلى جسد الحى، ثم منها إلى بُرِّ بيدرأ، ثم منها إلى تمد الحصا، ثم منها إلى ظُهر العقبة، ثم منها إلى سَطْحِ العقبة، وهو عُرْقُوبُ البغلة على جانب طَرْفِ بَحْرِ القلزم، وبها ماء طيبٌ من حَفَائِرِ . ثم منها إلى حَفْرٍ على جانب طَرْفِ بَحْرِ القلزم، وبها ماء طيبٌ من الحفائر . ثم منها إلى عَشِّ العُراب، ثم منها إلى آحر الشرفة، ثم منها إلى مَعَارِةِ شُعَيْبٍ، وبها ماءٌ وَمَضَعٌ . ثم منها إلى وادي عَقَّان، ثم منها إلى ذَاتِ الرَّحِيمِ، ثم منها إلى عِيُونِ القَصَبِ، وبه ماءٌ نَائِبٌ وَأَبْحَةٌ قَصَبٌ نَائِبَةٌ فِيهَا . ثم منها إلى المُوَيْلِحَةِ، وبها ماءٌ فِي آبَارِ . ثم منها إلى المُدْرَجِ، ثم منها إلى سَلْمَى مَجَاوِرِ بَحْرِ القلزم، وبها ماءٌ مَلْحٌ . ثم منها إلى الأنيالات، ثم منها إلى الأزتم، والناس يقولون: الأزتم باللام بدل النون، وبه آبارٌ بها ماءٌ رَدِيٌّ يُطْلِقُ بَطْنَ مَنْ شَرِبَهُ، لا يسقى منه غالبًا إلا الجمال، وهى نِصْفُ الطَّرِيقِ . ثم منها إلى رَأْسِ وادِي عَنتر . ثم منها إلى الوَجْهِ، وبه آبارٌ قَلِيلَةُ المَاءِ، وما هو داخل الوادِي يَمِزُّ المَاءَ فِيهِ ظَلْبًا ولا يُوجَدُ فِيهِ إِلا حَفَائِرُ، ويقال: إنه إذا طَلَمَتِ الشَّمْسُ هَلِيسَهُ نَضَبَ مَأْوِهِ، وفيه يقول بعض من حجَّ من الشعراء وعزَّ عليه وجودُ الماءِ فِيهِ :

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ " قَلَّ حَيَاؤُهُ، " وَلَا خَيْرَ فِي "وَجْهِ" بِخَيْرِ حَيَاءِ!

ثم منه إلى المخاطب ، ثم منها إلى أكر ، ثم منها إلى رأس القاع الصغير ، ثم منه إلى قبر القروي ، ثم منه إلى كلفا ، ثم منها إلى آخر القاع الصغير ، ثم منه إلى الحوراء ، وبها ماء غير صالح . ثم منها إلى العقيق بضم العين تصغير عقيق بفتحها ، وهو مضيق صعب . ثم منها إلى مغارة نبط ، وبها ماء عذب ليس بطريق الحجاز أطيب منه . ثم منها إلى وادي الثور ، ثم منها إلى قبر أحمد الأعرج الدليل ، ثم منه إلى آخر وادي الثور ، ثم منه إلى رأس السبع وعمرات ، ثم منها إلى دار البقر ، ثم منها إلى الينبع ، وهي النصف والرابع من الطريق . وبها تقع الإقامة ثلاثة أيام أو نحوها ، وبها يودع الحجاج ما ثقل عليهم إلى حين العود ، ويستعيرون منها مما يصل إليها من الديار المصرية في سفن بحر القلزم . ثم منها إلى المخاطب في الوعر . ثم منها إلى رأس وادي بدر ، وهي منزلة حسنة بها عيون تجري وحدائق . ثم منها إلى رأس قاع البروة ، ثم منه إلى وسط قاع البروة ، ثم منه إلى رابع ، وهو مقابل الجحفة التي هي بركات الإحرام لأهل مصر ، وبها يحرم الحجاج ولا يغشون الجحفة ، إذ قد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بقلحى المدينة إليها بقوله : «وأقلحها إلى الجحفة» فلو مر بها طائر لحم . ثم منها إلى قديد بضم القاف . ثم منه إلى عقبة السويق ، ثم منها إلى خليص ، وبه مصنع ماء . ثم منها إلى عسفان ، ثم منها إلى مدرج على ، وهو كثير الوعر . ثم منه إلى بطن مر ، والعامه يقولون : مرو ، بزادة واو ، وبه عيون تجري وحدائق . ثم منه إلى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمتها ، ثم من مكة إلى منى ، وبها ماء طيب من آبار تحفر ، ثم منها إلى المشعر الحرام والمزدلفة ، ثم منها إلى عرفة وهي الموقف ، وإليها ينتهي سفر الحجاج .

ثم العود في المنازل المتقدمة الذكر إلى وادي بدر على عكس ما تقدم .

## الطريق إلى المدينة النبوية

(على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)

من مِضْرَ في المَرَاجِلِ المُنْتَقِمَةِ الذَّكْرُ ، إلى وَادِي بَدْرِ المُنْتَقِمَةِ الذَّكْرُ ، إلى رَأْسِ  
وَادِي الصُّفْرَاءِ ، وبِهِ تَبَوُّؤُ تَجْرِي وَحَدَائِقُ وَأَشْجَارٌ . ثمَّ مِنْهَا إلى وَادِي نَبِيِّ سَالِمٍ ،  
ثمَّ مِنْهُ إلى وَادِي الغَزَالَةِ ، ثمَّ مِنْهُ إلى القَرَشِ ، ثمَّ مِنْهُ إلى يَثْرَعِيٍّ ، وبِهَا مَاءٌ طَيِّبٌ .  
ثمَّ مِنْهَا إلى المَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ  
وَالْأَكْرَامِ .

وَمَنْ شَاءَ ذَهَبَ إِلَيْهَا مِنَ الْيَنْبُوعِ إِلَى رَأْسِ تَقِيْبِ عَلِيٍّ عِنْدَ حَرْفِ الْجَبَلِ ، ثمَّ إِلَى  
وَادِي الصُّفْرَاءِ ، ثمَّ فِي المَرَاجِلِ المُنْتَقِمَةِ الذَّكْرُ إِلَى المَدِينَةِ . وَهِيَ أَقْرَبُ الطَّرِيقَيْنِ  
لِلذَّاهِبِ مِنْ مِضْرَ ، وَتِلْكَ أَقْرَبُ الْعَائِدِ مِنْ مَكَّةَ .

## الباب الثاني

من الخائمة في مطارات الحمام الرسائلي ، و ذكر أبراجها المقررة بطريق  
الديار المصرية والبلاد الشامية ، وفيه فصلان

## الفصل الأول

## في مطاراته

قد تقدم في الكلام على أوصاف الحمام - عند ذكر ما يحتاج إلى وصفه في أواخر  
مقاصد المكاتب من المقالة الرابعة - أن الحمام أسم جنس يقع على هذا الحمام  
المتعارف بين الناس ، وعلى ايتام والدباسي والقاري والقواخيت وغيرها ، وأن المتبادر  
إلى فهم السامع عند ذكر الحمام هو هذا النوع الخصوص ، وأن أغلاه قيمة وأعلاه  
رتبة الحمام الرسائلي ، وهو الذي يتخذهُ الملوك لحمل المكاتب ، ويعبر عنه بـ«الهدى» .  
وتقدم هناك الكلام على ذكر ألوانها على اختلافها ، وعدد الرياش المعبرة فيها ، وهي  
رياش أجنحتها وأذناها ، وبيان الفرق بين الذكر والانثى ، وصفة الطائر الفاردي ،  
والفراصة في تجارته في حال صغره ، والزمان والمكان اللاتين بالإفراج ، وما يجري  
تجرى ذلك مما يحتاج إليه الكاتب عند وصفه لبيان العجيب منه من غيره ، فأغنى  
عن ذكره هنا .

والمتخص منه بهذا المكان ذكر الاعتناء بهذا الحمام ، وأول من أهتم بشأنه ،  
واعتنى بأمره ، ومن قام به من الملوك ، ومسافات طيرانه ، وما يجري هذا  
التجسري .

فأما الاعتناء به والأهتمام بشأه - فقد أعنى به في القديم خلفاء بني العباس :  
 كالمهدي ثالث خلفائهم ، والناصر منهم . وتنافس فيه رؤساء الناس في العراق لاسيما  
 بالبصرة . فقد ذكر صاحب "الروض الماطر" أنهم تنافسوا في آفنتائه ، ولهجوا  
 يذكروه ، وبالغوا في أمثاله ، حتى بلغ ثمن الطائر الفاره منها سبعمائة دينار . ثم قال :  
 ويقال : إنه بلغ ثمن طائر منها جاء من خليج القسطنطينية ألف دينار . قال :  
 وكانت تباع بيضنا الطائر المشهور بالقراءة بعشرين ديناراً ، وأنه كان عندهم ذفاًر  
 بأنساب الحمام كأنساب العرب ، وأنه كان لا يمتنع الرجل الخليل ولا الفقيه  
 ولا العدل من اتخاذ الحمام ، والمنافسة فيه ، والإخبار عنها ، والوصف لأثرها ،  
 والتعت لمشهورها ، حتى وجه أهل البصرة إلى بكر بن شيبان البكراني قاضي مصر ،  
 (وكان في فضله وعقله ودينه وورعه على ما لم يكن عليه قاض) بحمامات لهم مع  
 نقات ، وكتبوا إليه يسألونه أن يتولوا إرسالها بنفسه ، ففعل . وكان الحمام عندهم  
 متجراً من المتاجر ، لا يرون بذلك بأساً .

وذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" أن الحمام أول ما نشأ بالديار  
 المصرية والبلاد الشامية من الموصل ، وأن أول من أعنى به من الملوك [ونقله]  
 من الموصل الشهيد نور الدين بن زكي صاحب الشام رحمه الله ، في سنة تحميس  
 وستين وخمسمائة . وحافظ عليه الخلفاء القاطميون بمصر ، وبالغوا حتى أفردوا له  
 ديواناً وجرائد بأنساب الحمام . وصنف فيه الفاضل محيي الدين بن عبد الظاهر كتاباً  
 سماه : "تأيم الحمام" .

قلت : وقد سبقه إلى التصنيف في ذلك - أبو الحسن بن ملاحب القواريس  
 البغدادي ، فصنف فيه كتاباً للناصر لدين الله الخليفة العباسي ببغداد ، وذكر فيه

(١) رياض بالأصول ، والتصحيح من "التعريف" (ص ١٩٦) .

أسماء أعضاء الطائر ورِيشه ، والوشوم التي تُوسم في كلِّ عضو ، وألوان الطيور  
وما يُستحسن من صفاتها ، وكيفية إفراخها ، وبعد المسافات التي أرسلت فيها ،  
وذكر شيء من نوادرها وحكاياتها ، وما يجرى هذا الجري . وأظن أن كتاب القاضي  
محيي الدين بن عبد الظاهر نتيجة عن مُقدمته .

وأما مسافات طيرانه ، فقد تقدم أن الطائر الذي يسع بألف دينار طار من  
القسطنطينية إلى البصرة ، وأن الحمام أرسل من مصر إلى البصرة بحضرة القاضي  
بكار قاضي مصر .

وذكر ابن سعيد في كتابه " حيا المحل وجنى النحل " أن العزيز تاني خلفاء  
الفاطميين بمصر ، ذكر الوزير يعقوب بن كلث أنه ما رأى القراصية البعلبكية ،  
وأنه يحب أن يراها . وكان يدمشق حمام من مصر وبمصر حمام من دمشق ،  
فكتب الوزير لوقتِهِ بطاقة بأمر فيها من هو تحت أمره يدمشق أن يجمع ما بها من  
الحمام المصري ، ويعلق في كلِّ طائر حبات من القراصية البعلبكية ، ويرسلها إلى  
مصر ، ففعل ذلك ، فلم يمضِ النهار حتى حضرت تلك الحمام بما علق عليها من  
القراصية ، فجمعها الوزير يعقوب بن كلث وطلع به إلى العزيز في يومه ، فكان ذلك  
من أغرب الغرائب لديه .

وذكر أيضا في كتابه " المغرب في حل المغرب " أن الوزير البازوردي المغربي ،  
وزير المستنصر بالله الفاطمي وجه الحمام من تونس من أفريقيا من بلاد المغرب  
فشاء إلى مصر ، والعهد عليه في ذلك .

## الفصل الثاني

من الباب الثاني من الخاتمة في أبراج الحمام المقررة لإطارتها  
بالديار المصرية والبلاد الشامية

وهي من القواعد والطرق، على ما تقدم في البريد .

أما في المسافات فإنها تختلف، فإن مطارات الحمام ربما زادت على مرارة  
البريد .

الأبراج الآخذة من قلعة الجبل المحروسة  
إلى جهات الديار المصرية

قال في "التعريف" : وأعلم أن الحمام قد أقطع تدريجه من مصر إلى قوص  
وأسوان وعيناب . وهذا ظاهر في أن الحمام كان يدرج إلى هذه الأماكن ،  
ثم أهمل تدريجه بعد ذلك . قال : ولم يبق منه الآن إلا ما هو من القاهرة إلى  
الإسكندرية ، ومن القاهرة إلى دمياط ، ومن القاهرة إلى السويس من طريق  
الحاج ، ومن القاهرة إلى بلبيس متصلًا بالشام .

قلت : وأهل هذه الأبراج كلها يرجع قلعة الجبل المحروسة، ومنها التدرج إلى  
سائر الجهات .

ثم لم يذكر في "التعريف" : الأبراج الموصلة إلى أسوان وعيناب والإسكندرية  
ودمياط .

الأبراج الآخذة من قلعة الجبل إلى غزة

من بروج قلعة الجبل — إلى بلبيس ، ثم منها إلى الصالحية ، ثم منها إلى قنطا ،  
ثم منها إلى الورادة ، ثم منها إلى غزة .



## الأبراج الآخذة من غزّة وما يتفرّع عنها

إعلم أن الأبراج من غزّة تتشعب فيها مسارح الحمام إلى غير جهة دمشق وإلى جهتها .

فأما غير جهة دمشق ، فمن غزّة إلى بلد الخليل عليه السلام ، ومن غزّة إلى القدس الشريف ، ومن غزّة إلى نابلس .

وأما جهة الشام : فمن غزّة إلى لُد ، ومن لُد إلى قاقون ، ومن قاقون إلى جينين .  
ومن جينين تتشعب المسارح إلى غير جهة دمشق وإلى جهتها .

فأما ما إلى غير جهة دمشق : فمن جينين إلى صفد . وأما ما إلى جهة دمشق :  
فمن جينين إلى بيسان ، ومن بيسان إلى أربد ، ومن أربد إلى طقس ، ومن طقس  
إلى الصنمين ، ومن الصنمين إلى دمشق .

قال في "التعريف" : ومن كل واحد من هذه المراكز إلى ما جاور ذلك من  
المشاهير : مثل من بيسان إلى أذربايجان مقر ولاية الولاية بالصفقة القبلية ، ومن  
طقس إليها - لإشعار وإلى الولاية .

## الأبراج الآخذة من دمشق وما يتفرّع عنها

تتشعب مسارح الحمام من دمشق إلى غير جهة حلب ، وإلى جهتها .

فأما إلى غير جهة حلب : فتسرح من دمشق إلى بعلبك ، ومن دمشق إلى القرينين .

وأما ما هو إلى جهة حلب : فتسرح من دمشق إلى قاراء ، ثم من قاراء إلى حصص ،

ثم من حصص إلى حماة ، ثم من حماة إلى المعرة ، ثم من المعرة إلى حلب .

(١) سماها في معجم البلدان : قارة بالهـ .

### الأبراج الاخذة من حلب وما يتفرع عنها

يُرْجُ الحَمَام من حَلَب إلى البيرة ، ومن حَلَب إلى قلعة المسلمين ، ومن حَلَب إلى هسنى . قال في " التعريف " : وإلى بقية [ ماله شأف<sup>(١)</sup> ] مما حوَّها [ ثم من القرَّيتين إلى تدمر ، ومنها إلى السُّخنة ، ومنها إلى قُبَاقب ، ومنها إلى الرُّجبة . وقد تعطلَّ الآن تدرِجُ السُّخنة إلى قُبَاقب ، وإنما صار يسوق ببطائق تدمر الواقعة بالسُّخنة منها إلى قُبَاقب ، ثم يُسرح على الجناح من قُبَاقب إلى الرُّجبة<sup>(٢)</sup> ] . قال : وبما ذُكرتم ذكر مراكي الحَمَام في سائر المالك الإسلامية .

قلت : وقد تعطلَّ تدرِجُ الحَمَام الآن .

(٢) الزيادة من التعريف ليمَّ الكلام .

## الباب الثالث

من الخاتمة في ذكر هجن الثلج والمرآكِب المُعدَّة لحمل الثلج الذي يحمل  
من الشام إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية،  
وفيه ثلاثة فصول

## الفصل الأول

## في نقل الثلج

إعلم أن ماء نيل مصر لما كان من الحلاوة واللطافة على ما لا يساويه فيه نهر من  
الأنهار، على ما تقدم ذكره في الكلام على الديار المصرية في المقالة الثانية، مع شدة  
القيظ بها في زمن الصيف، وسخونة الهواء الذي قد لا يتأني معه تبريد الماء، وكان  
الثلج غير موجود بها، وكانت الملوك قد اعتادت الرفاهية مع اقتدارها على تحصيل  
الأشياء العزيرة، وولوعهم بجمعها من الأماكن البعيدة - إكمالاً لحال الرفاهية،  
وإظهاراً لأبهة الملك - دعاهم كمال الرفاهية والأبهة إلى جلب الثلج من الشام إلى  
مصر: لتبريد الماء به في زمن الحر. على أن ذلك كان في غيرهم من الملوك التي  
لا تثلج بحاضرهم.

وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" أن أول من حمل إليه الثلج  
الحجاج بن يوسف بالعراق. ثم لأعتناء ملوك مصر بالثلج قرروا له هجناً تحمله في البر  
وسمناً تحمله في البحر، حتى يصل إلى القلعة المحروسة.

## الفصل الثاني

من الباب الثالث من الخاتمة في المراكب المعدّة لنقل الثلج من الشام

قد ذكر في "التعريف" أنها كانت في أيام الملك الظاهر «بيبرس» نعمّده الله برحمته ثلاث مراكب في السنة، لا تزيد على ذلك . قال : ودامت على أيام سلطاننا (يعني الملك الناصر «محمد بن قلاوون») في السلطنة الثالثة، وبقيت صدراً منها، ثم أخذت في الترييد إلى أن بلغت أحد عشر مراكباً في مملكتي الشام وطرابلس، ورُبّما زادت على ذلك . قال : وآخر عهدى بها من السبعة إلى الثمانية تطلب من الشام ولا تُكَلَّف طرابلس إلا المساعدة، وكل ذلك بحسب اختلاف الأوقات ودواعي الضرورات .

قال : والمراكب تأتي دميّاط في البحر، ثم يخرج الثلج في النيل إلى ساحل بولاق، فينقل منه على البغال السلطانية، ويحمل إلى الشراخانة الشريفة، على ما تقدم ذكره .

وقد بحرت العادة أن المراكب إذا سُفرت سفر معها من يتدرّجها من تلاجين لمداراتها . ثم الواصلون بها في البحر يعودون على البريد في البر .

## الفصل الثالث

من الباب الثالث من الخاتمة في الهجن المعدّة لنقل ذلك

قد ذكر في "التعريف" أنه مما حدّث في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وأستمر . وقد كان قبل ذلك لا يُحمل إلا في البحر خاصّة . ثم ذكر أن هذه المراكب من دمشق إلى الصنمين، ثم منها إلى بانياس، ثم منها إلى أربد، ثم منها إلى يسان،

ثم منها إلى جينين ، ثم منها إلى قاقون ، ثم منها إلى لُد ، ثم منها إلى غزرة ، ثم منها إلى العريش ، ثم منها إلى الورداء ، ثم منها إلى المطيب ، ثم منها إلى قطيا ، ثم منها إلى القصير ، ثم منها إلى الصالحية ، ثم منها إلى بلبيس ، ثم منها إلى القلعة .

قال : والمستقر في كل مركز ست هجن : نحسة للأحمال ، وهجين للهجان ، تكون كل قملة نحسة أحمال . وهذه الهجن من الشام إلى العريش على المملكة الشامية . خلا جينين فإنها على صفد . ومن الورداء إلى القلعة هجن من المناخات السلطانية ، والكلفة على مال مضر . ولا تستقر هذه الهجن بهذه المراكز إلا أوان حمل الثلج . وهي : حريران وتشرين الثاني . وعدة نملاته إحدى وسبعون قملة ، متقارب مدد ما بينها . ثم صار يزيد على ذلك . ويجهز مع كل قملة بریدی يتداركه ، ويجهز معه ثلاث خير يتحمله ومدارته ، يحمل على فرس برید تان . قال : واستقر في وقت أن يحمل الثلج على خيل الولاية .

وأعلم أن الثلج إذا وصل على المراكب والهجن حتى انتهى إلى القلعة ، نحر بالشرايحاناه السلطانية ، قال في "التعريف" : ومد فتر أن يحمل من الثلج على الظهر ما يحمل ، استقر منه حاص المشروب ، لأنه يصل أنظف وأمن عاقبة ، على أن المتسقرين يأخذون الجاشي منه بحضور أمير مجلس وشاد الشرايحاناه السلطانية ونحرائها . أما المنقول في البحر فليسا عدا ذلك . قال : وللمجهزين به من الخلع ورسوم الإنعام رسوم مستقره ، وعوائد مستمره .

قلت : وقد جرت العادة أن وأصل الثلج في كل قملة في البر والبحر تكتب به رجمة من ديوان الإنشاء ، وهذا هو وجه تعلقه بديوان الإنشاء .

## الباب الرابع

من الخاتمة في المناور والمحرقات ، وفيه فصلان .

### الفصل الأول

#### في المناور

قال في "التعريف" وهي مواضع رُفِعَ النَّارُ فِي اللَّيْلِ وَالذُّخَانُ فِي النَّهَارِ .

وذلك أن مملكة إيران لما كانت بيد هولاكو من التتار، وكانت الحروب بينهم وبين أهل هذه المملكة، كان من جملة احتياطات أهل هذه المملكة أن جعلوا أماكن مرفوعة من رؤوس الجبال تُوقَد فيها النار ليلاً و[يُنَارُ] الدخان نهاراً، للإعلام بحركة التتار إذا قصدوا دخول البلاد لحرب أو إغارة . وهذه المناور تارة تكون على رؤوس الجبال ، وتارة تكون في أبنية عالية ، ومواضعها معروفة تُعرَف بها أكثر السفارة ، وهي من أقصى ثغور الإسلام كالبيرة والرحبة ، وإلى حضرة السلطان بقعة الجبل ، حتى إن المتجدد بالفترات إن كان بكرة علم به عشاء ، وإن كان عشاء علم به بكرة . ولما يرفع من هذه النيران ، أو يدخن من هذا الدخان أدلة يعرف بها اختلاف حالات رؤية العدو والخبر به باختلاف حالاتها ، تارة في العدد ، وتارة في غير ذلك . وقد أُرصد في كل منور الديابذ والنظارة ، لرؤية ما وراءهم وإبراء ما أمامهم ، ولهم على ذلك جوامع مقررّة كانت لا تزال دائرة . قال : وكان ينور بمدينة عانة من تلك المملكة قوم من النصح بحجة أمير سوي التنوير، ويستريح عليهم أهل البلد حباً للملك ، فترى [ناره أو دخانه بحرية الروم وبالخرف أيضاً، ويرفع فيهما أوفى إحداهما فيرى] <sup>(١)</sup>

(١) الزيادة من التعريف (ص ٢٠٠) .

من كل منهما بواى الميكل، ويرفع فيه فيرى [بالقناطر، ويرفع بالقناطر فيرى بالرحبة  
 وفاها الله، ويرفع بها فيرى في كوانل، ويرفع فيها فيرى في منطرة قباقب، ويرفع  
 فيها فيرى في حفير أسد الدين، ويرفع بها فيرى<sup>(١)</sup> بالسحنة، ويرفع فيها فيرى بمنطرة  
 أرك، ويرفع فيها فيرى بالويب وهو قنطرة [بين أرك<sup>(١)</sup> وتدمر، ويرفع فيها فيرى  
 بمنطرة تدمر، ويرفع فيها فيرى بمنطرة البيضاء، ويرفع فيها فيرى بالخير، ويرفع فيها  
 فيرى بجليجل، ويرفع فيها فيرى بالقرتين، ويرفع فيها فيرى بالعطنة، ويرفع فيها فيرى  
 بشدة العقاب، ويرفع فيها فيرى بمذنة العروس، ويرفع فيها ليا حوطا، إنذارا للرعايا  
 وصفا للأطراف، ويرفع حول دمشق بالجبل المصل على برزة فيرى بالمناج، ويرفع به  
 فيرى بتل قرية الكتبية، ثم يرفع فيها فيرى بالطرة، ثم يرفع فيرى بجبل أريد ويجعل  
 عجائون، ثم يرفع بهما فيرى بجعل طيبة أسم، ثم يرفع بها فيرى بالمنور المعمول بازاء  
 البئر الذى برأس الجبل المنحدر إلى بيسان المعروف بعقبة البريد، لا عدول بطريق<sup>(٢)</sup>  
 البريد الآن عنه، ويرى منه أطراف أعمال نابلس [نحو جبال أزيق وما حولها،  
 ويرفع من هذا المنور الذى برأس عقبة البريد فيرى بالجبل المعروف بقرية جينين،  
 ثم يرفع منه فيرى بجبل حسة، ثم يرفع منه فيرى بشرفة قاقون، ثم يرفع منه فيرى  
 بأطراف أعمال نابلس<sup>(١)</sup>] ويرى على قصد الطريق بذروة الجبل المصايب لجبل بابا،  
 فيرفع منه فيرى بمرکز ياسور المعدول بالبريد الآن عنه، ثم يرفع منه فيرى بالجبال  
 المطلة على غزوة، فيرفع بغزة على أعالي الحدب المعروف بحدب غزوة، ثم [المنور<sup>(١)</sup> و] لا  
 إخبأر بسان التناز إلا على الجناح والبريد .

(١) الزيادة من التعريف (ص ٢٠٠ - ٢٠١) .

(٢) الذى في التعريف : وقد عدل الآن طريق الخ فنه .

قال : ثم أعلم أن جميع ما ذكرناه منّاورٍ تشعب إلى ما تخرج عن جادة الطريق إلى البلاد الآخذة على جنب جنوبيًا وشمالًا ، شرقًا وغربًا . أما منذ أصلع الله بين الفيتين ، وأمن جانب الجهتين ، فقد قلّ بذلك الاحتفال ، وصرف عن البال . وهذه المناور رؤومٌ قد عفت ، وجسومٌ [أكلت شعل النار أرواحها] <sup>(١)</sup> فانطلقت .

على أنه قد نصّ في "التعريف" على منّاورٍ طريق البيرة ، ومنّاورٍ طريق الرحبة ، وهما من نفس المملكة .

قلت : وهذه المناور مأخوذة عن ملوك الهند . فقد رأيت في بعض الكتب أن بيلاهم منّاورٍ على جبال مرتفعة ، ترى النار فيها على بُعد أكثر من هذه .

على أن مرتبها بهذه المملكة أولاً أتى بحكمة ملوكية لانسأوى مفدارا ، إذ قد ترقى في سرعة بلوغ الأخبار إلى الغاية القصوى . وذلك أن البريد يأتي من سرعة الخبر بما لم يأت به غيره ، والحمّام يأتي من الخبر بما هو أسرع في البريد ، والمنّاور تأتي من الخبر بما هو أسرع من الحمّام . ونأهيك أن يظهر عنوان الخبر في الفرات بمصر في مسافة يومٍ وليلة .

(١) انريادة من التعريف (ص ٢٠١) .



## الفصل الثاني

### من الباب الرابع من الخاتمة في المحرقات

قال في "التعريف": "وهي مواضع مما يلي بلادنا من حد الشرق داخله في تلك المملكة (يعني مملكة بني هولانكو من انتشار) يُجهز اليها رجالٌ فُحْرِقُ زرعها، كأرض البُقعة والثرثار والقيسة، وبشيرة، والهاشخ، ومشهد ابن عمر، والموايخ، وبلاد ينوي من بر الموصل التي يقال، إن يوش عليه السلام بعث إلى أهلها، والوادي، والميدان، والباب، والسومعة، والمرج المعروف ببني زيد. والمرج المحرق، ومنازل الأورباتية، وهي أطراف هذه المواضع إلى جبل الأكراد. وبلاد سينجار - المنطق والمنظرة والمريدة. وتحت الجبل عند اثنيلاث. وكذلك الثارات، وأغاني جبل سينجار وما وافي ذلك.

وذلك أنه كان من عادة التمر أنهم لا يكتفون عاقرة خيلهم بل يَكُونُها إلى ما تبيت الأرض، فإذا كانت تلك الأرض مَحْصِيَةً سَلَكُوهَا، وإذا كانت مُحْدَبَةً تَجَبَّوْهَا، وكانت أرض هذه البلاد متقدمة لذكر أرضا مَحْصِيَةً. تنوم بكفاية خيل التمر إذا قصدوا بلادنا، فإذا أوقوا زرعها ونشأ ضَعُفُوا عن قصد بلادنا وحصل بذلك جميع الرقيق. والدفع عن مباحة الأطراف ومهاجرة الثغور.

وكان طريقهم في إحراقها أن يُجَهِّزُوا إليهم الرجال ومعهم الثعالب الوحشية وكلاب الصيد، فيكثرون عند أمراء الصباح في كهوف الجبال وبطن الأودية، ويرقبون يوماً تكون ريحه عاصفةً وهو أَوْهُ زَعَزَع. تعلق النار موشدةً في أذانب تلك الثعالب والكلاب. ثم تطلق الثعالب، والكلاب في أثرها وقد جوعت. لتجد

الثعالب في العَدْوِ ، وَالكَلابُ في الطَّلَبِ ، فَتُحْرِقُ ما مَرَّتْ به من الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ ، وَتُعَابِقُ الرِّيحُ النَّارَ منه فَمَا جَاوَرَهُ ، مع ما يُلقِيهِ الرَّجَالَةُ بِأَيْدِيهِم في اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ ، وَعِشَاءَ الأَيَّامِ الْمُعْتَمَةِ . وَكانَ يُنْفَقُ في نَظِيرِ هذا الإِحراقِ من خِزانَةِ دِمَشقِ بَحُلٍّ من الأُمُوالِ . قالَ : وَكانَ الأَهْتامُ بِذلكَ في أوَّلِ الأُمْرِ قَبْلَ أنْ يَقْطُنُوا بِتَصَدِّ التَّحْرِيقِ ، ثُمَّ نَبَّهَهُم على ذلكَ أَهْلُ المُدْأَجَةِ ، فَصاروا يَرِيطونَ عليها الطُّرُقَ ، وَيُمسِكُونُ منها بِالْأَطْرافِ ، وَقَتْلَ عَدِيدٍ من الرِّجالِ بِسَبَبِها ، وَأَحْرَقُوهم بِأَشَدِّ من نارِها .

وَذَكَرَ أنْ مَسَّكَانَ يُجْتَنَبُ تَحْرِيقُهُ - أَرْضَ الحِجَالِ ، من حيثُ إنْها بِلادُ بَقِيَّةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ من ذُرِّيَّةِ شَيْخِ الإِسْلامِ الإِمَامِ الكَبِيرِ العارِفِ باللهِ «عَبْدِ القادِرِ الحِليِّ» المعروفِ بِالكِلاَنِئِيِّ ، نَفَعَ اللهُ تَعَالَى بِبِرْكَانِهِ ، لَتَعْظِيمِهِم من الجَهَنِّينَ ، مع ما هُمْ عِنْدَ مُلوَكِنا مِنَ المِكانَةِ العَليَّةِ : لِتَدْيِيمِ سَلَفِهِمْ ، وَصَيِّمِ شَرَفِهِمْ ، وَلِمَا للإِسْلامِ وَأَهْلِهِ من إِسْعافِهِمْ بما تَصِلُ إِلَيْهِ التُّدْرَةُ وَيَسْلُغُهُ الإِمْكانُ .

قُلْتُ : وَبِتَّامِ القَوْلِ في هذا الطَّرَفِ قَدِ تَمَّ ما كُنْتُ أُحَاوِلُهُ مِنَ التَّالِيفِ ، وَأَهْتَمُّ بِهِ مِنَ التَّحْمِجِ ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ ، وَإِلَيْهِ الرُّغْبَةُ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيلُ .

وَاعْلَمْ أنَ المِصْنَفاً تَتَفَاوَتْ في الحُطُوطِ إِقبَالاتاً وَإِدْبَاراً : فَمِنْ مَرَّعُوبٍ فِيهِ ، وَمَرَّعُوبٍ عَنهُ ، وَمُتَوَسِّطٍ بَيْنَ ذلكَ . على أَنَّهُ قُلٌّ أنْ يَنْفَقُ تَأْلِيفٌ في حِياةِ مُؤَلِّفِهِ ، أَوْ يَرُوجَ تَصْنِيفٌ على القُرْبِ من زَمانِ مُصَنِّفِهِ .

قالَ المُسْعُودِيُّ في كِتابِهِ «التَّنْبِيهِ وَالإِشْرافِ» وَقَدِ تَشَرَّكَ الحُوطِاطِرُ ، وَتَتَفَقَّ الضَّائِرُ ، وَرُبَّمَا كانَ الآخِرُ أَحْسَنَ تَأْلِيفاً ، وَأَمَّتَنَ تَصْنِيفاً ؛ لِحِكْمَةِ التَّجَارِبِ ، وَخَشْيَةِ التَّبَسُّعِ ، وَالإِحْتِراسِ من مَوانِجِ المَضارِّ . وَمن هاهُنَا صارَتْ المِلوْمُ نَاميَّةً ، غيرَ مُتَناهِسَةٍ ، لِوُجُودِ الآخِرِ ما لا يَجِدُهُ الأوَّلُ ، وَذلكَ إلى غيرِ غَايَةٍ مُحْصُورَةٍ ، وَلا نِهايَةَ مُحدُودَةٍ .

على أن من شيم كبير من الناس إطرأء المتقدمين ، وتعظيم كُتُب السالعين ، ومدح الماضي ، وذم الباقى ، وإن كان فى كُتُب المُحدِثين ما هو أعظم فائده ، وأكثر عائدته .

ثم حكى عن الجاحظ من جلالته قدره - أنه قال : كنت أؤلف الكتاب الكبير المعانى ، الحسن القلم ، ونسبته إلى تيس ، فلا ترى الأسماع تُصغى إليه ، ولا الإيرادات تليغ نحوه ، ثم أؤلف ما هو أنقص منه رتبة ، وأقل فائدة ، وأجعله عبد الله بن المقفع ، أو سهل بن هرون ، أو غيرها من المتقدمين ، ممن صارت أسماءهم فى المصنفين ، يُقْرأون على كتبها ، ويُسارعون إلى نسخها ، لا لشيء إلا لِنسبتها للتقدمين ، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو فى عصرهم ، ومناقسته على المناقب التى عني بتشييدها .

قال : وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس ، وإنما العمل على أهل النظر والتأمل الذين أعطوا كل شيء حقه من القول ، ووفوه قسطه من الحق ، فلم يرفعوا المتقدم إذا كان ناصباً ، ولم يفضوا المتأخر إذا كان زائداً ، فليسيل هؤلاء تصنف العلوم ، وتدون الكتب .

وإذا كان هذا نقل المسموعى عن الجاحظ الذى هو رأس المصنفين ، وعين أعيانهم ، فما ظنك بقيره .

لكنى أحمد الله تعالى على رواج سوق تأييفى ، وتفاق سألته ، والمسارة إلى استيكاية قبل انقضاء تأييفه ، حتى إن قلبي التأييف والنسج يتسابقان فى ميدان الطرس إلى أكرباية ، ومررتب تجارته للاستساج يساهمهما فى ارتقاية . فضلاً من الله ونعمة ، ( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ) .

قال المؤلف : تَجَزَّتْ تَأْلِيفَهُ فِي الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ ، يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ ، سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ .

وَتَجَزَّتْ هَذِهِ النُّسخة فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْمُبَارَكِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرِ الْآخِرِ ، سَنَةِ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ .

فَرَّغَ مِنْهُ بِكُتَابَةِ وَسِيَّةٍ قَبْلَهُ ، فَكَبِيرُ رَحْمَةِ رَبِّهِ الْعَلِيِّ الْفَاتِحِ ، عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ  
أَبْنِ مُحَمَّدِ النَّاسِخِ الشَّافِعِيِّ ، نَزِيلُ الصَّالِحِيَّةِ النَّجْمِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالسَّادَةِ الْحَنَابِلِيَّةِ ، بِحِطِّ  
بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ : شَفَرِ اللَّهِ ذُنُوبَهُ ، وَسَتَرِ عَيْبُوهُ ، وَخَتَمَ لَهُ وَالسَّلَامِينَ بِخَيْرٍ ، آمِينَ

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ  
وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ : سُبْحَانَ رَبِّكَ  
رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

فهرس

الجزء الرابع عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

---



صفحة

- الباب الرابع - من المقالة الخامسة في هدى الواقعة بين ملوك  
الإسلام وملوك الكفرة، وفيه فصلان ... ٢
- الفصل الأول - في أصول التعمير على الكتاب معرفتها :  
وفي ثلاثة أطراف ... ٢
- الأطراف الأول - في بيان رتبها ومعناها، وذكر ما يرادفها  
من الألفاظ ... ٢
- » الثاني - في أصل وضعها ... ٤
- » الثالث - فيما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الممدن ،  
وفيها وعان ... ٧
- النوع الأول - ما يختص بكتابة الممدن بين أهل الإسلام  
وأهل الكفرة ... ٧
- » الثاني - ما استترك فيه الممدن الواقعة بين أهل كفرة  
والإسلام، وعقود الصانع الجزرية بين زعماء  
المسلمين ، وهي ضربان ... ٩
- الضرب الأول - الشروط العادية التي حرت العادة أن يقع الاتفاق  
عليها بين الملوك في كتابة الممدن خلا ما تقدم ... ٩
- الضرب الثاني - مما يلزم الكاتب في كتابة الممدن - لتعسير  
أوضاعها، وتزييف فوائدها ، وإحكام مآقدها 11
- الفصل الثاني - في صورة ما يكتب في المهادنات والسجلات ،  
ومذاهب الكتاب في ذلك، وفيه طرفان ... 1٦
- الطرف الأول - في إسناد ملوك الإسلام فيه بالكتابة عظم ،  
وتخذ منه نسخ بالأبواب السلطانية، وتدفع  
منه نسخ إلى ملوك الكفرة، وذلك على النمطين ... 1٦

صفحة

- النمط الأول - ما يكتب في طرة الهدنة من أعلى الدرج ... ١٦
- » الثاني - ما يكتب في متن الهدنة، وهو على نوعين ... ١٧
- النوع الأول - ما تكون الهدنة فيه من جانب واحد،  
وفيه مذهبان ... ١٧
- المذهب الأول - أن تفتح الهدنة بلفظ: «هذا ما هادن عليه» الخ ... ١٧
- » الثاني - أن تفتح المهادنة قبل لفظ: «هذا» بيعدية ... ٢٦
- النوع الثاني - من الهدن الواقعة بين ملك مسلم وملك كافر -  
أن تكون الهدنة من الجانبين جميعاً، وفيها للكتاب  
ثلاثة مذاهب ... ٢٩
- المذهب الأول - أن تفتح الهدنة بلفظ: «هذه هدنة»  
ونحو ذلك ... ٢٩
- الثاني - أن تفتح الهدنة بلفظ: «أستقرت الهدنة بين  
فلان وفلان» الخ ... ٣١
- » الثالث - أن تفتح المهادنة بخطبة مبتدأة بـ«الحمد لله» ... ٧١
- الطرف الثاني - فيما يشارك فيه ملوك الكفر ملوك الإسلام  
في كتابة نسخ من دواوينهم ... ٧٢
- الباب الخامس - من المقالة التاسعة في عقود الصلح الواقعة بين  
ملكين مسلمين، وفيه فصلان ... ٧٩
- الفصل الأول - في أصول تعتمد في ذلك ... ٧٩
- » الثاني - فيما جرت العادة بكتابه بين الخلفاء وملوك  
المسلمين على تعاقب الدول، مما يكتب في الطرة  
والمتن، وفيه نودان ... ٨٤



صفحة

- النوع الأول - ما يكون العقد فيه من الجانبين ... .. ٨٤  
 « الثاني - ما يكون العقد فيه من جانب واحد ،  
 وفيه مذهبان ... .. ٩٧  
 المذهب الأول - أن يفتح عقد الصلح بلفظ : « هذا » ... .. ٩٧  
 « الثاني - أن يفتح عقد الصلح بخطبة مفتوحة بـ « الحمد لله »  
 وربما كرر فيها التحميد ... .. ١٠٠  
 الباب السادس - من المقالة التاسعة في الفسوخ الواردة على العقود  
 السابقة ، وفيه فصلان ... .. ١٠٨  
 الفصل الأول - الفسخ ، وهو ما وقع من أحد الجانبين دون  
 الآخر ... .. ١٠٨  
 « الثاني - المفاضة ، وهي ما تكون من الجانبين جميعا ... ١٠٩

## المقالة العاشرة

- في فنون من الكتابة يتداولها الكتاب ويتنافس في عملها ليس لها تعلق  
 بكتابة الدواوين السلطانية ولا غيرها ، وفيها بابان ... .. ١١٠  
 الباب الأول - في الخديآت ، وفيه خمسة فصول (نصاب : ستة  
 فصول) ... .. ١١٠  
 الفصل الأول - في المقامات ... .. ١١٠  
 « الثاني - في الرسائل ، وهي على أصناف ... .. ١٣٨  
 الأصنف الأول - الرسائل المملوكية ، وهي على ضربين ... .. ١٣٩  
 الضرب الأول - رسائل الغزوة ، وهي أعظمها وأجلها ... .. ١٣٩  
 « الثاني - « الصيد ... .. ١٦٥  
 الأصنف الثاني - من الرسائل - ما يرد منها مورد المدح والتفريض ١٧٢

٢٠٤	... ..	انصنف الثالث - من الرسائل - المقامرات
٢٤٠	... ..	» الرابع - « » الأسئلة والأجوبة
٢٥١	... ..	» الخامس - « » ما تكتب به الحوادث والمناجرات
		الفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة العاشرة ،
٢٨٢	... ..	في قدمات البندق ... ..
		» الرابع - من الباب الأول من المقالة العاشرة ،
٣٠٠	... ..	في الصدقات ، وفيه طرفان ... ..
٣٠٠	... ..	الطرف الأول - في الصدقات الملوكة وما في معناها ... ..
٣١١	... ..	» الثاني - في صدقات الرؤساء والأعيان وأولادهم ... ..
		الفصل الخامس - من الباب الأول من المقالة العاشرة فيما يكتب
		عن العلماء وأهل الأدب ، مما جرت العادة
		بمراعاة الشرائع فيه ، ومحاوله الفصاحة
٣٢٢	... ..	وبالبلاغة ، وفيه طرفان ... ..
		الطرف الأول - فيما يكتب عن العلماء وأهل الأدب ،
٣٢٢	... ..	وهو على صنفين ... ..
		الصنف الأول - الإجازات بالفتيا والتدريس والرواية وعروضات
٣٢٢	... ..	الكتب ، ونحوها ... ..
		» الثاني - التقریضات التي تكتب على المصنفات المصنفة
٣٣٥	... ..	والفصائل المنظومة ... ..
		الطرف الثاني - فيما يكتب عن القضاء ، وهو على أربعة
٣٤٠	... ..	أصناف ... ..
٣٤٠	... ..	الصنف الأول - التقاليد الحكيمة ... ..
٣٤٦	... ..	» الثاني - إسمجالات العدالة ... ..

صفحة

- انصرفت الثالث - انكتب إلى التواب وه في معناها ... .. ٣٥٠  
 » الرابع - ما يكتب في افتتاح الكتب ... .. ٣٥٣  
 الفصل السادس - في نعمات التي تكتب نوحج ... .. ٣٥٥  
 الباب الثاني - من المقالة العاشرة في الخزيات ... .. ٣٦٠

## الخاتمة

- في ذكر أمور تتعلق بديوان الإنشاء غير أمور الكتابة، وفيها أربعة أبواب ... ٣٦٦  
 الباب الأول - في الكلام على البريد، وفيه فصلان ... .. ٣٦٦  
 الفصل الأول - في مقدمات يحتاج الكاتب إلى معرفتها، ويتعلق  
 الغرض من ذلك بثلاثة أمور ... .. ٣٦٦  
 الأمر الأول - معرفة معنى لفظ البريد لغة وأصطلاحاً ... ٣٦٦  
 » الثاني - قول من وضع البريد وما آل إليه أمره في الآن ٣٦٧  
 » الثالث - بين معالم البريد ... .. ٣٧١  
 الفصل الثاني - من الباب الأول من الخاتمة في ذكر مراكز  
 البريد، ويشتمل على ستة مقاصد ... .. ٣٧٢  
 المقصد الأول - في مركز قبعة الجبل المحروسة بالديار المصرية التي  
 هي قاعدة الملك، وما يتفرع عنه من المراكز  
 وما تنبئ إليه مراكز كل جهة ... .. ٣٧٣  
 » الثاني - في مراكز غزوة وما يتفرع عنها من البلاد الشامية ٣٧٩  
 » الثالث - في ذكر مركز دمشق وما يتفرع عنه من المراكز ٣٨١  
 » الرابع - في مركز حلب، وه، يتفرع عنه من المراكز ٣٨٣  
 » الخامس - في مركز طرابلس، وما يتفرع عنه من المراكز ٣٨٥  
 » السادس - في معرفة مراحل الجواز الموصلة إلى مكة  
 المشرفة والمدينة المنورة ... .. ٣٨٥

صفحة

- الباب الثاني - من الخاتمة في مطارات الحمام الرسائلي، وذكر  
أبراجها المقررة بطرق الديار المصرية والبلاد  
الشامية، وفيه فصلان ... .. ٣٨٩
- الفصل الأول - في مطاراته ... .. ٣٨٩
- » الثاني - في أبراج الحمام المقررة لاطارتها بالديار  
المصرية، والبلاد الشامية ... .. ٣٩٢
- الباب الثالث - من الخاتمة في ذكر هجن الثلج، والمراكب المعتدة  
لحمل الثلج الذي يحمل من الشام إلى الأبواب  
السلطانية بالديار المصرية، وفيه ثلاثة فصول ٣٩٥
- الفصل الأول - في نقل الثلج ... .. ٣٩٥
- » الثاني - في المراكب المعتدة لنقل الثلج من الشام ... ٣٩٦
- » الثالث - في الهجن المعتدة لنقل ذلك ... .. ٣٩٦
- الباب الرابع - من الخاتمة في المناور والمحرقات، وفيه فصلان ٣٩٨
- الفصل الأول - في المناور ... .. ٣٩٨
- » الثاني - في المحرقات ... .. ٤٠١

(تم فهرس الجزء الرابع عشر من كتاب صبح الأعشى)

# كلمة

في التعريف بكتاب صبح الأعشى

وترجمة مؤلفه

---

بسم

حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبد الرسول

رئيس التصحيح العربي بالنسب الأدبي

بالمطبعة الأميرية

---

## كلمة

### في التعريف بكتاب صبح الأعشى

وترجمة مؤلفه

### بسم الله الرحمن الرحيم

تَجَدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَا مَنَحَ مِنَ الْإِعَانَةِ وَوَهَبَ مِنَ التَّيْسِيرِ، وَتَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْفَى  
مِنَ التَّوْفِيقِ فَهُوَ نِعْمَ الْمَوْفَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وَنُصَلِّيْ وَنُسَلِّمُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صُبْحِ الْهِدَايَةِ  
وَسَهَابِهَا السَّاطِعِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النَّجْوَمِ النَّوَابِتِ وَالْبُدُورِ الطَّوَالِعِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ تَمَارِهَا ، وَالشُّعُوبَ بِسِيرِهَا وَأَخْبَارِهَا ، وَمِنَ الْأَعْظَمِ الْآثَارِ  
قِيَمَهُ ، وَأَعَزِّزِهَا دِيَمَهُ ، مَا تُعْرَفُ بِوِاسِطَتِهِ نَتَائِجُ أَفْكَارِ الْقَادَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَنْبِيْئِيْنَ بِهِ  
قِرَائِحُ الْجَهَانِيَّةِ الْحُكْمَاءِ .

وَلَمْ تَزَلِ الْأُمَّةُ الرَّأْيِيَّةُ فِي سَالِفِ الدُّهُورِ وَإِلَى وَقْتِنَا الْحَاضِرِ تُعْنَى بِشَأْنِ عُلَمَائِهَا :  
عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ ، وَتَبَايُنِ مَسَارِيهِمْ ، وَتَحِلُّهُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْإِجْلَالِ أَعْلَى  
الدَّرَجَاتِ ، وَتَرْجُعُ فِي أَمْرِ مَعَارِسِهَا وَمَعَادِيهَا إِلَى آرَائِهِمُ السَّيِّدِيَّةِ ، وَأَفْكَارِهِمُ الرَّشِيدِيَّةِ ،  
وَتَعْمَلُ بِكُلِّ جُهْدِهَا فِي إِثْنَاءِ دَوْرِ الْكُتُبِ وَتَشْيِيدِهَا ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي تَنْسِيْقِهَا وَتَرْتِيْبِهَا :  
لِتَحْفَظَ فِيهَا دِفَاتِرَهُمْ وَطُؤَامِيْرَهُمْ الَّتِي أُوْدِعُوهَا ثَمَرَةَ أَفْكَارِهِمْ ، وَتَبِيْجَةَ بَحْثِهِمْ .

وَلَقَدْ أَخَذَتْ مِصْرُنَا الْعَزِيْزَةَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ نُسَابِقُ «الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ» فِي هَذَا  
الْمَيْدَانِ الْعَظِيمِ ، مَيْدَانِ التَّقَدُّمِ وَالْإِرْتِفَاعِ .

وسارت من بعدهما تاهض « بغداد » دار السلام، ومركز الحضارة العباسية  
وكنزة العالم، وقبلة الآداب - مع ما كان يبذله الخلفاء لعلمائها من أنواع التحف،  
ويشجعونه عليهم من بذر الأموال : حبا في نشر العلم وبلوغه إلى درجة الكمال .

ولم تكن في ذلك أقل حظا من الأندلس : جنة العالم وزينة الدنيا، حتى في أعظم  
عصورها الذهبية المملوءة بالمعاني والمفاتيح، يوم كانت تنشر على العلم الثرية الخساسة،  
وتتلو عليه آيات بيّنات من الهدى والفرقان .



وقد تحث مشر ذراعها : مريحة بكل وفيد عليها من أهل البسمة والهدب ،  
خصوصا بعد أن حوحت يد الردى بمدن العراق وحواضر الأندلس ، ودارت عليها  
الدوائر، ودحبت كل ما كان شا من آثار العلم وأعمال الجهد والحضارة . فوفد  
علمائها على هذا الأملين ووجدوا فيه فضائلهم المندودة وأميتهم الكبرى .

فأصبحت ميذا واسعة يتساق في ضلالت العلوم والمعارف، وموردا غدا يزدحم  
عليه عشاق الأدب ومحبو الحكمة، وجنة زهية بأكار العلماء ونوابغ الحكمة .

وأصبح ملوكها وأمرؤها ينظرون بنى العلم والعلماء بعين ماؤها الإعظام  
والإجلال - وأخذوا يساعدهم ، ويألمون في إكرامهم وإدراج النعم عليهم ،  
ويشجعونهم على الإكثار من التأليف والتصنيف في العلوم المختلفة . وصاروا  
لا يؤسسون مسجدا للصلاة ، ولا يبنون مدرسة أو معهدا من معاهد العلم إلا  
ويستبدون في داخله نخزاعة كتب جامعة - يودعونها الكثير من نقائس الأسفار  
والمصنفات في كل فن ومطلب : ميلا منهم إلى نشر المعارف ، ورغبة في تحليد  
الذكر وبجمل الأثر .

وقد كان لخلقها الفاطميين خزانة كُتُب كُبرى ، كانت من أجل الخزانين  
وأعظمها شأنًا عندهم ، وأكثرها جمعًا للكتب النفيسة من جميع العلوم والفنون .  
يقال : إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دارُ كتبٍ أعظم من التي كانت بالقاهرة  
في قصر الخلفاء الفاطميين .



ولم تزل الأمة المصرية الكريمة سائرة على هذا المنهج القويم : تردُّ مناهل العلم  
العذبة ، وتتعدى بالبناء الطيبة - حتى أصابها ما أصاب غيرها من الأمم الإسلامية ،  
فتفرقت شيعًا وأحزابًا ، وانصرفت عن الشؤون العامة ، وصار كل واحد لا يها  
بذاته لا يشعر إلا بنفسه التي بين جنبيه .

فقل الأحنفأل بالعلم وأهله ، وأهملت العناية بدور الكتب وخزائن الأسفار  
على كثرتها ، وأمتدت إليها يد الحياة تعبت بنفائسها ألى شاءت بدون محاسب  
أورقيب . وأستوى المفيرون على الديار المصرية على أنيس ما كان مودعًا فيها من  
الكتب والآثار ، ونقلوا منه إلى بلادهم وممالكهم ماشاء الله أن يتقلوا .

وهاهى اليوم تُنادى أهل مصر من وراء البحار ، وتناجيهم بما كان لسأفهم  
الناهض من آثار العمل ودلائل النبوغ .

وما بقى فى تلك الأذور وانخزائن ، مما زهدت فيه نفوس الطامعين - صار رهنًا عليها ،  
لا تقع عليه الأبصار ، ولا يمر بفكر : كأنه كثر مدفون لم يبتد إليه بعد ، أو يحين حكم  
عليه بالسجن الأبدى لا يجذ لنفسه خلاصا .





تلك كانت حالة مِصر حيناً من الدهر كادت تذهب بكل ما بنى أهلها في الزمن  
السابق من مجدٍ وأسسوا من قوة - نولاً أن الله تعالى أراد بها خيراً ،  
بِغَلَسِ عَلَى أَرِيكَتِهَا ذَلِكَ الْمُصْلِحَ الْكَبِيرَ ، وَتَعْصِمِي الشَّهِيرَ ، مُؤَسَّسِ «مِصْرَ الْحَدِيثَةِ»  
سَاكِنِ الْخَنَانِ "مُحَمَّدَ عَلَى بَاشَا" رَأْسَ الْعَائِلَةِ الْعَقُولِيَّةِ الْكَرِيمَةِ .

فإنه - نَوَّرَ اللهُ صَبْرِيَّعَهُ - أعاد لهذه الأمة سالف مجدها ، وبه الألفكار بعد  
طول رُقودها ، وتشر العلوم والتعارف بين أبنائها ، وأرسل البعثات العلمية إلى  
أشهر الجامعات بأوروبا : لِيَتَهَمَّوْا أُسَالِيْبَ التَّعْلِيمِ الْحَدِيثَةِ ، وَيَهْدُوْا إِلَى مِصْرَ  
بِشُؤْنِ مِنَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّهْدِيْبِ تَدْعُوْا إِلَيْهَا سُنَّةَ التَّقَدُّمِ وَالْإِرْتِقَاءِ .

وقرب إليه العلماء والأدباء ، وشجعهم على التأليف والتصنيف ، ووصل  
اللبل بالنهار في سبيل إنقاذها وإسعادها ، وأسس المدارس ، وشاد دور الصناعات  
والمعامل في حواضر هذا القطر السعيد .

وأشأ "المطبعة الأميرية الكبرى" ، وجهزها بكل ما يلزم لها من  
الآلات والمعدات ، حتى صارت من أرقى دور الطباعة في الشرق ، واختار  
لها توابغ العلماء وأساطين الكتاب : لِيَقْمُوْا بِتَصْحِيْحِ مَا يُضَعُ فِيهَا ، وَلِيَلْبِيَا رَجْعَ  
الْفَضْلِ الْأَكْبَرِ فِي تَقْوِيَةِ التَّمَهُّدَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي مِصْرَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَسِرِّ الْعُلُومِ  
وَالْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ فِي جَمِيعِ أُنْحَاءِ الْعَالَمِ .



وجاء من بعده حفيده أبو الأشبال، المغفور له "إسماعيل باشا" خديو مصر، أنشأ "دار الكتب" بالقاهرة، وجمع فيها ما بقي من الكتب في خزائنها المتفرقة في الدور والمساجد . وأخذ الأمراء وغيرهم من كبار الأئمة يتبرعون لها بما في دُور كتبهم وخزائنها من نفائس المصنفات .

وأهمَّ بها بعده ولده طيب الذكر "محمد توفيق باشا" خديو مصر فوقف عليها ألفاً وثمانمائة فدان من أجود أراضي القطر الزراعية ، وجعلها إدارة مستقلة بعد أن كانت عالة على إدارة المكاتب ، يُنفق عليها من الأوقاف المحبسة عليها .

وأتملت خزائنها بنفائس الأسفار وجلاتل المؤلفات ، من مصر وغيرها من سائر الممالك ، بما كان يُنفق عن سعة وكرم نفس في سبيل الحصول عليها .

وبها معرض كبير حوى كثيراً من المصاحف الشريفة والآثار النفيسة ، والمؤلفات القديمة ، والمخطوطات العربية والنقود القديمة في كل دولة من الدول الإسلامية .

وهي على أهل هذا القطر السعيد حسنة من أعظم الحسنات ، وأثر خالد من الآثار الباقيات ، ولها على العلم وأهله الأيادي التي لا تُشكر ، والمقايير التي تُذكر فتشكر ، فقد أعدت للترتدين إليها قاعة كبرى للمطالعة ، وجهزتها بكل ما يلزم لراحتهم وسهيل أعمالهم . فأقبل عليها الطلاب والعلماء ، والكتّاب والشعراء ، والمتجمعون والحكماء وغيرهم ؛ يردون نيرها ، ويؤلون وجوههم شطرها ؛ على اختلاف لغاتهم ، وتباين أجناسهم وطبقاتهم .

ونا أشرف عليها حضرة صاحب السعادة " أحمد حشمت باشا " وزير المعارف الأسبق وجه - حفظه الله - بإيادته إلى تنظيمها تنظيمًا يكفل لها التقدم في طريق الإصلاح الأتليق بمكاتبها : نشأت بالثورة المطبوعة منها ، وتقوم بالخدمة الواجبة عليها : وذلك بنشر العلوم والمعارف بين طبقات الأمة ، وطبع الآداب العربية وإداعتها بين أبنائها .

فأختار طائفة مما فيها من نقائس الأسفار ونوادر المؤلفات ، وخصوصاً المؤلفات المصرية ، وأمر بأن تُطبع في "تيسر الأدبي" بالنسبة الأميرية ، فتشرق أنوارها على طلاب العلم والحكمة ، ويتم نفع بها من قريب ومن بعد ، صدًا بها أن تبقى مقصورة على فئات الضالعة وعرفها ، لا ينتفع بها غير فريق من المقيمين في مدينة القاهرة .

فكان أجل كتاب ظهر من هذه الكتب في سماء الآداب العربية . كتاب :

" صبح الأعشى في كتابة الإنشا "

( للماقشدي )

## التعريف بهذا الكتاب

مهما أطالَ الكَتَابُ في وَصْفِ هذا الكِتَابِ ، وَجَوَدِ فِكْرِهِ ، وَأَجْهَدَ قَلَمِهِ  
في التَّعْرِيفِ بِهِ وَبِقِيَمَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ - فَانْه لا يَبْلُغُ تَعْدَادَ مَا أُودِعَ فِيهِ مِنْ  
الْعَوَائِدِ ، وَأَنْطَوَى تَحْتَهُ مِنَ الدَّقَائِقِ .

فَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ ، عَظِيمُ النِّفَعِ ، كَبِيرُ الْفَائِدَةِ ، لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مَنَوَالِهِ فِي عَالَمِ  
التَّأْلِيفِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ وَالْكِتَابَةِ . وَلا تُعَدُّ مُبَالِغِينَ إِذَا قُلْنَا : إِنَّهُ أَنْفَسُ كِتَابٍ  
أُتِفَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَارِيخِ آدَابِهَا .

كِتَابٌ بَيْنَ لَنَا فِيهِ الْفَلَقَشَنْدِيُّ مُؤَلَّفُهُ - رَحِمَهُ اللهُ - حَالَةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّرِيفَةِ ،  
وَكَيفَ كَانَتْ فِي الْعُصُورِ الْأَوَّلَى قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ  
مِنَ الْإِتِّشَارِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ لُغَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، لُغَةُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّمْحَةِ  
وَالدِّينِ الْحَنِيفِ ، تَبَعًا لِأَنْتِشَارِهَا فِي أَكْثَرِ أُنْحَاءِ الْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ : فِي بِلَادِ فَارِسَ  
وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، فِي بِلَادِ الرُّومِ ، فِي الْبِلَادِ الْمُعْصِرِيَّةِ ( وَقَاهَا اللهُ ) فِي بِلَادِ أَفْرِيْقِيَّةِ  
وَالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، فِي بِلَادِ الْهِنْدِ ، فِي بِلَادِ الصِّينِ ، فِي بِلَادِ  
كثيرة من أوروبا .

كِتَابٌ بَيْنَ لَنَا فِيهِ مُؤَلَّفُهُ كَيْفَ زَهَتْ هَذِهِ اللُّغَةُ الشَّرِيفَةُ فِي عُصُورِ الْخُلَفَاءِ : مِنْ  
بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ ، وَغَزَرَتْ مَادَتُهَا ، وَأَتَّسَعَ نِطَاقُهَا ، وَدَنَا قِطَاعُهَا : فَصَارَتْ  
لُغَةُ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، لُغَةُ الْأَدَبِ وَالشُّعْرِ ، لُغَةُ الْقَضَاءِ وَالْأَحْكَامِ ، لُغَةُ الْجَدَلِ وَالْمُنَاطَرَةِ .  
كَمَا صَارَتْ لُغَةُ التَّأْلِيفِ وَالتَّصْنِيفِ : فِي أَحْكَامِ الدِّينِ ، وَتَهْذِيبِ النُّفُوسِ ، وَتَنْقِيْفِ  
الْعُقُوفِ ، وَنِظَامِ الْمُلْكِ وَالْمَمَالِكِ ، وَسِيَّاسَةِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ . وَعُلُومِ الْفَلَسَفَةِ ،  
وَالرِّيَاضَةِ ، وَالنُّجُومِ ، وَالطَّبِّ ، وَالْكِمِيَاءِ ، وَمَا أَشْبَهَهَا .

كِتَابُ بَيْنَ لَنَا فِيهِ مُؤَلَّفَةُ الْكُتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْبِلَادِ وَالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَمَا بَلَغَتْهُ  
مِنْ دَرَجَاتِ الرَّقْمَةِ وَالْإِرْتِقَاءِ ، ثُمَّ مَا آتَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ ، سَبْعًا  
لِضَعْفِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ : بِاسْتِيْلَاءِ الْمُغِيرِبِينَ عَلَى بِلَادِ الْخِلْدَانِ وَمَمَالِكِهِمْ ، مِمَّنْ لَيْسُوا  
مِنْ أَهْلِهَا فِي اللُّغَةِ : أَوْ فِي اللُّغَةِ وَالدِّينِ . كَمَا بَيْنَ لَنَا طَبَقَاتِ الْكُتُبِ وَأَهْلِ الْأَدَبِ ،  
وَمَا كَانَ لَهُمْ عِنْدَ الْمُلُوكِ مِنَ الرَّعَايَةِ وَعِظِيمِ الْأَحْتِرَامِ .

كِتَابُ بَيْنَ لَنَا فِيهِ مُؤَلَّفَةُ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَشُرُوطُهَا وَرُسُومُهَا ، وَمَنْ وَلِيَهَا :  
مِنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَمَرَاكِزِ وَلَايَاتِهِمْ ، وَخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالشَّامِ وَالْأَنْدَلُسِ ، وَخُلَفَاءِ  
بَنِي الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادَ وَمِصْرَ ، وَخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِالْمَدِينَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَمُدْعَى الْخِلَافَةِ  
مِنْ بَقَايَا الْمُوَحَّدِينَ بِالْمَغْرِبِ .

كِتَابُ بَيْنَ لَنَا فِيهِ مُؤَلَّفَةُ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَمَا بَلَغَتْهُ مِنْ  
دَرَجَاتِ الْمَجْدِ وَالْحَضَارَةِ ، وَحُدُودِهَا ، وَأَنْظُمِهَا ، وَرُسُومِهَا ، وَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ  
مِنَ النَّقْضَاتِ وَالْمَحْسِنِ ، وَالنَّوَاصِ وَالْعَجَائِبِ ، وَمَا بَيْنَهَا مِنَ الْأَنْدَارِ الْقَدِيمَةِ ، وَمَنْ وَلِيَهَا  
مِنَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا .

كِتَابُ بَيْنَ لَنَا فِيهِ مُؤَلَّفَةُ - وَهُوَ هُوَ ذَلِكَ الْمِصْرِي الصَّغِيرِ ، الَّذِي أَقْلَبَتْهُ أَرْضُ  
مِصْرَ ، وَأَطْلَقَتْهُ سَمَاءُهَا ، وَتَبَرَّبَ حَتَّى رَزَى مِنْ نِيْلِهَا - الْأَبْلَادَ الْمِصْرِيَّةِ ، وَأَقْصَانِهَا  
وَمَحَاسِنِهَا ، وَخَوَاصِهَا وَعَجَائِبِهَا ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْدَارِ الْقَدِيمَةِ . وَبَيْنَ نَهْرِ النَّيْلِ وَمَنْبَعِهِ  
وَمَصْبِهِ ، وَزِيَادَتِهِ وَنَقْصِهِ ، وَمَقَابِلَتِهِ ، وَمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ ، وَمَا يَصِلُ إِلَيْهِ  
فِي النَّقْصَانِ ، وَخُلُجَانِهِ الْمُنْتَرَعَةِ عِنْدَهُ ، وَجُدُورِهِ الْخَائِسَةِ لِمَنْتَهُ . وَبَيْنَ بَحْرِئِهَا ،  
وَجِبَالِهَا ، وَزُرُوعِهَا ، وَرِيَابِحِهَا ، وَوَأَكْثِيهَا . وَمَوَاشِيهَا ، وَوُحُوشِهَا ، وَطُيُورِهَا .  
وَبَيْنَ حُدُودِهَا ، وَأَبْتِدَاءِ عِمَارَتِهَا ، وَسَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا بِمِصْرَ ، وَتَفْرِغِ الْأَقَالِيمِ الَّتِي حَوْقَهَا

عنها ، وبين أعمالها وقواعدها القديمة ، ومبانيها العظيمة الباقية على مرور الأزمان .  
وبين قواعدها الحديثة وما اشتملت عليه من تحاسين الأبنية . وبين من ولها من  
الملوك والسلاطين قبل الإسلام وبعده . وبين ترتيب أحوالها ، ومعاملاتها ،  
وتقودها ، وترتيب مملكتها ، ووظائف دولها القديمة والحديثة .

كتاب دُون فيه مؤلفه عدة كتب أدبية نفيسة بتمامها ، وجمع فيه كثيرا مما تفرد  
في غيره من المؤلفات .

وربته على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة ، بناها بالإجمال على التعريف بحقيقة  
ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام ، وتفريقه بعد ذلك في الممالك ، وبيان كتابة  
الإنشاء وتفضيلها على سائر أنواع الكتابة ، وصفات الكتاب وآدابهم ، ومدح  
فضلاهم وذم حماهم .

ومعرفة كل ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء في الأمور العينية والعملية : كمعرفة المواد  
اللازمة للثني : من الخط وتوابعه ولواحقه وغير ذلك .

ومعرفة المسالك والممالك (علم تقويم البلدان) : كمعرفة شكل الأرض وإحاطة  
البحر بها ، وبيان جهاتها الأربع وما اشتملت عليه من الأقاليم السبعة الطبيعية ،  
وبيان موقع الأقاليم العرفية منها ، وذكر حدودها الجامعة لها ، وما فيها من الجبال  
والبحار والأنهار ، والأقاليم والممالك والبلدان ، ومُلوكها في القديم والحديث  
وما يتبع ذلك .

ومعرفة الأمور التي تشترك فيها أنواع المكاتبات والولايات وغيرها : من ذكر  
الأسماء والكُنَى ومواضع ذكرهما في المكاتبات ، وذكر الألقاب وأصل وضعها ،  
وما كان يلقب به أهل كل دولة إلى زمنه ، وكيفية توزيع الأعمال على كتاب

الإنشاء ، ومقادير قطع الورق وما يناسبها من الأقلام ، وغير ذلك من قوانين الكتابة وأنظمتها .

ومعرفة المكتبات العامة وأصولها ومقاصدها ، في القديم والحديث ، ومصطلح المكتبات الدائرة بين كتاب الإسلام ، وكتب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى أهل الإسلام وغيرهم ، والكتب الصادرة عن الصحابة والخلفاء والملوك ومن في معانهم ، وبين مذاهب الكتاب فيما تفتتح به المكتبات ، وما يخاطب به أهل الإسلام وغيرهم فيها ، وغير ذلك .

ومعرفة الولايات وحقائقها ، وما يتبعها من البيعات والمهود ، ومعناها ، والولايات الصادرة لأرباب المناصب : من أصحاب السبوف والأقلام وغيرهم .

ومعرفة التواريخ القديمة وما يكتب فيها في القديم والحديث ، والمساحات والإطلاقات وما يكتب فيها . والتاريخيات وتحويل السنين ، والتوفيق بين السنين القمرية والشمسية ، وما يكتب في التذكار التي يرجع إليها .

ومعرفة الإقطاعات وأصل وضعها في الشرع ، وما يكتب فيها في القديم والحديث ، وأول من وضع ديوان الجيش في الإسلام .

ومعرفة الأيمان وما يقع به القسم ، والأيمان التي أقسم الله تعالى بها ، وما كان يخلف بها العرب في الجاهلية ، وما يقسم به أهل كل بلدة ونحلة .

ومعرفة عقود الأمانات والصلح ، والهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وغيرهم .

وذكر فيه فتوة كثيرة يتداولها الكتاب والأدباء ويتنافسون في عملها ، لا نعلق لها بديوان الإنشاء : كعمل المقامات ، والرسائل الملوكية المشتعلة على الغزو

والصِّبْد ، ورسائل المدح والذم ، ورسائل المغائرات بين الأشياء ، والرسائل  
المشتملة على الأسئلة والأجوبة ، والرسائل المكتتبة بالحوادث والمساجرات  
وغيرها ، وكتهدمات البندق ، والصدقات الملوكية وغيرها ، والعمرات التي تكتب  
للساج ، وذكري نسخ من ذلك كله . وما يكتب عن العلماء وأهل الأدب : من  
الإجازة بالفتوى والتدريس والمرويات ، وما يكتب على الكتب المصنفة والقصائد  
من التبريزات ، وما يكتب عن القضاة : من التاليد الحكيمة وإسجالات العدالة  
وغير ذلك .

وتكلم فيه على البريد وأول من وضعه في الجاهلية والإسلام ، وبيان معالمه  
ومراكبه ، ومطارات الحمام الرسائلي وأبراجه بالديار المصرية والبلاد الشامية ،  
ومراكب الثلج والحجن المعتدة لقله ، والمناوير والمحرقات .

وذكر فيه كثيراً من الآيات القرآنية الشريفة والأحاديث النبوية الكريمة ،  
والأمثال والحكم العربية ، وأقوال الكبار من أئمة اللغة والتفسير والحديث والفقهاء  
وعلم العربية .

وأتى فيه على كثير من أسماء الكتب والفنون ، وكثير من أسماء مشاهير المؤلفين  
والعلماء والأدباء والكتّاب والشعراء .

وأورد فيه من أصول الصنعة في الكتابة ما يعني قارئه عن تصفح كثير من  
المؤلفات الأدبية وغيرها .

وخصه شيئاً كثيراً يفوق الحصر من الرسائل البديعة لمشاهير الكتّاب وأهل الأدب  
في الشرق والغرب والقديم والحديث .



ولم يترك باباً من أبوابه ولا فصلاً من فصوله دون أن يُحليّه من غررِ منشأته  
لنفسه بالمعجب والمُطرب .

ولم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها ، ولم يغادر شاردة ولا واردة إلا أخصاها .  
فصار كتابه لذلك - كتاب تاريخ وسير ، ولغة وأدب ، وفقه وتفسير للقرآن  
والحديث ، وشرح للأمثال والحكم العربية ، وبسط لنظام الحكومات عامة والمصرية خاصة .

وعلى الجملة فهو كتابٌ مُتبع ، ودائرةٌ معروفةٌ أدبيةٌ كبرى ، يشهد لمؤلفه بالفطنة  
والذكاء ، وطوبى الباع في هذا الفن الجليل فن كتابة الإنشاء ، وقوة التمكن في اللغة  
العربية وآدابها ، وينطق بماله من كثرة الأطلاع على دقيقتها وجليلها .

وإن حسن نيّة مؤلفه ، وأعياده على فضل الله تعالى في النفع به - ساعداً على  
حفظه إلى هذا الزمان من أيدي العوادي ، وأنتشاره هذا الانتشار العظيم .

فقد قال في خاتمة تأليفه لهذا الكتاب - تحمداً بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ - بعد أن ذكر أن  
المُصَنَّفَاتِ لَتَقَوَّتْ فِي الْحُضُوظِ بِجِدَالٍ وَدُبَارٍ : فإن مرغوب فيه ، ومرغوب عنه ،  
ومتوسط بين ذلك ، وأنه قل أن ينشئ تأليف في حياة مؤلفه ، أو يروج تصنيف على  
القرب من زمان مصنفه ، وبعد أن استنمرد على ذلك بما رواه المسعودي في كتابه  
"التبيين والإشراف" عن الجاحظ . قال :

لكنني أحمد الله تعالى على رواج سوق تاليفي وتفاق سلتمه ، والمسارة إلى  
استحبابه قبل انقضاء تأليفه ، حتى إن قلبي التاليف والتلخيص يسابقان في ميدان  
الطرس إلى آكيتابه ، ومرتبب تجارته للاستئناس بيساهمهما في ارتقابه ، فضلاً من  
الله ونعمة : ( ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ) .

## ترجمة مؤلفه

أما مؤلفه "أبو العباس أحمد القلقشندى" رحمه الله تعالى، فقد ترجمه السخاوى فى الجزء الأول من كتابه : "الضوء الألامع ، فى أعيان القرون التاسع" فقال :

« هو أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله ، الشهاب بن الجمال بن أبي ايمن القلقشندى ، ثم الفاهيرى الشافعى .

ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة ، واشتغل بالفقه وغيره ، وسجع على ابن الشبحة ، وكان أحد الفضلاء ، ممن برع فى الفقه والأدب وغيرهما . وكتب فى الإنشاء ، ونبأ فى الحكيم ، وشرح قطعاً من "جامع المختصرات" بل شرح فى نظمه .

وعمل "صبح الأعشى" فى قوانين الإنشاء فى أربع مجلدات ، جمع فاعى . وكان يستحضر أكثر ذلك مع "جامع المختصرات" و "الجاوى" . وألف كتاباً فى أنساب العرب . وكان فيه تواضع ومروءة وخير .

مات يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وله خمس وستون سنة . ذكره المقرئى فى "عقوده" والعبى وآخرون . وسُمى المقرئى والدة عبد الله وهو وهم .



وترجمه صاحب "شذرات الذهب فى أخبار من ذهب" فقال :

« شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القفشندي الشافعي ، تزييل القاهرة ،  
تفقه ومهرا ، وتعالى الأدب ، وكتب فى الإنشاء . وذاب فى الحكيم ، وكان يستحضر  
" الحاوى " . وكتب شيئا على " جامع المختصرات " . وصنف كتابا حافلا سماه  
" صبح الأعشى فى معرفة الإنشاء " وكان مسنعا مضرا لأكثر ذلك . وصنف غير ذلك .  
وكان مفضلا وقورا فى الدولة إلى أن توفى ليلة السبت ١١٠١ هـ بمصر الأخرى ، عن  
خمسين سنة . »



وقد تقدمنا على شيء من ترجمته وقت تصحيحنا لكتابه " صبح الأعشى " ، وورده  
هنا ، إن شاء الله تعالى .

## ميلاده ونسبته

وُلِدَ الْمُؤَلَّفُ فى سنة ست وخمسين وسبعمائة كما ذكره السخاوى فى " الضوء  
اللامع " ببلدة يقال لها " قلتمشندة " من أعمال مديرية القنوبية بالديار  
المصرية : من أصل عربى صحيب ، من بنى بدر بن قزارة من قبس عيلان .  
وكان بنو قزارة وردوا بمصر مع من وردها من العرب ، أيام الفتح الإسلامى وبعده ،

---

(١) سماء صاحب " كشف القلوب " مرة بأحمد بن علي ، ومرة أخرى بأحمد بن عبد الله ، وإنما  
بأحمد بن عبد الله بن محمد .

وذكر فى عنوان " نهاية الأرب " مؤلف ، المطبوع سنة ١٢٤٠ هـ : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله  
ابن سليمان بن إسماعيل القفشندي ، المشهور بابن أبنده .

ووجد مكتوبا على بعض أجزاء " صبح الأعشى " الخطية المحفوظة بدار لكتب أمه أحمد بن عبد الله  
ابن أحمد بن محمد بن سليمان بن إسماعيل .

وَزَلُّوا بِأَقْلِيمِ الْقَلْبِيَّةِ ، وَأَسْتَوْلَى بَنُو بَدْرٍ مِنْهُمْ عَلَى أَجَلٍ بِإِلَادِهِ . وَكَانَتْ لَهُمُ الرَّأْسَةُ  
وَالْقَلْبَةُ عَلَى جِيرَانِهِمْ مِنْ بَنِي عَمَّهِمْ بَنِي مَازِينَ بْنِ فَرْزَانَ . وَكَانَ بِقَلْقَشَنْدَةَ فِرْقَتَانِ :  
فِرْقَةٌ مِنْ بَنِي بَدْرٍ وَفِرْقَةٌ مِنْ بَنِي مَازِينَ .

### نَشَأَتُهُ وَتَرْبِيَتُهُ

وَنَشَأَ نَشَأً حَسَنَةً ، وَتَرْبِيًا تَرْبِيَةً عَامِيَةً صَحِيحَةً ، وَتَوَجَّهَ إِلَى نَعْرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ  
وَأَقَامَ بِهِ مَدَّةً مِنْ عُمُرِهِ ، وَطَلَّبَ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ عَلَى مَشْهُورِي الْعُلَمَاءِ فِي عَصْرِهِ ،  
وَأَشْتَغَلَ بِفُنُونِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُ مِقْدَارٌ وَافِرٌ مِنْهَا . وَأَطَّلَعَ عَلَى كَثِيرٍ  
مِنَ الْكُتُبِ وَالْأَسْفَارِ فِي مَخْتَلَفِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ .

### إِجَازَتُهُ بِالْفُتْيَا وَالتَّدْرِيسِ

وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ حِينَ كَانَ مُقِيمًا بِنَعْرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ أَجَازَهُ الشَّيْخُ  
سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الشُّهْرُبَابِيِّ الْمَلَقِيِّ - بِالْفُتْيَا وَالتَّدْرِيسِ -  
عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمْ تَكُنْ سِنُهُ إِذْ ذَلِكَ تَتَعَدَّى إِحْدَى  
وَعِشْرِينَ سَنَةً ، كَمَا أَجَازَهُ بِأَنْ يَرَوِيَ عَنْهُ كُلَّ مَا لَهُ مِنَ التَّأْلِيفِ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ  
وغيرهما ، وَأَنْ يَرَوِيَ كُلَّ مَا جَازَتْ لَهُ رِوَايَتُهُ بِشَرْطِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ ، كَالْكَتُبِ الصَّحَاحِ  
السُّتَى ، وَمُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَكُتِبَتْ هَذِهِ الْإِجَازَةُ بِحَقِّ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ بْنِ غَنُومٍ مَوْقِعَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ  
بِمَدِينَةِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ .

(١) انظر "نهاية الأرب في معرفة أئساب العرب" مؤلف (ص ١٥٠) .

## تَصَدُّرُهُ لِلإِفَادَةِ

وجلس بعد ذلك للإفادة، فانتفع الكثيرون من فقهه وورعه وأمانته .  
وعرّض عليه كثيرٌ من تلاميذه ما حفظوه من الكتب وغيرها في الفقه والأصول  
وعُلوم العربية . فأجازهم بما حفظوه منها .

## التحقيق بديوان الإنشاء

وفي شهر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة التحق بديوان الإنشاء بالأبواب  
السلطانية بالديار المصرية، وأنشأ مقامه في تقريظ القاضي بدر الدين، بن القاضي  
علاء الدين، بن القاضي محيي الدين، بن فضل الله : رئيس ديوان الإنشاء وقتئذ،  
سمّاها "الكواكب النثرية"، في المناقب البدرية<sup>(١)</sup> بناها على التعريف بكتابة الإنشاء  
وعلو قدرها، وعظم خطرها، وأنها الحرفة التي لا يلبق بطالبي العلم غيرها، والصناعة  
التي لا يجوز له العدول عنها إلى ماسواها، وصنّها كثيراً من أصول الصنعة في الكتابة  
وقروعها . إلا أنها لإيجازها، مع ما اشتملت عليه من كثير المعاني - أحتاجت إلى  
شرح وإيف يكشف إشارتها، ويوضّع عباراتها، فألف كتابه "صبح الأعشى"  
وجعله كالشرح لها .

وفرغ من تأليفه في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر شوال سنة أربع  
عشرة وثمانمائة .

(١) ذكرت في الجزء الرابع عشر من صبح الأعشى (ص ١١٢) .

## قِيمَتُهُ فِي الْكِتَابَةِ وَالْإِنشَاءِ

كَانَتْ يَكْتُبُهُ وَإِنْشَاؤُهُ كَانِشَاءَ أَهْلِ عَصْرِهِ وَكَتَابَتِهِمْ ، مَبْنَاهَا عَلَى التَّخْيِيلِ وَالنَّزَامِ  
الْمُحَسَّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ : مِنَ السَّجْعِ وَالْجِنَاسِ وَالتَّوْرِيَةِ وَغَيْرِهَا ، وَالْعُلُوفِيَا ، عَلَى تَحْوِي  
مَا كَانَ مِنْ كِتَابَةِ « الْقَاضِي الْقَاضِلِ » وَ « ابْنِ نَبَاتَةَ » وَالْقَاضِي « شِهَابِ الدِّينِ  
ابْنِ قُضَيْبِ اللَّهِ الْعَمْرِيِّ » وَأَضْرَابِهِمْ . غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ تَبْدُو أَحْفَ رُوحًا وَأَعْظَمَ  
وَضُوحًا مِنْ كِتَابَةِ أَمْثَالِهِ .

وَإِنَّ مِنْ قَرَأَ مَقَامَتَهُ الَّتِي أَنْشَاهَا عِنْدَ أُنْتِحَانِهِ بِدِيَوَانَ الْإِنشَاءِ ، عَرَفَ مَا كَانَ  
عَلَيْهِ : مِنْ غَزَاةِ الْمَأْدَةِ ، وَسَلَامَةِ الذُّوقِ ، وَقُوَّةِ الذَّاكِرَةِ .

## مُؤَلَّفَاتُهُ

وَلَهُ تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا :

كِتَابُ « صَبْحِ الْأَعَشِيِّ فِي كِتَابَةِ الْإِنشَاءِ » وَهُوَ هَذَا الْكِتَابُ .

وَكِتَابُ « ضَوْءِ الصُّبْحِ الْمُسْتَفِيرِ وَجَنَى الدُّوْحِ الْمُثْمِرِ » وَهُوَ مُخْتَصَرٌ كِتَابِ  
« صَبْحِ الْأَعَشِيِّ » . طَبِعَ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ فِي مَطْبَعَةِ الْوَاعِظِ بِالْقَاهِرَةِ  
فِي سَنَةِ ١٣٢٤ هـ .

وَكِتَابُ « الْعُرُوثُ الْهَوَامِعُ » ، فِي شَرْحِ جَمِيعِ الْمُخْتَصَرَاتِ وَمُخْتَصَرَاتِ الْجَوَامِعِ  
فِي عِلْمِ الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وكتاب "نهاية الأرب" في معرفة قبائل العرب" في الأناضول، ألّفه للقرن ابعثاني  
يوسف الأموي، وطبع في مطبعة الرياض بمدينة بغداد (دار السلام).

وكتاب "قلائد الجمان" في قبائل العربان" في أنساب العرب أيضا.

وله غير ذلك رسائل كثيرة تزيد على المائة أودعها كتابه "صحيح الأعشى".



هذا : وقد أسند إلينا تصحيح كتابه "صحيح الأعشى" المطبوع على نفقة  
دار الكتب، بالتعم الأديب المطبعة الأميرية، فقدمنا له بمأزب بإزاء مؤلف  
جليل مثله، وآبئنا في تهذيبه وتنقيحه بقدر الطاقة.

وأستعنا على ما وجدناه بأصله من التحريف الكبير والتصحيحات الشريفة - زيادة  
على ما فيه من الظنن والسقم في مواضع من بعض أجزاءه - برأفة كثير من المؤلفات  
في القرون المختلفة، ونسخ شئاً من رسائل الكتاب ودواوين الشعراء وأهل الأدب،  
باحثين فيها عن كل موضوع تكلم عنه المؤلف أو أشار إليه في كتابه. ومتى توقعنا  
في شئ من مسائله أنباء التصحيح : لعدم وضوحه - أو لأن يد الأبيح مسخته -  
أو غير ذلك - رجعنا إلى تلك الكتب والرسائل فصحيحناه منها، مع المحافظة التامة  
على عبارة الأصل، مهما بلغت من السقم. وما لم نقف عليه فيها، أبقناه على حاله.

---

(١) كما ذكر ذلك المؤلف في خطبه، وذكر صاحب "كشف الظنون" أنه لخب لأبي الجورد «مترين راشد»  
أمير العربان في البلاد الشرقية والغربية.

(٢) فيه صاحب "كشف الظنون" لوالده المؤلف، وذكر أنه به عن ذلك في كتابه "نهاية الأرب".  
[وقد تصفحناه فم نعت على ذلك].

وَوَضَعْنَا بِجَانِبِهِ عِلْمًا تَدُلُّ عَلَى التَّوَقُّفِ ، وَوَكَلْنَا إِلَى فَهْمِ الْقَارِيءِ الْكَرِيمِ وَعَيْقَرِيَّتِهِ ،  
نَاسِبِينَ كُلِّ إِصْلَاحٍ أَدْخَلْنَاهُ عَلَيْهِ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ كُتُبِ الْمُرَاجَعَةِ .

وَقَدْنَا أَكْثَرَ كَلِمَاتِهِ بِالشَّكْلِ ، مُتَّيِّدِينَ فِي ضَبْطِهَا عَلَى مَعَارِجِ اللُّغَةِ الْمَشْهُورَةِ ،  
وَبَدَّلْنَا الْجُهْدَ فِي تَقْرِيهِهِ إِلَى فَهْمِ الْقَارِيءِ ، بِوَضْعِ عِلْمَاتِ التَّرْقِيمِ بَيْنَ جُزْئِهِ وَأَجْزَائِهِ  
عِبَارَاتِهِ .

وَمِيزْنَا مَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَمْثَالِ  
الْعَرَبِ وَحِكْمِهَا - بِعِلْمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ تُمَيِّزُهَا عَنْ سِوَاهَا .

وَوَشَّيْنَا أَكْثَرَ صَفْحَاتِهِ بِجَوَاشِ شَرْحِنَا فِي بَعْضِهَا مَا يُوجَدُ فِي مَتْنِهِ مِنْ غَيْرِيبِ  
اللُّغَةِ ، وَأَثْبَتْنَا فِيهَا أَسْمَاءَ كُلِّ الْكُتُبِ الَّتِي اعْتَمَدْنَا عَلَيْهَا عِنْدَ التَّصْحِيحِ .

وَمَا هُوَ إِذًا نَقْدُهُ لِحَضْرَاتِ قُرَّانِهِ الْكِرَامِ - مِنْ أَكْبَارِ الْكُتَّابِ وَأَسَاطِينِ اللُّغَةِ  
وَالْأَدَبِ - فِي تَوْيِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي يَمُرُّ النَّاسِطِرُ وَيَشْرَحُ الْخَطَاطِرَ ، مُتَّيِّدِينَ إِلَى  
حَضْرَاتِهِمْ فِيمَا يَقْفُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَطِّهِمْ مَطْبَعِيٍّ وَقَعَ فِيهِ أَثْنَاءُ الطَّبْعِ وَلَمْ تَنْبِئْ لَهُ ،  
وَالْكَأَلُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

وَقَفْنَا أَنَّهُ تَعَالَى إِلَى مَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَأَعَانَنَا عَلَى مَشَاقِّ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، وَوَهَبْنَا  
مِنْ لَدُنْهِ الصَّبْرَ وَحُسْنَ الثَّبَاتِ ، فَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

القاهرة في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٨ (٢٧ يناير سنة ١٩٢٠)

محمد عبد الرسول  
إبراهيم